

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق صريوس



التعريف بالمؤلف /

المحامي / احمد عبد الرزاق مريوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا
بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم
بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية
الشريعة والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعته وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعة اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

{ إهداء }

- **إلى الذين أثقلت كواهلهم الهموم، وضاق بهم اتساع الأرض**..
- **إلى المستضعفين الصابرين، الذين يوقنون أن يد الله تعمل في الخفاء لتدبير جلاء الغمة**..
- **إلى كل من يبحث في كتاب الله عن طاقة حياة، وعن "مفتاح" يفتح أبواب التمكين**..
- **أهدي إليكم هذا العمل**..
- **لنتعلم معاً كيف نبصر "نور الوعد" وسط "ظلام الواقع"،**
- **ولندرك أن الذي سير صندوق موسى في اليم، كفيل بأن يسير حياتنا إلى شاطئ النجاة**..
- المحامي احمد عبد الرزاق مريوش سلام العامري مدينه القاعده ذى السفال اب الجمهوريه
اليمنيه 777308003

بسم الله الرحمن الرحيم

رساله شكر وعرقان

أود أن أشكر الاستاذ القدير منير عبده عثمان الصلوى الذى قام بالمراجعة الشاملة لهذا الكتاب وبقية سلسه المفاهيم القرانيه ابتداء من سورة المائدة حيث قام بتصحيح الاخطاء اللغويه والأخطاء فى تركيب الجمل او الأخطاء فى طريقه الطرح وقد بذل جهودا جبارة لإخراج هذه الكتب فله كل الشكر والتقدير

المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالكتاب

تعد هذه المذكرة تعريفاً شاملاً بالكتاب المستند إلى تفسير سورة القصص، والذي يهدف إلى استخراج المفاهيم القرآنية وتحويلها إلى طاقة عملية لبناء الإنسان والمجتمع. وإليك أهم ما في هذه المذكره

أولاً

التعريف بمنهج المؤلف وأغراضه

١ / أهداف المؤلف من تقديم هذا العمل

** تجديد الثقة واليقين**: يهدف المؤلف إلى ترسيخ اليقين بوعود الله في التمكين، خاصة في أوقات الاستضعاف، من خلال تدبر آيات سورة القصص.

** تحويل النص إلى واقع**: يسعى الكتاب إلى جعل القارئ "يتنفس" الآية ويحولها إلى طاقة تغير واقعه الشخصي والمجتمعي، بدلاً من التعامل معها كخبر تاريخي قديم.

** بناء المرجعية القرآنية**: يهدف المؤلف إلى تأسيس "عقل واع" يرفض التضليل ويبني خطته (الحياتية) دراسة، عمل، زواج (بناءً على حقائق الوحي الواضحة).

٢ / جوهر المحتوى والغايات الاستراتيجية والتربوية

** فلسفة الصراع الأبدي**: يركز الكتاب على حتمية الصراع بين الحق والباطل كسنة كونية، موضحاً أن علو الباطل (مثل فرعون) مؤقت وهش مهما بلغ طغيانه.

** التمكين المشروط**: يطرح الكتاب غاية استراتيجية مفادها أن النصر آتٍ للمستضعفين، لكنه يشترط الإيمان والصبر والتأهيل النفسي.

** التربية على الاستبصار**: يهدف المحتوى إلى تربية الشخصية المتأملّة التي تنظر في السنن الكونية (كالليل والنهار) وتستنبط منها معاني الرحمة والحكمة الإلهية.

٣ / دور الكتاب في الدعم النفسي وبناء الإنسان والحضارة

** الدعم النفسي للمستضعفين**: يقدم الكتاب "جرعة أمل مركزة" للمظلومين، مؤكداً أن الضعف ليس عجزاً إذا كان الله معه، وأن "طسم" هي مفتاح اليقين في زمن الظلم.

** بناء الإنسان (التحصين الفكري)**: يعمل الكتاب على حماية الشباب من "الذبح الفكري" وبناء هوية قرآنية تمنع الذوبان في الثقافات المضلّة.

** التنمية البشرية والمجتمعية**: يربط بين الإيمان والقدرة على التغيير الإيجابي، معتبراً المؤمن الأكثر إقداماً على البناء لأنه لا يرهب العوائق.

** بناء الدولة والحضارة**: يطرح الكتاب "دستور النهضة" الذي يعتمد على توحيد الصفوف ضد التفتت (شيعاً) والتمسك بالعدل الاجتماعي والمساءلة الأخلاقية.

٤ / مميزات هذا الكتاب

** الأسلوب الاستنتاجي المفاهيمي**: لا يكتفي بالتفسير اللفظي، بل يستخرج مفاهيم مثل "قانون السنن" و"التمكين الإلهي".

** طريقة عرض التحليل**: يستخدم لغة حوارية قريبة من القارئ (مثل: "تخيل أنك في سجن فرعون زمانك") لجعل النص حياً.

** التحليل النفسي والتربوي**: يغوص في أعماق "سنة الابتلاء" و"علاج صدمة الفقد" و"الذكاء العاطفي" كما في قصة أم موسى وأخته.

** العصرنة وإسقاط الواقع**: يسقط مفاهيم الطغيان والفساد على الواقع المعاصر (المدير المتسلط، النظم الجائرة) لتكون الدروس عملية.

** الأسلوب النسقي المرتب**: ينتقل من "خلوة الإعداد" إلى "جلوة المواجهة" بترتيب منهجي يسهل الفهم.

٥ / لمن خصص هذا الكتاب؟

** للمستضعفين والمظلومين**: الباحثين عن بصيص أمل في مواجهة قوى الباطل.

** للمربين والآباء**: الراغبين في غرس قيم الصبر واليقين والقيادة في نفوس أبنائهم.

** للمفكرين والمصلحين**: الساعين لفهم قوانين النهضة والسقوط من خلال السنن القرآنية.

٦ / لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟

* لأنه يعلمك كيف تتحول من "الضعف الظاهر" إلى "القوة الحقيقية" بالمعنى الإلهية.

* لأنه يساعدك على امتلاك "نظارة خاصة" ترى بها التاريخ والواقع كنسيج واحد تسيّره يد الله.

* لأنه يقدم "خريطة طريق" للخروج من التخبّط الفكري إلى نور النظام والعدل.

٧ / أهم المفاهيم المركزية التي يطرحها المؤلف

** مفهوم "التمكين": أنه وعد إلهي ثابت لكنه يتطلب إعداداً نفسياً وإيماناً.

** مفهوم "الاستضعاف": الذي يسبق السيادة وجعل المستضعفين أئمة وورثة.

** مفهوم "السنن الإلهية": مثل قانون هلاك الطغاة وقانون مضاعفة الحسنات.

** مفهوم "الكتاب المبين": القرآن كمرجعية واضحة تضيء النفس وتكشف زيف الأباطيل.

٨ / ما الذي نتعلمه من هذا الكتاب؟
*** الشجاعة المدروسة** تعلم أن الشجاعة ليست في التهور بل في التوقيت المناسب قرار الخروج لموسى.
*** الثقة بتدبير الله** تعلم أن الرفض الإلهي لأمر ما قد يكون حماية غير مباشرة) حرمانا عليه المراضع).

*** أدب الاستماع والجاهزية** الاستعداد الدائم لأن يغير الله مجرى حياتك في لحظة واحدة.
٩ / المخرجات من هذا الكتاب
*** تحويل الفرد إلى "سفير للحق**": متمسك بالصدق والنزاهة في بيته وعمله.
*** صناعة الشخصية المتفائلة**": المؤمن الذي يخطط للمستقبل بيقين أن "العاقبة للمتقين".
*** بناء مجتمع واع**": يرفض التفتيت العنصري والطبقي ويعمل تحت راية مرجعية قرآنية موحدة.
١٠ / أهم المحطات التفسيرية (التحليل النفسي والتربوي)

يركز الكتاب على لقطات دقيقة داخل القصة القرآنية ليستنبط منها دروساً معاصرة:
*** علاج "الفراغ النفسي**": في قوله {وَأَصْبَحَ قُودًا أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا}، يحلل الكتاب كيف يربط الله على القلوب المؤمنة في لحظات الفقد والانهيار، وكيف يتحول الخوف إلى ثبات بمجرد "الربط الإلهي".
*** الذكاء الاجتماعي (دور أخت موسى)**: يبرز الكتاب مفهوم "البطولة الصامتة" وكيف يمكن للفرد المستضعف أن يدير أزمة كبرى بحكمة وهدوء {فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}.
*** سيكولوجية الطاغية**": يحلل الكتاب كيف أن فرعون رغم قوته كان يعيش في رعب دائم من "غلام"، مما يثبت أن الباطل هشّ داخلياً مهما تكبر.

١١ / الأسس الحضارية في السورة (رؤية المؤلف)
يرى المؤلف أن السورة تضع لبنات بناء المجتمع والدولة من خلال:
*** قيمة العمل والقوة والأمانة**": من خلال قصة موسى مع ابنتي شعيب {إِنْ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}، وهي قاعدة ذهبية لأي نهضة إدارية أو مهنية.
*** مواجهة الفساد المالي**": عبر قصة "قارون"، يوضح الكتاب أن المال وسيلة للأعمار وليس للاستعلاء، وأن التنمية الحقيقية هي التي تبتغي "الدار الآخرة" ولا تنسى "النصيب من الدنيا".
١٢ / الخلاصات العملية (كيف تعيش مع السورة؟)

يقترح الكتاب خطوات تطبيقية للقارئ بعد الفراغ من الدراسة:
1. ***اليقين في الأسباب**": ابذل جهدك (مثل أم موسى في صنع الصندوق) واترك النتائج على الله (الذي سيسير الصندوق إلى قصر العدو).
2. ***رفض التفتيت**": الوعي بأن قوة المجتمع في وحدته، وأن سلاح "فرعون" كان دائماً {جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا}، لذا يجب الحذر من الفرقة.
3. ***الاستقامة على الوجهة**": كما انتهت السورة {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}، يجب أن يكون معيار قبولك لأي عمل أو قرار هو: "هل هذا سيبقى عند الله؟".

١٣ / رسالة الختام
يختتم المؤلف عمله بالتأكيد على أن **سورة القصص ليست "قصصاً" للتسلية، بل هي "كتيبة عمل**". فإذا كنت تعيش ضيقاً في الرزق، أو ظلاماً في العمل، أو استضعافاً في الأمة، فإن هذه السورة هي رفيقتك لتعلمك أن الذي أخرج موسى من اليم إلى الملك، قادر على أن يخرجك من ضيقك إلى سعة تمكينه، بشرط أن تؤمن بـ "الكتاب المبين" وتعمل بمقتضى "السنن".

ثانياً :-

معلومات السورة

١ / عدد آيات سورة القصص
* يبلغ عدد آيات سورة القصص **٨٨ آية**.
٢ / ترتيبها حسب المصحف المرتل
* ترتيبها في المصحف هو السورة رقم **٢٨**، وتقع في الجزء العشرين.
٣ / ترتيبها حسب النزول
* السورة **مكية**، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة العنكبوت.

٤ / أسماء السورة وسبب التسمية
***سورة القصص**": سُميت بهذا الاسم إشارة إلى ما حوت من نبأ موسى عليه السلام مع فرعون، وهي القصة التي تفصلت فيها السورة تفصيلاً بديعاً.
***سبب التسمية**": جاءت التسمية لتركيز السورة على "قص" الحقائق والأنباء العظيمة التي تغير مجرى الحياة وتكشف سنن الله في النصر والتمكين.

٥ / التناسب في السورة
***التناسب مع ما قبلها**": ترتبط بسورة النمل (التي انتهت بالحديث عن الآيات والتوحيد) ببدء سورة القصص بالحروف المقطعة "طسم" التي تثبت إعجاز هذا الكتاب المبين.
***التناسب بين الافتتاح والخاتمة**":

****الافتتاح****: بدأت بقصة طفل في صندوق (موسى) يواجه أقوى طاغوت في زمنه.
****الخاتمة****: انتهت بتقرير ملكوت الله وعودة الأمر إليه {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}، لتقول إن البدايات الضعيفة مع الله تنتهي بسيادة مطلقة ويقين تام.

٦ / أسباب النزول

* نزلت السورة في مكة في وقت كان فيه المسلمون يعانون من ****الاستضعاف والاضطهاد****.
* جاءت لتثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين، خاصة الآية (٨٥) {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ} التي نزلت والرسول في طريق هجرته لتمسح على قلبه بوعده العودة والنصر.
٧ / فضائل السورة

* تعد "مفتاح اليقين" في زمن الاستضعاف.

* تحمل "البشرى العظيمة" للمستضعفين وتوصل لسنن الله في التمكين.

* تغرس "الصلابة النفسية" أمام الضغوط والفتن.

٨ / الأجواء التي نزلت فيها السورة

* نزلت في أجواء ****الصراع المحتدم بين الحق والباطل**** في مكة.

* أجواء تشبه مشهد استضعاف بني إسرائيل تحت حكم فرعون، حيث كان المشركون يمارسون التفتيت والظلم ضد المؤمنين.

٩ / خصائص السورة

****المنهج الاستنتاجي****: تحويل القصص إلى "نبا" يستنبط منه قوانين عملية.

****التركيز على القوة النفسية****: إبراز دور المرأة (أم موسى، أخته، ابنة شعيب) في صناعة النصر.

****كشف آيات الطغيان****: تفصيل كيف يفتت الطغاة المجتمعات (جعل أهلها شيعا) وكيف ينتهي إفسادهم.

١٠ / أهم المواضيع والقضايا

****قصة موسى عليه السلام****: من الميلاد والالتقاء بفرعون إلى النجاة والتمكين.

* ****قضية الاستكبار****: تمثلت في فرعون (استكبار سياسي وعسكري) وقارون (استكبار مادي واقتصادي).

* ****السنن الكونية****: مثل سنة إهلاك المفسدين، وسنة نصر المستضعفين، وسنة الابتلاء قبل التمكين.

١١ / مقاصد السورة

* ****إثبات الوحي****: التأكيد على أن هذا القصص هو "نبا من الحق" لا يمكن لبشر معرفة تفاصيله إلا بوحي.

* ****صناعة الأمل****: طمأنة كل مؤمن بأن العقابة للمتقين وأن الباطل مهما علا فهو هش وسيزول.

* ****بناء المرجعية الفكرية****: جعل "الكتاب المبين" هو البوصلة التي توجه الإنسان في التخطيط و التحرك والاعتزاز بالهوية.

****بهذا تكتمل المذكرة التعريفية الشاملة للكتاب، والتي تجمع بين الجانب المعرفي (معلومات السورة) و الجانب العملي (منهج المؤلف في التغيير والبناء)****

المحامي أحمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الاول من سورة القصص
القسم الاول من الايه 1-6
المقدمه

فهذا تفسير لمقطع مبارك من سورة عظيمة، هي سورة "القصص"، وقد جاءت تسميتها بهذا الاسم إشارة إلى ما حوت من نبا موسى -عليه السلام- مع فرعون، تلك القصة التي تفصّلت فيها السورة تفصيلا " بديعا، قال تعالى: "تتلوا عليكم من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون".

والمقطع الذي بين أيدينا اليوم هو افتتاحية هذه السورة الكريمة، وهو يمهد لقصة موسى -عليه السلام- م- تمهيدا رائعا. نبدأ من الحروف المقطعة "طسم" التي تثبت إعجاز القرآن وتنبيه السامع إلى أنه كلام الله، ثم تنتقل إلى الإخبار عن عظمة هذا الكتاب المبين. وبعد هذا التمهيد، تأتي الآيات التي تحمل البشري العظيمة للمستضعفين، حيث تسلط الضوء على مشهد من أشد مشاهد الصراع بين الحق و الباطل: طفيان فرعون في الأرض، وتسلطه على بني إسرائيل، واستضعافه لهم، ثم تعلن الآيات عن الإ رادة الإلهية النافذة التي تتجاوز كل موازين القوى الأرضية؛ لتقرر نهاية المحتالين وتمكين المستضعفين وجعلهم أئمة وورثة.

ففي هذه الآيات الأولى جوهر سنن الله في النصر والتمكين، وهي بشارة عظيمة لكل مؤمن مستضعف، بأن النصر آت لا محالة، وأن العاقبة للمتقين.

المبحث الأول

(طسم تلك آيات الكتاب المبين)

هل تريد أن تعيش الآية، أن تتنفسها، أن تجعلها تنبض في وجدانك وتحول إلى طاقة تغير واقعك. دعنا إذا نفعل ذلك معا. تخيل أننا نجلس في حلقة تدبر، وكلانا نتأمل هاتين الآيتين، ونحاول أن نلتقط الإشارات الربانية الموجهة إلينا شخصيا. افتتاحية المقطع: طسم.. تلك آيات الكتاب المبين

أولا : الآية الأولى - "طسم": مفتاح اليقين في زمن الاستضعاف

1. لماذا هذه الحروف؟ ولماذا بهذا الشكل؟

تخيل معي لو أن ملكا عظيما أرسل إليك رسالة، وختمها بخاتمه الخاص. عندما ترى الخاتم، تعرف فوراً أن الرسالة منه، وتستعد لتلقيها بكل جوارحك. هنا "طسم" هي ختم الله على هذا القرآن. حروف عادية مثل التي نكتب بها، لكن ترتيبها وتحديدها يُسكت أعتى البلغاء. إنها تقول لك من البداية: "انتبه، ما سيأتي ليس كلام بشر. إنه كلام خالق الحروف والمعاني".

بل أكثر من ذلك، إنها أشبه بإشارة مرور تقول لك: "قف وتدبر" لماذا "طسم" بالذات؟ لا أحد يعلم تأويلها على وجه القطع، وهذا السرية فيها حكمة عظيمة: أن تؤمن بأن لله غيباً في كتابه، فتخضع له ، وتقبل على ما هو واضح ومبين بعده. إنها تدريب لك على التسليم لله فيما لم تعلم، مع اليقين بأن وراء ذلك حكمة.

2. الدلالة النفسية والعقلية: كيف تشعر وأنت تقرأ "طسم"؟

. عقلياً: تشعر كأن عقلك يقرع جرس الإنذار. تقول لنفسك: "لابد أن هناك سرا هنا". هذا يفتح باب التدبر في عظمة القرآن. فالحروف المقطعة تثبت أن هذا الكتاب ليس من تأليف محمد ﷺ، لأنه لو كان المؤلف بشراً، لكان أول شيء يفعله هو أن يشرح لك ما تعنيه هذه الحروف. أما أنها جاءت مجملة، فدليل على أن مصدرها هو الله الذي يعلم ما لا تعلمون.
. نفسياً: تشعر بهيبة واحترام. أنت أمام كلام إلهي لا يستهان به. مثلما تدخل إلى قاعة ملك فترفع رأسك وتخشع، كذلك تدخل إلى سورة القصص عبر بوابة "طسم". هذه المشاعر تهيئ قلبك لتلقي القصة العظيمة القادمة. كما أنها تطمئن نفس النبي ﷺ ونفسك أنت: هذا القرآن ليس من عندك، فلا تحزن إن كذبوك، ولا تضعف إن استضعفوك.

3. كيف تستشعر وجود الله في هذه الكلمات؟

استشعار وجود الله هنا يكون من خلال التحدي والإعجاز. الله يقول لك: "هذه الحروف التي بين يديك، لو اجتمعت الإنس والجن ليأتوا بمثلاً لعجزوا. انظر كيف جعلت البسيط معجزاً". هذا يملأ قلبك إجلالاً لله، وشعوراً بأنك أمام قوة خارقة للعادة. وجود الله ليس في الحرف (ط)، بل في القدرة التي جعلت من هذا الحرف حجة على العالمين.

4. علاقتها بالثقة بوعده الله (التمكين بعد الاستضعاف)

وهنا السر العظيم الذي تبحث عنه. سورة القصص كلها عن استضعاف بني إسرائيل ثم تمكينهم. افتتاحها بـ "طسم" هو بمثابة سند إذن قبل القصة. المعنى: "يا محمد، وبأيتها المستضعفون في كل زمان، هذه الحروف التي تتحدى العالم هي ضمانه أن وعدي بالتمكين حق. كما أن هذه الحروف ثابتة في كتابي، فكذاك وعدي ثابت لا يتخلف."

العلاقة المباشرة: الحروف المقطعة = تحدٍ وإعجاز = دليل على أن مصدر الخبر هو الله القادر = وبالتالي خبر التمكين للمستضعفين لا يمكن إلا أن يتحقق.

تخيل أنك في سجن فرعون زمانك، تشعر بالظلم والإجباط. تأتي إلى المصحف، تفتح على "طسم"، تتأملها، فتتذكر أن الله الذي حير بها العالم قادر على أن يخرجك من سجنك ويؤمن لك في الأرض. هذه الحروف تصبح قبساً من نور الأمل.

5. تطبيقات حياتية: كيف تجعل "طسم" نقطة تحول في حياتك؟

لحظة تجديد الثقة: اجعل قراءتك لـ "طسم" طقساً صباحياً. قل لنفسك: "يا رب، كما أن هذه الحروف حاضرة لا تتغير، فتحتي بك حاضرة لا تتزعزع. أنت مدبر أمري كما دبّرت أمر موسى". تذكر النصر: حمل "طسم" في عقلك كشعار. كلما رأيت باطلاً يزداد قوة، تذكر أن هذه الحروف البسيطة أذهلت العقول. فكيف بوعده الله بالنصر؟ ستشعر أن الباطل مهما علا، فمصييره الزوال. تحصين من الشبهات: في زمن تموج فيه الشبهات والشكوك، "طسم" تذكرك بأن أساس إيمانك ليس الهشاشة، بل اليقين بكتاب معجز. لن تؤثر فيك شبهة، لأنك تعلم أن ما بين يديك ليس كلاماً عادياً. ثانياً: الآية الثانية – "تلك آيات الكتاب المبين": إعلان المرجعية الواضحة

1. دلالة "تلك" و"المبين": إشارة تعظيم ووصف إضاءة

"تلك": اسم إشارة للبعد. لماذا البعد؟ لتعظيم شأن هذه الآيات. كأنه يقول: "تلك الآيات التي تتلى عليكم، هي من مقام عال بعيد المنال، لكنها نزلت إليكم رحمة". إنها تخلق مسافة من الهيبة، فتشعر أنك أمام شيء عظيم ليس كأى شيء.
"الكتاب المبين": المبين فيه معنيان يضيئان قلبك:
1. واضح في نفسه: لا غموض فيه، ولا تناقض. لو أردت أن تعرف الحقيقة في أي قضية، فستجدها هنا مكشوفة كالشمس.
2. يبين غيره: هو الذي يكشف زيف الأباطيل، ويوضح الحقائق الخفية في النفس والكون.

تأثير هذا في يقينك: عندما تعلم أن القصص القادمة (قصة موسى، فرعون، السامري) هي "آيات كتاب مبين"، فإنك تتيقن أنها ليست أساطير، بل حقائق وقعت وتنقل لك بكل شفافية. هذا يجعلك تتفاعل معها كدروس حياتية، لا كحكايات تروى للتسلية.

2. دور الآية في بناء الشخصية والتنمية (المرجعية الفكرية)

هذه الآية تؤسس لـ "المرجعية القرآنية" في حياتك. ماذا يعني ذلك؟

بناء عقل واع: عندما تعيش تحت راية "كتاب مبين"، فأنت ترفض أي تضليل. أي فكرة، أي إعلام، أي رأي، ستعرضه على هذا الكتاب. فإن كان واضحاً مطابقاً قبلته، وإن كان غامضاً أو مضللاً رفضته. هذه هي التنمية الفكرية الحقيقية.
التخطيط والتحرك بنقطة: المؤمن الذي يخطط لحياته (دراسة، زواج، عمل، مشروع) انطلاقاً من "الكتاب المبين"، يكون واثقاً من خطواته. لأنه يبني على حقائق، لا على أوهام. الآية تقول لك: "لا تخطط في ظلام الجهل، خطط في ضوء الوحي".
الاعتزاز بالهوية: "تلك آيات الكتاب المبين" تمنحك هوية قرآنية. أنت تعتز بأن مرجعيتك كتاب واضح، صادق، كامل. هذا يمنح الذوبان في الثقافات الأخرى. أنت تأخذ منها ما يتوافق مع هذا "المبين"، وتترك ما يخالفه دون تردد. لن تشعر بالنقص أبداً لأن لديك أرقى مرجعية.

3. التحصين النفسي وبناء الأمل

في زمن تتغير فيه القيم وتضطرب فيه المعايير، "الكتاب المبين" هو ثباتك النفسي. عندما تقرأ "تلك"

آيات الكتاب المبين"، تشعر كأنك تمسك بحبل متين في عاصفة. تعرف أن هناك حقاً واضحاً ثابتاً لا يتغير مع الأهواء.

. تطبيق عملي: عندما تصاب بالقلق أو الاكتئاب أو الحيرة، افتح المصحف وقل: "هذا كتابي المبين". سأبحث فيه عن جواب حيرتي، عن دواء قلقي، عن نور أملِي. هذا التحصين يمنع انهيارك النفسي.

4. قيم الاستبصار والاعتبار: كيف نطبقها اليوم؟

الآية تدعوك إلى أن تجعل القرآن منهاج حياة، لا مجرد نصوص تتلى. كيف؟

. في التربية: لا تكتفِ بتحفيظ أطفالك "طسم"، بل علمهم أن هذه آيات من "الكتاب المبين" الذي يرشدهم إلى كل خير. اجعلهم يشعرون أن القرآن هو بوصلة حياتهم.
. في مواجهة الفتن: عندما تسمع أخباراً مضللة أو فتنة مشبوهة، راجع "الكتاب المبين". ما موقفه من هذه القضية؟ هذا يجعلك منيعاً ضد الشائعات والدعايات الهدامة.
. في بناء المجتمع: أي مجتمع يريد النهضة يحتاج إلى "مرجعية مبينة". الآية تعلن أن المرجعية الوحيدة الصالحة هي كتاب الله الواضح. به تُخرج المجتمع من ظلمات التخبط إلى نور النظام و العدل.
ثالثاً: التوجيهات الربانية – ماذا يريد الله مني تحديداً؟

ما الذي يريده منا المولى سبحانه من هاتين الآيتين؟

1. يريد منك اليقين المطلق: أن تتيقن أن هذا الكلام ليس من عند بشر، وأن كل وعود الله فيه - خاصة وعد التمكين - ستتحقق. يريدك أن تقرأ "طسم" فتشعر أن الله يمسح على قلبك الخائف قائلاً: "لا تخف، أنا معك".
2. يريد منك التدبر وعدم المرور السطحي: يريدك أن تقف عند كل حرف، وتساءل: لماذا قال "تلك"؟ لماذا "المبين"؟ ما معنى هذا لي اليوم؟
3. يريد منك أن تجعله مرجعيتك الوحيدة: في زمن كثرت فيه المراجع المتضاربة (الإعلام، الأهواء، الفلسفات)، يريد أن تعلم أن عودتك إلى "الكتاب المبين" هي طريق نجاحك في الدنيا والآخرة.

ما هي الرسائل العملية لحياتنا اليوم؟

. رسالة أمل: مهما بلغ ظلم فرعون زمانك، فاعلم أن "طسم" هي بشارة بالزوال و"المبين" هو طريق الخلاص.
. رسالة قوة: أنت لست ضعيفاً لأنك تملك "الكتاب المبين". هذا الكتاب هو قوتك. اعتز به، واجعله دستورك.
. رسالة وضوح: لا داعي للارتباك أو الحيرة. الحلول كلها واضحة ومبينة في هذا الكتاب. فقط ابحث.

ماذا نتعلم من الآية؟ (دروس مركزة)

1. التسليم للغيب: آمن بما لا تعلم تفصيله (كالحروف المقطعة)، طالما أنه من الله.
2. الثقة بالنصر: بداية السورة بالقوة (الإعجاز) تؤكد نهاية السورة بالتمكين.
3. الشفافية منهج حياة: كن "مبيناً" في تعاملك كما أن كتاب ربك "مبين". لا غش، لا خداع، لا تمويه.

كيف نطبقها في واقعنا المعاصر (خطة عملية من آيتين)

1. اختر عملك اليومي بناءً على "الكتاب المبين": سواء اخترت تخصصك الدراسي، أو مشروعك التجاري، أو زواجك، أسأل: هل هذا واضح الحلال؟ هل يتوافق مع ما بيّنه الله؟ ستشعر بطمأنينة لا توصف.
2. في لحظة إحباط، افتح المصحف على "طسم": تخيل أن الله يخاطبك: "يا من ترى قوة الباطل، هذه حروفي التي تحدث العالم. أنا القادر على تغيير أي واقع. فثق بي."
3. علم أولادك أن القرآن "مبين": ليس كتاباً للتبرك فقط، بل كتاباً للفهم والتطبيق. اجلس معهم، اقرأوا القصص، واستنبطوا الدروس.
4. في عملك أو مجتمعك، كن سفيراً "للكتاب المبين": قدم الإسلام كمنهج واضح، عادل، صادق. لا تلبسه لبوس الغموض. هذا أقوى دعوة في زمن التضييل.

الخاتمة الوجدانية:

صديقي، تذكر: "طسم" ليست مجرد ثلاثة حروف، بل هي قبلة أمل في وجه كل يأس. و"تلك آيات الكتاب المبين" ليست مجرد جملة، بل هي إعلان استقلالك الفكري في عالم يموج بالأفكار السامة. عش مع هاتين الآيتين كأنهما نزلتا لتوك إليك. اشعر بأن الله يمسك بيدك ويقول: "هذا كتابك المبين، به تثق، به تخطط، به تنتصر." عندها ستتحول حياتك من مجرد أيام تمر إلى مشروع نصر مؤجل. ابدأ اليوم. اجعل "طسم" مفتاح ثقتك، و"المبين" نور دربك.

المبحث الثاني

تفسير الآية الثالثة من سورة القصص

﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
توقف هنا. خذ نفساً عميقاً. هذه الآية ليست مجرد جملة عابرة في كتاب. إنها بابٌ مفتوحٌ على عالم النبوة والصراع الأبدي. هي رسالة مشفرة من السماء إلى أعماق روحك أنت بالذات، في هذا الزمن بالذات. دعنا ندخل معاً إلى هذا النبأ العظيم.

اولاً : وقفات مع الكلمات الإلهية - لماذا هذه الصيغ تحديداً؟

1. لماذا "تتلوا" بالفعل المضارع وليس "تلونا" الماضي؟

تخيل أنك تجلس مع أعز صديق لك، وهو يحدثك عن موقف صعب مر به، وفجأة يبدأ يحكيه وكأنه يحدث الآن. ترتعد فرائصك، كأنك تعيش اللحظة معه. هذا ما يفعله الله معك هنا.

. الفعل المضارع "تتلوا" يدل على التجدد والاستمرارية. المعنى: "نحن الآن، في كل مرة تقرأ فيها هذه الآية، نتلو عليك هذا النبأ. ليس كخبر قديم انتهى، بل كحدث حي يتجدد مع كل تلاوة."
. الأثر النفسي على المؤمن: يختفي الزمن. أنت لم تعد قارئاً لخبر قديم، بل أصبحت شاهد عيان على الوحي. تشعر بأن الله يمسك بيدك ويأخذك في جولة داخل قصر فرعون، وبين أمواج النيل، وفي وادي الطور المقدس. تشعر بأن السيف نفسه الذي رفعه فرعون، ها هو يرفع أمام عينيك. هذه حياة القلوب. كلما قرأت القصة، كأنها تنزل من السماء لتوك.

2. "تَبَا". لماذا هذه الكلمة بالذات وليس "قصة"؟

الفرق شاسع كالفرق بين السماء والأرض.

. النبأ: هو خبر عظيم ذو شأن خطير، يُستدل عليه، ويترتب عليه نتائج مصيرية. إنه خبر يغير مجرى الحياة.

. القصة: قد تكون عادية، للتسلية أو قضاء الوقت.

ما هو الخبر العظيم الذي في قصة موسى وفرعون؟

إنه الخبر الذي يربط بين ضعف مذعور (موسى يلقي بعصاه خائفاً) و قوة مبهرة (الانتصار على أقوى طاغوت في الأرض). النبأ العظيم هو: أن الله مع المستضعفين، وأن النهاية دائماً للمتقين، وأن الضعف ليس عجزاً إذا كان معه الله.

هذا النبأ موجه إليك شخصياً. عندما تشعر بالضعف أمام ظلم مديرك، أو قسوة نظام، أو تعقيدات الحياة، تذكر: الله يتلو عليك نبأ، وليس مجرد قصة. نبأ أن الضعف الظاهر يمكن أن ينقلب إلى أقوى قوة في الكون.

3. لماذا قرن الله ذكر موسى وفرعون؟ "مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ"

لو قال "نبأ موسى" فقط، لفاتك أعظم درس في الحياة. لا يُعرف النور إلا في ظلمة الليل، ولا يُعرف الحق إلا بجانب الباطل.

. حتمية الصراع: الآية تؤسس لسنة كونية ثابتة: لا يظهر الخير إلا وهناك شر يضاده، ولا يبرز أولياء الله إلا وهناك أعداء يتربصون. الصراع بين الحق والباطل ليس عرضياً، بل هو نظام وجود يمتحن الله به عباده، ويميز الخبيث من الطيب.

. كيف يوصل الله المستضعفين؟ عندما ترى موسى، ضعيفاً خائفاً يفر من فرعون، ثم ترى كيف يصبح نبياً يخاطب فرعون بكل شجاعة، ثم كيف ينتصر عليه، فأنت تعرف الطريق. الطريق يبدأ بالخوف، ثم

الإيمان، ثم المواجهة، ثم النصر. هذه خريطة طريق للمستضعفين في كل زمان.

4. "الحق" - لماذا هذا القيد؟

لأن هناك أخباراً تروى بغير الحق. قصص محرفة، أساطير، إسرائيليّات، روايات تضخم الباطل وتصغر الحق، أو تخلط بينهما.

. يطمئن قلبك: عندما تقرأ قصة موسى وفرعون في القرآن، تعلم أنها الحقيقة المطلقة، لا تحريف فيها ، لا زيادة، لا نقصان. هي كما وقعت بالضبط. هذا يريح قلبك من حيرة: "هل هذا صحيح؟ هل هذا دقيق؟"

. التمسك بالحق يبني شخصية نزيهة: المؤمن الحق لا يروي إلا الحق، لا يزيّف الحقائق، لا يضخم أو يقلل. صفاته: الصدق، الأمانة، الشفافية، القوة المعنوية. عندما تتأمل "الحق"، تتعلم أن تكون صادقاً مع نفسك أولاً ، ثم مع الناس. لا تبرر للباطل، ولا تزيّف الحق لترضي أحداً.
ثانياً : "الحق" - فلسفة الصراع الأبدي

1. حتمية انتصار الحق (سنة إلهية خالدة)
الآية تجسد فلسفة الصراع بين الحق والباطل كسنة كونية. الصراع بين موسى وفرعون ليس عشوائياً ، بل هو نموذج متكرر في كل زمان ومكان.
. علو الباطل مؤقت: فرعون وصل إلى قمة الطغيان، قال "أنا ربكم الأعلى". لكنه انتهى غريقاً. كل طاغوت مهما علا، فسقوطه آت لا محالة.
. النصر للحق: ليس النصر بالقوة المادية، بل ببركة الله وتأنيده. موسى كان ضعيفاً لكن معه الحق، فانتصر.
تطبيق عملي في حياتك: عندما ترى الظلم يزداد، والشبهات تنتشر، والقيم تنهار، لا تيأس. تذكر أن هذه مرحلة تمحيص وابتلاء، والنهاية للحق. هذا يمنحك صموداً أسطورياً.

2. واقعية التربية الإيمانية
كيف نربي أبناءنا على هذا المبدأ؟
. لا نخفي عنهم حقائق الصراع: لا نصور لهم الحياة وردية خالية من التحديات. بل نعلمهم أن الطريق إلى الله يحتاج إلى صبر وجهاد.
. نعلمهم التاريخ: قصة موسى وفرعون درس في مواجهة الطغيان. كلما قرأناها مع أبنائنا، نزرع في قلوبهم أن الإيمان هو القيمة العليا، وأن الاستسلام للظلم ليس من الدين.
ثالثاً : "لقوم يؤمنون" - من المخاطب حقاً؟

1. لماذا خص الله المؤمنين بالانتفاع بهذه القصة؟

هل هناك فرق في الانتفاع بناءً على قوة الإيمان؟

نعم، بكل تأكيد.

. المؤمن يقرأ القصة، فتزيده إيماناً إلى إيمانه. يرى فيها حكمة الله، وعظمته، وعدله. يتدبر، يبكي، يخضع، يتعلم، يطبق.
. غير المؤمن (أو ضعيف الإيمان) يقرأ القصة، فيراها مجرد حكايات الأولين، أو قصة مثيرة للاهتمام، ثم يمر عليها كأنها خبر في جريدة.

من هم "قوم يؤمنون" في نهاية الآية؟

هم أنت، إذا كنت تتدبر. هم كل قلب حي يستشعر أن الله يتحدث إليه. هم الذين يقبلون على القرآن بقلوب خاشعة، وعقول متدبرة، وأرواح متطلعة إلى الهداية. الخطاب يساق لهم لأنهم أهل القبول، الذين إذا سمعوا آية تزداد قلوبهم إيماناً، وإذا مروا بقصة توقفوا عند عبرها.

2. كيف تحول هذه الآية القصة إلى منهج حياة؟

إنها تمنحك نظارة خاصة ترى بها التاريخ. لا ترى الأحداث كخيوط متفرقة، بل كنسيج واحد متكامل تسيّره يد الله.

. تصحيح الموازين: لا تقارن قوة الباطل (فرعون بجيوشه) بقوة الحق (موسى بعصاه) بالمقاييس

المادية. الميزان الحقيقي عند الله. قد يكون الحق أضعف عدداً وعدة، لكنه الأقوى بالنصر الإلهي.
· تغيير النظرة للطغيان: الطغيان مهما علا، فهو هش. فرعون كان يظن نفسه إلهاً، فغرق أمام أعين جنوده. لا تخف من الطغاة، فهم على حافة الهاوية.

3. الأثر العملي في التنمية وبناء المجتمع

هذه الآية هي دستور النهضة لأي مجتمع يريد التغيير.

- تنمية الموارد البشرية: "لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" تعني أن الاستجابة للتنمية والبناء مرتبطة بالإيمان واليقين. المؤمن هو الأكثر إقداماً على التغيير الإيجابي، لأنه لا يخاف الفشل، ولا يرهب الطغاة، ولا يتوقف عند العقبات.
- بناء مجتمع واثق: مجتمع يقرأ هذه الآية ويتدبرها يمتلك رؤية واضحة، ويعمل بجد لتجاوز الاستبداد والعوائق، مستنداً للإيمان والعمل الصالح، طامحاً إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض.
- تحويل الفرد من الضعف إلى القوة: أنت لست مضطراً لأن تبقى في دائرة الخوف. هذه الآية تمنحك جرعة أمل مركزة. تعلمك أن موسى كان هارباً، ثم أصبح قائداً. أنت أيضاً يمكنك أن تتحول من موقف الضعف إلى موقف القوة، من الخوف إلى الثبات.

4. الإيمان كقوة فاعلة

"لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" - الإيمان هنا ليس مجرد تصديق قلبي، بل هو طاقة دافعة، و قوة محركة، و سلاح في المعركة. الإيمان هو الذي يحول الخائف إلى مقاتل، والحزين إلى صابر، والضائع إلى هادٍ.

لمن يساق الخطاب؟

لك. نعم، لك أنت الذي تقرأ هذه الكلمات الآن. الله يتحدث إليك شخصياً. يقول لك: "هذا النبا العظيم، هذه القصة التي لا تمل من سماعها، إني أنزلها عليك لأنك تؤمن، ولتزداد إيماناً. فلا تكن كالذي يسمعها فلا يزيده إلا شكاً".

رابعا : ما الذي نتعلمه من الآية؟ (رسائل عملية للحياة)

الرسائل والتوجيهات:

1. القصة في القرآن ليست للتسلية: لا تفتح المصحف لتقرأ القصص كأنك تقرأ رواية. بل افتحه لتتعلم كيف تنتصر، وكيف تواجه طاغوت زمانك، وكيف تخرج من الضيق إلى الفرج.
2. لا تخف من تسمية الأشياء بأسمائها: القرآن يسمي فرعون فرعونا، ويسمي موسى موسى، ويسمي الحق حقاً والباطل باطلاً. كن أنت أيضاً واضحاً. لا تلف وتدور. قل الحق ولو كان مراراً.
3. ثابر على تلاوة القصص بتدبر: كل يوم آية. كل يوم درس. ستجد نفسك تتغير من الداخل. ستصبح أكثر حكمة، أكثر صبراً، أكثر ثباتاً.
4. اجعل إيمانك هو بوصلتك: قبل أي قرار، اسأل: هل هذا ما يريده مني "قوم يؤمنون"؟ هل يتوافق مع إيماني؟ ستجد الطريق واضحاً.
5. كن قدوة في التمسك بالحق: في بيتك، في عملك، مع أصدقائك. كن أنت الشخص الذي يُعرف بالصدق والنزاهة. لأنك تتلو "بالحق" كل يوم.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

- في البيت: ارو قصة موسى لأطفالك كأنها حدث الآن. قل لهم: "انظروا كيف كان فرعون طاغياً، وموسى ضعيفاً، لكن الله أنصره. فلا تخافوا من أي ظالم".
- في العمل: عندما تواجه قراراً صعباً بين الحق والمصلحة، تذكر "بالحق". اختر الحق ولو كلفك منصبك. الله معك.
- في المجتمع: شارك في أي عمل يهدف إلى تمكين المستضعفين، أو نصرة المظلومين. أنت تتبع سنة موسى.
- في نفسك: كلما شعرت باليأس أو الخوف، افتح المصحف على هذه الآية. قل لنفسك: "الله يتلو علي نأ الانتصار على الطغيان. وهذه قصتي أنا أيضاً".
- خاتمة وجدانية

توقف الآن. أشعر بأن الله يهمس في أذنك: "يا عبدي، أنا لم أتركك في حيرتك. أنا أتلو عليك الخبر اليقين. موسى الذي كنت تسمع عنه، هو أنت. وفرعون الذي تخافه، هو أي ظلم في حياتك. وأنا معك

بالحق. فقط كن من "قوم يؤمنون".

هذه الآية ليست نصوصاً تتلى، بل هي وقود لنفسك، و ضوء لعقلك، و سيف لأمتك. عش معها، تأملها، ابلع عندها، ثم قم واعمل. لأن النصر قادم لا محالة. هذا وعد الله، ولا يخلف الله وعده.

المبحث الثالث

تفسير الآية الرابعة من سورة القصص
{إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}

قف. أشعر بها. هذه الآية ليست مجرد إخبار عن طاغية مات منذ آلاف السنين. إنها مرآة تنظر فيها إلى واقعك أنت، إلى كل فرعون في حياتك، إلى كل نظام يستضعفك، إلى كل ظلم يحيط بك. بل هي جراحة نفسية تكشف لك كيف يعمل الطغيان في الأعماق، وكيف يدمر النفوس قبل الأبدان. دعنا نفحص معاً في بحر هذه الآية العظيمة.

أولاً: اللمسات البيانية والبلاغية – لماذا هذه الكلمات بهذا الترتيب؟

1. "إِنْ فِرْعَوْنَ" – أداة التوكيد في بداية المشهد

تخيل أنك في قاعة محكمة، والقاضي يقول: "إن المتهم فلان قد فعل كذا..." هذا "إن" للتوكيد، كأن الله يقول لك: لا تشك، لا تتردد، هذا هو الواقع المبرر، لكنني أوضح لك لأريكم كيف ينتهي.

· البلاغة: بدأ الجملة بـ "إن" واسم فرعون معرفاً (بال) لأنه أشهر طاغوت في التاريخ. لم يقل "إن فرعوناً" بل "فرعون" معرفة، ليكون اسم علم على الطغيان نفسه.

2. "عَلَا فِي الْأَرْضِ" – فعل الطغيان المتجذر

الفعل "عَلَا" يدل على الارتفاع، لكنه هنا ليس ارتفاعاً في الجبل، بل ارتفاع في التجبر والاستكبار. ثم قال "فِي الْأَرْضِ" – لم يقل "على الأرض" بل "في الأرض" ليشمل كل ما فيها: في المدن، في القصور، في البيوت، في القلوب. طغيانه لم يترك بقعة إلا دخلها.

· اللمسة البيانية: لو قال "علا على الأرض" لكان معناه سطوة سطحية، أما "في الأرض" فتعني أنه تمكن من جذورها وأعماقها.

3. "وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا" – فن التقسيم والتفتيت

"شِيَعًا" جمع شيع، أي فرقاً وأحزاباً متفرقة. هنا يكمن ذكاء الشيطاني في الطغيان. فرعون لم يظلم الناس جميعاً بنفس الدرجة، بل قسمهم: حزب معه، حزب محايد، حزب مستضعف. هذا تفتيت للصفوف حتى لا ينهضوا ضده.

· البلاغة: قدم الفعل "جعل" على "شيعاً" للدلالة على أنه هو الذي أوجد هذه الفرقة من العدم. لم تكن موجودة ثم رآها، بل هو صنعها بقسوة.

4. "يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ" – استمرارية الإنزال

الفعل المضارع "يَسْتَضَعِفُ" يدل على التجدد والاستمرار. لم يقل "استضعف" في الماضي، بل كان يفعل ذلك كل يوم، كل ساعة. الاستضعاف ليس حدثاً، بل هو سياسة يومية يمارسها الطغاة لتحطيم الإرادة.

5. "يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ" – قمة الإجرام المنهجي

هنا تبلغ القسوة ذروتها. التذبيح ليس مجرد قتل، بل هو ذبح كما تذبح الأضاحي، بقسوة ووحشية، أمام أعين الأمهات.

· البلاغة: جمع "أبناءهم" مع "نساءهم" لإظهار أن الإبادة تستهدف النسل الذكر (لقطع المستقبل) بينما تبقى النساء أحياء للإذلال والخدمة ("يستحيي" من الحياة، أي يبقيهن أحياء مذلات). هذا أسلوب دقيق يكشف عن عبقرية الطغيان في تدمير الأمة من جذورها.

6. "إنه كان من المفسدين" - الخاتمة الحاسمة

بعد ذكر كل هذه الجرائم، يأتي الحكم الإلهي: إنه من المفسدين. و "كان" هنا تدل على أن الفساد متأصل فيه، صار له طبيعة ثانية. و "من المفسدين" تنصبه نموذجاً يحتذى به في الإفساد.

· البلاغة: ذكر الفساد بصيغة الجمع "المفسدين" ليشمل كل أنواع الفساد: فساد العقيدة (ادعاء الربوبية)، فساد الأخلاق (الجبروت والقسوة)، فساد السياسة (الاستبداد)، فساد الاقتصاد (استعباد بني إسرائيل).

ثانياً: الدلالات النفسية والعقلية - كيف تعمل هذه الآية في داخلك؟

1. كشف آلية عمل الطغيان في النفس

عندما نقرأ هذه الآية، يتكون في ذهنك نموذج ذهني لطاغوت عصري. فرعون ليس اسماً فقط، بل هو صفة:

- "علًا في الأرض" → أي طغيان يملأ المكان، يتحكم في كل شيء، لا يترك لك مساحة للتنفس.
- "جعل أهلها شيعاً" → التفرقة بين الناس بالجنس، بالدين، بالطبقة، بالمنطقة. كل الطغاة يفعلون ذلك: "فرق تسد".
- "يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً" → اختيار فئة معينة لتكون كبش فداء، لتصب عليها كل الغضب.
- "يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ" → قتل الطاقات الشابة، المستقبل، الأحلام.
- "وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ" → تحويل النساء إلى سلعة أو أداة إزدلال.

الأثر النفسي: تشعر بأن الله يشرح لك خريطة الشر، فتستطيع أن تتعرف على الطغاة أينما كانوا. لم تعد ضحية عمياء، بل أصبحت محللاً "نفسياً وسياسياً للظلم.

2. لماذا لم يذكر الله اسم بني إسرائيل صراحة؟ (دلالة تربوية)

قال "طائفة منهم" بدل "بني إسرائيل". لماذا؟

- لتعميم الدرس: ليس المهم من هم هذه الطائفة، المهم أن كل مستضعف في أي زمان هو المقصود. أنت الآن قد تكون تلك الطائفة. تشعر بأن الآية تتحدث عن ظلمك أنت، لا عن قصة قديمة.
- لإخفاء الهوية حتى لا تكون القصة حكراً على شعب معين: بل هي درس لكل إنسان يعاني من الاستضعاف.

3. فقه الأولويات في التغيير

الآية تكشف أن الطغاة يبدأون بـ البنين (قوة المستقبل) ثم النساء (كرامة المجتمع). إذاً، أي خطة لمواجهة الطغيان يجب أن تركز على:

- حماية الشباب من الذبح الفكري والجسدي.
- تحرير المرأة من الاستحياء (الإزدلال والإباحة).

4. لماذا قدم التذبيح على الاستحياء؟

لأن قتل الأبناء أشد فتكاً بالأمة من إزدلال النساء. إذا قتلت الأبناء، لن يبقى من يدافع عن النساء. إذا أبقيت النساء أذلاء، تنتجون جيلاً من العبيد. هذا منهج الطغيان، وعكسه هو منهج التمكين: بتعليم الشباب وتمكين النساء.

ثالثاً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد الآية مني شخصياً؟

الرسائل الأساسية:

1. لا تندesh من قسوة الطغاة: هذه سنتهم منذ فرعون. لا تقل "كيف يفعلون كذا؟" بل قل "هذا هو دأب المفسدين".
2. اعرف عدوك: الله يصف لك فرعون بتفصيل دقيق لتعرف كيف يفكر الطغاة. المعرفة نصف الانتصار.

3. لا تياس من استضعافك: الآية تصف واقعاً مرأ، لكنها تمهيد للآيات القادمة التي ستحدث عن التمكين. هي تأطير للمشكلة قبل الحل. أي أن الله يرى ظلمك، وهو الذي سيحكم على فرعون بأنه من المفسدين.

4. الفساد ليس عقوباً، بل هو نظام: "كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" تدل على أن الفساد جزء من هويته. لا تنتظر من الطاغية أن يصلح، بل اعمل على إسقاط نظامه.

ما الذي نتعلمه من الآية؟

. التعرف على آليات الاستضعاف: كل نظام ظالم يتبع نفس المنهج: العلو في الأرض، التفتيت، الاستضعاف، القتل، إذلال النساء.

. أهمية الوحدة: عندما يجعلهم "شيعاً" فهذا يعني أن طريق الخلاص هو توحيد الصفوف ضد العدو المشترك.

. الصبر على المحنة: هذه الآية تصف أشد أنواع الظلم، ومع ذلك لم يياس بنو إسرائيل، بل جاء موسى ليحررهم.

تطبيقات معاصرة:

. في حياتك اليومية: عندما تواجه مديراً متسلطاً، أو نظاماً جائراً، أو مجتمعاً يقسو عليك، قل لنفسك: "هذا فرعون صغير. والله يصف لنا كيف نتعامل مع أمثاله". لا تخضع نفسياً، بل حافظ على كرامتك الداخلية.

. في تربية الأبناء: اشرح لهم هذه الآية بأسلوب مبسط. قل لهم: "الله يخبرنا أن الظالمين يفعلون كذا وكذا. لكن انظروا ماذا حدث لفرعون لاحقاً؟ لقد غرق. فلا تخافوا من الظالم."

. في العمل الاجتماعي: ادرس واقع المستضعفين في مجتمعك: من هي الطائفة المستضعفة؟ كيف يتم تفتيت الصفوف؟ ما هي أشكال الذبح والإذلال المعاصرة (قتل الأحلام، البطالة، التجريم، التفكيك الأسري)؟ ثم اعمل على مقاومة ذلك.

. في بناء الذات: لا تسمح لأي "فرعون" في حياتك أن يذبح أحلامك أو يستحيي كرامتك. كن أنت موسى الذي يرفض الاستضعاف.

رابعا: ربط الآية بواقعك النفسي والوجداني

تخيل نفسك تعيش في مصر فرعون. كل يوم تسمع صراخ أمهات يفقدن أبناءهن. كل يوم ترى النساء يُسبن أمام أعينك. تشعر بالخوف، بالغضب، بالعجز. ثم فجأة، ينزل عليك هذا النص الإلهي: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ... إِنْهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ". ماذا تشعر؟

تشعر بأن الله يراك. لم يتركك وحدك مع ظلمك. هو يصف الظلم بعينه، كأنه يقول: "أنا أعلم ما تفعلون بهم، وسأحاسبهم". هذا عزاء نفسي عظيم.

ثم تشعر بأن الثقة بالله تتصاعد، لأن الآية القادمة ستقول: "وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَوْا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ". إذا، هذه الآية هي وصف المرض، والآية التالية هي وصف الدواء.

كيف تشعر وأنت تقرأها اليوم؟

أنت في غرفة هادئة، المصحف بين يديك. تقرأ "يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ" فترتجف. تتذكر أبناء غزة، أبناء سوريا، أبناء اليمن، أبناء كل أرض ينتهك فيها الأبرياء. تشعر بأن الآية تعبر عن وجعك، بل وتجعله مقدساً لأن الله يتحدث عنه.

ثم تقرأ "إِنْهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"، فتأخذ نفساً عميقاً من الارتياح. الله حكم عليهم. هم مفسدون. و النهاية معلومة. سينتصر الحق. أنت لست وحدك.

خامساً: مواضيع خاصة مستفادة من الآية

الموضوع الأول1

أهم المفاهيم من الآية

1. قانون "من سن سنة سيئة" فرعون لم يخترع الظلم، لكنه كان "من المفسدين" أي سلك طريقهم. وفي المقابل، من سن سنة حسنة فله أجرها. كن أنت مبادراً للخير، لا تتبع خطى المفسدين.

2. أهمية التوثيق للجرائم

الله يوثق جرائم فرعون في كتابه الخالد. هذا درس: الظلم مسجل، ولن يضيع. لا تظن أن ظالماً يفلت. الله يكتب كل شيء، ويوم القيامة ينصب الميزان.

3. العلاقة بين "العلو في الأرض" و"الفساد"

كلما زاد علو الطاغية، زاد فسادها. فالتكبر والجبروت يؤديان حتماً إلى الإفساد. فاحذر أيها المؤمن من الكبر، ولو بالقليل. ابدأ بنفسك: لا تعلّ على أحد.

4. مفهوم "الطائفة المستضعفة" في القرآن

المستضعفون هم الذين لا حيلة لهم، لكن الله وعدهم بالتمكين. إذا كنت مستضعفاً، فأنت على موعد مع النصر. وإذا كنت قوياً، فانصر المستضعفين.

5. كيف تقاوم الاستضعاف دون عنف؟

الآية لم تأمر بالخروج المسلح، بل وصفت الواقع، ثم أتت بقصة موسى التي تعلمنا أن النصر يأتي من عند الله بعد الصبر والدعوة والتخطيط. المقاومة تبدأ في القلب أولاً. أن ترفض الاستضعاف داخلياً، ثم تتحرك بالحكمة. خاتمة وجدانية

الآن، ارفع رأسك. هذه الآية التي قرأتها للتو جعلتك ترى بوضوح من هو عدوك الحقيقي: كل من يعتدي على كرامتك، كل من يفرق بينك وبين إخوانك، كل من يذبح أحلامك، كل من يستحيي عزتك. هذا هو فرعون زمانك.

لكن البشري التي لم تأت بعد في هذه الآية (ستأتي في التي تليها) هي أن الله معك، وأن فرعون مهما علا فمصيره العرق، وأنت مصيرك التمكن.

اجعل هذه الآية سلاحك النفسي:

- اقرأها عندما تشعر بالضعف.
- اقرأها عندما ترى الظلم يزداد.
- اقرأها عندما تظن أن الطغاة سيقبضون.

تأكد: كل فرعون سيسقط. كل مفسد سينتهي. والله على نصر المستضعفين قدير.

الموضوع الثاني

تفسير الآية الرابعة: كشف الوجه الآخر لفرعون - العنصرية والطبقية والوثنية السياسية بعد أن تأملنا الآية الكريمة ورأينا كيف وصف الله آلية عمل الطغيان، نقف الآن طويلاً عند ثلاث كلمات منها: "وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا". هذه الكلمات ليست مجرد وصف لواقع اجتماعي، بل هي رؤية نافذة إلى أخطر أسلحة الاستبداد: التقسيم والتفتيت.

دعنا نفتح هذا الملف الخطير، ونرى كيف أن كل فرعون في كل زمان لا يقوم ملكه إلا على هذه الأسس الثلاثة المترابطة: العنصرية، الطبقة، والوثنية السياسية. أولاً: "شيعاً" - فن تقسيم المجتمع (العنصرية والطبقية كأدوات استبعاد)

تأمل معي: لماذا يجعل الطاغية الناس "شيعاً"؟ لأن المجتمع الموحد هو قوة لا تقهر، والمجتمع المقسم هو قطيع يُساق.

1. العنصرية (التمييز على أساس الجنس والعرق)

فرعون لم يعذب جميع أهل مصر بنفس الطريقة. لقد خلق كراهية بين المصريين أنفسهم، وجعل من بني إسرائيل "شيعاً" أي فئة منبوذة. هو لم يقل "أنا أكره العبرانيين" فقط، بل جعل المصريين ينظرون إليهم كأقل شأناً. هذه هي العنصرية المقننة، حيث تخلق فئة بشرية من الدرجة الثانية، تُسلب حقوقها، وتصبح هدفاً للتنكيل، بينما تنعم الفئة الأخرى (المصريون تبع فرعون) بامتيازات مقابل ولائها للطاغية.

في عصرنا: تجد ذلك في التفرقة على أساس اللون أو العرق أو القبيلة أو الدين أو المذهب. أي نظام يخلق "آخر" (منبوذا) شيعاً (ليُلهي به الجماهير عن ظلمه الحقيقي). انظر كيف يتم تحويل الصراع السياسي إلى صراع عرقي أو طائفي، فتتسى الشعوب مطالبها الأساسية في الحرية والكرامة، وتنشغل بالكراهية لمن "يختلف عنهم".

اللمسة النفسية: العنصرية تجعل المظلوم يشعر أن ظلمه "مقدر" له لأنه من جنس كذا، فيستسلم . وتجعل الظالم يشعر أنه "متفوق" بطبيعته، فيتمادى . كلاهما ضحية لفرعون.

2. الطبقة) التقسيم الطبقي الحاد)

فرعون جعل المجتمع طبقات: طبقة عليا) هو وحاشيته مثل هامان وقارون)، وطبقة وسطى (المصريون التابعون له والمستفيدون من نظامه)، وطبقة دنيا) بني إسرائيل المستضعفون .(بل وأكثر من ذلك، كان هناك من تعاون معه من بني إسرائيل أنفسهم) مثل السامري الذي أضل قومه).

هذا التقسيم الطبقي يضمن:

- . ألا يشعر الأغنياء بآلام الفقراء.
- . أن يكون الفقراء مشغولين بالصراع على فتات المائدة بدلا ً من مواجهة الطاغية.
- . أن تتحول الأحلام إلى مجرد أمنيات بالانتقال من طبقة لأعلى، لا بتغيير النظام.

في عصرنا: تجد أنظمة تخلق فجوة هائلة بين الأغنياء والفقراء، وتجعل التعليم والصحة والعدالة حكراً على من يدفع . وتشغل الناس بـ"فرص العمل" و"البطالة" كقضايا فردية، بينما الحل الحقيقي هو تغيير النظام الطبقي الظالم نفسه.

3.خطورة التقسيم على النفس والمجتمع

عندما تشعر أن مجتمعتك يعاني من التفرقة العنصرية أو الطبقة، فاعلم أن هناك "فرعونا" ما وراء ذلك يريد أن يجعلك شيعاً حتى لا تقوموا لله جميعاً . والمؤمن الحق هو الذي يحارب هذه التقسيمات بكل قوة، لأنه يؤمن بأن الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

الدرس التربوي: علم أبناءك أن أي حديث عن تفوق عرق على عرق، أو طبقة على طبقة، هو حديث فرعوني مسموم . وأن الوحدة الإنسانية في الإطار الإيماني هي الطريق إلى النصر . ثانياً: الوثنية السياسية الاستبدادية – أصل الشرك في الحكم

وهنا نصل إلى أخطر نقطة . الآية بدأت بـ "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ" . هذا "العلو" لم يكن مجرد تكبر، بل كان ادعاءً للألوهية . فرعون قال صراحة: "أنا ربكم الأعلى" (النازعات: 24) هذا هو الوثنية السياسية: تحويل الحاكم إلى إله يُطاع بلا حدود، وتقديسه وتقديم الطاعة له على طاعة الله .

1.كيف تقوم الوثنية السياسية على تقسيم المجتمع؟

الوثنية السياسية ليست مجرد حكم استبدادي، بل هي نظام فكري كامل يقوم على:

- . تقسيم الولاءات: تجعل المواطن يقدس الحاكم بدل الله . فتصبح الطاعة للحاكم هي القيمة العليا، وليس الإيمان بالله . "السمع والطاعة" تصبح شعاراً مقدساً، حتى لو كان الحاكم يأمر بمعصية الله . هذا شرك خفي وعظيم، لأن الله قال: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ" (التوبة: 31) وتفسرها: أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.
- . تقسيم الحقيقة: الطاغية يفرض "حقيقته" التي لا تناقش . يصبح قوله هو الفصل، ويُعتبر أي رأي آخر "خيانة" أو "فتنة" أو "مؤامرة" . هو يخلق لنفسه شرعية مزيفة تشبه شرعية الآلهة: "لا إله إلا فرعون" . وكما قال أحد الطغاة المعاصرين: "الشعب معي، وأنا مع الشعب، والشعب لا يخطئ" - هذه الصياغة تخرج الحاكم من دائرة النقد وتضعه في مصاف المعصوم.
- . تقسيم السلطة: يتربع هو على القمة، ويفوز بعض الصلاحيات لاتباعه) مثل هامان وقارون (ليكونوا "شيعاً" له . كل واحد منهم يحكم طبقة معينة بطريقة معينة، لكن الكل يخضع لفرعون . هذا يخلق شبكة من المصالح: كل تابع له سلطة على فئة، وكل فئة تخشى الأخرى، والجميع يخضع لفرعون.

2.ما خطورة الوثنية السياسية؟

إنها ليست مجرد ظلم سياسي، بل هي انتهاك لجوهر التوحيد:

- تعطيل للعقل: لأن الإنسان يصبح تابعاً أعمى. لا يفكر، لا يسأل، لا ينتقد. عقله يُستبدل بـ "الحكمة الرسمية".
- تحريف للدين: لأنها تستخدم الدين لتقديس الطغاة) مثلما ادعى فرعون الألوهية، أو مثلما يفعل بعض الطغاة اليوم بإضفاء هالات دينية على أنفسهم، أو بتوظيف رجال الدين لتبرير الظلم باسم "طاعة ولي الأمر".
- تدمير للمجتمع: لأنها تجعل الناس أعداء لبعضهم البعض تحت مبدأ "فرق تسد". الأخ يخاف من أخيه، والجار يتجسس على جاره.
- حرق للمستقبل: لأنها تذبح الأبناء) الطاقات الشابة (جسدياً أو فكرياً، وتستحيي النساء) تذل الكرامة).

3. الدلالة العقدية العميقة

الآية تحكم على فرعون بأنه "من المفسدين"، وأكبر إفساده هو هذا الشرك في الحكم. لذلك، مقاومة الاستبداد هي جزء من مقاومة الشرك بالله. التوحيد ليس فقط "لا إله إلا الله" باللسان، بل هو "لا طاغية يطاع في معصية الله" بالفعل. ومن أعظم الجهاد أن تقول كلمة حق عند سلطان جائر.

تأمل كيف أن القرآن يقرن دائماً بين الكفر والطغيان: "إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" (القصص: 8) فالنظام الوثني السياسي هو نظام "خاطئ" أي مذنب بكفر وظلم. ثالثاً: كيف نتعرف على فرعون زمانك من خلال هذه الآية؟

أسأل نفسك هذه الأسئلة عن أي نظام أو حاكم:

1. هل يخلق "شيعاً"؟ أي هل يفرق الناس إلى أحزاب وطوائف وعرقيات وطبقات ليبقى هو المسيطر؟ أم أنه يعمل على توحيد الصفوف وجمع الكلمة؟
2. هل يستضعف طائفة؟ هل هناك فئة معينة يتم تهميشها وقمعها وسلب حقوقها) سجناء الرأي، الأقليات، الفقراء، المرأة (ليكونوا كبش فداء؟
3. هل يذبح الأبناء) الحاضر والمستقبل(؟ هل يقتل طاقات الشباب) جسدياً أو فكرياً أو اقتصادياً(؟ هل يحاصر الأحلام؟ هل يخنق الإبداع؟ هل يجعل التعليم أداة لتلقين لا تنوير؟
4. هل يستحيي النساء؟ هل ينتهك كرامة المرأة ويحولها إلى جسد أو أداة أو متاع؟ هل يمنعها من حقوقها الطبيعية في التعليم والعمل والكرامة؟ أم أنه يجعلها "شيعاً" (آخر) نصف مواطن(؟
5. هل يتصف بـ "الفساد"؟ هل الفساد المالي والإداري والأخلاقي هو سمة نظامه؟ هل ينهب خيرات البلاد لنفسه ولحاشيته؟ هل يعطل العدالة؟

إذا وجدت هذه الصفات، فاعلم أن هذا النظام يسير على سنة فرعون، وهو "من المفسدين"، ومصيره كما قال الله: "فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى" (النازعات: 25) رابعاً: كيف تطبق هذه المفاهيم في واقعك) دروس عملية ومواقف)

1. في وعيك الخاص: تطهير النفس من العنصرية والطبقية

قبل أن تحارب فرعون الخارج، حارب فرعون الداخل. ارفض أن تصنف على أساس عنصرك أو طبقتك أو منطقتك. كن مسلماً قبل كل شيء، وإنساناً قبل كل شيء. قاوم في داخلك أي شعور بالتفوق على الآخرين، لأن هذا هو باب فرعون إلى قلبك.

تطبيق عملي: افحص نفسك: هل تنظر إلى من هو أقل منك مالا ً أو منصباً بازدراء؟ هل تفضل التعامل مع من هم من "طبقتك" فقط؟ هذا هو عين التقسيم الفرعوني. داو نفسك بمجالسة الفقراء والمساكين، وتذكر أن أعظم الناس عند الله أتقاها، وليس أغنياها.

2. في علاقاتك: بناء الجسور وهدم الأسوار

كن داعية لوحدة الصف. أي كلام يفرق بين المسلمين أو بين البشر عموماً) قبلية، حزبية ضيقة، عنصرية، مذهبية (هو كلام فرعوني، فاحذره واحذر أهله. قال تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" آل عمران: 103)

تطبيق عملي: إذا سمعت أحداً يطعن في قومية أو قبيلة أو مذهب، ناصحه بلطف. وإذا رأيت خلافاً

بين أصدقائك، حاول أن تصلح بينهم. كن أنت "الرحم" التي توصل ما أمر الله به أن يوصل.

3. في تربية الأبناء: زراعة مناعة ضد الوثنية السياسية

علمهم أن الحاكم ليس إلهًا ولا نبيا. علمهم أن الطاعة لله ولرسوله، ثم لمن أمر بالمعروف. علمهم أن كرامتهم من الله، فلا يبيعوها لأحد. علمهم أن يقرأوا التاريخ ليعرفوا أن كل فرعون يزول، وأن المستضعفين هم الذين يرثون الأرض.

تطبيق عملي: ارو لأطفالك قصص الأنبياء مع الطغاة بأسلوب شيق. اسألهم: "ماذا تفعل لو أمرك مدير بك بشيء حرام؟" دربهم على قول "لا" باحترام. اجعلهم يسمعونك وأنت تنتقد الظلم أمامهم (بالحكمة). هذا يبني جيلا "لا يرضى بالذل".

4. في مواجهة الفتن: كشف مخططات "فرق تسد"

عندما ترى محاولات لتقسيم مجتمعك (طائفي، عرقي، حزبي، قبلي)، تذكر "جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا" - هذه هي حيلة الشيطان وفرعون. فقاومها بأن تكون جسرا للتواصل، وبأن تنشر ثقافة قبول الآخر، وبأن تعمل على المشتركات.

تطبيق عملي: في أوقات الأزمات، تجنب مشاركة الأخبار المثيرة للفتن. ابحث عن الحقائق بنفسك. ابدأ مبادرة صغيرة لجمع جيرانك أو زملائك على محبة بغض النظر عن اختلافاتهم. قول: "نحن معا في هذا البلد/المجتمع، وعدونا هو الظلم والفساد، وليس بعضنا البعض".

5. في أمل التغيير: بناء نواة التمكين

لا تيأس من طول مدة الطغيان. فسنة الله أن الطغاة يعطون فرصة، لكن نهايتهم معلومة. مهمتك أن تكون كالسحابة التي تمطر قبل العاصفة: توعي، تتقف، تبني علاقات، تصنع نواة للصحة، حتى إذا جاءت ساعة التغيير، كنت جاهزا، لا هائما على وجهك.

تطبيق عملي: انضم إلى أو ابدأ مجموعة صغيرة (حتى 3 أشخاص (لدراسة سيرة النبي ﷺ في مكة) مرحلة الضعف والاستضعاف. (تعلموا كيف كانوا يبنون الإيمان في القلوب بصبر، وكيف أعدوا أنفسهم للهجرة والتمكين. هذه هي بذرة النصر. خاتمة التكملة: خلاصة تربوية وجدانية

إذن، هذه الآية "وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا" ليست مجرد خبر تاريخي. إنها تحذير أزلّي، ودليل تشخيص، ومنهج مقاومة. هي تقول لك شخصيا:

. العنصرية والطبقية هما سلاح الطغاة، فحاربهما في نفسك أولا ، ثم في مجتمعك.
. الوثنية السياسية هي أسوأ أنواع الشرك، فاهرب منها إلى توحيد الحاكمية لله. لا تطع مخلوقا في معصية الخالق.
. الطاغية مهما قسم مجتمعه، فالله يريد أن يجمع المستضعفين على الحق، ويجعلهم أئمة.

والبشرى التي تلي هذه الآية مباشرة: (وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

نعم. بعد التقسيم، يأتي الجمع. بعد الاستضعاف، يأتي التمكين. بعد الذبح، تأتي الحياة. بعد إذلال النساء، تأتي الكرامة.

فكن أنت ممن يقرأ هذه الآية فيفرح بأنه ليس مع فرعون، بل هو مع الله ومع المستضعفين الصادقين، الذين وعدهم الله بالنصر والتمكين.

المبحث الرابع

تفسير الآية الخامسة من سورة القصص
(وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

بعد أن رأيت في الآية السابقة صورة الطغيان بأبشع تجلياتها: فرعون يعلو، يفرق، يستضعف، يذبح، يستحيي، وكان حكم الله عليه بأنه من المفسدين... الآن، وبينما كنت تكاد تغرق في يأسك من قسوة المشهد، تأتي هذه الآية كصاعقة نور، كيد إلهية تنتشك من مستنقع الإحباط. إنها قلب القصة، وروح

السورة، والهدف من كل ما سبق ليست الآية خبراً عابراً، بل هي إعلان سنه الهيه ، وثيقة تمكين، ووعد رباني لا يتخلف. دعنا نعيشها معاً، حرفاً حرفاً.

أولاً : اللمسات البيانية والبلاغية - لماذا هذه الصياغة بالذات؟

1. "ونريد" - بالفعل المضارع، ولماذا لم يقل "وأردنا"؟

تأمل جيداً الآية السابقة كلها كانت بأفعال ماضية: "علا، جعل، يستضعف، يذبح، يستحيي، كان". تصوير لظلم وقع وانتهى. لكن هنا، فجأة، يتحول النسق إلى الفعل المضارع "نريد". لماذا؟

. للتجدد والاستمرار: "نريد" تعني أن هذه الإرادة مستمرة، متجددة، غير مرتبطة بزمن معين. إنها إرادة الله التي كانت مع موسى، وهي مع كل مستضعف في كل زمان. تقول لك الآية: "إرادتي بتمكينك أيها المستضعف لم تتوقف ولن تتوقف. هي حاضرة الآن، هنا، في هذه اللحظة التي تقرأ فيها".

. للاستمرار في مقابل انقطاع الطغيان: فرعون "علا" ماض انتهى، لكن إرادة الله "نريد" حاضرة ومستقبل. (الطغيان له نهاية، والإرادة الإلهية لا نهاية لها. هذا يزرع في قلبك أملاً لا ينضب.

. لتوجيه انتباهك إلى المصدر الحقيقي: الفعل المضارع يدل على الحدث الآن، كأن الله يقول: "انظر إلي الآن. لا تنظر إلى جبروت فرعون الماضي. أنا الفاعل الآن، والمستقبل، ودائماً".

2. "أن ثمن" - الإحسان العظيم بعد الإنزال العظيم

"ثمن" من الثمن، وهو الإحسان الثقيل العظيم. ولكن تأمل: الثمن هنا ليس على سبيل الامتنان على الناس، بل هو إنعام إلهي خالص. والجميل أن الله لم يقل "نصرهم" فقط، بل قال "ثمن عليهم". الثمن أعلى من النصر، لأنها تشمل:

- . النصر على العدو.
- . رفع الدرجات.
- . إعطاء الكرامة بعد الذل.
- . إعطاء القيادة بعد التبعية.
- . إعطاء الملك بعد العبودية.

إنها صفقة كاملة من العطاء، مقابل أنهم كانوا مستضعفين، ولم يقابلوا الظلم بظلم مثله، بل صبروا وتمسكوا بالإيمان.

3. "على الذين استضعفوا" - لماذا صيغة الماضي (استضعفوا)؟

صيغة "استضعفوا" ماض مبني للمجهول، أي وقع عليهم الاستضعاف من غير أن يكون لهم فيه حيلة. هذا يدل على:

- . أن الاستضعاف كان واقعاً لا خيار لهم فيه. فرعون هو الذي استضعفهم قسراً.
- . أنهم تحملوا هذا الاستضعاف بصبر. لم يذكر عنهم ذنب، بل هم ضحايا طغيان.
- . أن الله يتحدث عنهم كحالة إنسانية خالدة: كل من وُجد في موقع الضعف والقهر، فهو مشمول بهذا الوعد.

وهنا لمسة دقيقة: لم يقل "الذين استضعفوا ثم انتصروا" بل ذكر صفة الاستضعاف فقط، لأنها سبب المنة. فضعفك أمام الطاغية، إذا كان مقروناً بالإيمان، هو بالذات سبب تدخل الله. لا تستح من ضعفك، بل اجعله وسيلة لجذب رحمة الله.

4. "في الأرض" - أرض مصر أم الأرض كلها؟

كلمة "الأرض" نكرة في سياق الإثبات، فتعم كل أرض. لم يقل "في أرض مصر" ليعلمك أن سنة الله واحدة في كل مكان. أي أرض يستضعف فيها مؤمنون، فإن إرادة الله أن يمن عليهم. هذا يوسع أفقك، ويجعلك تنظر إلى واقعك المحلي بعين الأمل الإلهي.

5. "وتجعلهم أئمةً وتجعلهم الوارثين" - تكرار الفعل "نجعل" لإظهار كرم الله

كرر "نجعل" مرتين، مع أن كان ممكناً أن يقول "ونجعلهم أئمة ووارثين". هذا التكرار له فوائد بلاغية عميقة:

. التأكيد على أن كلا من الإمامة والوراثة هبة مستقلة وكريمة. ليست الإمامة تابعة للوراثة ولا الوراثة تابعة للإمامة، بل كلاهما عطاء عظيم.
. إظهار كمال القدرة: كل "نجعل" تدل على تحويل من حال إلى حال. هم كانوا أذلاء فجعلهم أئمة، وكانوا محرومين فجعلهم ورثة. تحولان عظيمان يحتاجان إلى قدرة إلهية خاصة.
. خلق إيقاع موسيقي في النفس: تكرار الفعل يشعر بضربات قلب الأمل المتجددة.

6. "أئمة" - لماذا الجمع وليس المفرد؟

الإمامة هنا ليست لشخص واحد، بل للأمة كلها. قد يكون هناك نبي واحد (لكن الإمامة تشمل كل من اتبعه بصدق. كل فرد من المستضعفين يمكن أن يكون إماماً في مجاله: إماماً في الصبر، في العلم، في العدل، في القيادة. الآية تقول لك: أنت أيضاً مرشح للإمامة.

7. "الوارثين" - ماذا يرثون؟

يرثون أرض فرعون، وملكه، وسلطانه، وكنوزه. لكن الأعم: يرثون سنن الله في الأرض، أي يحكمون بشرع الله بعد أن كان العبيد يخضعون لشرع الطاغية. الوراثة هنا هي الخلافة في الأرض التي وعد الله بها المؤمنين في آية النور: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ" (النور: 55) إذن هذه الآية هي تطبيق عملي لوعد الاستخلاف.
ثانياً: الدلالات النفسية والعقلية - كيف تعمل هذه الآية في أعماقك؟

1. تحويل الإحباط إلى طاقة أمل

بعد أن رسمت الآية السابقة لوحة قاتمة من الظلم، هنا فجأة يتحول المشهد 180 درجة. تشعر كأنك في غرفة مظلمة، ثم فتح الله لك نافذة على شروق شمس ساطعة. هذا التحول الدرامي يصنع في نفسك انفراجة هائلة. تقول لنفسك: "إذا كان الله قد وعد المستضعفين بأن يكونوا أئمة وورثة، فأنا أيضاً من هؤلاء، فلماذا اليأس؟"

2. بناء الثقة بالله) كيف تشعر بأن الوعد لك شخصياً)

عندما تقرأ "الذين استضعفوا"، هل ترى نفسك؟ إذا كنت تشعر بأي ظلم، أي تهميش، أي قهر، فأنت داخل هذه الآية. الآية لا تتحدث عن فرعون وموسى فقط، بل ترسم قانوناً نفسياً:

. الاستضعاف المؤلم ← الإرادة الإلهية للتمكين ← الإمامة والوراثة.
هذا الثالوث هو مصدر طاقتك النفسية. كلما مررت بأزمة، تذكر أن الأزمة هي المرحلة الأولى في هذا الثالوث. لا يمكن أن تصل إلى الإمامة دون أن تمر بممر الاستضعاف.

3. تغيير النظرة إلى القوة

القوة ليست في كثرة المال أو الجيوش. القوة الحقيقية هي أن تكون مع "إرادة الله". فرعون كان يملك كل شيء، لكن الله قال "ونريد" فكان ما أراد. إرادة الله تهزم أي جبروت. هذا يعيد تعريف مفهوم القوة في عقلك. تصبح القوة هي أن تكون مراداً لله، لا أن تكون مالكا للأرض.

4. التخطيط العقلي للتمكين) كيف تعد نفسك)

الآية تزرع في عقلك بذور التخطيط الإيجابي. هي تقول لك: "النتيجة محسومة) التمكين، لكن الطريق يحتاج إلى صبر ووعي". أنت لست بحاجة إلى القلق من "هل سأنتصر؟"، بل إلى التفكير في "كيف أجهز نفسي لاستحقاق هذا النصر؟" هذا يحرر عقلك من طاقة القلق، ويوجهها إلى طاقة البناء.
ثالثاً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد الآية مني شخصياً؟

الرسائل الأساسية:

1. الله يريد لك الخير حتى قبل أن تطلبه: الآية تبدأ بـ "ونريد"، أي أن إرادة الله سبقت ظلم فرعون. هذا يعني أن الله كان يخطط لتمكينك قبل أن يخطط الطاغية لاستضعافك. إرادة الله أقوى وأسبق.

2. لا تيأس من طول الأمد: قد تستمر مرحلة الاستضعاف سنوات طويلة) بني إسرائيل استضعفوا

قروناً)، لكن إرادة الله لا تتغير. "نريد" مضارع يعني إرادة متجددة كل يوم.
3. التمكين ليس غاية في نفسه، بل وسيلة لتحقيق هدف أسمى: التمكين هو أن تصبح "أئمة وورثة".
أي أن الله يريد منك بعد التمكين أن تكون قدوة (إماماً) (وأن تحكم بالحق) وارثاً. (ليس الهدف أن تصبح فرعونا جديداً، بل أن تقيم شرع الله.

ما الذي نتعلمه من الآية؟

. العلاقة بين الاستضعاف والتمكين طردية: كلما ازداد الاستضعاف، ازداد قرب التمكين. لا تقل "كم هذا الظلم؟" بل قل "كم هذا قريب من الفرج؟".
. أهمية النظرة الإيجابية للتاريخ: لا تنظر إلى مآسي الأمة فقط، بل انظر إلى سنن الله في تمكينها.
. أن الله ينتصر للمستضعفين ولو بعد حين: وهذا يعلمنا الصبر الاستراتيجي، وليس الصبر السلبي. هو صبر العامل الذي يبني بينما ينتظر.

تطبيقات معاصرة) كيف تطبقها الآن):

. في وظيفتك: إذا كنت تشعر بأنك مستضعف أمام مدير ظالم، اقرأ هذه الآية قبل أن تدخل إلى العمل. قل لنفسك: "إرادة الله معي، وليس مع مديري الظالم. أنا سأكون إماماً في أخلاقي وورثاً للحق في هذه المؤسسة، ولو بعد حين." ستشعر بقوة داخلية تمنعك من الانهيار.
. في مجتمعك: إذا كنت تعيش في بلد فيه ظلم، لا تيأس. هذه الآية هي رأس مالك المعنوي. ابدأ بمشاريع صغيرة لتمكين المستضعفين حولك: علم طفلاً، ساعد فقيراً، انصر مظلوماً. أنت بذلك تتحول من "مستضعف ينتظر" إلى "وكيل لله في تحقيق وعده".
. في تربيتك لأبنائك: علمهم أن الضعف ليس عيباً، والعجز هو العيب. احك لهم قصة موسى، ثم قل لهم: "الله وعد كل من يظلمه بأن يجعله قائداً. فلا تخافوا من أحد، ولا تخافوا من الفشل. فقط كونوا مع الله، وهو سيجعلكم أئمة".
رابعاً: مواضيع خاصة داخل التحليل
1. العلاقة بين الآية الرابعة والخامسة: من وصف الداء إلى وصف الدواء

الآية الرابعة كانت تشخيصاً دقيقاً لمرض الطغيان (العلو، التفرقة، الاستضعاف، الذبح، الاستحياء). (الآية الخامسة هي وصف الدواء الإلهي: "نريد أن نمن". ليس دواءً بشرياً، بل دواء من عنده. هذا يعلمك أن حل المشكلات الكبرى ليس في المؤتمرات أو التحالفات الأرضية فقط، بل في التوجه إلى الله أولاً، لأنه هو صاحب الإرادة المطلقة.

2. "الذين استضعفوا" يشمل كل الأزمنة: لماذا لفظ "الذين"؟

"الذين" اسم موصول للجمع المذكر العاقل، ويدل على العموم والشمول. الآية لا تقول "بني إسرائيل"، بل "الذين استضعفوا". كل من وقع عليه الاستضعاف في أي مكان وزمان، فهو داخل هذه الصفة. وهذا يعطيك شعوراً بالانتماء إلى أمة المستضعفين عبر التاريخ، وليس وحدك في محنتك. أنت في قافلة تمتد من موسى إلى عيسى إلى محمد ﷺ إلى شهداء اليوم. هذه الجماعة النفسية تدعمك.

3. "أئمة" و"وارثين" كبناء للشخصية المسلمة

الشخصية المسلمة الحقيقية لا ترضى بالذل. هذه الآية تشكل ضميراً قوياً لدى المؤمن. كيف؟

. الأئمة: يعني أنك قائد، قدوة، صاحب رأي. لا يمكن أن تكون إماماً وأنت تابع أعمى لأي نظام أو شخص. الآية تحثك على الاستقلالية الفكرية.
. الوارثين: يعني أن الأرض ملك لله، وهو يورثها لمن يشاء من عباده. أنت لست غريباً في الأرض، بل هي ميراثك إذا قمت بالشروط. هذا يزيل عقدة الخوف من السلطة، لأن السلطة الحقيقية بيد الله وهو سيمنحها لك.

4. كيف تحوّل هذه الآية خوفك إلى قوة؟

الخوف الطبيعي من الطغاة: فرعون يذبح الأبناء، فكيف لا تخاف؟ الآية تقول لك: هذا الخوف يجب أن يتحول إلى ثقة. كيف؟ عندما تعلم أن إرادة الله فوق إرادة فرعون. فرعون يريد أن يذبح، والله يريد أن ييمن. إرادة الله هي التي تتحقق. إذاً، أي خوف تبقى؟ الخوف المحمود هو خوف الله وحده. هذه الآية تستأصل الخوف من البشر وتستبدله بالخوف من الله، الذي هو أصل القوة.

5. أثر الآية في التعامل مع الإحباطات اليومية

في حياتك اليومية، تواجه إحباطات صغيرة: فشل في امتحان، رفض في وظيفة، ظلم من قريب . اقرأ هذه الآية عند كل إحباط . قل: "هذا موقف استضعاف، والله يريد أن يمن عليّ من خلاله . لعله يريد أن يعلمني الصبر، أو يبعدني عن شر، أو يعدني لقيادة أكبر". هكذا تحول الآية الإحباط إلى فرصة.

6. لماذا قدم "أئمة" على "الوارثين"؟

لأن القيادة) الإمامة (أهم من التملك) الوراثة .(قد ترث أرضاً دون أن تكون قائداً، لكن إذا كنت إماماً، فأنت بالضرورة وارث .وقد يظن البعض أن التمكين هو مجرد "الوصول إلى الكرسي"، لكن الآية تؤكد أن الهدف هو تأهلك لتكون قدوة صالحة، ثم بعد ذلك تكون وارثاً .رتبتك عند الله تهمه أكثر من ممتلكاتك.

خاتمة وجدانية) تعيش الآية في قلبك(

توقف الآن .أغمض عينيك للحظة .تخيل نفسك وأنت تقف على شاطئ النيل، ترى أمواجه تحمل جثث أطفال بني إسرائيل .تشعر بالغصة في حلقك .ثم تسمع صوتاً من السماء: "وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا..." .فجأة، يتحول كل شيء .لم تعد تلك الجثث هادمة، بل أصبحت بذوراً تحت التراب، والله سيقبها لتنت أئمة وورثة.

هذه الآية هي عقدك مع الله .وعدك فيه بأنه لن يتركك فريسة للطغاة .قد ترى بعينك أن الظلم يزداد ، وأن الطغاة يتفننون في التعذيب، وأن المستضعفين يُسحقون .لكن الآية تقول لك: "ما تراه ليس نهاية القصة .أنا صاحب القصة، وأنا أعد النهاية".

اجعل هذه الآية نشيدك الداخلي:

- عندما تستيقظ خائفاً من يوم جديد، همس بها: "ونريد أن نمُن".
- عندما تشعر أن العالم كله ضدك، اصرخ بها في قلبك: "ونريد أن نمُن".
- عندما يخونك الأصدقاء ويتخلى عنك الأحباب، تمسك بها: "ونريد أن نمُن".

إنها ليست مجرد آية، بل هي إعلان حرب إلهي على كل طاغية، وإعلان سلام رباني على كل مستضعف .إنها تعدك بأنك لست مهملاً ، وأن ظلمك ليس ضائعاً، وأن حلمك بالحرية والكرامة سيتحقق.

المبحث الخامس

تفسير الآية السادسة من سورة القصص

﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَثَرِيَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

هذه الآية هي ذروة الوعد الإلهي، وتتويج النعمة، والمشهد الختامي لصراع الأضداد .بعد أن أخبرك الله في الآية السابقة عن إرادته المطلقة في من المستضعفين وجعلهم أئمة وورثة، يأتي الآن لشرح لك كيف سيتحقق هذا الوعد وما هي آليات التمكين ونتائجه المدوية .إنها ليست مجرد تكلمة، بل هي الصورة المتحركة للنصر الإلهي .دعنا نرى كيف يرسم الله بأحرف النور مشهد سقوط الطغاة وقيام المستضعفين.

أولاً : اللامات البيانية والبلاغية - عندما يصبح الحرف سيفاً

1."وَتُمْكِنَ لَهُمْ" - عطف على الإرادة، و"اللام" التي تصنع الفارق

الآية معطوفة على "تَمُنَ" في الآية السابقة: "وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَ ...وَتُمْكِنَ". هذا العطف يوضح أن التمكين هو الوجه الآخر للمُن . لا يكفي أن يمن الله عليهم، بل لابد أن يمكنهم في الأرض ليعيشوا كرامتهم.

ولكن تأمل اللام في "تُمْكِنَ لَهُمْ". لماذا لم يقل "ونمكنهم"؟ هذه اللام تفيد:

- التخصيص والاهتمام: التمكين كله من أجلهم ولأجلهم .الأرض تمهد لهم.
- الإشارة إلى أن التمكين ليس مجرد إعطاء سلطة، بل تهيئة الأسباب لهم: اللام هنا للتعليل، أي يمكن الأرض لهم، أو نمكن الأسباب لهم .إنها عملية شاملة لا تقتصر على تسليم المفاتيح.
- إشعار بأن الأرض كانت ممنوعة عنهم: كأن الأرض كانت في وجههم، والآن نضعها بين أيديهم .مكن له في الأرض" تعني جعل الأرض مطوعة، تخدمه ولا تعاديه.

2. "في الأرض" - التمكين الشامل

التنكير في "أرض" هنا يوحي بالعموم. ليس أرض مصر فقط، بل كل أرض. سنة الله في التمكين لا تتوقف عند حدود جغرافية. أينما وجد المستضعف الصابر، ستمكن له الأرض. كما قال تعالى في آية أخرى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء: 105)

3. "وَتَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا" - الإراءة: جعل العدو شاهد عيان على هزيمته

"ثري" من الإراءة، أي نجعلهم يرون بأعينهم. وهذا أشد أنواع العذاب. ليس فقط أن يهزموا، بل أن يشاهدوا هزيمتهم بأم أعينهم، وأن يروا المستضعفين أنفسهم - الذين كانوا يذبحون أبناءهم - وهم لأن سادة منتصرون.

. لماذا ذكر فرعون وهامان وجنودهما معاً؟ لأنهم النظام الطاغوي الثلاثي: فرعون) رأس السلطة السياسية والدينية المطلقة، هامان) وزيره ورجل الإدارة والقمع، (والجنود) جهاز العنف والتنفيذ. (الله يريد أن يري النظام بأكمله - القائد، المدبر، والمنفذ - وهم يخسرون أمام من كانوا يستضعفون. هذا إذلال مركب.

. تخصيص هامان بالذكر: يدل على أن هامان كان شريكاً في الظلم والكيد لموسى، وأن عذابه سيكون مشاهداً مثل عذاب فرعون. فيه إشارة إلى أن كل فرد في النظام الطاغوي - كبيراً كان أم صغيراً - سيري نهاية حلمه.

4. "منهم" - الضمير العائد على المستضعفين

"منهم" أي من المستضعفين أنفسهم. المعنى: نري فرعون وهامان وجنودهما من أولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون. أي أن من كانوا يظنونهم ضعفاء لا قيمة لهم، يصبحون هم سبب الهلاك والرعب. هذا ذروة الإهانة للطاغية: أن يهزم على يد من كان يعدهم هوامش.

5. "ما كانوا يحذرون" - الخوف الذي يتحقق على أيدي أضعف خلقه

"يَحْذَرُونَ" أي يتوقعون الخطر ويتخوفون منه. ماذا كان فرعون يحذر؟ كان فرعون يحذر من أن يظهر مولود من بني إسرائيل يزيل ملكه. قال تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ...يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ" خوفاً من هذا المولود. إذن هو كان يحذر من مستقبل يهدد كيانه، فكان يظن أن الحل هو قتل الأبناء. لكن الله أراه أن الخطر الذي كان يحذره - وهو انتفاض المستضعفين وانتصارهم - قد تحقق على يد من بقي حياً منهم) موسى ومن معه. (إنها مفارقة درامية عظيمة: إجراءات فرعون الوقائية هي نفسها التي أوصلته إلى الهلاك. لو لم يذبح الأبناء، لربما ما كان موسى ليُربى في قصره، لكن الله جعل كيدته في نحره.

اللمسة البلاغية العليا: "يَحْذَرُونَ" مضارع يدل على الاستمرار. كانوا في حال حذر دائم من بني إسرائيل. وهذه الآية تخبر أن حذرهم ذاك سيتحقق حقيقة، لكن على النحو الذي لا يريدونه. إنه الخوف الذي يتحقق، أسوأ أنواع الخوف.

ثانياً : المفاهيم المركزية في الآية) ما الذي تدور حوله؟)

هذه الآية تحمل عدة مفاهيم محورية تشكل عقلية المؤمن المنتصر:

المفهوم الأول: قانون "تمكين المستضعفين" كسنة كونية

ليس التمكين هبة عابرة، بل هو سنة إلهية ثابتة لمن توفرت فيه شروط الاستضعاف مع الإيمان و العمل الصالح. الأرض لله، وهو يورثها لمن يشاء. هذه الآية تطبيق عملي لآية "وَتَرَىٰ أَن تَمُنَّ". إذن، التمكين هو الوجه الآخر للاستضعاف، وليس حدثاً طارئاً.

المفهوم الثاني: العدالة الإلهية المطلقة) مشهد المقاصة)

الله لا ينتقم للظلم فقط، بل يجعل الظالم يشاهد بأم عينيه انهيار ما بناه. ليس عقاباً غائباً، بل عقاباً حضورياً. فرعون سيرى موسى - الذي كان يطارده - يقوده بني إسرائيل خارج مصر، ثم يراه يشق البحر، ثم يتبعه فيغرق. كل لحظة من لحظات هزيمته كانت عرضاً مباشراً لوعيده السابق. هذا يعيد التوازن النفسي للعالم: الظلم لا يمر دون عقاب مرئي.

المفهوم الثالث: توحيد أطراف الشر) فرعون، هامان، جنودهما)

الآية تشير إلى أن الشر نظام متكامل) سياسي، إداري، عسكري)، وأن هزيمة المستضعفين لن تكتمل إلا بهزيمة كل أطراف النظام. لا يكفي سقوط فرعون، بل يجب أن يسقط هامان والجنود. هذا يعلم المؤمن أن مواجهته ليست مع شخص، بل مع منظومة، وأن النصر لا يكون بسقوط فرد، بل بتفكيك البنية كلها.

المفهوم الرابع: تحويل الخوف من أداة طغيان إلى أداة عذاب

فرعون كان يستخدم الخوف أداة لقمع بني إسرائيل. كان يريد أن يزرع فيهم الخوف من الذبح. لكن الآية تقلب المعادلة: الخوف الذي كان يزرعه في الآخرين، عاد إليه، بل وتحقق على يدي من كان يخافهم. هذا درس: الخوف سلاح ذو حدين. من يبت الخوف بالباطل، سيحصده يوماً.

المفهوم الخامس: التمكين ليس نهاية الطريق، بل بداية المسؤولية

الآية تأتي بعد "أئمة ووارثين"، مما يعني أن التمكين هو تمكين لتحقيق الإمامة والوراثة، وليس تمكيناً للبطش والفساد. هو تمكين للعبادة والحكم بالحق، وليس تمكيناً للاستبداد. هذا المفهوم يحمي المؤمن من أن يتحول بعد النصر إلى فرعون جديد.

ثالثاً: الدلالات النفسية والعقلية – كيف تعيد الآية برمجة عقلك ووجدانك؟

1. علاج نفسي لصدمة الاستضعاف

المستضعف غالباً ما يعاني من شعور بالعجز وتدني تقدير الذات. هذه الآية تعيد له كرامته النفسية من خلال:

- إطلاعه على نهاية القصة مسبقاً: يعرف أن نهايته هي التمكين، ونهاية الطاغية هي الإراة. هذا يزيل شعور "اللا مستقبل".
- جعله فاعلاً " لا مفعولاً " به: الضمير "منهم" يعيد له الاعتبار. هو الذي سيكون سبباً في رعب فرعون. هو صانع الحدث.
- تحويل مراقبته من ظلم الواقع إلى وعد الله: بدلاً " من أن يركز على قوة فرعون الآن، يركز على وعد الله بالتمكين. هذا إعادة توجيهه للانتباه من الخوف إلى الأمل.

2. بناء عقلية استراتيجية: من رد الفعل إلى الفعل

المستضعف عادة ما يكون في حالة رد فعل) يهرب، يخبئ، يدافع عن نفسه. (هذه الآية تحوله إلى مخطط استراتيجي. هو يعلم أن هناك خطة إلهية، وأن دوره هو أن يكون جزءاً من التنفيذ بالصبر والثبات. يبدأ يفكر: "كيف أكون أهلاً " لهذا التمكين؟ كيف أعد نفسي لقيادة الأرض بعد أن أمكن الله لي؟"

3. القناعة بأن الشر يهزم من داخله

الآية تشير إلى أن فرعون وهامان وجنودهما سيرون العذاب بأعينهم. هذا يعني أن نظام الشر سينهار أمام أعين بانيه. في علم النفس، أشد أنواع الانهيار هو الانهيار الذي يراه الشخص واضحاً ولا يستطيع إنكاره. هذا يريح المؤمن من فكرة أن الطغاة يموتون وهم على غشهم، بل سيموتون وهم يرون زوال ملكهم.

4. مفهوم "الحذر الذي يتحقق" وتطبيقه في حياتك

أنت في حياتك اليومية قد تحذر من شيء، وتتخذ إجراءات لتجنبه. هذه الآية تعلمك أن الحذر الحقيقي هو حذر من الله، وليس من مخلوق. فرعون حذر من موسى، فكان حذره سبب هلاكه. لو حذر من الله لنجا. في حياتك، عندما تخاف من شخص أو موقف، حاول أن تحول خوفك إلى خوف من الله وحده. لأن الخوف من غير الله قد يوقعك في ما تخاف منه.

رابعا : الرسائل والتوجيهات – ماذا تريد الآية مني؟

الرسائل الأساسية:

1. التمكين قادم لا محالة، لكن بشرط: شرط أن تكون من "الذين استضعفوا" بإيمان وصبر. الآية لم تعد بالتمكين لكل مستضعف، بل لمن كانوا مع موسى في رحلته الإيمانية. التمكين يحتاج إلى تأهيل، وليس مجرد أمنية.

2. الله يخطط للمواجهة النهائية: هو الذي سيرى فرعون وجنوده ما كانوا يحذرون. ليس عليك أن تخطط للانتقام، بل أن تثق في توقيته.

3. الطغاة سيعذبون بما كانوا يخافونه: لا تظن أن خوف الطاغية يذهب هدراً. كل لحظة خاف فيها منك، ستتحقق على يديه. فرعون كان يخاف من أن يخرج من بيته موسى، فكانت النهاية أن موسى هو من أخرجه من ملكه وأغرقه.

ما الذي نتعلمه من الآية؟

- تعلم التفاؤل المبني على اليقين: ليس تفاؤلاً أعمى، بل تفاؤلاً قائماً على سنة إلهية مضمونة النتائج.
- تعلم الصبر الاستراتيجي: قد تطول فترة الاستضعاف، لكن التمكين آتٍ. الصبر ليس استسلاماً، بل هو إعداد دائم.
- تعلم أن تنظر إلى عدوك من أعلي: لا تنظر إلى قوته المادية، بل انظر إلى ضعفه النفسي (خوفه، حذره). (هو من يخاف منك، وليس أنت منه).

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

- في العمل أو الدراسة: إذا كنت في بيئة تمارس عليك نوعاً من الاستضعاف (مدير ظالم، زملاء يتنمرون)، فاعلم أن الله يريد أن يمكنك. لكن التمكين هنا قد لا يكون بالسلطة، بل بـ التمكين النفسي) ألا تتأثر بهم (أو التمكين المهني) تتفوق عليهم بعملك. (احذرهم أن يروا منك ما كانوا يحذرون: نجاحك وتفوقك).
- في التربية: علم أبناءك أن الطغاة يخافون من المستضعفين الصادقين. فرعون بجيوشه كان يخاف من رضيع لم يولد بعد. هذا يعلم الطفل أن قوته ليست بعضلاته، بل بحقه. أخبرهم: "إذا كنت على حق، فالطاغية يخاف منك، وليس أنت منه".
- في القضايا الكبرى) كالقضية الفلسطينية مثلاً (: اقرأ هذه الآية وتأمل. المستضعفون في غزة، و الطغاة) فرعون العصر (وجنودهم. الآية تعد بأن الله سيرى أولئك الطغاة من المستضعفين ما كانوا يحذرون. هذا لا يعني الجلوس والانتظار، بل يعني العمل الجاد مع الثقة بأن النهاية محسومة. كل شهيد، كل صابر، هو جزء من هذه الإرادة الإلهية.

خامساً: كيف يعيش المسلم بهذه الآية؟ دليل عملي وجداني)

1. قراءة الآية كـ "تذكرة صباحية"

عندما تستيقظ، اقرأ الآية وقل لنفسك: "هذا وعد الله لي اليوم. سأرى بعيني كيف يمكن الله لي في أرضي) مكان عملي، بيتي، مجتمعي(، وسأرى من ظلمي يرون ما كانوا يحذرون." هذا يضبط مزاجك لليوم.

2. تحويل مشاعر الخوف إلى فضول إيجابي

بدلاً من أن تخاف من الطاغية، حول خوفك إلى تساؤل: "تري ماذا سيريه الله مني؟ كيف سيتحقق هذا الوعد؟". هذا يحول القلق إلى ترقب، والترقب يولد الطاقة.

3. تجسيد مفهوم "التمكين في الأرض"

لا تنتظر التمكين يأتي جاهزاً. ابدأ بنفسك: مكن الله لك في أخلاقك) كن قوياً بالأخلاق(، في علمك (تفوق فيه)، في علاقاتك) ابن شبكة إيمان. (هذه أشكال من التمكين التمهيدي.

4. استحضار مشهد "الإراءة" عند مواجهة الظلم

عندما يقسو عليك ظالم، تخيل ذلك المشهد الذي وعدت به الآية: هذا الظالم سيرى منك يوماً ما كان يحذره. قد يكون ذلك في الدنيا) يراك ناجحاً متفوقاً (أو في الآخرة) يرى منزلتك في الجنة. (هذا التخيّل مهدئ للأعصاب، ويعطيك طاقة على الصبر.

5. تعزيز ثقافة "النصر المبين" في الأسرة

اجعل لهذه الآية مجلساً عائلياً. احك قصة فرعون وموسى، واربطها بواقع الأسرة: "كما أرى الله فرعون هزيمته، سيرينا الله نصرنا على من يظلمنا". اكتب الآية وضعها في مكان بارز.

6. الدعاء بهذه الآية

من عاش بهذه الآية، يدعو بها: "اللهم إنا من المستضعفين في أرضك، فمكن لنا فيها، وأر أعداءنا منا ما يحذرون". الدعاء بالآية نفسها من أعظم درجات التفاعل معها. خاتمة وجدانية: أنت في قلب المشهد

توقف الآن للحظة. أغمض عينيك وتخيل نفسك واحداً من أولئك المستضعفين الذين كانوا يرون أبناءهم يذبحون، ونساءهم يستحيين. ثم تسمع هذه الآية لصرع في سماء اليأس: "وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ". تخيل كيف كان قلب بني إسرائيل يخلع من الفرح. ثم يأتي الخبر الأروع: "وَتَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ". تخيل لحظة أن رأى فرعون موسى وهو يضرب بعصاه البحر، ورأى جنوده وهم يغرقون، ورأى بني إسرائيل وهم يعبرون إلى بر الأمان. تلك اللحظة التي تحول فيها خوف فرعون إلى واقع مرير، وتحول فيها حلم بني إسرائيل إلى حقيقة مشرقة.

هذه الآية تقول لك شخصياً: أنت لست خارج هذا المشهد. أنت في قلب القصة. قصة كل مستضعف صابر. الله لم يغير سنته. وما حدث مع موسى سيتكرر معك - ليس بالضرورة بنفس التفاصيل، لكن بنفس الجوهر: التمكين بعد الاستضعاف، والإرادة بعد الحذر.

لا تيأس من طول الليل. فالآية لا تقول "سنمكن" فقط، بل تقول "ونمكن" - بالفعل المضارع المستمر. كل يوم، وفي كل لحظة، هناك تمكين يحدث في مكان ما على الأرض. ويمكن أن تكون أنت وأسرته وأمتكم جزءاً من هذا التمكين. فقط اثبت على الإيمان، وتأهب للقيادة، وانتظر وعد الله الذي لا يتخلف.

المقطع الثاني

القسم الأول

المبحث الأول

تفسير الآية السابعة من سورة القصص

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

هذه الآية هي نقطة التحول الكبرى في قصة الخلاص. بعد أن رأيت في الآيات السابقة صورة الطغيان (الشع) فرعون يذبح الأبناء (ثم وعد الله العظيم بالتمكين، يأتي الآن المشهد الأكثر إنسانية وحساسية: كيف يبدأ الله في تنفيذ وعده؟ ليس بقوات عسكرية، ولا بثورة شعبية، بل بـأم خائفة تحمل رضيعها، ووجي إلهي يأتيها في لحظة ضعفها الأقصى. هذه الآية هي درس في إدارة الأزمات الإلهية، ودورة مكثفة في الثقة بالله، ومشهد يجمع بين دموع الأم ونبوة الطفل. دعنا نفحص في أعماقها.

أولاً: اللمسات البيانية والبلاغية - حين يصبح الوحي حليماً ودموعاً

1. "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ" - لمحة عن عظمة المصدر وضعف المستقبل

"وَأَوْحَيْنَا" فعل يدل على إيصال كلام خفي سريع. المتلقي هنا ليس نبياً، بل امرأة عادية، أم خائفة. هذا تكريم إلهي عظيم لأم موسى، حيث اصطفاها الله لتكون أول من يتلقى الوحي في هذه القصة. لم يوح لفرعون ولا لهامان، بل لأم مستضعفة.

. لماذا "إلى" وليس "لـ"؟ "إلى" تفيد الانتهاء والوصول. الوحي وصل إليها شخصياً، في قلب بيتها، في لحظة عزلة وخوف. الله لم يتركها تواجه مصيرها وحدها، بل نزل إليها بوحية.
. الدلالة النفسية: عندما تعلم أن الله يمكن أن يوحى لأم بسيطة خائفة، فهذا يعني أن لا أحد مستبعد من عناية الله. أنت أيضاً يمكن أن تتلقى إلهاماً أو تسديداً إلهياً في لحظة ضعفك.

2. "أَنْ أَرْضِعِيهِ" - الأمر الأول: استمرارية الحياة

أمر الله لها أن ترضعه. لم يقل "ضعه في التابوت فوراً"، بل قال "أرضعيه". هذا يدل على أن الله

يريد للأم أن تقوم بدورها الطبيعي أولاً . الرضاعة هي رباط الحب والأمان بين الأم وطفلها . الله يريد أن يشبع موسى حباً قبل أن يواجه الخطر.

. الحكمة: لو أمرها مباشرة بإلقائه، لكان قلبها قد تمزق . لكن ببدا الرضاعة، صارت هناك علاقة، ثم جاء الأمر بالإلقاء بعد أن يكون قد ارتضع قليلاً . هذا من لطف الله بالنفوس الضعيفة.

3."إِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ" - استقبال الخوف وليس إنكاره

الله لم يقل "لا تخافي" فقط، بل اعترف أولاً . بأنها ستخاف . قال "إِذَا خِفْتِ" - الخوف أمر طبيعي وموجود . هذا واقعية إلهية في التعامل مع المشاعر الإنسانية . الله لا يطلب منك أن تكون خارقاً للطبيعة، بل أن تدير خوفك بأوامره.

4."فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ" - الأمر الصادم

"اليَمِّ" هو البحر، أو النيل العظيم . الأنهار العظيمة كانت تسمى يماً . أمرها أن تلقيه في الماء الجارف، في نهر مليء بالتماسيح، حيث قارورة فرعون تطفو . هذا أمر يفوق الخيال . أي أم تقبل أن ترمي طفلها في النهر؟ لكنها ثقة بالله.

. اللمة البلاغية: جاء الأمر بالفعل المضارع "أَلْقِيهِ" على صيغة الأمر المفاجئ، كأنه يقول: "لا تترددي، افعلها فوراً عندما يأتي الخوف".

5."وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي" - النهي عن الخوف والحزن معاً

لماذا جمع الخوف والحزن؟ الخوف يتعلق بالمستقبل (ماذا سيحدث له؟)، والحزن يتعلق بالماضي و الحاضر (فقدانه الآن). (الله يريد أن يقطع عليك كل مصادر القلق: لا تخاف مما سيأتي، ولا تحزن على ما مضى . هذه وصفة السعادة الإيمانية.

. الترتيب: قدم النهي عن الخوف على الحزن، لأن الخوف هو الأكثر إلحاحاً في لحظة الخطر . بعد أن يزول الخوف، يأتي الحزن على الفراق، فنهتها عنه أيضاً.

6."إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ" - وعد بالرد، وليس فقط بالنجاة

لم يقل "إِنَّا نَجَوْهُ" فقط، بل قال "رأوه إليك" . هذا وعد باللقاء، وهو أعظم من مجرد البقاء على قيد الحياة . الأم تريد أن تعانق طفلها مرة أخرى . الله يعدها بذلك.

. التوكيد بـ "إِنَّا" والضمير "رأوه" يؤكد أن الرد حتمي، بغض النظر عن الظروف.

7."وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" - المفاجأة الكبرى

ليس فقط ستردينه، بل سيكون رسولا . من عند الله . هذا تحويل للمأساة إلى ملحمة . طفل كان مرشحاً للذبح يصبح نبياً مرسلًا . من كان يخشى منه (حسب توقع فرعون (يصبح قائداً للبشرية . إنها قفزة نوعية في المصير.

. اللمة البلاغية: العطف بـ "وجاعلوه" بعد "رأوه" يدل على أن الرد مجرد مقدمة، والغاية الأعظم هي الرسالة.

ثانياً : المفاهيم المركزية في الآية) الأعمدة التي يقوم عليها البناء الإيماني)

المفهوم الأول: الوحي للأم - تفعيل دور المرأة في مشروع التمكين

الله لم يوح لرجل، ولا لجيش، بل لأم . هذا يعلن أن المرأة شريك أساسي في صناعة النصر . دورها ليس هامشياً . أم موسى هي أول حلقة في سلسلة التمكين . كل أم مؤمنة اليوم يمكن أن تكون "أم موسى" في تربيتها لابنها ليكون من المرسلين والوحي هنا هو الإلهام لا وحي الشريعة .

المفهوم الثاني: الإلقاء في اليَمِّ - التوكل العملي بعد الأخذ بالأسباب

هذا هو التوكل بعينه: أن ترضعه أولاً (أسباب)، ثم إذا خفت، ألقه في اليم (سبب آخر يبدو

مجنوناً)، لكن مع القلب مطمئن بأن الله هو المتصرف. ليست "تفويضاً أعمى"، بل تفويضاً بعد فعل الأسباب الممكنة.

المفهوم الثالث: نفي الخوف والحزن - المقام الإيماني الأعلى

هذه الآية تعلم أن الإيمان الحقيقي يزيل الخوف من المستقبل والحزن على الماضي. المؤمن القوي هو من يعيش في حالة "لا خوف ولا حزن". هذه هي الجنة في الدنيا قبل الآخرة.

المفهوم الرابع: الوعد بالرد والجعل من المرسلين - من اليأس إلى الأمل

الآية تنتقل من أقصى درجات اليأس (إلقاء الرضيع في النهر (إلى أقصى درجات الأمل (العودة نبياً). هذا منهج قرآني في معالجة الأزمات: لا تنظر إلى لحظة الضعف الحالية، بل انظر إلى النهاية التي أعدها الله.

المفهوم الخامس: معادلة التمكين تبدأ من رحم الأم

التمكين الذي وعد الله به في الآيات السابقة) تمكين المستضعفين، جعلهم أئمة ووارثين، إراءة فرعون ما يحذر (-) بدايته هنا: أم تخاف، ورضيع يلقى في اليم. إذا، النصر يبدأ من القاعدة، من البيت، من التربية، من المواقف الصغيرة التي تبدو يائسة.

ثالثاً :-الدلالات النفسية والعقلية- كيف تشفي هذه الآية جراحك وتعيد برمجة عقلك؟
1.علاج للخوف المرضي

أنت قد تخاف على أبنائك، على مستقبلك، على صحتك. هذه الآية تعلمك أن الخوف المشروع يمكن تحويله إلى طاقة إذا كان مقروناً بأمر الله. أم موسى خافت، لكن الله لم يقل لها "اخرسي خوفك"، بل قال "إذا خفت فافعلي كذا". الخوف يتحول إلى محرك للعمل، وليس إلى مكبل.
2.إعادة تعريف "الأمان"

الأمان الحقيقي ليس في أن يكون الابن في حجر أمه، بل في أن يكون في حفظ الله. اليم (النهر) قد يكون أخطر مكان في نظر البشر، لكن إذا أمر الله به، يصبح مكان أمان. العكس: القصر العظيم الذي يعيش فيه فرعون قد يكون أخطر مكان إذا كان بعيداً عن رعاية الله. هذا يغير مفهوم الأمان في عقلك.

3.علاج الحزن على فقدان

الحزن هو عاطفة طبيعية على من نحب. لكن الله نهى أم موسى عن الحزن. كيف؟ بإعطائها وعداً بـ الرد. علماء النفس اليوم يقولون إن أفضل علاج للحزن على فقدان هو الأمل في العودة أو التعويض. الله أعطاها أمل اليقين. إذا أردت أن تتخلص من الحزن، فتمسك بوعد الله بالعودة أو بـ الخلف الأفضل.

4.تقنية "تصغير المشكلة" عبر تكبير الأفق

أم موسى ترى مشكلتها: خوفها على رضيعها. الله يريها الأفق الأكبر: "جاعلوه من المرسلين". هذه إعادة تأطير: ما تراه أنت مأساة، هو في علم الله بداية ملحمة. عندما تصغر مشكلتك في عينيك، يصغر ألمها.

5.تنمية "الذكاء الإيماني"

الذكاء ليس فقط حل المشكلات، بل هو معرفة من تثق به. أم موسى كانت ذكية إيمانياً: عرفت أن الله أوحى إليها، فوثقت به أكثر مما وثقت بخوفها. أنت أيضاً، عندما تواجه قراراً صعباً، اسأل: "هل هذا وحي (الله) أمه وشرعه (أم هو خوفاً فقط؟". الثقة بالله تنتصر على الثقة بالخوف.
رابعا : الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد الآية مني شخصياً؟

الرسائل الأساسية:

1.الله معك في أصعب لحظاتك: أم موسى كانت في قمة ضعفها (امرأة، أم، خائفة، في مجتمع مستضعف). (لكن الله أوحى إليها مباشرة. إذا كنت في قمة ضعفك، فاعلم أن الله قريب جداً.
2.الأمر الإلهي قد يبدو غير منطقي: ألقه في اليم؟ أين المنطق؟! لكن طاعة الله تأتي قبل المنطق البشري. أحياناً يختبر الله إيمانك بأوامر تتعارض مع عقلك، لتري هل تثق به أم بعقلك المحدود.

3. لا تجعل الخوف يعطلك، بل اجعله يحركك: "إذا خفت فألقيه". الخوف لم يكن عذراً للتوقف، بل كان سبباً للحركة.
4. العودة قادمة: أي فراق مؤلم، أي فقد، أي خسارة، قد يعوضه الله برد أفضل. وعد "رادوه إليك" يشمل كل من يفقد عزيزاً على الله.

ما الذي نتعلمه من الآية؟

. تعلم كيف تتعامل مع الخوف: واجهه، سمّه، ثم خذ إجراءً بناءً على أمر الله.
. تعلم ألا تحزن على ما فات: لأن الله قد يعيده لك بصورة أفضل.
. تعلم أن تنظر إلى أبنائك على أنهم مشروع رسالي، وليس ملكية خاصة: أم موسى ألقته لله، فأعاده الله لها نبياً.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

. في التربية: لا تخف على أبنائك خوفاً يمنعك من تربيتهم على المواجهة. ألق بهم في "يمّ الحياة" مع التوكل. اتركهم يتعلمون، يخطئون، يواجهون، وثق بأن الله سيردهم إليك صالحين.
. في الأزمات: عندما تمر بأزمة (صحية، مالية، عاطفية)، لا تشك مشاعر الخوف والحزن. قل لنفسك: "هذا هو يمي، سألقي فيه ما أخاف عليه، وأثق بربي". قد تكون الأزمة هي الطريق إلى تمكينك.
. في القرارات الصعبة: إذا كان لديك قرار صعب (ترك وظيفة، الانتقال لمدينة، إنهاء علاقة (ويخيفك، فتحقق: هل هذا الأمر يوافق وحي الله) شرعه؟ إذا كان كذلك، فافعله ولا تخف، فهو طريق رد الله ورسالته.

خامساً: كيف يعيش المسلم بهذه الآية؟ دليل عملي وجداني)

1. اجعل الآية رفيقة خوفك

عندما تشعر بالخوف على شيء تحبه، اقرأ هذه الآية وتوقف عند "فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ". تخيل أن خوفك هو إشارة لـ "الإلقاء" - أي تفويض الأمر لله. ارم ما تخاف عليه في بحر رحمة الله.

2. تدرب على "لا تخافي ولا تحزني"

كرر هذه العبارة يومياً. اشترط على نفسك: مهما حدث، لن أخاف من المستقبل، ولن أحزن على الماضي. هذه ممارسة عقلية يومية تعيد تشكيل دماغك.

3. انظر إلى أبنائك بعيون النبوة

كل أم وأب ينظران إلى أبنائهما كأمانة. هذه الآية ترفع السقف: يمكن أن يكون ابنك من "المرسلين" (في مجاله) داعية، عالماً، مصلحاً. (تعامل معه على هذا الأساس).

4. في لحظة الإلقاء، تذكر الوعد

عندما تضطر للتخلي عن شيء عزيز (لظروف قاهرة، أو هجرة، أو تغيير)، تذكر أن الله قال "إنا رادوه إليك". هذا لا يعني بالضرورة رده بنفس الصورة، لكنه وعد برد الخير والأجر.

5. قم بتمارين "الوحي اليومي"

ليس وحيًا بنزول ملك، لكن تدبر القرآن كأنه يوحى إليك شخصياً. عندما تقرأ "وأوحينا إلى أم موسى"، قل: "يا رب، أوح إليّ ما ينير طريقي". ستجد إلهامات في قلبك.

6. صناعة "صندوق الإلقاء"

اصنع صندوقاً رمزياً في بيتك، اكتب عليه "اليوم". كل مشكلة تخاف منها، اكتبها على ورقة وألقها في هذا الصندوق، كإشارة أنك فوّضتها لله. ثم اقرأ الآية. هذه طريقة سلوكية لتعزيز التوكل.

خاتمة وجدانية: أنت أم موسى، وأنت موسى

توقف الآن. تخيل نفسك في غرفة مظلمة، تحمل بين يديك أغلى ما تملك. تسمع وطأة الخيل تقترب - جنود فرعون قادمون ليذبحوا طفلك. الدنيا تضيق بك. وفجأة، في تلك العتمة، ينزل نور الوحي:

"أرضعيه، وإذا خفت فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين".

ما الذي تشعر به؟ تشعر بأن الأرض تهتز تحت قدميك من المفاجأة. ثم تشعر بطمأنينة غريبة تسري في عروقك. الخوف لم يختف تماماً، لكنه تحول إلى شيء آخر: ثقة. تقومين، ترضعين طفلك للمرة الأولى خيرة) كما تظنين، تضعينه في التابوت، تلقيه في النهر، وتشاهدينه يطفو بعيداً. دموعك تنهمر، لكن قلبك يقول: "الله قال سيرده إلي".

هذه الآية تقول لك: أنت أيضاً تمر بلحظة "إلقاء". قد تكون ألقيت حُلماً، وظيفة، علاقة، ابناً، أو جزءاً من نفسك في يَمِّ الغيب. لكن الله يعدك: سيرده إليك، ولكن ليس كما ألقيته. سيرده إليك مُرسلاً، أقوى، أعظم، أكثر نبلاً.

لا تخف إذن من "الإلقاءات" الإلهية في حياتك. كل "يم" تخوضه بأمر الله هو في الحقيقة قناة توصيل لرحمة الله. فالطفل الذي ألقى في النهر عاد نبياً. والتابوت الذي بدا قبراً أصبح مهداً في قصر فرعون.

اجعل هذه الآية دستور أزماتك: أرضع حلمك قبل أن تلقيه. وعندما يحين وقت الإلقاء، فلا تخف ولا تحزن. وتيقن أن الله رادّه إليك، وجاعله من المرسلين. عندها فقط، ستصبح من "الذين استضعفوا" الذين وعدهم الله بالتمكين.

المبحث الثاني

قال تعالى

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (9) {

هذا هو المكر الإلهي الأعظم. بعد أن ألفت أم موسى طفلها في اليم خوفاً من فرعون، وإذا باليم نفسه يرميه في حجر فرعون! إنها مفارقة تاريخية لم ولن تحدث إلا بإرادة الله. الآيتان تحملان في طياتهما أعمق دروس التوحيد: أن الله يدبر الأمور من وراء حجاب، وأن أعدى الأعداء قد يصبحون حماة للرسالة دون أن يشعروا. دعنا نعيش هذه اللحظة الفارقة.

أولاً: اللمسات البيانية والبلاغية – عندما يضحك الله على مخططات الطغاة

1. "فالتقطه" – الفاء التي تشير إلى سرعة الاستجابة الإلهية

الفاء هنا للتعقيب السريع. كأن الله يقول: "ما كادت أم موسى تلقيه في اليم حتى التقطه آل فرعون". سرعة التدارك من الله توحى بأن كل شيء كان مُعداً بدقة. ليس صدفة، بل تدبير.

. الالتقاط يختلف عن "أخذه". الالتقاط يكون لشيء ملقى مهملاً. آل فرعون التقطوا تابوتاً مهماً على سطح الماء، يظنونه شيئاً عادياً، لكنهم يلتقطون قدرهم الذي سيهدم ملكهم.

2. "آل فرعون" – الأسرة الحاكمة كلها في المهزلة

آل فرعون هم أتباعه وأسرته وحاشيته. كل هذا الجمع الضخم، بكل قوته وتنظيمه، كان مشغولاً بالبحث عن أطفال بني إسرائيل ليذبحوهم. لكنهم بدلاً من أن يذبحوا هذا الطفل، التقطوه بأيديهم وأدخلوه إلى قصرهم. إنها مسرحية إلهية يسخر فيها الله من عظمة الطغاة.

3. "ليكون لهم عدواً وحزناً" – اللام التي تحول النعمة إلى نقمة

هذه اللام تسمى "لام العاقبة" أو "لام الصيرورة". وهي تفيد أن النتيجة التي آل إليها الأمر لم تكن مقصودة لهم، لكنها كانت عاقبة حتمية. هم التقطوه ليكون قرّة عين (حسب ظنهم)، لكن الله جعل عاقبته أن يكون عدواً وحزناً.

. عدواً: سيفقاتلهم ويكسر شوكتهم.
. وحزناً: سيسبب لهم الأسى والندم قبل الهزيمة. الحزن أعمق من الألم، إنه ألم مصحوب بفقدان الأمل.

البلاغة: قدم "عدواً" على "حزناً" لأن العداوة هي الفعل الظاهر، والحزن هو الأثر الباطن.

4."إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" - تعليل المكر الالهي

بعد ذكر هذه المفارقة العجيبة، يأتي تعليل إلهي: "كانوا خاطئين". أي أنهم كانوا مذبذبين في تصرفاتهم، ظالمين، مخطئين في تقديرهم. ولهذا استحقوا هذه المهزلة. الخاطئ هو من يخطئ التقدير، يظن الشيء نافعا فيكون ضارا¹. وهذا أشد عقاب للطاغية: أن يظن أنه يفعل الخير لنفسه وهو يفعل الشر.

5."وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ" - المفاجأة: صوت الحكمة من داخل القصر

بعد ذكر آل فرعون) الذين هم الذكور الحاكمة)، تأتي امرأة فرعون لتقلب الموازين. هي آسية بنت مزاحم، التي كانت مؤمنة بالله في خفاء. هنا تظهر لك "صوت العقل" في مجلس الطغيان.

6."قَرَّتْ عَيْنُ لِي وَلَكَ" - جملة تحمل بشارة ونذيرا

"قَرَّتْ عَيْنُ" تعني ما تفرح به العين حتى تبرد) لا تدمع من شدة الفرح. (هي كناية عن شدة المحبة والبهجة. قالت "لي ولك" أي أنه سيكون مصدر فرح لكما أنت يا فرعون وأنا. لكنها خاطبت فرعون بـ الملكة، فأرضته نفسيا. وهي تعلم أنه سيكون قرة عين لها في الآخرة، وله في الدنيا ثم نارا¹.

7."لَا تَقْتُلُوهُ" - نهى ينقض سياسة فرعون بأكملها

هذا نهى مباشر لفرعون وجنوده عن قتل هذا الطفل. وهي تعلم أن سياسة فرعون كانت تقضي بقتل أطفال بني إسرائيل. لكنها تستثني هذا الطفل بحجة "النفع" أو "التبني". هذا النهي هو أول نصر لموسى على فرعون، قبل أن ينطق بحرف.

8."عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" - التردد الذي يظهر الحيرة

"عسى" تفيد الترجي، أي ليست متأكدة. وهي تقدم احتمالين: إما أن ينفعهم) كوزير أو قائد)، أو أن يتخذوه ولدا) بالتبني. (هذا التردد يعكس أن الله ألقى في قلبها محبة هذا الطفل، فجعلتها تبحث عن أي مبرر لإبقائه حيا. أما فرعون فكان بحاجة إلى هذا المبرر ليتخلى عن سياسته قليلا¹.

9."وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" - الخاتمة الصاعقة

هذه الجملة تعود على آل فرعون وفرعون وامراته؟ الأرجح أنها تعود على آل فرعون وفرعون وهامان ، أي أنهم لا يشعرون بما يدبره الله لهم من خلال هذا الطفل. إنهم لا يشعرون أن هذا الطفل هو الذي سيهدم عرشهم. إنها ذروة السخرية الإلهية: أنت تحضن عدوك، وتطعمه، وتكبره، وهو لا يشعر، وأنت لا تشعر.

. "لا يشعرون" أبلغ من "لا يعلمون"، لأن الشعور هو إدراك مع تبعات نفسية. هم ليس لديهم أدنى إحساس بالخطر القادم.

ثانيا: المفاهيم المركزية في الآيتين) الأساس الذي يقوم عليه التدبير الإلهي)

المفهوم الأول: قانون "المكر الإلهي" استدراج الطغاة من حيث لا يعلمون)

أعظم مفهوم في هاتين الآيتين: أن الله قد يستخدم عدو المؤمنين لحماية المؤمنين. فرعون الذي كان يبحث عن الطفل ليقتله، أصبح هو من يلتقطه ويؤويه ويربيه. هذا يسمى "استدراج" أو "مكر الله". قال تعالى: "وَمَكْرُوا اللَّهَ وَمَكْرَ اللَّهِ خَيْرُ الْمَكْرِينَ" آل عمران: (54) الله يقلب الطاولة على الطغاة ، فيجعل تدابيرهم سبب هلاكهم.

المفهوم الثاني: "ليكون لهم عدوا وحزنا" - قانون عاقبة الظلم

كل ظلم ترتكبه ضد الحق، سيعود عليك بالعداوة والحزن. فرعون ظن أنه بحماية الطفل يكسب ولدا أو ناصرا، فإذا به يكتسب عدوا. هذا جزاء من جنس العمل لكن معكوسا: أردت قتله فأحيطه فقتلك، أردت حرمانه فأكرمه فحرمك.

المفهوم الثالث: دور المرأة المؤمنة في قلب نظام الطغيان) آسية نموذجاً)

آسية زوجة فرعون، تعيش في أرفف القصور، وهي مؤمنة بالله تخفى إيمانها. وهي التي أنقذت

موسى من الذبح. هذا يعلم أن التغيير يمكن أن يأتي من داخل القصر. ليس كل من حول الطاغية أشرار. هناك قلوب مؤمنة تخفى، ويمكن أن تكون عناصر قوة للرسول. آسية هي "الخمسة بالمائة" الصالحون الذين يغيرون المعادلة.

المفهوم الرابع: "لا يشعرون" - غفلة الطغاة عن سنن الله

أعظم ما يميز الطغاة أنهم لا يشعرون بيد الله فوق أيديهم. يظنون أنهم المتحكمون، وهم مجرد أدوات في تدبير الله. هذه الغفلة هي أشد عقاب لهم، لأنها تمنعهم من التوبة أو التراجع. هم لا يشعرون أنهم يربون قاتلهم.

المفهوم الخامس: التبنى كغطاء إلهي لحماية الرسول

التقاط آل فرعون لموسى وتربيته في القصر، هو أسلوب إلهي لحماية النبي. لو بقي موسى مع أمه، لكان عرضة للذبح في أي لحظة. لكن في قصر فرعون، أصبح في أمان. هذا يعلم أن حماية الله لعباده قد تأتي من بيوت أعدائهم.

ثالثاً: الدلالات النفسية والعقلية - كيف تؤثر هاتان الآيتان في أعماقك؟

1. علاج لليأس من شدة الظلم

عندما ترى الظلم يحيط بك، والطغاة يزدادون قوة، قد تيأس وتقول: "كيف يمكن أن ينتصر الحق؟". هذه الآيات تقول لك: الله قادر أن يجعل الطاغية نفسه هو الحامي للحق. لا تستبعد أن يستخدم الله أعداءك لحمايتك. هذا يزيل الشعور بالعجز.

2. تغيير النظرة إلى "الأسباب"

أم موسى ألفت ابنها في اليم، وهذا سبب ضعيف جداً للنجاة. لكن الله جعل هذا اليم يوصل الطفل إلى قصر فرعون. وأيضاً فرعون التقطه ليكون له عدو 1. إذن الأسباب لا قيمة لها بدون إرادة الله. قد ترى أن طريقك مسدود، لكن الله يفتح لك من حيث لا تحتسب. هذا يحركك من عبودية "الأسباب المادية".

3. مفهوم "العدو الخفي" في علم النفس

فرعون كان يبحث عن عدو خارجي (طفل يخرج من بني إسرائيل). (لكنه لم يشعر أن عدوه الحقيقي هو الذي يربيته في حجره. في حياتك، قد تكون مشكلتك الحقيقية ليست ما تراه، بل ما تغفل عنه. آلية تدعوك إلى اليقظة والوعي، وألا تخدعك المظاهر.

4. آسية كنموذج للصمود النفسي في البيئة السامة

امرأة تعيش مع أطفى طاغية، وترى جرائمه كل يوم، لكنها حافظت على إيمانها، واستطاعت أن تفعل خيراً (إنقاذ موسى) دون أن تثير غضب زوجها. هذا يعلمك أنه يمكنك أن تصنع تغييراً ولو صغيراً حتى في أسوأ البيئات. لا تعتذر بالظروف.

5. "لا يشعرون" كحالة من العمى الإدراكي

الطغاة يعانون من "عمى إدراكي" لا يرون الحقائق الواضحة أمامهم. فرعون يرى الطفل يكبر أمامه، و لا يشعر أنه سيكون عدوه. هذا يريح المؤمن: ليس عيباً أنك لا ترى النصر الآن، فالطاغية نفسه لا يرى هزيمته. المهم أن تثق أن الله يرتب الأمور.

رابعاً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هاتان الآيتان مني؟

الرسائل الأساسية:

1. لا تستغرب كيف يدبر الله أمرك: قد تظن أن مصيبتك هي نهاية الطريق، وهي بداية الطريق. إلقاء موسى في اليم كان مصيبة لأمه، لكنه كان بداية تمكينه.

2. الطغاة أدوات بأيدي الله: فرعون وجنوده كانوا أدوات لإنقاذ موسى وتربيته. الله يستخدم من يشاء كيف يشاء. فلا تخف من قوة الطغاة، فهم مسخرون لتدبير الله.

3. كلمة الحق قد تصدر من بيوت الظلم: امرأة فرعون قالت "لا تقتلوه". استمع للناصحين حتى لو

كانوا في معسكر الخصم . واحترم صوت الحكمة أينما كان.
4. لا تياس من هداية أحد: آسية كانت مؤمنة رغم أنها زوجة فرعون . فلا تستبعد أن يهدي الله من حولك، حتى لو كانوا في أشد الظلم.
5. التبنّي أو الإحسان للضعفاء قد يكون فخاً إلهياً: أي إحسان تقدمه لشخص ضعيف، قد يكون سبب هلاكك إذا كنت ظالماً . فاحذر أن تظلم ثم تتصدق، فالصدقة قد تستدرجك.

ما الذي نتعلمه من الآيتين؟

. تعلم ألا تحكم على الأمور من بدايتها: بداية موسى كانت صندوقاً في النهر، ونهايته كانت نبياً مرسلاً . بدايتك قد تكون ضعيفة، لكن نهايتك قد تكون عظيمة.
. تعلم أن تعرف عدوك الحقيقي: عدوك ليس من يظهر عداوته، بل من يتربى في بيتك وينوي قلب نظامك . هذا درس لفرعون، ودرس لكل غافل.
. تعلم أن تستثمر في الخير ولو من باب المصلحة: امرأة فرعون قالت "عسى أن ينفعنا". ربما بدافع المصلحة، لكنها خدمت الحق . حاول أن تستثمر في الخير بأي دافع، فالله يبارك.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

. في العمل: قد تضطر للتعامل مع مدير ظالم . لا تياس . قد يكون هذا المدير هو سبب ترقيتك أو تطوير مهاراتك) كما كان فرعون سبب تربية موسى .(تعامل معه بحكمة.
. في العلاقات الأسرية: قد يكون لديك قريب ظالم، لكن أحد أفراد أسرته) مثل زوجته أو ابنه (مؤمن . استعن بهذا الفرد الصالح لنصرة قضيتك . كما استعانت أم موسى بأسية من خلال اليم.
. في مواجهة الأنظمة: لا تظن أن كل من في النظام أشرار . هناك "آسيات" يخبئ إيمانهم . ابحث عنهم، وابن جسوراً معهم . قد يكونون مفتاح النصر.
. في تربية الأبناء: إذا كان ابنك يواجه مشكلة في المدرسة مع طاغية صغير) مدير أو معلم ظالم(، علمه أن الله قد يجعل هذا الطاغية سبباً في تربيته وتقويته . لا تطلبه نقله فوراً، بل علمه الصبر و الثقة.
. في التعامل مع الأقدار: عندما تمر بأزمة إلقاء في اليم) فقدان وظيفة، مرض، فشل(، لا تياس . تذكر أن اليم سيأتي بـ"آل فرعون" ليلتقطوك . قد تكون الأزمة هي الطريق إلى قصر العزة.
خامساً : كيف يعيش المسلم بهاتين الآيتين؟) دليل عملي وجداني(

1.تمرين "البحث عن آل فرعون في محنتك"

عندما تمر بمحنة، خذ ورقة واكتب: "ما هي إيجابيات هذه المحنة؟ من هم الأشخاص الذين جاؤوا لمساعدتي بشكل غير متوقع؟". ستجد أن الله أرسل لك "آل فرعون" ليلتقطوك . هذا التمرين يعزز شكر الله في الشدة.

2.لا تكن مثل فرعون) لا تشعر(

اسأل نفسك: هل أنا غافل عن أخطار حقيقية تحيط بي؟ هل أظن أن كل من حولي يحبني وهو يخبئ لي العداوة؟ ليس للشك، بل لليقظة . كن متواضعاً، ولا تظن أنك تعلم كل شيء . "لا يشعرون" تحذير من الغفلة.

3.كن مثل آسية) صوت الحكمة(

في أي مجلس ظلم تجلس فيه، حاول أن تكون صوت العقل . قل كلمة حق بلطف وحكمة . "لا تقتلوه" قد تكون كلمة تنقذ مستقبل أمة . لا تحتقر كلمة في موضعها.

4.استشعار "التدبير الإلهي" في حياتك

تذكر موقفاً كنت تخاف فيه من شيء، فإذا به هو سبب نجاحك . هذا هو "التقاط آل فرعون" . احتفظ بهذه الذكريات، وعش بها . اكتب قصة "صندوق موسى" الخاص بك: كيف أقيت شيئاً في اليم، فجاء من يلتقطه ويعيده لك أفضل.

5.علم أبنائك "نظرية المكر الإلهية"

ليس كل مؤامرة شريرة . هناك "المكر الإلهي" فالرحمة أحياناً تستتر خلف ما تراه شراً علمهم أن الله

يدبر للإنسان من حيث لا يعلم. إذا رأوا شراً، فليذكروا أن وراءه خيراً قد لا يروونه. قصة موسى خير مثال.

6. آية للتأمل اليومي

اجعل من هذه الآية ورداً لك: "فالتقطه آلُ فرعونَ ليكونَ لهمْ عدُوًّا وَحَزَنًا". كررها كلما شعرت أن الطغاة يزدادون قوة. ستشعر بلذة التدبير الإلهي.

سادساً خصوصيات الآيتين: ما يميزهما عن غيرهما

الخصوصية الأولى: التناقض بين الإرادة البشرية والإرادة الإلهية

هاتان الآيتان تظهران التناقض بوضوح: إرادة فرعون (قتل الأطفال (تصطدم بإرادة الله) حماية موسى (والنتيجة: إرادة الله هي التي تنتصر، لكن بطريقة ساخرة حيث يجعل فرعون نفسه هو حامي الطفل. هذا المستوى من السخرية لا يوجد في أي قصة أخرى بهذه الدرجة.

الخصوصية الثانية: التوازي بين "الالتقاط" و"الإلقاء"

أم موسى ألفت، وآل فرعون التقطوا. الفعلان متقابلان. هذا يظهر أن الله هو جامع الأضداد. من ألقى (بفعل الخوف (ومن التقط) بفعل الجبروت (-) كلاهما أداة بيد الله.

الخصوصية الثالثة: المرأة كعنصر فاعل في نقطتي تحول) أم موسى وآسية)

في آيات قليلة، نرى امرأتين محوريّتين: أم موسى (المؤمنة المستضعفة (وآسية) المؤمنة في قصر فرعون. (هذا يؤكد مكانة المرأة في صناعة التاريخ. بدون أم موسى، ما كان هناك إلقاء. بدون آسية، ما كان هناك التقاط. المرأة هي جسر النبوة.

الخصوصية الرابعة: غياب اسم موسى صراحة

طوال الآيتين، لم يذكر اسم موسى. قيل "أرضعيه" الآية السابقة (وقيل "فالتقطه"، وقيل "لا تقتلوه". هذا الإبهام يجعل القصة أكثر إثارة، ويجعل القارئ ينتظر: من هذا الطفل؟ ثم يتبين أنه موسى. هذا أسلوب قصصي قرآني فريد. خاتمة وجدانية: أنت الصندوق في اليم، وآل فرعون قادمون

تخيل نفسك الآن. أنت تمر بصعوبات، كأنك في تابوت مغلق، تلقيت به في بحر لا قرار له. تخاف، ترتجف، لا تدري أين ستنتهي. ثم فجأة، تلمس يداً تلتقطك. تفتح عينيك، فإذا بمن تلتقطك هم أعداؤك! أولئك الذين كنت تخاف منهم، هم من يضمونك الآن إلى حضنهم.

كيف تشعر؟ تشعر بحيرة، ثم بقشعريرة، ثم بضحكة مكتومة. ضحكة على الدنيا، ضحكة على الطغاة، ضحكة على الخوف الذي كان يملأ قلبك. ثم تشعر بامتنان لا حدود له لمن يدبر لك هذا كله.

هاتان الآيتان تريانك أن الدنيا ليس كما تراها، حيث الظاهر ليس هو الباطن، وحيث المنتصرون هم الخاسرون، وحيث المطاردون هم المطمئنون في قصور أعدائهم.

لا تخف إذن من اليم. ارم ما تخاف عليه في بحر الله. وانتظر "آل فرعون" ليلتقطوه. وتأكد أن عاقبتهم ستكون عداوة وحزنًا، وعاقبتك ستكون قرة عين ورسالة.

اللهم كما التقطت موسى من اليم ليكون عدواً لفرعون، فالتقط ضعفنا ليكون قوة للإسلام، وأرنا في أعدائنا ما يجهلون، واجعلنا ممن لا يشعر بهم الأعداء إلا بعد أن يكون النصر قد حان.

المبحث الثالث

تفسير الآيتين العاشرة والحادية عشرة من سورة القصص (وَأَصْبَحَ قُودًا أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)) .

هذه هي ذروة الألم الإنساني في قصة موسى. بعد كل ما حدث: الإرضاع، الخوف، الإلقاء في اليم، التقاط آل فرعون للطفل، دخوله قصر العدو... تأتي هذه اللحظة التي لا تحتمل. إنها صورة الأم التي فقدت كل شيء، قلبها فارغ، تكاد تفصح أمرها من شدة اللهفة، ثم فجأة، يتحرك التدبير الإلهي من

جديد عبر ابنتها الصغيرة. الآيتان تحملان بين حروفهما تشريحاً دقيقاً للنفس البشرية في أقصى حالات التوتر، ووصفة إلهية للثبات، ودرساً في تحويل الألم إلى عمل ذكي. دعنا نعيش هذه اللحظات معاً. **أولاً** : اللمسات البيانية والبلاغية - عندما تصبح الكلمات جراحاً وأملاً "

1."وَأَصْبَحَ" - صيغة تدل على التحول بعد حدث

"أَصْبَحَ" فعل يدل على الدخول في وقت الصباح، لكنه يستعمل مجازاً للدلالة على تحول الحالة. كأنها كانت بالأمس تحمل طفلها ترضعه، وتسمع أوامر الله، وتلقي به في اليم. فلما جاء الصباح، أصبح فؤادها فارغاً. الصباح الذي عادة ما يكون رمزاً للانشراف، أصبح عندها رمزاً للفراغ المطلق.

2."قَوَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا" - أعمق وصف للحزن

الفؤاد ليس القلب العادي، بل هو القلب بمعنى العقل والعاطفة معاً، مركز الإدراك والشعور. قيل: الفؤاد هو القلب إذا علق بشيء وأحبه. فؤادها كان معلقاً بموسى، فلما فارقه، صار فارغاً.

. الفراغ هنا ليس بمعنى الخلو، بل بمعنى فقدان القدرة على الشعور بأي شيء آخر. صار فؤادها كالبית الخالي، لا ساكن فيه إلا ألم الفقد. كل مشاعرها انصبت في خوفها وحزنها على موسى. لا مكان للأكل، لا للشرب، لا للنوم، لا لأي شيء آخر. هذا هو الفراغ العاطفي المدمر.

اللمسة البلاغية: وصف الفؤاد بالفراغ هو من أبلغ الاستعارات. الفراغ عادة للأواني، أما هنا فالفؤاد أصبح كالوعاء الفارغ. كأنه يقول: كانت مليئة بالحب والحنان والذكريات، فأصبحت فارغة لا تحمل شيئاً.

3."إِنْ كَادَتْ تُثْبِدِي بِهِ" - كادت تفعلها من شدة الغصة

"كَادَتْ" تفيد المقاربة، أي أنها أوشكت على أن تفعل شيئاً. "تُثْبِدِي" أي تظهر الأمر وتعلنه. ماذا تظهر؟ تعود كلمة "به" على موسى، أي تكاد تظهر أمر موسى، تقول للناس: "هذا ابني، أين هو؟ ماذا فعلتم به؟"

إنها لحظة انفجار مكتوم. كل الألم يضغط من الداخل، يكاد ينفجر على لسانها. لو ترك الله الأمر لها، لصرخت بأعلى صوتها، فتدمر كل خطة الله، وتكشف سر الطفل، فيذبح فوراً. لكن الله منعها.

اللمسة البلاغية: "إِنْ" هنا مخففة من الثقيلة، و"تُثْبِدِي" اللام هي لام القسم. المعنى: إنها لتقسم أنها تكاد تظهر أمره. هذا يدل على قوة الدافع الداخلي، وكثافة الألم.

4."لَوْأَنَّ رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا" - التدخل الإلهي المباشر

"لَوْأَنَّ" أداة امتناع لوجود، أي لولا أننا فعلنا كذا لحدث كذا. و "رَبَّنَا" من الربط، وهو الشد بقوة. ربط الله على قلبها يعني تقويته وتثبيتته حتى لا ينفجر أو يضعف.

. "عَلَيَّ قَلْبَهَا" وليس "قلبها" فقط. حرف "على" يفيد التغطية والاستعلاء. كأن الله يضع يده على قلبها من فوق، يضغط عليه برفق ليخبثه. هذا تطمين إلهي مباشر.

لم يقل "جعلناها صابرة"، بل "ربطنا على قلبها". الربط فعل قوي، يشبه ربط الجرح، أو ربط الحبل. أي أن قلبها كان يكاد يتفطر، فجاء ربط الله ليمسك أجزائه المتفرقة.

5."لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" - غاية الربط: الوصول إلى مقام الإيمان الكامل

الربط لم يكن لمجرد إنقاذ الخطة، بل كان لترتقي أم موسى إلى مصاف المؤمنين الصادقين. هي كانت مؤمنة، لكنها في لحظة الضعف الشديد كادت تهتز. فأراد الله أن يربط على قلبها لتكون من المؤمنين حقاً، أي لتصل إلى درجة اليقين التام الذي لا يتزعزع.

هذا معناه أن الابتلاءات العظيمة تؤدي إلى درجات عظيمة من الإيمان. لولا هذا الابتلاء، ما كانت أم موسى لتبلغ هذا المقام. الله ابتلاها ليرفعها.

6."وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ" - التحول من الانهماك إلى الفعل

بعد أن ربط الله على قلبها، انتقلت أم موسى من حالة "كادت تبدي" (إلى حالة الفعل العملي الذكي: الاستعانة بأخته. "أخته" أي أخت موسى، وهي فتاة صغيرة، اسمها في الروايات مريم أو كلثوم. استخدمت أقرب من لديها ليكون عينها في قصر العدو.

7. "قَصِيَه" - فعل الأمر الذي يحمل الدقة والحذر

"قَصِيَه" من القصص، أي اتبعي أثره وتتبعي خبره. ومعنى "قَصِي" أيضا تتبعه من بعيد بحذر. هذا فعل يتطلب ذكاء وخفاء. لم تقل "أذهبي إلى القصر واسألي عنه"، بل "قصيه" أي راقبيه من بعيد، تعقبه بذكاء حتى تعرفي ما سينول إليه أمره.

8. "قَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ" - رؤية من بعيد مع إخفاء

"قَبَصَرَتْ" أي رآته رأي عين، لكن "عَنْ جُنُبٍ" أي عن بعد ومن جانب، أي من بعيد، وفي خفاء، لا يراها أحد. هذا يصور مشهداً سينمائياً: فتاة صغيرة تقف بعيدة، تتفرس في قصر فرعون، ترى تابوتاً يخرج من الماء، وطفلاً يبكي، وامرأة آسية (تحتضنه. قلبها ينبض، لكنها لا تبدي شيئاً).

اللمسة البيانية: "بَصَرَتْ" أبلغ من "رأت"، لأن البصيرة تدخل فيها حاسة البصر مع إدراك داخلي. هي لم ترَ طفلاً فقط، بل أدركت أنه أخوها.

9. "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" - تكرار العبارة لتأكيد غفلة النظام

نفس العبارة وردت في الآية السابقة) "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ". (هنا تعود لتؤكد أن آل فرعون وفرعون وهامان وحاشيتهم لا يشعرون بهذه الفتاة الصغيرة التي تراقبهم. ولا يشعرون أن هذه الفتاة هي جاسوسة من بني إسرائيل. ولا يشعرون أن هذا الطفل هو عدوه. غفلتهم مطبقة.

الفارق: هناك قال "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" عن كون الطفل سيكون عدواً، وهنا عن كون الفتاة تراقبهم. غفلتان في وقت واحد.

ثانياً: المفاهيم المركزية في الآيتين) الأساس الذي يقوم عليه التدبير النفسي والإلهي)

المفهوم الأول: "القلب الفارغ" - أعماق حالات الحزن البشري

ليس كل حزن يصل إلى درجة "فارغاً". هذا فراغ وجودي، فراغ المعنى. عندما تفقد ما كان يشغل قلبك بالكامل، يصبح القلب فارغاً. هذه الحالة يعرفها كل من فقد عزيزاً، أو فشل في مشروع عمره. لكن أم موسى كانت في حالة خاصة: لا تعرف هل ابنها حي أم ميت. التعليق بين الحياة والموت هو أشد أنواع العذاب النفسي.

المفهوم الثاني: "الربط على القلب" - التثبيت الإلهي في لحظة الهاوية

هذا المفهوم هو هدية الآية الكبرى للمؤمنين. يعني أن الله قد يتدخل مباشرة ليثبت قلوب عباده في أصعب اللحظات. لا يتركهم وحدهم مع انهيارهم. "ربطنا على قلبها" هي عملية إنقاذ نفسي من الله. كل مؤمن يمر بلحظة يوشك فيها على الانهيار، ثم يشعر فجأة بتماسك غريب، هذا هو "الربط".

المفهوم الثالث: "لتكون من المؤمنين" - الإيمان درجات والابتلاء يصعد بها

أم موسى كانت مؤمنة، لكن الله أراد لها مقاماً أعلى. الابتلاء العظيم كان فرصة للترقية الإيمانية. ليس كل مؤمن يصل إلى درجة "الربط على القلب". هذه درجة خاصة لمن ابتلوا بلاءً عظيماً فصبروا. وهذا يعلمنا ألا نكره الابتلاء، فهو طريق الرفع.

المفهوم الرابع: "القصص" - الذكاء العملي في خدمة الأمل

بعد التثبيت الإلهي، لم تجلس أم موسى تبكي، بل تحركت بحكمة. أرسلت ابنتها لتقص خبر ابنها. هذا يعلم أن الإيمان لا يعني السلبية. الصبر ليس استسلاماً، بل هو عمل ذكي مع تسليم القلب لله. "قصيه" هي خطة عملية لمعرفة مصير الغائب.

المفهوم الخامس: "بصرت به عن جنب" - الرقابة الشعبية على الطغاة

الفتاة الصغيرة استطاعت أن تراقب أعتى نظام في الأرض دون أن يشعروا. هذا يعلم أن الطغاة ليسوا بقوة لا تقهر. عيون الشعب الصغيرة تستطيع أن تخرق جدران القصور. الرقابة الشعبية هي سلاح المستضعفين.

ثالثاً: الدلالات النفسية والعقلية - كيف تشفى هاتان الآيتان جراحك؟

1. علاج لشعور "القلب الفارغ"

هل شعرت يوماً أن قلبك فارغ؟ بعد فقدان شخص عزيز، أو بعد فشل كبير، أو بعد خيبة أمل. هذه الآلية تخبرك أن هذا الفراغ معروف لدى الله، بل هو حالة إنسانية طبيعية. أم موسى، وهي أم نبي، مرت به. الفراغ ليس كفرًا ولا ضعفًا، هو ألم حقيقي. المهم أن الله لم يتركها فيه، بل ربط على قلبها.

2. مفهوم "كادت تبدي" - خطر الانهيار في لحظات الضعف

"كادت تبدي" تعني أن أم موسى كانت على حافة الهاوية. لولا تدخل الله لانهارت. هذا يريحك: الضعف ليس عيبًا. قد تكون قريباً جداً من الانهيار، وهذا طبيعي. لكن الله يراك، وقد يرسل لك ربطة على قلبك في آخر لحظة. لا تيأس من نفسك إن شعرت أنك تكاد تنهار.

3. "الربط على القلب" كتقنية نفسية إلهية

علماء النفس اليوم يتحدثون عن "آليات التأقلم" في مواجهة الصدمات. هذه الآلية تخبرك أن أقوى آلية هي من الله. "الربط" هو أن تشعر فجأة أن هناك قوة تمسكك من الداخل، لا تعرف مصدرها، لكنها تمنعك من السقوط. هذا هو الإيمان العملي. يمكنك أن تدعو به: "يا رب اربط على قلبي".

4. من "الفراغ" إلى "القصص" - تحويل الألم إلى فعل

أم موسى لم تبق في الفراغ، بل انتقلت إلى الفعل (قصيه). (هذا درس في العلاج السلوكي: عندما تصاب بصدمة، لا تغرق في الشعور فقط، بل ابحث عن فعل ولو صغير يمكنك القيام به. إرسال أخت لمراقبة الطفل كان فعلاً صغيراً لكنه غير مجرى التاريخ.

5. "بصرت به عن جنب" - أهمية الصبر الاستراتيجي في المراقبة

الأخت الصغيرة لم تقتحم القصر، لم تصرخ، لم تفعل شيئاً متهوراً. نظرت من بعيد، في خفاء. هذا يعلمك الصبر في جمع المعلومات. في أي أزمة، لا تتعجل، لا تفضح أمرك. راقب، اجمع معلومات، ثم تحرك بحكمة.

6. "وهم لا يشعرون" - طمأنة أن الطغاة غافلون

عندما ترى قوة الطغاة وتعقيد أجهزتهم، قد تخاف أنهم يرون كل شيء. هذه الآلية تطمئنك: هم لا يشعرون بالكثير مما يجري تحت أعينهم. هناك ثغرات في نظامهم. العيون الصغيرة يمكن أن تخترق حصونهم. لا تخف من عظمة أجهزتهم، فهي معماة بغطرستهم.

رابعاً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هاتان الآيتان مني؟

الرسائل الأساسية:

1. الله يعرف ما في قلبك: "أصبح فؤاد أم موسى فارغاً" - الله يصف مشاعرك قبل أن تشعر بها. لا تخف من أن تظهر ضعفك أمامه، فهو الذي ربط على قلبها.

2. الانهيار ليس نهاية الطريق: "كادت تبدي" لكنها لم تبد. أنت قد تكاد تسقط، لكن الله قد يمسك بك في اللحظة الأخيرة.

3. الإيمان ليس غياب الخوف، بل وجود الربط: الفرق بين المؤمن وغيره ليس أنه لا يخاف، بل أن الله يربط على قلبه فيخاف ويستمر.

4. الابتلاء طريق الرفع: "لتكون من المؤمنين" - الله ابتلاها ليرفع مقامها. لا تنظر للابتلاء كعقاب، بل كفرصة لترقية إيمانية.

5. لا تستهن بالأعمال الصغيرة: فتاة صغيرة قصت خبر موسى فغيرت التاريخ. عملك الصغير قد يكون مفتاح النصر.

ما الذي نتعلمه من الآيتين؟

. تعلم أن تعترف بالملك: لا تقل "أنا بخير" وأنت مفطر. أم موسى كانت فارغة، والله ذكر ذلك بكل وضوح. الصدق مع النفس والمشاعر هو بداية العلاج.
. تعلم أن تطلب "الربط" من الله: ادعُ بهذا الدعاء: "يا رب اربط على قلبي، فإنه يكاد ينفطر".
. تعلم ألا تباأس من نفسك: حتى أم موسى كادت تفصح الأمر لو كنت في لحظة ضعف شديد، فتذكر أن الأنبياء وأمهاتهم مروا بمثل ما تمر.
. تعلم أن تكون ذكياً في مواجهة الأعداء: "قصيه من بعيد" - لا تواجه الطغاة بتهور، بل بالحكمة و الصبر والتخطيط.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

. في لحظات الفقد: عندما تفقد عزيزاً، وتشعر أن قلبك فارغ، لا تقاوم الشعور. اعترف به، ثم قل: "الله م اربط على قلبي كما ربطت على قلب أم موسى". هذا الدعاء سيمنحك قوة غريبة.
. في أزمات العمل أو الدراسة: قد تفشل في امتحان أو مشروع، وتشعر أنك "فارغ". تذكر: الفراغ مؤقت، والربط قادم. ابدأ بفعل صغير: اسأل، تتبع، خطط. لا تستسلم.
. في التربية: إذا كان ابنك يمر بأزمة) فقدان صديق، فشل دراسي)، لا تقل له "لا تحزن". علمه أن يحكي لك ما يشعر به. ثم ادعُ معه: "رب اربط على قلبه". وأرشده إلى فعل صغير يمكنه القيام به، مثل "قصي أثره" في مجاله.
. في مواجهة الأنظمة الظالمة: لا تحتقر دور المراقبة. أنت قد لا تستطيع مواجهة الطاغية مباشرة، لكن يمكنك أن "تبصري به عن جنب". كن عيناً على الظلم، وثق بأن الله سيجعل من هذه المراقبة سبباً في النصر.
. في العلاقات الأسرية: إذا كانت أمك أو أختك تمر بأزمة، كن أنت "أخت موسى". اسأل: كيف يمكنني مساعدتك؟ ماذا تريدان أن أقصّ لك؟ كن عوناً بعد الله.
خامساً : كيف يعيش المسلم بهاتين الآيتين؟) دليل عملي وجداني)

1.تمرين "القلب الفارغ" - اعترف ثم تجاوز

خصص لحظة يومية لتفحص قلبك. إذا شعرت بفراغ، قل بصوت خافت: "الله، فؤادي فارغ، كما كان فؤاد أم موسى فارغاً. فاربط عليه". هذا التمرين يمنع تراكم الألم.

2.تذكر أن "كادت" لا تعني "فعلت"

عندما تشعر أنك على وشك الانهيار، أو على وشك أن تقول كلمة تندم عليها، أو تفعل فعلاً متهوراً، تذكر: "أم موسى كادت تبدي، لكنها لم تبد". أنت أقوى من أن تنهار، وربك يمسك يدك.

3.اسأل نفسك: من هي "أخت موسى" في حياتي؟

في أزمعتك، من هو الشخص الذي يمكنه أن يذهب ويقص لك الخبر؟ من تثق به ليكون عينك؟ حدد شخصاً واحداً. وفي المقابل، كن أنت "أخت موسى" لشخص آخر يحتاج عوناً.

4.تدرب على "البصر عن جنب"

في أي موقف صعب، لا تنفعل. تعلم أن تنظر من بعيد، تجمع معلومات، لا تظهر مشاعرك. هذه مهارة حياتية مهمة. "بصرت به عن جنب" تعني الذكاء العاطفي وضبط النفس.

5اجعل من "الربط على القلب" وردياً يومياً

أضف هذا الدعاء إلى أذكارك: "الله م اربط على قلبي، وثبت فؤادي، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين". هذا الدعاء مستجاب بإذن الله.

سادساً خصوصيات الآيتين: ما يميزهما عن غيرهما

الخصوصية الأولى: أعرق وصف نفسي في القرآن

"أَصْبَحَ فَوْادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا" ربما تكون من أعرق الجمل النفسية في القرآن. فهي تصف حالة نادرة من الحزن تجاوزت البكاء والنحيب إلى الفراغ المطلق. هذا المستوى من التشريح النفسي لا يوجد في أي كتاب آخر.

الخصوصية الثانية: "لولا أن ربطنا" - استثناء إلهي يحفظ التوازن

الجملة الشرطية "لولا" هنا تظهر حدود قدرة الإنسان. أم موسى كانت على وشك الانهيار، ولم يمنعها من الانهيار إلا تدخل إلهي مباشر. هذا يعلمنا أننا لا نستطيع الصبر بقوانا فقط، بل بعون الله. هذا تواضع إيماني عميق.

الخصوصية الثالثة: دور الطفلة) أخت موسى (كبلة صامتة

في قصة موسى، هناك ثلاث نساء أساسيات: أم موسى، وأخت موسى، وآسية. لكن الأخت هي الأقل ذكراً، لكن دورها كان حاسماً: هي التي ربطت بين الأم والطفل. بدونها، ما كانت أم موسى لتعلم مصير ابنها. هذا يظهر أن الأدوار الصغيرة تصنع الفارق.

الخصوصية الرابعة: التوازي بين "لا يشعرون" في الآيتين 9 و 11

في الآية 9: "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" أن الطفل سيكون عدواً. (وفي الآية 11: "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ") أن الأخت تراقبهم. (تكرار الجملة يؤكد أن غفلة الطغاة شاملة: لا يشعرون بالخطر القادم ولا يشعرون بالمراقبة الحاضرة. هذا ضعف مزدوج.

الخصوصية الخامسة: من "الفراغ" إلى "القصص" - قفزة نوعية في الحدث

هذه القفزة من أعماق حالات السلبية) القلب الفارغ (إلى أول حالة فعلية إيجابية) قصيه (تحدث في أقل من آية. هذا يعلم أن التغيير يمكن أن يكون سريعاً إذا أراد الله. لا تيأس إن كنت في قاع الحزن الآن، فربما بعد دقائق تكون في قمة النشاط. خاتمة وجدانية: أنت أم موسى، وأنت الأخت، والربط قادم

توقف الآن. تخيل نفسك مكان أم موسى. ألقيت طفلك في النهر، رأيته يختفي بين الأمواج، ثم عدت إلى بيتك الفارغ. تلقي نظرة على سريرته، على ملابسه، على المكان الذي كان يرضع فيه. كل شيء يذكرك به. قلبك ينبض، تشعرين أنك ستصرخين، ستخبرين الجيران، ستقولين "هذا طفلي، أين هو؟".

لكن فجأة، تشعرين بيد خفيفة على قلبك. ليست يداً بشرية، بل يد الربط الإلهي. كأن الله يضغط على صدرك برفق ويقول: "اهدي، أنا هنا، أنا معك، ستردينه إليك". هذا الشعور هو الذي يمنعك من الا نهيار. هذا الشعور هو "لولا أن ربطنا".

ثم تتحركون. لا تجلسون مكتوفي الأيدي. تطلبين من ابنتك الصغيرة أن تخرج، أن تذهب إلى النهر، أن تراقب من بعيد. تعود إليك بخبر: "إنه في قصر فرعون، وامرأة فرعون تحضنه، وهم لا يشعرون أني رأيتهم".

هذه الآيات تقول لك شخصياً: لا تيأس من فراغ قلبك. الفراغ هو بداية الملء. بعد الفراغ يأتي الربط ، بعد الربط يأتي القصص، بعد القصص يأتي اللقاء) الآيات القادمة (هذا تسلسل إلهي دقيق.

إذا كنت اليوم تمر بقلب فارغ - بسبب فراق، أو فشل، أو خوف، أو حيرة - فاعلم أن هذه الآية نزلت لأجلك. أنت لست وحدك. الله يرى فراغك، وهو بصد أن يربط على قلبك. ثم سيلهمك فعلاً صغيراً ذكياً، مثل "قصيه"، ثم ستري النتيجة.

لا تستعجل. الفراغ مؤلم، لكنه مؤقت. الربط قادم. والأخت الصغيرة ستتحرك. واللقاء سيحدث. فقط اثبت، وانتظر وعد الله.

اللهم إن كانت قلوبنا فارغة، فاربط عليها. وإن كنا نكاد نبدى بأسرارنا، فامنعنا بلطفك. واجعل لنا من إخواننا وأخواتنا من يقصون لنا أخبار الخير، ويبصرون لنا من حيث لا نشعر. إنك على كل شيء قدير.

المبحث الرابع

تفسير الآيتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من سورة القصص
(وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13))

هذه هي لحظة الفرج الكبرى بعد الشدة العظمى. بعد أن أصبح فؤاد أم موسى فارغاً، وكادت تفضح أمرها، ثم أرسلت أختها تراقب، تأتي الآن ذروة التدبير الإلهي الذي يعيد الطفل إلى أمه، وبأجر كريم، وكان الله يمسح دموعها ويقول: "ألم أقل لك إنا رادوه إليك؟". الآيتان تحملان أعلى درجات اللطف الإلهي، وأروع صور المكافأة على الصبر، وأعمق الدروس في إدارة الأزمات. دعنا نعيش هذا المشهد الذي يليق برحمة الله.

اولاً : اللمسات البيانية والبلاغية - عندما يصبح الحرمان نعمة والرد فرحاً

1. "وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلَ" - منع إلهي بحكمة بالغة

"حَرَمْنَا" أي منعنا منعاً مطلقاً. "الْمَرَاضِعَ" جمع مرضع، أي النساء اللاتي يرضعن الأطفال. والمعنى: أن الله جعل موسى يرفض ثدي أي مرضعة تأتي به آل فرعون لإرضاعه، قبل وصول أخته. "من قبل" أي من قبل مجيء أخت موسى أو من قبل رده إلى أمه.

اللمسة البيانية العظيمة: لماذا حرم الله عليه المراضع؟ لأنه لو ارتضع من أي امرأة غير أمه، لصار له ولاء لها، ولتعددت عملية رده إلى أمه. هذا الحرمان الإلهي هو تمهيد لعودة الطفل إلى أمه بشكل طبيعي، وكأنه يقول: "لا حل إلا أمه".

هذا من ألطف التدابير: جعل الطفل يرفض كل ثدي، فيبحث عن امرأة من بني إسرائيل، فتأتي أخته وتقول: "هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟". ثم تأتي الأم، ويرتضع منها فوراً، دون أن يشك أحد أنها أمه الحقيقية. الحرمان كان مقدمة للوصال.

2. "فَقَالَتْ" - أخت موسى تأخذ المبادرة في الوقت المناسب

بعد أن رأت أخت موسى أن الطفل يرفض كل المرضعات، وفي لحظة حيرة آل فرعون، تقدمت بذكاء. لم تقل "هذه أمه" بل قالت "أهل بيت يكفلونه". هذا حكمة في التعبير، وأسلوب غير مباشر يحقق الهدف دون إثارة الشكوك.

3. "هَلْ أَدْلكُمْ" - عرض المساعدة بصيغة الاستفهام

صيغة الاستفهام تجعلها تبدو وكأنها تريد مساعدتهم، لا أنها تأتي بمخطط. "أدلكم" أي أوصلكم إلى من يستطيع إرضاعه. هذا أسلوب دبلوماسي ماهر، يخفي الهدف الحقيقي وراء غطاء النصيحة.

4. "عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ" - الكفالة بدل الأمومة

"يَكْفُلُونَهُ" أي يقومون برعايته وإرضاعه. هذا الأسلوب يجعلهم يظنون أنها تقترح أسرة متخصصة في الكفالة، وليست أمه. كلمة "أهل بيت" توحى بالاستقرار والثقة.

5. "وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ" - الضمانة التي أزالته آخر شك

"ناصحون" من النصيحة، وهو خالص الود والرغبة في الخير. هذه الصفة جعلت آل فرعون يطمئنون. من سيكون أنصح للطفل من أمه؟ لكنهم لم يعلموا. هذا من بلاغة القرآن في تصوير الحوار الذكي.

6. "فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ" - الرد بعد الفقد، أعظم أنواع العطاء

"فَرَدَدْنَاهُ" أي أعدهناه إليها بعد أن كان قد فقد. الفعل "رددنا" يدل على أن الأصل كان عندها ثم ذهب ثم عاد. كلمة "إلى أمه" تحمل فرحة لا توصف. تخيل مشهد الأم عندما رأت ابنها يعود إليها بعد أن أيقنت أنه مات أو ضاع إلى الأبد. هذا هو الفرج بعد الضيق.

7. "كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا" - غاية الرد: راحة العين

"تَقَرَّ عَيْنُهَا" من القرار، وهو استقرار العين وعدم التطلع إلى غيره. عندما ترى الأم طفلها، تستقر عينها، فلا تدمع من الخوف، ولا تبحث عنه في كل مكان. قرة العين هي أعلى درجات السعادة. وهي مقابل ما أصابها من "فؤاد فارغ".

8. "وَلَا تَحْزَنْ" - نفي الحزن بعد أن كان حاضراً

النهي عن الحزن هنا بمعنى أنه لن يحصل بعد اليوم .الله لم يقل "لا تحزني" فقط في الماضي، بل هو يخبر أن الرد سيؤدي إلى زوال الحزن نهائياً .فالحزن كان على الفراق، والآن زال باللقاء.

9."وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ" - أعلى غاية: الوصول إلى اليقين

هذه هي الغاية العظمى .ليس الرد فقط لترتاح عينها، بل لتعلم علماً يقينياً أن وعد الله حق .عندما رأت الرد بعينها، انتقل إيمانها من علم الغيب إلى علم العيان .صارَت تعلم أن الله لا يخلف وعده.

. اللمة البلاغية: ترتيب الغايات: أولاً "قرة العين) الحاجة النفسية المباشرة(، ثم نفي الحزن) إزالة الألم الماضي(، ثم العلم بوعد الله) الارتقاء الإيماني .(هذا ترتيب يليق بالفطرة: تلبية الحاجة، ثم معالجة الألم، ثم البناء المعرفي.

10."وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" - استثناء بشري عام

"أَكْثَرَهُمْ" .يحتمل أن تعود على آل فرعون، أي أن أكثرهم لا يعلمون حقيقة تدبير الله .ويحتمل أن تعود على الناس عامة، أي أن أكثر الناس لا يعلمون أن وعود الله حق حتى يرونها بأعينهم .أما المؤمنون فهم يعلمون قبل الرؤية.

ثانياً : المفاهيم المركزية في الآيتين) الأساس الذي يقوم عليه الفرج الإلهي)

المفهوم الأول: "الحرمان" كتمهيد للفرج

من أعمق المفاهيم: أن الله قد يحرمك شيئاً ليردك إليه بأفضل حال .لو أن موسى ارتضع من أي مرضعة، لما عاد إلى أمه .الحرمان كان رحمة في ثياب قسوة .كثير من الحرمان في حياتنا هو تمهيد لعطاء أعظم .فكر في وظيفة لم تأت، أو علاقة لم تكتمل، قد يكون الحرمان تمهيداً لما هو خير.

المفهوم الثاني: النصح كغطاء للحق) الحكمة في التعبير)

أخت موسى قالت "وهم له ناصحون"، وهذا حق، فالأم أشد الناس نصحاً لولدها .لكنها أخفت حقيقة أنهم أهله .هذا يعلم جواز التورية بالحق لحماية الضروريات .ليس كذباً، بل إظهار جانب من الحقيقة وإخفاء جانب آخر لدفع ضرر أكبر .هذا من فقه الأولويات.

المفهوم الثالث: الرد إلى الأم - عودة المفقود أعظم هدية

"فَرَدَّ نَاهُ إِلَى أُمِّهِ" هي صورة مصغرة لكل فرج بعد ضيق .أي شخص فقد شيئاً عزيزاً ثم عاد إليه، يشعر بهذه الآية .المرضى الذين يشفون، المسافرين الذين يعودون، الأحلام التي تتحقق بعد موتها .الرد هو جوهر الفرج.

المفهوم الرابع: قرة العين - تعريف السعادة الحقيقية

السعادة ليست في جمع المال، بل في أن تقر عينك بمن تحب .قرة العين هي أن ترى من تحب بخير، وتستقر نفسك .هذه الآية تضع مقياساً جديداً للسعادة مرتبطاً بالعلاقات لا بالامتلاكات.

المفهوم الخامس: "لتعلم أن وعد الله حق" - من الإيمان الغيبي إلى الإيمان العياني

المؤمن يصدق وعد الله قبل أن يراه .لكن الله يريد أن ينتقل بعباده من مرحلة التصديق إلى مرحلة المشاهدة القلبية .عندما يتحقق الوعد، يرتفع الإيمان درجة .وهذا يشجع على الصبر: كل وعد تأخر تحقيقه، سيأتي يوماً وتقول: "لقد علمت أن وعد الله حق".

المفهوم السادس: "أكثرهم لا يعلمون" - عزاء للمؤمنين

هذه الجملة تخاطب المؤمن: لا تنتظر أن يفهم الناس حكم الله .أكثرهم لا يعلمون .قد يرون تدبير الله لك ويسخرون، وهم لا يعلمون .هذا يريحك من حاجة استفهام الناس وتصديقهم .يكفي أن تعلم أنت.

ثالثاً : الدلالات النفسية والعقلية - كيف تشفي هاتان الآيتان روحك وعقلك؟

1. علاج لصدمة "الفقد المؤقت"

فقدان عزيز - ولو مؤقتاً - من أشد الصدمات. أم موسى مرت بهذه الصدمة. الآية تقدم نموذجاً للتعافي: بعد الفقد يأتي الرد، بعد الفراغ يأتي الامتلاء. إذا كنت تمر بفقد شخص، وظيفة، حلم، تذكر أن الله قد يردّه إليك بطريقة لا تتوقعها، كما رد موسى إلى أمه.

2. مفهوم "التحريم الإلهي" كحماية غير مباشرة

عقلك قد يحبط عندما ترفض أمراً تريده. لكن "حرماننا عليه المراضع" علمك أن الرفض الإلهي قد يكون حماية. لو قبل موسى أي مرضعة، لانقطع عن أمه. الرفض كان خيراً. كل رفض تواجهه في حياتك قد يكون تمهيداً لما هو أفضل. هذا يغير نظرتك للفشل والإقصاء.

3. الذكاء العاطفي لأخت موسى) نموذج للتفاوض)

أخت موسى كانت طفلة أو يافعة، لكنها أظهرت ذكاءً عاطفياً واجتماعياً فائقاً:

- راقبت الموقف أولاً) بصرت به عن جنب).
- انتظرت اللحظة المناسبة) عندما تحيروا من رفض الطفل للمراضع).
- استخدمت لغة العرض المساعد) "هل أدلكم".
- قدمت ضماناً) "ناصحون".
- أخفت الحقيقة دون أن تكذب) قالت "أهل بيت" وليس "أمه".

هذا نموذج عملي في مهارات التفاوض وحل المشكلات يمكن تطبيقه في العمل والعلاقات.

4. "قرة العين" كهدف علاجي

علم النفس الإيجابي يتحدث عن "السعادة الذاتية". الإسلام يقدم "قرة العين" كهدف أسمى. هي لحظة الامتلاء العاطفي عندما ترى من تحب. تخيل مشهد أم موسى عندما دخل عليها ابنها: دموع الفرح، العناق، الرضاع. هذا المشهد هو صورة الجنة في الدنيا. اجعل هدفك في الحياة أن تقر عينك بالله أولاً ، ثم بأهلك وأحبائك.

5. "لتعلم أن وعد الله حق" - إعادة برمجة اليقين

عقلك الباطن يحتاج إلى تجارب واقعية ليعزز الإيمان. كل مرة يتحقق فيها وعد الله في حياتك، يترسخ اليقين. هذه الآية تعلمك أن تتذكر أوقات تحقق الوعد، وتستخدمها كوقود لصبرك على الوعود المتأخرة. اكتب قائمة بوعود الله التي تحققت لك، وارجع إليها عند الضيق.

6. "أكثرهم لا يعلمون" - علاج للحاجة إلى مصادقة الآخرين

كثير من الناس يعانون من حاجة مرضية لتصديق الآخرين لهم. هذه الآية تريحك: لا تنتظر أن يفهمك الناس. أكثرهم لا يعلمون حقيقة تدبير الله لك، ولا حكمة أفعالك، ولا صدق وعود الله. يكفي أن تعلم أنت، ويكفي أن الله يعلم. رابعاً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هاتان الآيتان مني؟

الرسائل الأساسية:

1. الحرمان قد يكون عين العطاء: عندما تحرم من شيء، لا تيأس، فقد يكون الله قد حرملك إياه ليعطيك أفضل منه، أو ليعيده إليك في وقت أفضل.
2. استخدم الحكمة في التعبير: لا تفضح سرّك أمام الأعداء. تعلم من أخت موسى كيف تقول الحق دون أن تكشف كل شيء. التورية بالحق جائزة للضرورة.
3. لا تيأس من عودة الغائب: أي شخص أو حلم فقدته، باب عودته مفتوح بإذن الله. أم موسى استعادت ابنها، وأنت قد تستعيد ما فقدت.
4. اسع إلى قرة العين: اجعل هدفك في الحياة أن تقر عينك بطاعة الله، وبصلاح أهلك، وبتحقيق أهدافك النبيلة.
5. لتعلم اليقين من التجربة: كل مرة ينجح فيها مشروعك، أو تتحقق أمنيةك، قل: "هذا لتعلم أن وعد الله حق". استخدم هذه اللحظات لتقوية إيمانك.

ما الذي نتعلمه من الآيتين؟

- . تعلم أن الله يدبر لك من حيث لا تحتسب: حرم المراضع، وأرسل الأخت، وألهمها الكلام، وقبل آل فرعون النصيحة. كلها حلقات متصلة من التدبير.
- . تعلم ألا تستعجل النتيجة: الرد جاء بعد فترة من الحرمان والمراقبة. الصبر الاستراتيجي مفتاح الفرج.
- . تعلم أن تستخدم مواردك بذكاء: أخت موسى كانت المورد الوحيد المتاح، فاستخدمته أم موسى بأحسن صورة.
- . تعلم أن تشكر الله على الرد: بعد الفرج، لا تنس أن قرأ العين مصدرها الله، فثمد.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

- . في العلاقات الأسرية: إذا انقطع أحد أبنائك عنك) بسبب سفر أو خلاف)، لا تيأس. ادع الله أن يرده إليك. وابحث عن "أخت موسى" - شخص وسيط يمكنه أن يعيد التواصل بحكمة.
 - . في العمل: إذا رفضت في وظيفة أو مشروع، تذكر "حرمانا عليه المراضع". قد يكون الرفض تمهيداً لفرصة أفضل. لا تتذمر، بل انتظر وخطط.
 - . في الأزمات المالية: إذا خسرت مالا، تذكر أن الله قد يرده إليك بطريقة غير متوقعة) ميراث، هبة، فرصة جديدة. (وثق بأن الرد قادم.
 - . في الصحة: إذا مرضت أنت أو قريب، تذكر أن الله هو الشافي، وأن عودة الصحة هي "رد إلى الأم". ادع بقرة العين.
 - . في التربية: علم أبنائك قصة أخت موسى كنموذج للذكاء والحكمة. درّبهم على حل المشكلات بطريقة غير مباشرة، وعلى استخدام الكلام اللبق.
- خامسا** كيف يعيش المسلم بهاتين الآيتين؟ دليل عملي وجداني)

1. تمرين "تذكر الردود الإلهية"

كل ليلة قبل النوم، فكر في شيء كنت قد فقدته ثم عاد إليك. وظيفة رفضتها ثم حصلت على أفضل منها، شخص هجرك ثم عاد، صحة تعافيت منها. قل: "اللهم كما رددت موسى إلى أمه، فرد عليّ كل غال فقدته". هذا التمرين يعزز الأمل.

2. اجعل "هل أدلكم" منهجاً في الحياة

عندما ترى شخصاً في حيرة أو أزمة، لا تقدم له الحل مباشرة، بل اسأل: "هل أدلك على من يساعدك؟". كن كأخت موسى: وسيطاً ذكياً، لا متطفلاً. قدم الخير بأسلوب لبّ.

3. استشعار "قوة العين" في لحظات اللقاء

عندما ترى شخصاً تحبه بعد فراق) سفر، غياب)، توقف لحظة. اشعر بقرة العين. قل في نفسك: "هذه هي السعادة التي وعد الله بها أم موسى". اشكر الله عليها. هذا يعمق الامتنان.

4. استخدم "لتعلم أن وعد الله حق" كتأكيد يومي

عندما يتحقق لك شيء كنت ترجوه، اكتبه في مفكرة خاصة بعنوان "وعود الله التي تحققت". ارجع إليها عند الضيق. هذا بناء منهجي لليقين.

5. لا تغضب من "أكثرهم لا يعلمون"

إذا سخر منك الناس أو أنكروا حكمك أو صبرك، تذكر "أكثرهم لا يعلمون". لا تحاول إقناعهم بعنف. اتركهم لجهلهم، وتفرغ ليقينك أنت.

6. تلاوة الآيتين في أوقات الضيق

اجعل هاتين الآيتين ورداً لك عندما تمر بأزمة فقد أو حرمان. اقرأ "وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ" وتذكر أن حرمانك قد يكون تمهيداً. وقرأ "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ" وتأكد أن الرد قادم.

خصوصيات الآيتين: ما يميزهما عن غيرهما

الخصوصية الأولى: التدبير المتكامل) من التحريم إلى الرد)

هاتان الآيتان تريان كيف يعمل نظام التدبير الإلهي كاملاً: تحريم المراضع ← حيرة آل فرعون ← مبادرة الأخت ← قبول النصيحة ← الرد إلى الأم ← قرة العين ← العلم بوعده الله. هذا تسلسل محكم لا يحدث صدفة. إنه منهج في إدارة الأزمات من الأعلى.

الخصوصية الثانية: دور الطفل في رفض المراضع

الطفل (الرضيع) موسى (كان جزءاً من التدبير الإلهي رفضه للثدي كان فعلاً لا إرادياً لكنه كان سبباً في عودته إلى أمه. هذا يعلم أن حتى أفعالك اللاشعورية يمكن أن يسخرها الله لخيرك. لا تستصغر شيئاً.

الخصوصية الثالثة: الأخت كبطلة ذكية صامته

أخت موسى شخصية ثانوية لكن دورها محوري. لم يذكر اسمها في القرآن، لكن حكمتها خالدة. هذا يعني أن الأدوار العظيمة قد يقوم بها أناس لا يعرفهم التاريخ. يكفي أن الله يعرفهم.

الخصوصية الرابعة: "كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَتَلَذَّذْ" - هدفان نفسيان متكاملان

قرة العين تدفع إلى الأمام) فرح بالمستقبل)، ونفي الحزن يعالج الماضي. معاً يصنعان صحة نفسية كاملة. الآية تجمع بين العلاج والبناء، وهذا فريد.

الخصوصية الخامسة: العلم بعد الرد - الإيمان يتطور

الآية تظهر أن العلم بالله يتطور: علم قبل الرد) إيمان بالغيب (وعلم بعد الرد) إيمان بالمشاهدة). المؤمن يمر بمراحل، وهذا طبيعي. لا تيأس إذا كان إيمانك في البداية ضعيفاً، فسيزداد مع كل "رد إلهي". خاتمة وجدانية: أنت أم موسى، والرد قادم

توقف الآن. تخيل نفسك في بيت أم موسى. القلب فارغ، الدموع جافة، الألم مكتوم. ثم تسمع طرقة على الباب. تفتح فإذا بأخت موسى، ووراءها امرأة من آل فرعون تحمل طفلاً. ترمي المرأة الطفل بين يدي أم موسى وتقول: "هذا ابنك، أرضعيه". تنظرين إليه، قلبي يكاد يتوقف. إنه هو. نفس العيون، نفس اليدين الصغيرتين. تضعينه على صدرك، يرضع فوراً، كأنه لم يرضع من غيرك قط.

في تلك اللحظة، لا تشعرين بالفرح فقط. تشعرين بشيء أعمق: اليقين. يقين أن الله كان معك، وأنه لم يتركك، وأنه أوفى بوعده. تهمسين في أذن الطفل: "علمت أن وعد الله حق".

هذه الآيات تقول لك شخصياً: أنت في مرحلة ما من هذه القصة. قد تكون في مرحلة "القلب الفارغ". أو في مرحلة "أرسلت الأخت تراقب". أو في مرحلة "حرمنا عليه المراضع". لكن الأكيد أنك ستصل إلى مرحلة "فرددناه إلى أمه". الرد قادم. قرة العين قادمة. الحزن سيذهب. والعلم سيزداد.

لا تيأس إذا تأخر الرد. فكل تأخير له حكمة. لو رد موسى إلى أمه فور إلقائه، لما كان هناك درس في الصبر، ولما كان هناك أجر للربط على القلب، ولما كانت هناك حكمة الأخت. الوقت المناسب هو وقت الله.

أنت لست وحدك في فراغك. والله ليس غائباً عن أملك. وهو الذي حرم المراضع ليردك إلى ضالتك. فثق به، وانتظر، وسترى.

القسم الثاني
المبحث الأول

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

هذه الآية هي لحظة النضج والاكتمال في حياة موسى عليه السلام. بعد أن رأينا رحلته منذ ولادته وسط الخوف، وإلقائه في اليم، والتقاط آل فرعون له، ورده إلى أمه، وتربيته في قصر العدو... نصل

الآن إلى مرحلة الرجولة والاكتمال. إنها اللحظة التي يتحول فيها الطفل الرضيع إلى رجل كامل الأهلية، يستعد لاستلام الرسالة ومواجهة الطاغية. الآية تحمل بشري لكل من يسعى إلى التكامل: أن الله يؤتي الحكم والعلم لمن أحسن. دعنا نعيش هذه المحطة الفارقة.

أولاً : اللمسات البيانية والبلاغية - عندما تصبح الكلمات مراحل عمرية

1. "ولمّا" - أداة تنتظر الحدث

"ولمّا" ظرفية تفيد الترقب والحال المنتظرة. كأن الآية تقول: "انتظروا حتى يبلغ أشده ويستوي، فهناك سيحدث شيء عظيم". هذه الأداة تخلق توتراً قصصياً جميلاً، وتجعل القارئ متلهفاً لمعرفة ماذا سيحدث بعد هذا البلوغ.

2. "بلغ أشده" - قمة القوة الجسدية والعقلية

"أشده" جمع "شد"، وهو من الشدة والقوة. والمراد به أقصى مرحلة من القوة والاكتمال الجسدي والعقلي. اختلف المفسرون في سنه، فقليل ثلاثون سنة، وقليل ثلاث وثلاثون، وقليل أربعون. المهم أنه بلغ الكمال الذي يجعله أهلاً لتلقي التكليف.

اللمسة البيانية: كلمة "أشد" فيها معنى القوة والصلابة. لم يقل "بلغ شبابه" أو "كبر"، بل "أشده" أي بلغ أقصى قوته. هذا يشير إلى أن الله يؤتي الحكم والعلم لمن اكتملت أدواته الفيزيائية والعقلية.

3. "واستوى" - الاعتدال والاستقرار بعد النمو

"استوى" من الاستواء، وهو الاعتدال والاستقامة بعد النمو. الفرق بين بلوغ الأشد والاستواء: أن الأول يشير إلى تمام القوة، والثاني إلى اعتدال الخلق والعقل والرأي. الشباب قد يبلغ أشده لكنه قد يكون متهوراً، أما الاستواء فهو استقرار العقل والنضج الانفعالي. جمع الله لموسى بين القوة والحكمة.

4. "آتيناهُ حكماً وعلماً" - العطاء الإلهي بعد الأهلية

"آتيناهُ" من الإيتاء، أي أعطيناه. هذا العطاء بعد أن بلغ واستوى، أي أن الله أعطاه ما يحتاج ليكون نبياً ورسولاً (الحكم) الفقه في الدين، والقدرة على الفصل بين الحق والباطل، واتخاذ القرارات الصائبة (والعلم) المعرفة بالله وشرعه وبالكون. (ليس علماً نظرياً فقط، بل علماً مقروناً بالحكمة).

الترتيب: قدم "حكماً" على "علماً" لأن الحكم هو ثمرة العلم النافع. قد يكون الإنسان عالماً لكنه لا يحكم بالحق، فأعطاه الله الحكم أي القدرة على التطبيق السديد.

5. "وكذلك تجزي المحسنين" - سنة إلهية عامة

الكاف في "وكذلك" للتشبيه، أي مثل هذا الجزاء العظيم (إيتاء الحكم والعلم) نجزي المحسنين. "المحسنين" هم الذين أحسنوا في عبادة الله وفي معاملة الخلق. الآية تعلن قانوناً كونياً: من أحسن، أتاه الله الحكم والعلم. هذا يشمل كل محسن، وليس موسى فقط.

اللمسة البلاغية: الانتقال من الغائب (آتيناه) إلى المتكلم "تجزي" لتعميم السنة الإلهية. كأن الله يقول: "هذه طريقتنا مع كل محسن، فلتتعلموا".

ثانياً: المفاهيم المركزية في الآية (الأساس الذي يقوم عليه التكامل الإنساني)

المفهوم الأول: النضج شرط للتكليف العظيم

الآية تؤسس لمبدأ: لا يؤتي الحكم والعلم لمن لم ينضج. موسى لم يتلق الرسالة وهو طفل، بل بلغ أشده واستوى. هذا يعلم الصبر على طلب العلم، وأن التدرج سنة إلهية. لا تستعجل النتائج، فالنضج يحتاج وقتاً وجهداً وتجارباً.

المفهوم الثاني: "الحكم والعلم" - ثنائية المعرفة والتطبيق

العلم بلا حكم يؤدي إلى الفوضى، والحكم بلا علم يؤدي إلى الجور. الله جمع لموسى بينهما: أعطاه علماً يستنير به، وحكماً يطبقه على الواقع. هذا هو الإيمان المتكامل الذي ينتج حضارة. من يطلب العلم لذاته فقط قد يضل، ومن يريد الحكم دون علم قد يظلم.

المفهوم الثالث: الجزاء على الإحسان وليس فقط على الإيمان

"نجزي المُحسنين" - الجزاء هنا على الإحسان، وهو مرتبة أعلى من الإيمان والإسلام. الإحسان هو "أن تعبد الله كأنك تراه". المحسن هو من يبذل الخير ويتقن العمل ويخلص في النية. الآية تبشر: كل من أتقن عمله وأخلص فيه لله، سينال حكماً وعلماً من عنده.

المفهوم الرابع: التدرج في العطاء الإلهي

العطاء جاء بعد بلوغ الأشد والاستواء. هذا يعلم أن لله مواقيت لكل عطاء. قد تطلب العلم والحكمة، فتأتيك بعد جهد ونضج. لا تمل من الطلب، فالوقت المناسب سيحين.

المفهوم الخامس: "كذلك نجزي المحسنين" - قانون مفتوح لكل زمان

الآية ليست خبراً عن ماضٍ فقط، بل هي وعد حي لكل محسن في كل زمان. أي مؤمن يسعى إلى إحسان في دينه ودنياه، سيؤتيه الله حكماً وعلماً يناسبه. قد لا يكون كحكم موسى، لكن سيكون عطاءً إلهياً يرفع قدره.

ثالثاً الدلالات النفسية والعقلية - كيف تعيد هذه الآية برمجة نظرتك إلى النجاح والنضج؟

1. علاج لـ "متلازمة الاستعجال"

كثير من الشباب يريدون النجاح والمناصب والعلم بسرعة. هذه الآية تهدئ من روعهم: النضج يحتاج وقتاً. موسى تربى في قصر فرعون، ثم خرج وتربى في مدين، ثم جاءت النبوة بعد الأربعين تقريباً. لا تستعجل. كل مرحلة عمرية لها عطاؤها. البلوغ والاستواء يأتيان بعد جهد وصبر.

2. مفهوم "الاستواء" - التوازن النفسي والانفعالي

"استَوَى" تدل على الاعتدال العاطفي. الإنسان قد يكون قوياً جسدياً لكنه غير متوازن نفسياً، يغضب بسرعة، يندفع بلا ترو. الاستواء هو بلوغ مرحلة من الهدوء والقدرة على اتخاذ القرارات الرشيدة. علم النفس الحديث يؤكد أن النضج الانفعالي يتحقق في العقد الثالث أو الرابع من العمر. الآية تؤكد هذه الحقيقة.

3. "آتيناه حكماً وعلماً" - العلاقة بين الإحسان والذكاء

هل هناك علاقة بين الإحسان (الأخلاق) والذكاء (العلم والحكمة)؟ الآية تقول نعم. المحسن يفتح الله عليه من العلم والفهم. هذا يخالف النظرية القائلة إن الأخلاق لا علاقة لها بالنجاح المعرفي. بل الإحسان يهيئ العقل لتلقي الحكمة.

4. من الطفل إلى الرجل - قصة بناء الشخصية

الآية تقدم نموذجاً للانتقال من الطفولة المعتمدة إلى الرجولة المستقلة. موسى الذي كان رضيعاً في حضن أمه، أصبح رجلاً بلغ أشده واستوى. هذه هي رحلة كل إنسان. الآية تطمئن: هذه الرحلة لها نهاية سعيدة إذا أحسن الإنسان.

5. "نجزي المحسنين" - الدافع الذاتي للإتقان

عندما تعلم أن الله يجزي المحسنين بالحكم والعلم، فإنك تتحفز للإحسان في كل عمل. لا تعمل فقط من أجل المال أو الشهرة، بل من أجل الجزاء الإلهي الذي هو أعلى أنواع الجزاء: الحكمة والعلم النافع. هذا يحول العمل الروتيني إلى عبادة.

رابعاً الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هذه الآية مني شخصياً؟

الرسائل الأساسية:

1. لا تطلب العلم والحكم قبل أوانه: النضج شرط. إذا شعرت أنك لم تبلغ بعد "الأشد" أو "الاستواء"، فاعمل على تطوير نفسك أولاً، ولا تستعجل المناصب الفتاكة.

2. اجمع بين العلم والحكم: لا تكن عالماً دون حكمة تطبق بها علمك، ولا تكن حاكماً دون علم.

التوازن هو مفتاح النجاح.
3. الإحسان هو الطريق إلى العطاء الإلهي: أكثر من الإحسان في عبادتك، في عملك، في علاقاتك. الإحسان يفتح لك أبواب الحكمة والعلم.
4. سنة الله واحدة في الماضين والحاضرين: ما أعطاه الله لموسى من حكم وعلم، يمكن أن يعطيه لك إذا كنت من المحسنين. لا تحقر نفسك.

ما الذي نتعلمه من الآية؟

. تعلم الصبر على الطلب: موسى لم يأتِ العلم والحكم إلا بعد أن بلغ أشده واستوى. أي بعد سنين من التربية والتجربة.
. تعلم أن النجاح الحقيقي هو الحكم والعلم، وليس المال والجاه: الجزاء الأكبر من الله هو ما ينيّر عقلك ويقوّم قراراتك.
. تعلم أن الإحسان هو المفتاح: إذا أردت أن تكون من الذين يؤتون حكماً وعلماً، فابدأ بالإحسان في الصغير والكبير.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

. في الدراسة والتعلم: لا تيأس إذا لم تفهم موضوعاً بسرعة. النضج العلمي يأتي بالوقت والتكرار. استمر في التعلم، واجتهد في الإحسان فيه (الإخلاص، المذاكرة الجادة)، وسيؤتيك الله فهماً.
. في العمل: إذا كنت في بداية حياتك المهنية، لا تتوقع أن تصبح مديراً فوراً. اعمل على بلوغ "أشدك" المهنية، ثم "استو" في خبرتك. أحسن في عملك، وستؤتي حكماً مهنية ترفعك.
. في العلاقات: النضج العاطفي يحتاج وقتاً. لا تستعجل الزواج أو القرارات المصيرية قبل أن تستوي نفسك. اعمل على إحسان علاقاتك، وسيؤتيك الله حكماً في التعامل.
. في التربية: علم أبناءك أن القوة ليست عضلات فقط، بل "الأشد" يشمل العقل والجسد. وعلمهم أن "الاستواء" هو الهدوء والتوازن. وشجعهم على الإحسان في كل شيء.
خامساً: كيف يعيش المسلم بهذه الآية؟ (دليل عملي وجداني)

1. تمرين "مراجعة النضج"

كل عام، اجلس مع نفسك واسأل: هل بلغت أشدّي في مجال كذا؟ هل استويت فيه؟ ما الذي ينقصني؟ اعمل على سد الثغرات. هذه مراجعة سنوية تنمي الوعي الذاتي.

2. اجعل "الحكم والعلم" هدف حياتك

بدلاً من أن تجعل هدفك جمع المال أو السلطة، اجعل هدفك الأساسي أن يؤتيك الله حكماً وعلماً. ادعُ بذلك: "اللهم آتني حكماً وعلماً". عندما تطلب هذا من الله، يبارك لك في سعيك.

3. تدرب على الإحسان في كل فعل

قبل أي عمل، قل في نفسك: "سأحسن فيه". الإحسان معناه الإتقان والإخلاص. حتى في أصغر الأعمال (تنظيف المنزل، كتابة بريد إلكتروني)، أحسن. هذا يهيئك لاستقبال الحكم والعلم.

4. تذكر سنة "كذلك نجزي المحسنين"

عندما ترى شخصاً ناجحاً حكماً عالماً، لا تحسده، بل قل: "هذا من جزاء الله للمحسنين". واجتهد أن تكون من المحسنين. هذه النظرة تزيل الحسد وتحفز للعمل.

5. لا تيأس من تأخر العطاء

إذا كنت قد بلغت سنّاً متقدماً ولم ترَ بعد الحكم والعلم في حياتك، فتذكر أن موسى بلغ أشده واستوى قبل أن يؤتى الحكم والعلم. قد يكون عطاء الله بعد بلوغ الأشد بسنوات. استمر في الإحسان، فالجزاء آتٍ لا محالة.

6. علم الآخرين هذه السنة

انشر هذه الآية بين الشباب. قل لهم: "النضج مفتاح العطاء. لا تستعجلوا. أحسنوا، وسيؤتيكم الله حكماً

وعلمًا. كن داعية إلى الصبر والإحسان.
خصوصيات الآية: ما يميزها عن غيرها

الخصوصية الأولى: التركيز على مرحلة النضج قبل العطاء

هذه الآية فريدة في تركيزها على أن العطاء الإلهي الكبير (الحكم والعلم) يأتي بعد اكتمال الأدوات (الأشد والاستواء). في الآيات الأخرى، قد يُعطى الأنبياء وهم صغار (مثل يحيى أو عيسى)، لكن موسى نموذج للنبي الذي نضج أولاً.

الخصوصية الثانية: "الأشد" و"الاستواء" معاً

جمعت الآية بين مفهومين متكاملين: القوة (الأشد) والتوازن (الاستواء). هذا نادر في القرآن. إنه يضع معياراً للكمال الإنساني: أن تكون قوياً ومتوازناً في آن واحد.

الخصوصية الثالثة: "آتيناه" دون سؤال

لم يطلب موسى الحكم والعلم، بل آتاه الله إياهما فضلاً منه. هذا يعلم أن الله يعطي عباده الصالحين من غير سؤال، إذا تهيأوا لذلك بالإحسان.

الخصوصية الرابعة: ختم الآية بـ "المحسنين" لا "المؤمنين"

الختم بـ "المحسنين" يفتح الباب أوسع: الإحسان أعم من الإيمان. قد يكون هناك محسن غير مسلم، فيؤتيه الله حكماً وعلماً في الدنيا. لكن في الآخرة الإيمان شرط. هذا يشجع على الإحسان للجميع.

الخصوصية الخامسة: ربط القصة بالدرس العام

"وكذلك نجزي المحسنين" حوّلت القصة الخاصة بموسى إلى قاعدة عامة. هذه التقنية القرآنية تجعل القصص حية ومعاصرة لكل زمان. خاتمة وجدانية: أنت في مرحلة البلوغ والاستواء

توقف الآن. انظر إلى حياتك. كم عمرك؟ هل بلغت أشدك؟ هل استويت؟ ربما لا تزال في الطريق. لكن الآية تقول لك: لا تقلق، المراحل قادمة. كل جهد تبذله اليوم في الإحسان، وكل ساعة تقضيها في طلب العلم، وكل موقف تتعلم فيه الحكمة، هو بناء لأشدك واستوائك.

تخيل موسى في قصر فرعون، يتربى، يتعلم، يكبر. ثم يخرج إلى مدين، يعمل راعياً، يتزوج، يكتسب الخبرة. ثم في يوم من الأيام، بعد أن نضج جسده وعقله وروحه، جاءه النداء من عند الله: "آتيناه حكماً وعلماً". تلك كانت لحظة التحول.

أنت أيضاً قد تكون قريباً من لحظة التحول. قد لا تكون نبياً، لكنك ستؤتي حكماً وعلماً يناسب مهمتك في الحياة. فقط أحسن. أحسن في عملك، في بيتك، في مسجدك، في مجتمعك. أحسن في طاعة الله، وأحسن في معاملة خلقه. ثم انتظر عطاء الله.

لا تنس: "وكذلك نجزي المحسنين". هذه سنة الله التي لا تتغير. المحسنون في كل زمان ومكان ينالون من الله حكماً وعلماً يرفع بهما قدرهم. كن منهم.

المبحث الثاني

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَنَاقَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ﴾

هذه هي لحظة الانزلاق غير المقصود، اللحظة التي تغير فيها مجرى حياة موسى عليه السلام فجأة. بعد أن بلغ أشده واستوى، وآتاه الله حكماً وعلماً، دخل المدينة في توقيت بالغ الحساسية، فوجد مشهداً استفزازياً، فتدخل بنية حسنة لكن بنتيجة غير محمودة، فقتل رجلاً بالخطأ، ثم ندم واستغفر. الآية تحمل دروساً عميقة في إدارة الانفعالات، والتدخل في النزاعات، وكيفية التعامل مع الخطأ، وأهمية التوقيت، والفرق بين النية والنتيجة. دعنا نغوص في أعماق هذا المشهد الدرامي الإنساني العميق.

أولاً: اللمسات البيانية والبلاغية – عندما يكون التوقيت هو كل شيء

1. "وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ" - أي مدينة؟

المقصود مدينة من مدن مصر، وهي على الأرجح مدينة فرعون نفسه. كان موسى قد خرج من قصر فرعون وتربى فيه، ثم دخل المدينة في وقت لاحق بعد أن بلغ أشده. هذا الدخول هو دخول عادي، لكنه تحول إلى نقطة تحول.

2. "عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا" - سر التوقيت

هذا القيد هو مفتاح المشهد. "عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ" يعني في وقت لا يشعر فيه أهل المدينة، ولا ينتبهون لمن يدخل ويخرج. قد يكون وقت القيلولة، أو وقت متأخر من الليل، أو وقت انشغال الناس بأمورهم.

لماذا ورد هذا القيد هنا؟

• لم يذكر اتجاه الدخول ولا المكان: القرآن لا يهتم بالتفاصيل الجغرافية، بل يهتم بالدلالة النفسية و التربوية. المهم أن دخوله كان في وقت غفلة، وهذا يعلمنا أن الأقدار تأتي في أوقات غير متوقعة.
• ماذا يدل ذلك؟ يدل على أن موسى كان يريد أن يكون غير ملاحظ، ربما لتفادي أعين فرعون وجنده. فهو لا يزال يعيش في بيئة معادية، رغم نشوئه في القصر. هذا يعلم الحذر والوعي بالعدو.
• المراد بـ "غفلة من أهلها": أي أنهم كانوا ساهين، غير منتبهين لما يجري حولهم. وهذه الغفلة هي التي جعلت المشهد الذي يليه يحدث دون تدخل سريع من السلطات، وأيضاً جعلت موسى يتصرف بسرعة دون ترو.

اللمسة البلاغية: ذكر "عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ" يخلق جواً من الترقب والخطر، كأن السكون يسبق العاصفة. القارئ يشعر أن شيئاً ما سيحدث.

3. "فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ" - مشهد الصراع الأزلي

"يَقْتَتِلَانِ" مضارع يدل على الاستمرار في لحظة الدخول، أي كانا في حالة اشتباك عنيف. لم يقل "يتخاصمان" بل "يقتتلان"، أي يضربان ويقاتلان. المشهد حاد وخطير.

4. "هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ" - الانقسام الحاد

"شِيعَتِهِ" أي من قومه بني إسرائيل، الذين هم شيعة موسى وأتباع ملته. "عَدُوِّهِ" أي من قوم فرعون ، أعداء بني إسرائيل. هذا التقسيم يعيد إلى الأذهان الآية الرابعة حيث جعل فرعون أهلها شيعاً. الصراع مستمر بين المستضعفين والطغاة حتى على مستوى الأفراد.

5. "فَاسْتَقَاتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ" - طلب النجدة

الإسرائيلي طلب الغوث من موسى، لأنه رأى فيه القوة والنصرة. موسى كان معروفاً بقوته الجسدية ومكانته في قصر فرعون. الاستغاثة تعني أن الموقف كان حرجاً، وأن الإسرائيلي كان على وشك الهزيمة.

6. "فَوَكَزَهُ مُوسَى" - اللكزة التي قضت عليه

"وَكَزَهُ" أي ضربه بجمع كفيه أو بقبضة يده. واختلف هل كانت لكزة واحدة أم عدة لكمات. المهم أنها كانت لكزة قوية، لم يقصد بها القتل، لكنها أدت إليه. "فَقَضَى عَلَيْهِ" أي أنهى حياته. موسى لم ينوي القتل، بل أراد ردع الظالم، لكن القوة الزائدة والاندفاع أدبا إلى نتيجة مأساوية.

7. "قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" - اعتراف فوري بالخطأ

موسى لم يبرر فعله، ولم يقل "كان يستحق"، بل اعترف فوراً أن هذا العمل من عمل الشيطان. هذا يدل على نقاء سيرته وخوفه من الله. كان يعلم أن قتل النفس بغير حق كبيرة، حتى لو كان المقتول كافراً ظالماً.

8. "إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ" - وصف دقيق للشيطان

"عَدُوٌّ" أي لا يصدر منه إلا العداوة. "مُضِلٌّ" أي يضل الإنسان عن طريق الصواب. "مُيِّنٌ" أي واضح العداوة والإضلال. هذا التوصيف يعلم المؤمن ألا يلوم نفسه فقط، بل يعلم أن للشيطان دوراً في تسرعه.

ثانياً : المفاهيم المركزية في الآية (ما الذي تدور حوله؟)

المفهوم الأول: "على حين غفلة" - التوقيت وتأثيره على القرارات

أخطر القرارات تتخذ في أوقات الغفلة، عندما يكون الإنسان غير مستعد، أو عندما تكون الظروف غير مهيأة. موسى دخل المدينة في وقت غفلة، فوجد المشهد، فاندفع دون ترو. هذا يعلم أن التوقيت جزء من الحكمة. ربما لو دخل في وقت آخر، لوجد أعواناً يمنعون من التدخل، أو لكان لديه وقت للتفكير.

المفهوم الثاني: نية الخير لا تبرر النتيجة السيئة

موسى أراد نصرته المظلوم، وكان هذا واجباً، لكنه أفرط في استخدام القوة فقتله. هذا يعلم أن النية الصالحة لا تكفي، بل لابد من الحكمة في التنفيذ. كثير من الإصلاحيين يفشلون لأنهم يندفعون بحماس دون تقدير العواقب.

المفهوم الثالث: الاعتراف بالخطأ فوراً (سعة الأفق الإيماني)

موسى لم يقل "أنا نبي ولم أخطئ"، بل قال "هذا من عمل الشيطان". هذا يعلم التواضع وسرعة التوبة. أعظم الناس يخطئون، لكن أعظمهم من يعترف بخطئه ويستغفر.

المفهوم الرابع: "وكزة" واحدة غيرت التاريخ

حدث صغير (لكزة) أدى إلى نتيجة كبيرة (قتل)، ثم إلى هجرة موسى، ثم إلى نبوته. هذا يعلم أن الأحداث الصغيرة قد تكون مفاتيح لمصائر كبرى. لا تحتقر أي فعل، فقد يغير حياتك.

المفهوم الخامس: التعامل مع الظلم - بين التدخل والتروي

موسى رأى ظلماً فتدخل. هذا واجب. لكن تدخله كان أسرع من أن يكون أحكم. الآية تقدم درساً: المؤمن يجب أن ينصر المظلوم، لكن بعد التأكد من الوسيلة المناسبة، وليس بأي ثمن. **ثالثاً** : الدلالات النفسية والعقلية - كيف تؤثر هذه الآية في أعماقك؟

1. "غفلة أهلها" - علم النفس البيئي

البيئة التي يكون فيها الناس غافلين، هي بيئة خطر كامن. الغفلة تجعل الإنسان يتصرف باندفاع، لا ن الرقابة الاجتماعية غائبة. موسى تصرف بسرعة لأنه لم يشعر بوجود أعين تراقبه. هذا يعلم أن الوعي الجماعي يردع عن التصرفات المتهورة. كن حذراً في أوقات الغفلة.

2. صراع الانتماء: بين شبيعة النفس وعدوها

الآية تصور الصراع الداخلي: موسى رأى رجلين يقتتلان، أحدهما من شيعته (قومه)، والآخر من عدوه. هذا أثار انحيازه العاطفي، فاندفع لنصرة قومه دون ترو. علم النفس يقول إن الانتماء العاطفي يضعف الحكم الموضوعي. الآية تعلمك أن تتحكم في انحيازاتك، وأن تنظر إلى الموقف بموضوعية قبل التدخل.

3. "فوكزه" - علاقة الغضب بالقوة

موسى كان قوياً جسدياً، والغضب جعله يستخدم قوته بشكل مفرط. كثير من الناس الأقوياء يسببون ضرراً غير مقصود لأنهم لا يقدرّون قوة ضرباتهم. هذا يعلم التحكم في الغضب، ومعرفة عواقب القوة.

4. "هذا من عمل الشيطان" - آلية التبرئة الذاتية الصحية

موسى لم يلجأ إلى الإنكار أو التبرير، بل أرجع الخطأ إلى الشيطان، ليس تهرباً من المسؤولية، بل لأنه يعرف أن الشيطان يزين الاندفاع. هذه آية نفسية صحية: اعترف بالخطأ، واعرف من أين أتاك، ثم تب إلى الله. لا تقل "أنا سيء" بل قل "أخطأت والشيطان زين لي، والله غفور رحيم".

5. ندم موسى - قيمة الضمير الحي

موسى لم يفرح بقتل عدو بني إسرائيل، بل ندم فوراً. هذا يدل على حساسية الضمير. الإنسان الذي يفرح بقتل غيره حتى لو كان عدواً، قد فقد إنسانيته. الآية تعلم أن الضمير الحي هو علامة الإيمان.

رابعا: كيف يتصرف المؤمن عند رؤية الظلم؟ (دروس مستفادة من الآية)

الآية تعرض موقفاً تدخلياً، ثم تظهر نتيجة السلبية. فما هو التصرف الصحيح؟

1. التثبت من الموقف: هل الظلم حقيقي؟ موسى رأى قتلاً، لكنه لم يعرف من البادئ. ربما يكون الإسرائيلي هو المعتدي. التثبت واجب.
2. تقدير الوسيلة المناسبة: هل القوة البدنية هي الحل أم هناك وسائل أخرى كالتوسط أو الاستعانة بالسلطات؟ موسى استخدم القوة المباشرة وكانت النتيجة مؤسفة.
3. التدرج في استخدام القوة: ابدأ بالكلام، ثم بالوعيد، ثم بالدفع بالتي هي أحسن، ثم بالقوة التدريجية. موسى قفز إلى اللكزة مباشرة.
4. مراعاة التوقيت والمكان: في مكان غافل، قد لا تجد من يوقفك إذا أفرطت. في مكان عام، قد يكون هناك ردع.
5. النية وحدها لا تكفي: نصرتك للمظلوم تحتاج إلى حكمة. المؤمن القوي ليس من يصرع الخصم، بل من يملك نفسه عند الغضب.

الخلاصة: الآية لا تمنع التدخل لنصرة المظلوم، بل توجه إلى التدخل الحكيم، الذي يراعي العواقب، ويستخدم أقل قدر ممكن من القوة، ويتجنب أوقات الغفلة والاندفاع.

خامسا: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هذه الآية مني؟

الرسائل الأساسية:

1. احذر أوقات الغفلة: قد تفعل فيها ما تندم عليه. كن متيقظاً، خاصة في الأوقات التي يغفل فيها الناس (الليل المتأخر، أوقات الفراغ الطويل، لحظات الغضب).
2. الغضب يورث الندم: موسى ندم. اقرأ هذه الآية كلما غضبت. تذكر أن "وكزة" واحدة قد تغير حياتك.
3. لا تثق بقوتك: قوتك قد تكون بلاءً إذا لم تتحكم فيها. القوة الحقيقية هي في ضبط النفس.
4. الاعتراف بالخطأ فضيلة: لا تبرر خطأك. قل "هذا من عمل الشيطان" وتب إلى الله. الناس تحترم من يعترف.
5. النية الصالحة لا تمنع المحاسبة: موسى نوى خيراً لكنه أخطأ، فندم واستغفر. أنت أيضاً محاسب على نتائج أفعالك، ولو كانت نيتك حسنة.

ما الذي نتعلمه من الآية؟

- تعلم ألا تندفع في نصرة المظلوم دون ترو: تحقق، فكر، اختر الوسيلة.
- تعلم أن تعترف بخطئك فوراً: لا تكابر، لا تبرر. قل "أخطأت، والله يعلم".
- تعلم أن الغضب قاتل: أبطله بالوضوء أو الجلوس أو تغيير الوضع.
- تعلم أن الشيطان عدو مضل: لا تلوم نفسك فقط، بل تعلم أن الشيطان يزين لك التهور.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

- في الخلافات الأسرية: إذا رأيت أحد أفراد أسرتك يظلم آخر، لا تندفع بالضرب أو الصراخ. افصل بينهم بالكلام، واستعن بحكماء الأسرة. تذكر "وكزة موسى".
- في العمل: إذا رأيت مديراً يظلم زميلاً، لا تواجهه بعنف مباشر، بل اختر الوقت المناسب، وتحدث بلطف، أو ارفع الأمر للجهات المختصة.
- في الشارع: إذا رأيت مشاجرة، لا تتدخل بقوة بدنية قبل محاولة الإصلاح بالكلام، أو الاتصال بالشرطة. كثير من المتدخلين يصابون أو يسببون إصابات.
- في التربية: علم أبنائك أن الغضب يدفع للندم. دربهم على تقنيات تهدئة النفس قبل التصرف.

احك لهم قصة موسى والوكزة.
• في حياتك النفسية: إذا أخطأت في حق أحد، لا تهرب من الاعتراف. اعتذر فوراً، وقل "هذا من عمل الشيطان، وأستغفر الله". هذا يعزز علاقاتك.
سادس : كيف يعيش المسلم بهذه الآية؟ (دليل عملي وجداني)

1. تمرين "التوقف قبل الوكزة"

قبل أي رد فعل غاضب، توقف لخمس ثوان. قل في نفسك: "موسى وكز فندم، وأنا سأتوقف". هذه الخمس ثوان قد تنقذك من ندم العمر.

2. استشعار "على حين غفلة" في حياتك

لاحظ الأوقات التي تغفل فيها (بعد منتصف الليل، عند التعب الشديد، عند الجوع). اجعل هذه الأوقات مناطق حظر للقرارات المصيرية. لا تتخذ قراراً مهماً وأنت غافل أو متعب.

3. تدرب على الاعتراف بالخطأ

اختر خطأ صغيراً ارتكبته اليوم، واعترف به لشخص تثق به. قل: "أخطأت في كذا، وهذا من عمل الشيطان، وأعتذر". هذا التمرين يبني شخصية متواضعة.

4. اصنع قاعدة: "النية لا تكفي، الحكمة هي الأساس"

قبل أي تدخل في مشكلة، اسأل نفسك: هل أنا حكيم كفاية؟ هل لدي خطة؟ أم سأندفع مثل موسى؟ إذا شعرت بعدم الحكمة، فانسحب مؤقتاً.

5. لا تكن "موسى الوكاز" في علاقاتك

بعض الناس يحلون المشاكل بالقوة (الفاظظة في الكلام، العنف الجسدي، المقاطعة الحادة). هذه الآلية تذكرهم أن القوة قد تقتل العلاقات. كن ليناً حكيماً.

6. تذكر أن الشيطان عدو مضل مبين

عندما تغضب، قل: "هذا الشيطان يريد أن يوقعني في الندم، لن أطيعه". هذا التذكير يحول الغضب إلى وعي.

سابعاً خصوصيات الآية: ما يميزها عن غيرها

الخصوصية الأولى: الغفلة كعنصر فاعل في الدراما القرآنية

في القرآن، كثيراً ما تأتي الأحداث "على حين غفلة" (مثل دخول موسى، أو مجيء الساعة). هذا يخلق عنصر المفاجأة، ويعلم أن الحياة لا تسير وفق جدول مرسوم. كن مستعداً للطوارئ.

الخصوصية الثانية: القتل الخطأ غير المقصود

هذه الحادثة هي حالة نادرة في القرآن حيث يقتل نبي (قبل النبوة) شخصاً بالخطأ. هذا يعلم أن الأنبياء بشر، يخطئون ويتوبون. وفيه رد على من يصورون الأنبياء معصومين من كل خطأ قبل النبوة.

الخصوصية الثالثة: الحوار الداخلي لموسى ("قال هذا من عمل الشيطان")

هذا الحوار الداخلي أظهر وعي موسى الذاتي. لم ينتظر أحداً أن يوبخه، بل وبخ نفسه. هذا يعلم أهمية المحاسبة الذاتية.

الخصوصية الرابعة: لم يذكر اسم المقتول ولا القاتل (العدو)

المقتول هو "الذي من عدوه" (رجل من قوم فرعون). إبهام اسمه يجعله رمزاً لكل ظالم. والدرس: قتل الظالم بغير حق خطيئة، حتى لو كان ظالماً.

الخصوصية الخامسة: "فوكزه" فعل واحد غير مجرد

الفعل "وكز" لم يستعمل في القرآن إلا هنا. هذا يبرز فرادية الحدث، وأنه ليس قاعدة، بل استثناء. لا تقلد موسى في الوكز، بل تعلم من ندمه. خاتمة وجدانية: أنت وموسى والوكزة

توقف الآن. تخيل نفسك مكان موسى. أنت شاب قوي، بلغت أشده، لديك حكمة وعلم. تدخل مدينة في وقت هادئ، الناس نيام أو غافلون. فجأة ترى اثنين يتقاتلان، أحدهما من أهلك، والآخر من أعدائك. قلبك ينفطر لأخيك، تندفع، تضرب ضربة واحدة... يسقط الرجل ميتاً.

الهدوء الذي كان في المدينة يتحول إلى صدمة. تنظر إلى يديك، ترى الدم. تسمع صوتاً في داخلك: "ماذا فعلت؟ أردت الخير، فجاء الشر". تهمس: "هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين".

هذه الآية تقول لك: لا تظن أنك فوق الخطأ. أعظم الناس يخطئون. والمهم ليس ألا تخطئ، بل كيف تتعامل مع خطئك. موسى ندم، واستغفر، وهاجر، ثم جاءته النبوة. خطؤه لم يمنعه من أن يكون نبياً. لأن الله يقبل التوبة.

إذا أخطأت اليوم - في كلمة قلتها، في قرار اندفاعي، في تعامل قاس - فتذكر: "هذا من عمل الشيطان". تب إلى الله، واعتذر لمن أخطأت بحقه، وامض في طريقك. الخطأ ليس نهاية الطريق، بل محطة تصحيح.

لا تكن أسير "وكزة" مضت. كن مثل موسى: أخطأ، اعترف، تاب، فغفر الله له، بل ورفعته إلى النبوة.

اللهم إنا نعوذ بك من الغضب الذي يورث الندم، ومن الاندفاع الذي يقتل الحكمة، ومن الشيطان العدو المضل المبين. وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

المبحث الثالث

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (17).

هذه هي لحظة التحول الأعظم في حياة موسى عليه السلام. بعد الوكزة التي أودت بحياة الرجل القبطي، وبعد الندم الفوري الذي عبر عنه بقوله "هذا من عمل الشيطان"، يأتي الآن مشهد التوبة والغفران والعهد. إنها لحظة يلتقي فيها ضعف البشر مع غفران الرب، وينتقل فيها موسى من مرحلة الندم إلى مرحلة الشكر والتعهد. الآيتان تحملان أعلى درجات الرجاء في رحمة الله، وأصدق نماذج التوبة النصوح، وأروع صور الامتنان بالنعمة. دعنا نعيش هذه اللحظة الفارقة في حياة نبي الله موسى، ونرى كيف يمكن لهذه الآيات أن تغير حياتنا.

أولاً: اللامسات البيانية والبلاغية - عندما يكون الدعاء بوابة الرحمة

1. "قَالَ رَبِّ" - مناجاة المحتاج الذي يعرف ربه

بدأ موسى دعاءه بـ "رب"، وهو نداء المحبة والإقرار بالتربية والرعاية. لم يقل "يا إلهي" فقط، بل "ربي" الذي رباني، وعلمني، وأنعم عليّ. هذا النداء يخلق حميمية خاصة بين العبد وربّه، ويشعر موسى أنه يتحدث إلى من يعرفه ويعرف ضعفه.

2. "إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي" - اعتراف صريح بلا تبرير

لم يقل "أخطأت" فقط، بل قال "ظلمت نفسي". الظلم أعم وأشد من الخطأ. الخطأ قد يكون غير مقصود، أما الظلم فهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو هنا اعتراف بأنه أضر بنفسه بفعله هذا. هذا يدل على عمق الوعي الذاتي، وصدق المراجعة، ونضج الشخصية التي لا تلوم الآخرين بل تلوم نفسها.

اللمسة البلاغية: تقديم الضمير "إني" يفيد الحصر والتوكيد. كأنه يقول: "أنا وحدي المسؤول، لا أحد غيري. أنا ظلمت نفسي".

3. "فَاغْفِرْ لِي" - طلب الستر والمحو

الغفران هو الستر والتجاوز. موسى لم يطلب فقط عدم العقاب، بل طلب أن يُستَرَّ ذنبه، وألا يُفْضَح به، وأن يمحوه الله من سجلاته. هذا هو غاية الطلب من الكريم.

4. "فَقَرَّ لَهُ" - استجابة فورية دون تأخير

الفاء هنا للتعقيب السريع. لم يمهل الله موسى، ولم يختبر توبته بانتظار، بل غفر له فوراً. هذا يدل على أن التوبة الصادقة تقبل فوراً، وأن الله لا ينتظر حتى يرى ثمارها، بل يقبلها بمجرد صدقها.

5. "إِنَّهُ هُوَ الْعَفْوَ الرَّحِيمُ" - تأكيد لصفات الله التي تستدعي الرجاء

"إِنَّهُ هُوَ" تأكيد بعد توكيد، يثبت أن الغفران والرحمة من صفاته الذاتية. فهو الذي يغفر الذنوب مهما عظمت، وهو الذي يرحم عباده ولو أخطأوا. هذه الجملة هي سبب الغفران، وهي دعوة لكل مذنب ألا ييأس من رحمة الله.

6. "قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" - شكر مقرون بالاعتراف بالنعمة

بعد أن شعر بمغفرة الله، بادر موسى بالشكر. "بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" أي أقسم بنعمك عليّ، أو بسبب نعمك ، أو على بركة نعمك. يشير إلى نعمة المغفرة التي هي أعظم النعم، وربما نعم أخرى كالقوة والعلم والحكمة. الشكر هنا هو رد فعل طبيعي لمن شعر بفضل الله.

7. "قُلْنَا أَكُونَ ظَهِيْرًا لِلْمُجْرِمِينَ" - عهد وتعهد للمستقبل

"ظَهِيْرًا" من الظهر، أي معيْناً وناصراً. "لِلْمُجْرِمِينَ" هم المتجاوزون لحدود الله، وهم هنا القبطي الذي قتله أو أي مجرم. موسى يقطع عهداً على نفسه: لن يكون أبداً عوناً لأي مجرم. وهذا منتهى التوبة: الندم على الماضي، والعزم على عدم العودة.

اللمسة البلاغية: "قُلْنَا" لن تؤكد النفي في المستقبل البعيد، أي قطعاً لن أكون، وليس هناك احتمال أن أعود.

ثانياً: المفاهيم المركزية في الآيتين (الأساس الذي يقوم عليه غفران الذنوب)

المفهوم الأول: الاعتراف بالذنب أول خطوة للتوبة

موسى قال "إني ظلمت نفسي". لم يقل "الظروف اضطرتني"، ولا "هو كان يستحق"، ولا "أنا دفاع عن النفس". اعتراف صريح بلا مواربة. هذا هو مفتاح قبول التوبة. من لا يعترف بذنبه، لا يمكن أن يتوب.

المفهوم الثاني: التوبة النصوح تقبل فوراً

"فَقَرَّ لَهُ" مباشرة بعد الدعاء. هذا يعلم أن الله لا يمهل المذنب ليتمحن صدقه، بل يعلم ما في قلبه. إذا تاب العبد توبة صادقة، غفر له في الحال.

المفهوم الثالث: الشعور بقبول التوبة يولد الشكر

موسى لم يقل "رب اغفر لي" فقط، بل بعد أن شعر بالمغفرة، قال "رب بما أنعمت عليّ". هذا يدل على أنه أحس بقبول الله لدعائه. وهذا الشعور هو ثمرة الإيمان الصادق، وهو الذي يدفع إلى شكر الله والالتزام بطاعته.

المفهوم الرابع: العهد على النفس رديف التوبة

التوبة لا تكتمل بالندم والاستغفار فقط، بل تحتاج إلى عزم على عدم العودة. موسى قطع عهداً: "قُلْنَا أَكُونَ ظَهِيْرًا لِلْمُجْرِمِينَ". هذا العهد هو ضمان الاستمرارية، وهو ما يسمى في التوبة "الإقلاع و العزم على عدم العود".

المفهوم الخامس: معونة المجرمين كبيرة من الكبائر

موسى ندم على أنه قتل مجرماً (بالخطأ)، لكنه اعتبر أن هذا الفعل كان نوعاً من "معونة المجرم" لأ

أنه أزال حياته دون وجه حق. وهذا يعلم أن مساعدة أي مجرم على تجاوزه الحق - ولو بالقتل الخطأ - هي خطيئة عظيمة. فكيف بمن يعين المجرمين عمدا؟
ثالثا : كيف علم موسى أن الله قد استجاب لدعوته وغفر له؟

هذا سؤال عميق. موسى لم يكن نبيا بعد (على الأرجح)، لكنه كان مؤمنا بالله. كيف شعر بقبول التوبة؟

1. عن طريق الإحساس الإيماني (اليقين الداخلي)

التائب الصادق عندما يتوب، يشعر في قلبه بشرح وانسراح، ويزول عنه ثقل الذنب. هذا الشعور هو من علامات قبول التوبة. موسى كان صادقا في توبته، فوجد قلبه قد ارتاح، وعلم أن الله غفر له. هذا إحساس إيماني لا يعرف حقيقته إلا من ذاقه.

2. عن طريق الاستبشار بالخير والتوفيق للعمل الصالح

بعد التوبة، وجد موسى نفسه مندفعاً إلى الشكر والعهد. هذا التوفيق للطاعة بعد المعصية هو من علامات القبول. قال بعض السلف: "من علامات قبول الحسنة التوفيق لحسنة بعدها، ومن علامات قبول التوبة التوبة منها". موسى تاب ثم شكر وعهد، فهذا دليل على قبول توبته.

3. عن طريق الإلهام أو الوحي (احتمال)

ربما أوحى الله إلى قلبه أو أرسل إليه ملكاً يبشره بالقبول. لكن الظاهر من الآية أنه شعر بذلك عن طريق اليقين والإحساس الداخلي، لأن الآية لم تذكر وسيطا.

4. العبرة لنا: كيف نعلم أن الله غفر لنا؟

لا نستطيع أن نجزم كاليقين بأن الله غفر لنا، لكن هناك علامات:

- الندم الصادق على الذنب.
- الإقلاع عنه فوراً.
- العزم على عدم العودة.
- الشعور بانسراح الصدر وذهاب ثقل الذنب.
- التوفيق للطاعة بعد المعصية.

إذا وجدت هذه العلامات في نفسك، فارجُ رحمة الله، ولا تقنط، فإنه غفور رحيم.
رابعا: كيف نستفيد من هذه الآيات في حياتنا؟ (تطبيقات عملية)

1. تعلم "لغة التوبة" من موسى

لا تكن ممن يقول "أنا مذنب، لكن الظروف"، أو "أنا أخطأت، لكنه كان يستحق". قل كما قال موسى: "رب إنني ظلمت نفسي". اعترف بخطئك دون تبرير. هذا الاعتراف هو باب المغفرة.

2. استحضر صفات الله (الغفور الرحيم) عند التوبة

موسى قال "رب" ثم غفر له، ثم أكد الله أنه الغفور الرحيم. عندما تتوب، تذكر أن الله يحب أن يغفر، وأن رحمته وسعت كل شيء. لا تظن أن ذنبك أكبر من رحمة الله.

3. التوبة الفورية لا التأجيل

موسى تاب فوراً بعد أن أدرك خطأه. لم يقل "سأتوب غدا". تعلم منه: لا تؤخر التوبة. كل تأخير قد يكون سبباً في قسوة القلب.

4. اشكر الله على نعمة التوبة والمغفرة

بعد أن تستغفر، اشكر الله. قل: "رب بما أنعمت عليّ من توبة ومغفرة، سأكون عبداً صالحاً". الشكر يثبت النعمة.

5. اقطع عهداً مع الله على عدم العودة

التوبة النصوح تحتاج إلى عهد وجدّ. اكتب لنفسك عهداً: "لن أعود إلى هذا الذنب أبداً". هذا العهد يثبت عزمك، ويجعل الشيطان ييأس منك.

6. اجتنب معونة المجرمين بكل أشكالها

"فلن أكون ظهيراً للمُجرمين" - اجعلها شعارك. لا تعن ظالماً، لا تبرر لطاغ، لا تساعد فاسداً. حتى لو كانت المعونة بكلمة أو بصمت، فهي ظهير للمجرمين.
خامساً: الدلالات النفسية والتربوية - كيف تعيد هذه الآيات تشكيل شخصيتك؟

1. التخلص من عقدة الذنب المزمنة

بعض الناس يذنبون ثم يظنون يعذبون أنفسهم سنيئاً، يظنون أن الله لم يغفر لهم. هذه الآيات تعلم أن الله يغفر فوراً إذا صدق العبد. لا تعذب نفسك بعد التوبة. انطلق إلى الله بطاقة جديدة.

2. فصل الذنب عن الهوية (لست سيئاً لأنك أخطأت)

موسى قال "ظلمت نفسي" (فعل)، ولم يقل "أنا ظالم" (صفة). هذا يعلم أن الذنب فعل وليس هوية. لا تقل "أنا خاطئ"، بل قل "أخطأت". هذا يفتح باب التغيير.

3. الشكر كعلاج للندم المرضي

الندم الصحي يتحول إلى شكر. بعد أن يغفر الله لك، لا تبق في دائرة الندم الحزين، بل انتقل إلى الشكر الفرح. الشكر يملأ قلبك طاقة إيجابية تدفعك للخير.

4. العهد كأداة لضبط النفس

قطع العهد مع الله (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) هو تقنية سلوكية قوية. عندما تحدد لنفسك التزاماً واضحاً، يصبح من السهل الالتزام به. اكتب عهدك مع الله.

5. القدوة الحسنة حتى في الخطأ

موسى نبي، لكنه أخطأ وتاب. هذا يعلم أبناءنا أن القدوة ليسوا معصومين، بل هم من يعرفون كيف يتوبون. لا تظهر لأبنائك أنك لا تخطئ، بل أرهم كيف تعترف بخطئك وتتوب.
سادساً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هاتان الآيتان مني؟

الرسائل الأساسية:

1. لا تيأس من رحمة الله مهما عظم ذنبك: موسى قتل نفساً بغير حق، لكنه تاب فغفر له. فما بالك بذنوبك؟

2. التوبة النصوح تمحو الذنب كأن لم يكن: "فغفر له" مباشرة. لا يبقى أثر.

3. الاعتراف بالذنب هو أول درجات الشجاعة: يحتاج إلى جرأة على النفس والهوى.

4. الشكر واجب بعد المغفرة: لا تكن ممن يستغفر ثم يعود للذنب دون شكر.

5. لا تكن معينا لمجرم ولو بكلمة: هذا عهد موسى، فاجعله عهدك.

ما الذي نتعلمه من الآيتين؟

- تعلم كيف تتوب: اعترف، استغفر، اشكر، تعاهد.
- تعلم ألا تيأس: غفران الله أوسع من ذنوبك.
- تعلم أن تشعر بقبول التوبة: انشراح الصدر دليل.
- تعلم أن تحول ندمك إلى طاقة إيجابية: بالشكر والعهد.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

. في علاقتك مع الله: خصص وقتاً يومياً للتوبة والاستغفار. قل "رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي".
واشعر بأن الله يغفر لك.
. في علاقتك مع الناس: إذا أخطأت في حق أحد، اعتذر له، وقل "ظلمت نفسي بإيذائك". هذا الاعتراف يصلح العلاقات.
. في تربية أبنائك: علمهم أن يتوبوا، لا أن يقنطوا. احك لهم قصة موسى. علمهم صيغة "رب إني ظلمت نفسي".
. في العمل: إذا ارتكبت خطأ مهنيًا، اعترف به لمديرك، وقل "أخطأت، وسأصلح". هذا يكسبك احترامًا.
. في محاربة الظلم: اجعل شعارك "فلن أكون ظهيرًا للمجرمين". لا تصمت على ظلم، لا توافق عليه، لا تبرره.
سابعاً: خصوصيات الآيتين - ما يميزهما عن غيرهما

الخصوصية الأولى: التوبة قبل النبوة

موسى تاب من هذا الذنب قبل أن يرسله الله نبيًا. هذا يعلم أن التوبة شرط للرسالة، وأن الأنبياء بشر يخطئون ويتوبون. وفيه رد على من يظنون أن الأنبياء معصومون من كل خطأ حتى قبل النبوة.

الخصوصية الثانية: "فَعَفَرَ لَهُ" دون ذكر وساطة

لم يذكر أن موسى صلى ركعتين، أو تصدق، أو صام. غفر له بمجرد الدعاء الصادق. هذا توسعة في باب التوبة، وأنه لا يشترط أعمال معينة، بل يكفي الإخلاص والندم.

الخصوصية الثالثة: الشكر قبل العهد

موسى قدم الشكر على النعمة (بما أنعمت عليّ) قبل أن يذكر العهد. هذا يعلم أن الشكر هو الدافع للطاعة، وليس الخوف فقط. من يشعر بنعم الله عليه، يسهل عليه أن يطيعه.

الخصوصية الرابعة: "ظهيرًا للمجرمين" كقاعدة أخلاقية

هذه الآية تؤسس لمبدأ أخلاقي إسلامي: لا تعاون على الإثم والعدوان. قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ" وثا تعاوّنوا على الإثم والعدوان". موسى تعهد بعدم معاونة مجرم، وهو من أسى الأخلاق.

الخصوصية الخامسة: الغفران والرحمة صفتان ملازمتان

ختمت الآية الأولى بـ "إِنَّهُ هُوَ الْعَفَّورُ الرَّحِيمُ"، وهذا تذكير دائم للمؤمن بأن الله يغفر ويرحم. مهما تكرّر الذنب، ما دامت التوبة صادقة، فالغفران والرحمة حاضرتان.

ثامناً: كيف يعيش المسلم بهاتين الآيتين؟ (دليل عملي وجداني)

1. اجعل "رب إني ظلمت نفسي" وردك اليومي

لا تخلُ ليلة إلا وتقولها. تذكر ذنوبك، واعترف بها لله. هذا الورد يطهر قلبك كل يوم.

2. تمرين "الشكر بعد المغفرة"

بعد كل استغفار، قل "رب بما أنعمت عليّ من مغفرة، سأشكرك بطاعتي". هذا يربط بين الاستغفار والعمل الصالح.

3. اكتب عهودك مع الله

خذ دفترًا، اكتب: "عهدي مع الله: فلن أكون ظهيرًا للمجرمين. ولن أعود إلى ذنب كذا". وقع عليه، واجعله نصب عينيك.

4. علم الآخرين صيغة التوبة

إذا رأيت صديقاً مذنباً يائساً، علمه هذه الآيات. قل له: "انظر إلى موسى، قتل نفسه ثم قال رب إني ظلمت نفسي فغفر له. فما بالك بذنبك؟"

5. استشعر "الغفور الرحيم" عند الخطأ

عندما تخطئ، لا تقل "لن يغفر الله لي". قل "الله غفور رحيم، وسيغفر لي إذا تبت". هذا القول يمنع اليأس ويحفز للتوبة.

6. لا تكن ظهيراً لمجرم في حياتك اليومية

في عملك، إن طلب منك مديرك ظلم أحد، فقل "لن أكون ظهيراً لمجرم". في بيتك، لا تؤيد ظلماً بين أفراد الأسرة. في مجتمعك، لا تصمت على ظلم تراه. خاتمة وجدانية: أنت وموسى والغفران

توقف الآن. تخيل نفسك مكان موسى بعد أن قتل الرجل. قلبك يخفق بشدة، يديك ترتجفان، ترفع رأسك إلى السماء وتقول: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي". لا تطلب حجباً، لا تبحث عن أعذار. فقط اعتراف صادق، وندم حقيقي.

ثم فجأة، تشعر بشيء غريب يحدث في قلبك. الثقل يزول، الخوف يتحول إلى طمأنينة، الندم الأسود يتحول إلى أمل أبيض. كأن الله يمسح على كتفك ويقول: "قد غفرت لك". تشعر بها، تحس بها، تعلمها علماً يقينياً. هذا هو شعور القبول.

عندها، لا تستطيع إلا أن تقول: "رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ". تشكر الله على نعمة المغفرة التي هي أكبر من كل نعم الدنيا. ثم تنطلق وتملأ قلبك عزماً: "فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ". لن أعين ظالماً، ولن أبرر باطلاً، ولن أساعد من يتجاوز حدود الله.

هذه الآيات تقول لك: أنت أيضاً يمكنك أن تكون مثل موسى. لست نبياً، لكنك تخطئ كما أخطأ، وتندم كما ندم، وتستغفر كما استغفر، ويغفر لك كما غفر له. والله الذي غفر لموسى، هو نفسه "الغفور الرحيم" اليوم وغداً وإلى الأبد.

لا تيأس من رحمة الله. وكلما أذنبت، فبادر إلى هذه الآيات، وقلها من قلبك. عندها ستشعر أنك ولدت من جديد.

المبحث الرابع

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنَّ تَرِيدَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ (19)﴾.

هذه هي حلقة جديدة من مسلسل الألم في حياة موسى عليه السلام. بعد أن تاب الله عليه وغفر له، وعهد ألا يكون ظهيراً للمجرمين، نراه الآن وقد أصبح خائفاً يترقب في المدينة. وفجأة يعود إليه نفس الرجل الذي استنصره بالأمس (الإسرائيلي)، ليتورط معه في مشكلة جديدة، بل لیتهمه بالجبرية والقتل! إنها لحظة يتحول فيها "المظلوم" إلى متهم، وتنقلب فيها الموازين. الآيتان تحلمان دروساً قاسية لكنها ضرورية عن عواقب الاندفاع، وخيانة الأقربين، وفشل العنف في حل المشكلات، وكيف أن المؤمن قد يتهم بالشر وهو يريد الخير. دعنا نعيش هذا المشهد الدرامي المؤلم.

أولاً: اللامسات البليانية والبلاغية - عندما يتحول النصير إلى متهم

1. "فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ" - صورة الصباح الذي يخلف الخوف

"فَأَصْبَحَ" - صار في الصباح. الصباح عادة وقت الانطلاق والعمل، لكنه أصبح خائفاً. هذه مفارقة بين طبيعة الوقت وحال موسى.

"خَائِفاً" - من أن يقتص منه بسبب قتله القبطي. الخوف طبيعي، لكنه خوف جديد لم يكن بهذه الحدة من قبل.

"يَتَرَقَّبُ" - ينتظر ويتطلع إلى ما سيحدث، ويحذر من كل جهة. الترقب أشد من الخوف العادي، لأنه

خوف مصحوب بترقب الخطر في كل لحظة. موسى أصبح في حالة إنذار دائم، يسمع كل صوت فيرتد له قلبه.

اللمسة البلاغية: الجمع بين "خائفاً" و"يتربص" يصور حالة نفسية مركبة: الخوف من الداخل، والترقب من الخارج. إنها ذروة القلق.

2. "فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ" - المفاجأة المدوية

"فَإِذَا" للمفاجأة. بينما هو في حالة خوف وترقب، فجأة يظهر أمامه نفس الرجل الإسرائيلي الذي كان سبباً في مأساة الأمس. هذه صدمة المواجهة، حيث يعود إليه من تسبب في هلاكه) بشكل غير مباشر).

"اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ" - أي طلب نصرته بالأمس. هذا الرجل هو ذاته الذي استغاث بموسى وقتل على إثرها القبطي. عودته تذكر موسى بجرح لم يندمل.

3. "يَسْتَنْصِرْخُهُ" - استغاثة مرة أخرى

"يَسْتَنْصِرْخُهُ" أبلغ من "يستنصره". الاستصراخ هو الصراخ طلباً للغوث. الرجل يصرخ بموسى، وكأنه يقول: "النجدة، النجدة!". لكنه هذه المرة في مشكلة مع قبطي آخر؟ أم مع نفس العدو السابق؟ الآية توحى أنه يعود ليطلب النصرة مرة أخرى.

4. "قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ" - توبيخ قاس من نبي رحيم

"لعويٌّ" - من الغواية، وهي الضلال والانحراف عن الصواب. "مُبِينٌ" - واضح بين الغي.

موسى يوبخه بشدة: أنت رجل واضح الغواية، كثير المشاكل، مثير للفتن. هذا التوبيخ صدر من موسى بعد أن تسبب له هذا الرجل في مقتل قبطي، وها هو يعود ليورطه مرة أخرى. إنه موقف إنساني: حتى الأنبياء قد يفعلون على من يتسبب لهم في المتاعب.

5. "فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبُطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا" - العودة إلى أسلوب البطش

"أَرَادَ" - أراد أن يبطش، أي هم بفعل ذلك. لم يقل "بطش" بل "أراد"، أي أنه كان في طور التنفيذ أو النية.

"يَنْبُطِشَ" - البطش هو الأخذ بقوة وعنف. هذا هو أسلوب موسى القديم في حل المشكلات: القوة المباشرة.

"الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا" - أي أن الرجل الذي كان يقتتل مع الإسرائيلي هو عدو لموسى وللإسرائيلي معاً. أي أنه قبطي من عدو موسى وقومه. موسى أراد أن يبطش به لينصر الإسرائيلي.

6. "قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ" - الاتهام الصاعق

هنا القلب المفاجئ في المشهد. ليس القبطي هو من يقول هذا الكلام، بل الإسرائيلي نفسه! الرجل الذي استنصر بموسى بالأمس، والذي يستنصره اليوم، هو من يتهمه الآن.

"أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي" - يخاطب موسى، وكأنه يقول: "لن تبطش به، بل ستقتلني أنا". هذا اتهام باطل، لكنه يعكس خوف الإسرائيلي من عنف موسى.

"كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ" - يذكره بقتله للقبطي، ويستخدم هذا الحدث كسلاح ضده. إنها خيانة عظمى من شخص كان يدعي أنه مستضعف، ويطلب النصرة، ثم يتهم ناصره بأنه قاتل متعمد.

7. "إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ" - تسمية موسى بالجبار

"جَبَّارًا" - المتكبر المتسلط الذي لا يبالي بحقوق الآخرين. هذه تهمة خطيرة يوجهها الإسرائيلي إلى موسى، وكأنه يقول: "أنت لا تريد الإصلاح، بل تريد السيطرة بالقوة".

8. "وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ" - نفي صفة الإصلاح عن موسى

هي ذروة السخرية والإهانة. موسى الذي خرج لينصر المظلوم، يُتهم بأنه لا يريد أن يكون من المصلحين. وكان الإسرائيلي يقول: "أنت مفسد، لا مصلح".

اللمسة البلاغية: الانتقال من "يستنصره" إلى "يتهمه" في لحظات، يخلق صدمة درامية لا تنسى. القارئ يشعر بالغضب على الإسرائيلي، والحزن على موسى.
ثانياً: المفاهيم المركزية في الآيتين) ما الذي تدور حوله؟)

المفهوم الأول: عواقب العنف المفرط - حتى لو كان دفاعاً عن المظلوم

موسى استخدم القوة المفرطة) الوكزة (في المرة الأولى، فقتل القبطي. هذه المرة، لما همّ أن يبطش بالقبطي الآخر، اتهمه الإسرائيلي بأنه يريد قتله أيضاً. العنف يخلق صورة نمطية عن صاحبه: أنه جبار لا يريد إصلاحاً. حتى لو كانت نيتك خيراً، فالوسيلة العنيفة قد تطفئ على النية.

المفهوم الثاني: جحود المستضعف - قد يخونك من تريد نصرته

الإسرائيلي كان "مستضعفاً" بالأمس، فاستنصر بموسى. واليوم، بدلاً من أن يشكره، يتهمه ويخونه. هذا يعلم أن المظلوم ليس بالضرورة ملاكاً، وقد يكون جاحداً، أو جباناً، أو متآمراً. يجب ألا نقدر أي طرف لمجرد أنه مستضعف.

المفهوم الثالث: فشل الإصلاح بالاندفاع - التروي شرط النجاح

موسى لم يتعلم من خطئه الأول. في المرة الأولى، اندفع ووكز فقتل. وهنا، لما رأى الإسرائيلي في مشكلة، كاد يندفع مرة أخرى لبطش. لولا أن الإسرائيلي صرخ فيه، لربما تكررت المأساة. هذا يعلم أن الإصلاح يحتاج إلى ترو وتخطيط، وليس ردود فعل غريزية.

المفهوم الرابع: "الغوي المبين" - الانتهازي الذي يسبب المشاكل للجميع

الإسرائيلي شخصية انتهازية: بالأمس استنصر بموسى، واليوم يستصرخه، ثم يتهمه. هو "غوي مبين" لأنه يورط الناس في مشاكله ثم يتبرأ منهم. هذا النموذج موجود في كل زمان: أشخاص يسببون الفتنة ثم يختفون، تاركين غيرهم يتحمل العواقب.

المفهوم الخامس: الخوف والترقب - حالة المؤمن في بيئة الطغيان

موسى أصبح خائفاً بترقب بعد أن كان قوياً في قصر فرعون. هذا يعلم أن الظلم يزرع الخوف حتى في قلوب الأقوياء. لا يمكن لأحد أن يعيش في بيئة طاغية دون أن يشعر بالخوف. لكن المهم ألا يشله الخوف، بل يدفعه للهجرة) كما سيحدث لاحقاً.
ثالثاً: الدلالات النفسية والعقلية - كيف تؤثر هاتان الآيتان في أعماقك؟

1. صدمة "المنقذ المُتهم"
أشد أنواع الألم النفسي هو أن تهم بالشر وأنت تريد الخير. موسى أراد نصرته المظلوم، فاتهم به الجبرية. هذا الشعور يعرفه كل من حاول إصلاحاً فقبئ بالإساءة. الآية تعزيك: حتى الأنبياء اتهموا به الجبرية. فلا تحزن إذا اتهمك الجاحدون.

2. نموذج "المستضعف الانتهازي"
بعض الناس يلعبون دور الضحية لجذب التعاطف، ثم يتخلون عنك عند أول اختبار. الإسرائيلي هنا نموذج لهذه الشخصية السامة. تعلم أن تميز بين المستضعف الصادق والمستضعف الانتهازي. الأول يطلب النصرة ويقدرها، والثاني يستخدمك ثم يتبرأ منك.

3. "الخائف يترقب" - حالة القلق المزمن
وصف موسى بـ "خائفاً يترقب" يصور حالة القلق التي يعيشها من يعرف أنه مطلوب للقصاص. هذا القلق يمكن أن يصيب أي إنسان بعد خطأ كبير. العلاج ليس في الهروب فقط، بل في التوبة الصادقة (وقد تاب موسى)، ثم الأخذ بالأسباب) الاستعداد للهجرة (الآية تطمئن: القلق مؤقت، والله يفتح لك مخرجاً).

4.التعلم من الخطأ - هل تعلم موسى؟
للوهلة الأولى، يبدو أن موسى لم يتعلم من خطئه، إذ كاد يبطش مرة أخرى. لكن التفسير الدقيق أنه أراد أن يبطش بالعدو، وليس أن يقتله. ومع ذلك، فهذا يدل على أن تغيير السلوك يحتاج إلى وقت، وأن الإنسان قد يكرر نفس النمط رغم ندمه. لا تيأس إذا وجدت نفسك تكرر خطأك، المهم أن تستمر في المحاولة.

5. ما تريد أن تكون من المصلحين" - تأثير الكلمة الجارحة
كلمة الإسرائيلي لموسى كانت قاسية جداً. قد تسمع أنت أيضاً كلمات مماثلة: "أنت متسلط"، "أنت لا تريد الخير"، "أنت تفسد أكثر مما تصلح". هذه الآية تعلمك ألا تأخذها على محمل شخصي، وأن تتذكر أن موسى نبي مع ذلك اتهم بذلك. لا تدع كلمات الجاحدين تثبط عزيمتك.
رابعاً: الرسائل والتوجيهات - ماذا تريد هاتان الآيتان مني؟

الرسائل الأساسية:

1. لا تندفع لنصرة المظلوم دون تثبت: قد يكون المظلوم جاحداً أو انتهازياً. تحقق من الموقف، ومن أخلاق الطرفين، قبل أن تورط نفسك.
2. العنف يخلق صوراً نمطية عنك: مهما كان دفاعك عن الحق، فإن استخدام القوة المفرطة سيجعل الناس يرونك "جباراً". استخدم الحكمة قبل القوة.
3. احذر من الشخصيات الانتهازية: من يستنصر بك اليوم قد يتهمك غداً. لا تضع كل ثقتك في من يبدو مستضعفاً دون اختبار.
4. الخوف بعد الخطأ طبيعي، لكن لا يشلك: موسى خاف وترقب، لكنه لم يستسلم. خوفك من عواقب أخطائك يجب أن يدفعك للتوبة والتخطيط، لا للانهايار.
5. لا تطلب الشكر ممن تنصرهم: قد لا يشكروك، بل قد يتهمونك. توقع ذلك، ولا تجعل امتنان الناس هو دافعك للإصلاح.

ما الذي نتعلمه من الآيتين؟

- . تعلم ألا تكرر أسلوب العنف: حتى لو نجح في المرة الأولى (قتل القبطي)، فإن له عواقب سيئة.
- . تعلم أن تميز بين المظلوم الصادق والمستغل: لا كل من يبكي يستحق النصرة.
- . تعلم أن تقبل الاتهامات الظالمة: فهي جزء من طريق الإصلاح.
- . تعلم أن الخوف والترقب مؤقتان: والله يجعل بعد العسر يسراً.

كيف تطبقها في واقعك المعاصر؟

- . في العمل الخيري: قبل أن تدافع عن شخص قال إنه مظلوم، تحقق من قصته. قد يكون هو المعتدي أصلاً. لا تندفع عاطفياً.
- . في العلاقات الأسرية: إذا تدخلت لحل خلاف بين اثنين، فلا تستخدم القوة اللفظية أو الجسدية. كن وسيطاً حكيماً، وإلا قد يتهمك أحدهم بالانحياز أو الجبرية.
- . في السياسة والمجتمع: كثير من القضايا تقدم فيها المستضعفون كضحايا، ثم يتبين أنهم كانوا يمارسون الابتزاز. هذه الآية تدعوك إلى التأني والتثبت.
- . في التربية: علم أبنائك ألا يندفعوا لحل المشاكل بالضرب. دربهم على الحوار والوساطة. واحك لهم قصة موسى مع الإسرائيلي ليعلموا أن "نصرة المظلوم" قد تنقلب ضدك.
- . في حياتك النفسية: إذا اتهمك أحدهم بالجبرية أو التسلط، تذكر أن موسى نبي اتهم بذلك. لا تنهار، بل راجع نفسك: هل أنت فعلاً "جبار"؟ إذا كنت مخلصاً، فتجاهل الاتهام.
- خامساً: خصوصيات الآيتين - ما يميزهما عن غيرهما

الخصوصية الأولى: تكرار نمط العنف عند موسى

هذه المرة الثانية التي يحاول فيها موسى استخدام القوة لحل مشكلة. المرة الأولى قتل، والثانية كاد أن يقتل. هذا التكرار يعلم أن تغيير السلوك ليس فورياً. الله لم يعاتب موسى على تكرار المحاولة، بل قص لنا القصة لنستفيد.

الخصوصية الثانية: "الغوي المبين" - وصف نادر

هذا الوصف لم يرد في القرآن إلا هنا. إنه وصف قاس، لكنه صادق على من يثير المشاكل ثم يتخلى عن شركائه. تعلم أن تكون حذراً من أمثال هؤلاء.

الخصوصية الثالثة: الاتهام بالجبرية من المستضعف نفسه

المفارقة أن الاتهام بالجبرية صدر ممن كان تحت جبروت فرعون. هذا يدل على أن الضعف لا يمنع الإنسان من أن يكون ظالماً في حق غيره، ولو بالكلام.

الخصوصية الرابعة: "أريدُ أن تقتلني" - كلمة قاتلة

هذه الكلمة وُجّهت لموسى وهو لم يفعل شيئاً يستحقها. إنها نموذج للكلمة التي تقتل المعنويات. الآية تحذر من إطلاق التهم جزافاً، لأنها قد تدمر علاقات وتجرح أنبياء.

الخصوصية الخامسة: الصراع بين "الجبار" و"المصلح"

الإسرائيلي وضع ثنائية خاطئة: إما أن تكون جباراً أو مصلحاً. والحقيقة أن المصلح قد يستخدم القوة أحياناً، لكن ليس بالقهر والظلم. موسى كان يريد أن يكون مصلحاً، لكن وسيلته كانت خاطئة. الآية تدعو إلى التفريق بين الهدف والوسيلة. سادساً: كيف يعيش المسلم بهاتين الآيتين؟ دليل عملي وجداني)

1. تمرين "توقف قبل البطش"

قبل أي رد فعل غاضب، توقف 10 ثوان. اسأل نفسك: "هل هذه هي المرة الثانية التي أندفع فيها بنفس الأسلوب؟" تذكر أن موسى كاد يكرر خطأه. كن مختلفاً.

2. تحقق من "المستنصر" قبل نصرته

إذا طلب منك شخص النصر في نزاع، ابحث عن تاريخه. هل هو معتاد على المشاكل؟ هل يتهم من ينصره؟ لا تكن أداة في يد "غوي مبین".

3. استعد لاتهامات الجبرية

إذا كنت إنساناً حازماً في الحق، فاستعد لاتهامات بالجبرية والتسلط. تذكر أن موسى اتهم بذلك، لكن الله برأه. لا تلتفت.

4. لا تترك الخوف يسيطر عليك

إذا أخطأت، فتب إلى الله، وخذ حذرك) كما فعل موسى: خائفاً يترقب، لكن لا تدع الخوف يشل حركتك. استعد للهجرة أو التغيير.

5. تعلم من الإسرائيلي كيف لا تكون

تأمل في صفات الإسرائيلي: استنصار، استصراخ، ثم اتهام. اجعل هذا درساً في ألا تكون جاحداً، وألا تتهم من يساعدك.

6. تلاوة الآيتين عند الشعور بالظلم

إذا اتهمت ظلماً، اقرأ هاتين الآيتين. قل: "موسى نبي اتهم بالجبرية، فمن أنا لأشكو؟". هذا يعزز صبرك.

خاتمة وجدانية: أنت وموسى والإسرائيلي

توقف الآن. تخيل نفسك مكان موسى. أنت خائف تترقب في المدينة، تعلم أنك مطلوب للقصاص. وفجأة، ترى ذلك الرجل الذي كان سبباً في مأساتك، يصرخ مستغيثاً. قلبك ينبض. تريد أن تنصره، لكنك تخشى أن تكرر الخطأ. تقول له بحدة: "إنك لغوي مبین". ثم تهتم بأن تبطش بعدوه، فإذا به يصرخ في وجهك: "أريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض".

صدمة. خيانة. ألم. أنت أتيت لتنصره، فيتهمك بالقتل والجبرية.

هذه الآيات تقول لك: لا تطلب الشكر من الناس. فحتى من تنصره قد يخونك. ويكفي أن الله يعلم

نيتك .موسى لم يرد أن يقتل، لكنه اتهم بذلك .وأنت أيضاً قد تتهم بما لم تفعل.

لا تيأس من النصرة، لكن تعلم أن تكون حكيماً، لا مندفعاً .وأن تختار من تنصره بعناية .وأن تتوقع الا تهام مهما كانت نيتك نقية.

والأهم: أن تعلم أن الخوف والترقب مؤقتان .فبعد هذه الحادثة، سيأمر الله موسى بالخروج من المدينة، وتبدأ رحلة جديدة، فيها سيجد الأمان والزوجة والنبوة.

نعم، بعد هذه الآلام، يأتي الفرج .فقط اثبت، وتعلم، وتحرك.

اللهم إنا نعوذ بك من الاندفاع في النصرة، ومن خيانة المستضعفين، ومن اتهام المحسنين .واجعلنا من المصلحين بالحكمة، لا من الجبابرة بالعنف .إنك على كل شيء قدير.

القسم الثالث

المبحث الأول

تفسير الآية 20 من سورة القصص: رحلة في عمق النص القرآني المقدمة

تأمل معي مشهداً درامياً بديع الصنع، يرسمه القرآن الكريم بأحرف من نور: نبي الله موسى عليه السلام يخرج من مدينة فرعون خائفاً يترقب بعد أن قتل القبطي خطأ، وإذ به في لحظة خطر مصيرية يلتقي برجل يسعى من أقصى المدينة، يأتيه بخبر يغير مجرى حياته: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ". هذه الآية ليست مجرد حدث عابر في قصة موسى، بل هي منهج حياة متكامل، ومدرسة في الإيمان، والشجاعة، واليقظة، وإدارة الأزمات. إنها تنادي فيك أيها القارئ العزيز، وكأن الله يوجهها إليك شخصياً، لتعلمك كيف تواجه المخاطر، وكيف تكون عنصراً فاعلاً في مجتمعك، وكيف تنصر الحق ولو كنت من غير المتوقعين.

اهداف الابيه ومقاصدها العامه

هذه الآية تحمل في طياتها أهدافاً نبيلة:

1. إظهار عناية الله بوليّه موسى من حيث لا يحتسب.
2. تكريم الفرد المؤمن الشجاع الذي لا يخشى في الحق لومة لائم.
3. تعزيز مبدأ التكافل الإيماني ونصرة المظلوم.
4. تربية الأمة على اليقظة والحذر الاستباقي.
5. تعليم إدارة الأزمات بموازنة بين الشجاعة والحكمة.

والآن، دعنا نفوص في أعماق هذه الآية الكريمة، ونستخرج كنوزها الواحدة تلو الأخرى.
أولاً: دلالة مجيء الرجل من أقصى المدينة - ومن هو؟ من يكون هذا الرجل؟

تصور معي: في قصر فرعون، يخطط المألأ لقتل موسى. وفي أقصى المدينة، بعيداً عن مركز السلطة وقصورها، هناك رجل يعلم ما يدبرونه. إنه مؤمن من آل فرعون، كما بينت آيات أخرى (سورة غافر). رجل آمن بالله سراً، وكان يكتم إيمانه خوفاً على نفسه، لكنه في لحظة الخطر لم يستطع أن يصمت.

إنه ليس نبياً، ولا ملكاً، ولا قائداً عسكرياً. إنه رجل عادي، لكنه يملك قلباً مؤمناً وشجاعة استثنائية.

دلالة "من أقصى المدينة"

لماذا من أقصى المدينة وليس من مركزها؟ هنا يكمن السر البلاغي العظيم:

أولاً: عناية الله تأتي من حيث لا تحتسب

كان الله يريد أن يقول لك: لا تظن أن النصر تأتي فقط من القصور والمراكز. قد تأتي من الأطراف، من البسطاء، من الذين لا تتوقعهم. هذه الأمة لن تنصر بجاه كبير أو سلطان عال، بل قد تنصر بفرد مؤمن صادق في أقصى بلدة.

الرسالة لقلبك: لا تيأس أبداً. لو رأيت نفسك في أقصى المدينة، بعيداً عن مراكز القوة، فاعلم أن الله قد يجعلك سبباً في إنقاذ وليه ونصرة دينه. وأنت أيها المؤمن العادي، يمكن أن تكون بطلاً في مشهد القدر.

ثانياً: قيمة من في الأطراف

المكان الأقصى يعني أن هذا الرجل كان مراقباً، متنقلاً، يسمع أخبار المدينة من أطرافها. لم يكن غافلاً عما يجري، بل كان واعياً مدركاً. هذا يعلمنا أن الوعي والمعرفة لا يرتبطان بالموقع الجغرافي أو الاجتماعي، بل بالهمة والعقل.

مفهوم عناية الله في الآية

انظر إلى دقة العناية الإلهية: في اللحظة التي كان فرعون وقومه يتآمرون فيها لقتل موسى، وفي نفس الوقت الذي كان موسى يجهل الخطر، كان الله قد أعد رجالاً في أقصى المدينة ليأتيه بالخبر. سبحان الله! هذا هو التوقيت الإلهي المحكم.

تأمل: لو جاء الرجل بعد أن يصل جنود فرعون إلى موسى، لما نفع الخبر. ولو جاء قبل أن يتأمروا، لما كان الخبر مؤكداً. لكنه جاء في اللحظة الحرجة، وكان الساعة تدق بدقة إلهية.

دور الفرد المؤمن الشجاع في نصر الحق

هذا الرجل لم يقل لنفسه: "أنا مجرد فرد، ما الذي أستطيع فعله؟" ولا قال: "سأترك الأمر للقادة وللأنبياء". بل تحرك، سعى، خاطر بنفسه، وأتى إلى موسى يخبره.

الدرس العميق: لا تستصغر نفسك أبداً. ربما تكون كلمة منك سبباً في إنقاذ مسلم من الهلاك، أو نصره مظلوم، أو تحذير غافل. المسلم الحقيقي هو من يحمل هم الدين، ولو كان في أقصى المدينة.

تطبيق عملي: هل تعلم عن خطر يهدد أخاك؟ هل رأيت منكراً يمكنك تغييره بكلمة؟ هل تعرف مؤامرة تحاك ضد مسلم؟ تحرك كالرجل المؤمن، واسع ولا تتردد.

ثانياً: دلالة "يسعى" - سرعة الحركة وفعالية المبادرة

الدلالة الحركية والنفسية لـ "يسعى"

كلمة "يسعى" ليست مجرد مشي عادي. السعي في اللغة: الإسراع مع الاهتمام والجدية. تخيل الرجل يركض، يتفادى الطرقات المزدحمة، يلهث، قلبه يدق بقوة، عيناه تبحثان عن موسى. هذا هو المشهد الذي ترسمه الكلمة.

كأنك تراه: رجل يجزّ أذيال الخوف على نفسه خوفاً من أن يفتضح أمره، لكنه مع ذلك يسرع، لا يبطئ، لا يتردد. السعي هنا يعكس أمرين:

1. عظمة الخطر - الأمر جلل، لا يحتمل التأخير.
2. عظمة الأمانة - الرسالة ثقيلة، يجب إيصالها بأسرع وقت.

ضرورة اتخاذ أسباب الحذر الاستباقي

الرجل لم ينتظر حتى يرى جنود فرعون يخرجون لقتل موسى، ولم ينتظر حتى يسمع صوت السيوف. بل جاء قبل أن يحدث الأذى، ليتخذ موسى إجراءاته الوقائية.

الدرس التربوي العظيم: في إدارة الأزمات، لا تنتظر حتى تقع الكارثة لتبحث عن حل. استشعر الخطر من بعيد، واتخذ إجراءاتك الاستباقية. هذه هي الحكمة التي تفصل بين الناجي والهلاك.

تطبيقات معاصرة:

- . في الأمن: لا ننتظر حتى يحدث التفجير، بل نرصد المخططات قبل وقوعها.
- . في الصحة: لا ننتظر حتى نموت مرضاً، بل نتخذ الوقاية قبل الوباء.
- . في العلاقات: لا ننتظر حتى ينفجر الغضب، بل نعالج المشكلة قبل تفاقمها.

أهمية السرعة في التنفيذ - لماذا "يسعى" وليس "يمشي"؟

لو قال القرآن: "وجاء رجل من أقصى المدينة يمشي"، لضاع موسى. السرعة هنا ليست ترفاً، بل ضرورة حتمية. الفارق بين دقائق وساعات يمكن أن يكون الفارق بين الحياة والموت.

ما أجمل أن نتعلم: قرار الخير لا يحتمل التأجيل. إذا أردت أن تنصح أخاك، أو تنقذ مظلوماً، أو تحذر من خطر، فلا تقل: "سأفعل غداً". فربما غداً لا يأتي.

المبادرة والإيجابية في نصره الحق

الرجل لم ينتظر أن يطلب منه المجيء، ولم يرسل رسولاً غيره. هو نفسه جاء، بنفسه، ركضاً. هذه هي الإيجابية المطلقة في مواجهة الأزمات.

رسالة مباشرة لك: لا تنتظر من يكلفك، لا تنتظر الإشارة، لا تنتظر أن يقول لك الناس "تحرك". أنت

المسؤول، أنت المبادر، أنت من يسبق الأحداث ولا ينتظرها.

كيف نطبق هذا الدرس في حياتنا؟

- عندما ترى خطأ في العمل، لا تنتظر المدير ليكتشفه، بل بادر بالتصحيح.
- عندما تعلم أن صديقك في ضائقة، لا تنتظر أن يستغيث، بل اسع إليه.
- عندما تشم رائحة فتنة في المجتمع، لا تنتظر حتى تشتعل، بل حذر مبكراً.

الآية تربي المسلم على النشاط وترك الكسل

الإسلام دين الحركة لا الجمود. هذه الآية تعلمنا أن المؤمن الحق في المواقف الحرجة يكون كالسهم المنطلق، لا كالصخرة الثابتة. الكسل في أوقات الخطر جريمة، والتباطؤ في نصرته الحق خيانة.

تأمل نفسك: عندما يحدث خطر، هل أنت من أوائل المبادرين أم من آخر المنتظرين؟ هل تركض ك الرجل المؤمن أم تمشي متثاقلاً؟
ثالثاً: الدلالات النفسية والحركية لـ "يسعى" - تحليل أعمق

كيف تعكس السرعة خطورة الموقف؟

لو قال الرجل: "جئت لأخبرك أنهم يخططون"، لكان موسى قد استرخى. لكنه جاء ساعياً، وهذه الحركة نفسها كانت رسالة موازية: "الأمر عظيم، خطر داهم، لا وقت للاسترخاء".

في علم النفس: الحركة السريعة تخلق حالة من الاستعداد والطوارئ لدى المستقبل. عندما ترى شخصاً يركض نحوك، تستعد نفسياً لخبر جلل. الرجل لم يقل بلسانه فقط، بل بجسده كله: "انتبه، الخطر قادم".

لماذا جاء من أقصى المدينة وليس من مركزها؟

هذه نقطة دقيقة جداً في هندسة المشهد. لو كان الرجل من مركز المدينة، لكان من السهل اكتشافه، ولما كان خبره بنفس القيمة. لكنه من الأقصى، وهذا يعني:

1. أنه تجاوز مسافة كبيرة، مما يؤكد جدية وإخلاصه.
2. أنه ربما كان من الفقراء أو الضعفاء الذين لا يلتفت إليهم فرعون، فكان خبرهم أدق لأنه لا يثير الشبهات.
3. أن الله يختار لنصرته من لا نتوقعهم، ليعلمنا ألا نحترق أحداً.

الدرس الروحي: لا تحتقر فقيراً، ولا تزدرى ضعيفاً، فربما يكون سيف الله في أرضه الذي ينصر به دينه.

قيمة المؤمن الحق في الأزمات: الوعي وليس الغفلة

هذا الرجل كان متابعاً للأخبار، عارفاً بالمخططات، مدركاً للمشهد كاملاً. لم يكن غافلاً ساهياً. وهذا يعلمنا أن المؤمن يجب أن يكون واعياً، يقرأ الأحداث، يحلل المخاطر، ويتصرف بناءً على وعي لا على غفلة.

تطبيق معاصر: كم من مسلمين يمرون بأزمات مجتمعاتهم وهم نيام؟ كم منا يتابع ما يحاك ضد إخوانه في كل مكان؟ الآية تدق ناقوس الخطر: كن يقظاً، كن عارفاً، لا تكن غافلاً.

أهمية التكاتف الإيماني بين المسلمين

رجل مؤمن من آل فرعون لم يقل: "موسى نبي، هو أقوى مني، لا يحتاجني". بل قال: "أنا مسؤول، أنا أخوه في الإيمان، يجب أن أنقذه". هذا هو التكافل الإيماني الذي يجعل الأمة جسداً واحداً.

روعة المشهد: إنه نبي يخاف، ومؤمن عادي يخاف أيضاً، لكن خوفهما لم يمنعهما من العمل. خوف موسى دفعه للخروج، وخوف الرجل دفعه للإنقاذ. الخوف هنا ليس جبناً، بل هو وقود للحركة.

أهمية الشجاعة

تأمل شجاعة هذا الرجل: يذهب إلى موسى علناً أو في خفاء (ليخبره، مع أن فرعون يقتل على أقل شبهة. إنه يخاطر بحياته من أجل رجل لا يعرفه إلا بالإيمان. هذه هي الشجاعة الحقيقية: أن تفعل الحق ولو كلفك ذلك كل شيء.

ونسأل أنفسنا: أين نحن من هذه الشجاعة؟ كم مرة سكتنا عن الحق خوفاً من سلطة أو مجتمع؟ كم مرة تخاذلنا عن نصره مظلوم بحجة أننا لسنا معنيين؟
رابعا : دلالة "إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك" - رصد المؤامرات واليقظة الأمنية

المبادرة في مواجهة الأزمات كمنهج تنموي

"يأتون" أي يتشاورون سراً، يخططون، يدبرون المكائد. الرجل لم يقل "تحدثوا عنك" بل "يأتون بك" - الفعل يدل على التخطيط المحكم والاتفاق السري.

الدرس: الظالمون لا يعلنون عن مخططاتهم، بل يتآمرون في الخفاء. وعلى المؤمن أن يكون لديه من الرجال من يخترق هذه الخفايا، لا بالتجسس المحرم، بل باليقظة والذكاء الاجتماعي.

تنمية حس المسؤولية الفردية

هذا الرجل شعر أن المسؤولية تقع على كتفيه. لم يقل: "ستنقذ الدولة موسى" أو "الملائكة ستحميه". بل قال: أنا من يجب أن أتحرك.

كيف نبني هذا في أنفسنا وأولادنا؟
نربي أنفسنا على أننا جزء من الحل، لا أننا متفرجون. عندما ترى مشكلة، لا تقل "الحكومة مسؤولة" فقط، بل اسأل: "ماذا يمكنني أن أفعل أنا؟"

اليقظة الأمنية والاستشراف

الرجل من أقصى المدينة كان بمثابة عين استخباراتية لصالح موسى. هذا يعلمنا أهمية وجود شبكة من المراقبين الأمناء في المجتمع، الذين يرصدون المؤامرات ويحذرون منها قبل وقوعها.

تطبيق حضاري: أي مجتمع يريد الأمن والاستقرار لا بد أن يكون أفراداه يقظين، متعاونين مع جهات الأمن، يحذرون من المخططات الإجرامية. هذه الآلية تؤسس لمبدأ "المواطن الصالح هو رجل الأمن الأول".

المنهج الإسلامي في التنمية الأمنية

الآية توازن بين:

- العمل الدؤوب (السعي) - وهو عنصر الإنتاج والبناء.
- اليقظة (الحماية) التحذير من المؤامرة (- وهو عنصر الأمن والوقاية).

لا تنمية بدون أمن، ولا أمن بدون يقظة، ولا يقظة بدون أفراد مؤمنين شجعان.

تعزيز قيمة النصح كركيزة أساسية

الرجل ختم كلمته بقوله: "فإني لك من الناصحين". النصح هنا ليس مجرد كلمة، بل هو سلوك عملي: سعى، أخبر، حذر، ثم أكد إخلاصه.

التربية العظيمة: النصيحة في الإسلام ليست فضولاً، بل فريضة دينية وواجب اجتماعي. "الدين النصيحة" كما قال النبي ﷺ. ونصرة المظلوم والتحذير من الخطر من أعظم وجوه النصيحة.

خامسا : دلالة "فاخرج فإني لك من الناصحين" - إدارة الأزمات بحكمة

لماذا أمره بالخروج وليس بالبقاء والمواجهة؟

قد يتساءل قائل: لماذا لم يقل الرجل: "قاتلهم" أو "واجههم"؟ لأن المواجهة في هذه المرحلة كانت انتحاراً. موسى وحده في مدينة فرعون، بلا جيش، بلا سلاح. الخروج كان القرار الحكيم.

درس عظيم في إدارة الأزمات: الشجاعة ليست في التهور، بل في معرفة متى تواجهه ومتى تنسحب. الانسحاب التكتيكي لحفظ النفس والكفاءات ليس جبناً، بل هو استراتيجية للبقاء من أجل معركة أكبر.

"فاخرج" - قرار شجاع ومدرس

موسى لم يتردد. خرج، لم ينتظر حتى يرى السيف مسلطاً على رقبتة. ثقة بالله مع أخذ الأسباب. هذا هو التوكل الحقيقي.

التطبيق في حياتنا: أحياناً نحتاج أن نخرج من بيئة فاسدة، من وظيفة فيها خطر على ديننا، من علاقة سامة، من مجتمع يضطهدنا. الخروج ليس هروباً، بل هو هجرة وحفاظ على الذات والقيم.

الهجرة: تغيير بيئة الخطر

هذه الآية هي بذرة فكرة الهجرة في الإسلام. الخروج من دار الخطر إلى دار الأمان. الهجرة ليست جسدية فقط، بل قد تكون نفسية واجتماعية ومهنية.

تطبيقات معاصرة:

- هجرة من بيئة عمل تغش وتزور.
- هجرة من رفاق سوء يفسدون دينك.
- هجرة من مجتمع لا تستطيع فيه إظهار دينك بأمان.

أهمية التنظيم وحسن التصرف

موسى خرج، لكنه لم يخرج مكشوفاً. بل خرج ليلاً، متخفياً، متجهاً إلى مدين. هذا يعلمنا أن الخروج يجب أن يكون منظماً، مدروساً، لا عشوائياً.

شجاعة مؤمن آل فرعون - نموذج يحتذى

هذا الرجل لم يكتف بالنصح، بل قدم نموذجاً في الشجاعة النادرة: مؤمن في قصر الطاغية، يكتف إيمانه، لكنه يفجر شجاعته في لحظة الخطر. إنه يذكرنا بأصحاب السر في كل عصر، الذين يضحون بسلامتهم من أجل سلامة الآخرين.

تحية لهذا الرجل المجهول: لم يذكر اسمه في القرآن، لكن الله خلد فعله. يكفي أنه قال: "إني لك من الناصحين". نعم، يكفي أن تكون ناصحاً أميناً شجاعاً.

سادساً: المفاهيم العملية والتربوية والرسائل المستفادة

الآن، بعد أن استخرجنا كنوز الآية، كيف نطبقها في حياتنا العملية؟

أولاً: في تربيتنا لأنفسنا وأولادنا

1. تربية اليقظة: علم نفسك وأولادك أن يكونوا مراقبين للأحداث، لا غافلين. اربطهم بأخبار أمتهم، علمهم كيف يحللون المخاطر.

2. تربية المبادرة: لا تربط الإنجاز بالتكليف. علم أولادك أن يبادروا بالخير من تلقاء أنفسهم.

3. تربية الشجاعة: علمهم أن الخوف ليس عيباً، لكن الاستسلام له هو العيب. الشجاعة أن تفعل الحق وإن خفت.

4. تربية التوكل مع الأخذ بالأسباب: علمهم أن الله يحب العبد القوي المؤمن، القوي في أخذه بالأسباب، القوي في توكله على الله.

ثانياً: في علاقاتنا الاجتماعية

1. كن ناصحاً أميناً: لا تتردد في نصح إخوانك ولو كان النصح ثقيلاً. النصيحة أمانة.

2. تكاتف إيماني: لا تترك أخاك في محنة بحجة أنك لست معنياً. أنت معني بإيمانك.

3.استشراف المخاطر: كن عينا لأهلك ومجتمعك .حذر مما ترى من مخاطر، لا تكتفِ بالمشاهدة.

ثالثاً: في إدارة الأزمات

- 1.السرعة في اتخاذ القرار: لا تؤجل قرار الخير .الفرصة قد لا تعوض.
- 2.الموازنة بين الشجاعة والحكمة: لا تتهور، ولا تجبن .اعرف متى تواجه ومتى تنسحب.
- 3.التنظيم والتدبير: أي قرار يجب أن يكون مدروساً، منظماً، وليس عشوائياً.

رابعاً: في بناء الحضارة الإسلامية

هذه الآية تؤسس لقيم عظيمة تبني الحضارة:

- . حماية النفس وحق الحياة: الخروج من مكان الخطر واجب إذا كان البقاء يؤدي إلى الهلاك.
- . حماية المؤسسات: التآمر على الباطل مذموم، وأي مؤسسة تقوم على الظلم والتآمر محكوم عليها بالسقوط.
- . التكافل الاجتماعي: المجتمع القوي هو الذي يتكافل أفرادُه بالتناصح والتعاون على البر والتقوى.

خامساً: الرسالة الختامية التي تهمس بها الآية في أذنك

أنت أيها القارئ، قد تكون في "أقصى المدينة" في نظر الناس، بعيداً عن الأضواء والمراكز .لكنك قد تكون الناصح الأمين الذي ينقذ نبياً أو ولياً أو مسلماً من الهلاك .لا تحتقر دورك، لا تستصغر قدراتك، لا تؤجل نصيحتك.

تذكر دائماً: الله عني بك، فأرسل إليك من ينقذك .وربما يريدك أنت أن تكون ذلك المنقذ لغيرك.

كن كالرجل المؤمن:

- . اسع، لا تمش.
- . بادر، لا تنتظر.
- . انصح، لا تصمت.
- . أخبر، لا تخف.
- . واخرج إذا لزم الأمر، وقل بثقة: "إني لك من الناصحين".

هكذا تبني الأمة، وهكذا تنصر الحق، وهكذا ترتقي شخصية المسلم إلى أسمى معاني الإيمان و الشجاعة والمسؤولية.

المبحث الثاني

-تفسير الآية 21 من سورة القصص: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" ^ط قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"

المقدمة: مشهد الخروج العظيم

تخيل معي هذا المشهد الذي رسمه القرآن بأبلغ البيان: موسى عليه السلام، بعد أن جاءه الرجل المؤمن من أقصى المدينة يسعى، وأخبره بأن الملائكة يأمرون به ليقتلوه، لم يتردد لحظة .كان القرار حاسماً: الخروج .لكن كيف كان هذا الخروج؟ إنه ليس خروج من انتصر، ولا خروج من قوي يأمن جانبه .بل هو خروج من خائف يرتجف قلبه، لكنه مع ذلك واثق بربه.

الآية تحكي لنا: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" ^ط قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ".

هذه ليست مجرد خطوة على الأرض، بل هي رحلة في أعماق النفس البشرية عندما تواجه الخطر، وهي مدرسة متكاملة في إدارة الخوف، والتوكل على الله، والدعاء في الشدائد، والسلوك العملي الحكيم.

اهداف الابيه ومقاصدها العامه

تحمل هذه الآية في طياتها أهدافاً عميقة:

- 1.تصوير الحالة النفسية الحقيقية للأنبياء - فهم بشر يخافون ويتربصون، وليسوا آلهة أو خارقين.
- 2.تعليم الأمة كيفية التعامل مع الخوف - تحويله من طاقة سلبية إلى دافع للعمل والدعاء.
- 3.ترسيخ مبدأ التوكل بعد الأخذ بالأسباب - الخروج هو الأخذ بالأسباب، والدعاء هو التوكل.

4. إظهار جمال العلاقة بين العبد وربّه في الأزمات - النداء "رب نجني" هو قمة الافتقار.
5. تأصيل مفهوم العدل الإلهي - الله ينجي من القوم الظالمين، لأنه لا يحب الظلم.

والآن، دعنا نقف مع كل كلمة، وكل حرف، ونستخرج أسرارها البيانية والبلاغية، وندرك دلالاتها النفسية والتربوية.

أولاً: دلالة "فَخَرَجَ" - الفاء والتعقيب السريع

اللمسة البيانية: فاء السببية والتعقيب

انتبه معي إلى الحرف الصغير "الفاء" في أول الآية: "فخرج". هذا الحرف في اللغة العربية يفيد السببية والتعقيب السريع دون تراخ. أي أنه خرج مباشرة بعد أن جاءه الخبر، لم يتأخر لحظة، لم يقل سأنام الليلة وأخرج غداً، لم يتردد. الخبر جاء، والقرار اتخذ، والتنفيذ بدأ في الحال.

السر البلاغي: لو قال القرآن "ثم خرج" لكان معناه التراخي والمهلة. لكن "فخرج" تعني الفورية. هذا يعلمنا درساً عظيماً: عندما يأتي خطر مؤكد، لا وقت للتفكير الطويل، ولا مكان للتردد. القرار يجب أن يكون سريعاً، حاسماً، فورياً.

الدلالة النفسية والتربوية

كيف نطبق هذا الدرس؟ في حياتنا اليومية، كم مرة نعرف أن علاقة ما فاسدة ونؤجل إنهاءها؟ كم مرة ندرك أن وظيفة ما فيها خطر على ديننا ونماطل في تركها؟ كم مرة نشعر بخطر محقق بنا وبأهلنا ولا نتحرك؟

الرسالة لقلبك: لا تؤجل قرار الخلاص. إذا أيقنت أن مكانك أصبح خطراً، فاخرج. الفاء هنا تقول لك: الآن، ليس غداً. الآن.

ثانياً: دلالة "منها" - ما هي "ها" العائدة عليها؟

من أي مدينة خرج؟

"منها" تعود على المدينة التي كان فيها موسى، مدينة فرعون. لكن المتأمل يجد أن الآية السابقة ذكرت "من أقصى المدينة"، وهنا يقول "خرج منها". هناك دقة بيانية: موسى لم يخرج من "أقصى المدينة" بل خرج من نفس المدينة كلها، من قلب الخطر.

اللمسة البلاغية: التعبير بـ "منها" ولم يقل "من المدينة" فيه إيجاز وحذف، يدل على أن القارئ يعرف أي مدينة، وأن الحديث عنها مستمر. وهذا يخلق جواً من الألفة مع المشهد وكأننا نراها.

الدلالة التربوية

الخروج من المدينة كلها، وليس من مكان معين فقط، يعني القطيعة الكاملة مع بيئة الظلم. ليس نصف هجرة، ولا هجرة مؤقتة، بل خروج كامل.

تطبيق: إذا كانت بيتك - سواء كانت مدينة، أو حياً، أو حتى بيتاً - تهدد دينك أو حياتك، فلا تكتف بتغيير غرفة أو طريق، بل اخرج منها تماماً. "منها" تعني كلها.

ثالثاً: دلالة "خائفاً" - تحليل الخوف بين الذم والمدح

الخوف في القرآن: متى يكون مذموماً ومتى يكون ممدوحاً؟

هذه واحدة من أدق اللمسات البلاغية في الآية. موسى عليه السلام يخرج خائفاً، والقرآن يذكره دون توبيخ. لماذا؟ لأن هناك نوعين من الخوف:

. خوف الجبن والخور: الذي يمنع من العمل ويدفع إلى التخاضل. هذا مذموم.
. خوف الحذر والاستعداد: الذي يدفع إلى أخذ الأسباب والحذر من العدو. هذا ممدوح بل هو واجب.

خوف موسى هنا هو من النوع الثاني. إنه خوف يليق بمقام النبوة، لأنه خوف طبيعي بشري في

مواجهة خطر محقق، لكنه لم يمنعه من الخروج، بل دفعه إلى الدعاء.

اللمسة البلاغية: وصفه بـ "خائفاً" مع أنه نبي يدل على أن الخوف غريزة إنسانية لا تنافي القوة والإيمان. ولو كان نبياً لكان من الطبيعي أن يخاف. بل إن عدم الخوف في موقف كهذا كان سيكون تهوراً وليس شجاعة.

الدلالة النفسية العميقة

أيتها النفس البشرية، اسمعي: الخوف ليس عيباً. الخوف هو الذي جعلك تتحرك، هو الذي أبقاك حياً. العيب هو أن يستعبدك الخوف، فيمنعك من فعل الحق. موسى خاف، لكنه خرج. أنت قد تخاف، لكن لا تدع الخوف يشل حركتك.

التربية العملية: علم أولادك أن الخوف شعور طبيعي، لكن علمهم كيف يتصرفون وهم خائفون. الخوف لا يعني التوقف، الخوف يعني توخي الحذر مع الاستمرار.

كيف نحول الخوف إلى طاقة إيجابية؟

الآية تعلمنا ثلاث خطوات لتحويل الخوف إلى قوة:

1. اعترف بخوفك - لا تنكره، موسى قال "خائفاً".

2. تحرك رغم الخوف - "فخرج".

3. توجه إلى الله بخوفك - "قال رب نجني".

رابعاً: دلالة "يَتَرَقَّبْ" - أداة الحذر والحراسة

الفرق بين "خائفاً" و"يترقب"

هنا لمسة بلاغية دقيقة جداً: جمعت الآية بين وصفين: خائفاً و يترقب. ما الفرق؟

. خائفاً: حالة داخلية في النفس، شعور بالرعب والوجل.
. يترقب: سلوك خارجي، وهو التلفت والحراسة والمراقبة المستمرة للخطر.

السر البياني: لو قال "خائفاً فقط" لفقدنا الجانب السلوكي. ولو قال "يترقب فقط" لفقدنا الجانب العاطفي. الجمع بينهما يصور لنا إنساناً كاملاً: قلبه خائف، وعينه تترقبان، وجوارحه في حالة استعداد دائم.

معنى "يترقب" في اللغة

الترقب: هو انتظار الشيء مع توقع حدوثه، مصحوباً بالحراسة والتلفت يمتنة ويسرة. إنها حالة من التوتر الإيجابي، حيث تكون كل حاسة في حالة تأهب قصوى.

تخيل المشهد: موسى يمشي، لكنه ليس كمن يمشي في نزهة. كل خطوة يلتفت فيها وراءه، يلتفت يمتنة ويسرة، يسمع كل صوت، يحس بكل حركة. هذا هو الترقب.

الدلالة التربوية: أهمية الحذر الاستباقي

موسى لم يخرج متكئاً على النبوة، ولم يقل "الله معي لن يصيبني شيء". بل أخذ بكل أسباب الحذر. هذا هو التوكل الحقيقي: الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله.

تطبيق في حياتنا:

. في الأمن: لا تكن غافلاً، توقع الخطر من أي جهة.

. في السفر: احترس من الطرق الخطرة، لا تستهين.

. في العلاقات: ترقب علامات الخطر المبكرة في علاقاتك.

الفرق بين الترقب والتوكل - مفهوم خاطئ يصححه القرآن

بعض الناس يظن أن التوكل يعني إهمال الأسباب، وأن الخائف المترقب ليس متوكلاً ٠ هذه الآية تحطم هذا المفهوم الخاطئ. موسى نبي كريم، وهو أكثر الناس توكلاً ٠ ومع ذلك كان خائفاً يترقب.

القاعدة الذهبية: التوكل عمل القلب، والأخذ بالأسباب عمل الجوارح. ولا تعارض بينهما. بل هما وجهان لعملة واحدة.

خامساً: دلالة "قَالَ رَبِّ تَجَنِّي" - نداء المضطر

اللمسة البيانية: النداء بحرف النداء المحذوف

لاحظ أن موسى لم يقل "يا رب"، بل قال "رب". في اللغة العربية، حذف حرف النداء (يا) يفيد السرعة والاستغاثة والحاجة الماسة. عندما يكون الإنسان في شدة، لا يتأنق في الكلام، بل يختصر، ينادي بأقصر الألفاظ وأسرعها.

السر البلاغي: "رب" منادى مضاف إلى ياء المتكلم. بالإضافة هنا تفيد التخصيص والاختصاص. أي: أنت ربي وحدك، لا رب لي سواك. وفي مقام الخوف والشدة، هذه الإضافة تعطي معنى الاحتماء والالتجاء.

لماذا قال "رب" ولم يقل "إله" أو "رحمن"؟

اختيار كلمة "رب" هنا له دلالة عميقة. "الرب" هو المربي، المالك، المدبر، القائم على شؤون العبد. في لحظة الخطر، الإنسان يحتاج إلى من يديره، يرشده، يكفيه. إنه يحتاج إلى مربٍّ يرعاه، وليس فقط إلى إله يعبد.

اللمسة النفسية: عندما تخاف، أي صفة من صفات الله تحتاجها؟ تحتاج إلى من يملك أمرك، يدير شأنك، يخرجك من مأزقك. هذا هو الرب.

"نجني" - فعل النجاة في أبلغ صورة

فعل "نجني" أمر، وفيه ضمير المتكلم "الياء". موسى يطلب الخلاص لنفسه أولاً ٠ ليس هذا أنانية، بل هو واجب الحفاظ على النفس. وقد قال النبي ﷺ: "ابدأ بنفسك ثم بمن تعول".

دقة بلاغية: لو قال "نجنا" لكان دعا مع نفسه غيره. لكنه قال "نجني" لأنه وحده المطلوب، والمطلوب منه الخروج وحده. هذا يعلمنا أن الدعاء يجب أن يكون مناسباً للمقام.

الدلالة التربوية: الدعاء في الشدة

موسى لم يقل: "سأخطئ، سأفكر، سأجد حلاً ٠". بل توجه إلى الله أولاً ٠ هذا لا يعني ترك الأسباب، بل يعني ترتيب الأولويات: التوكل على الله ثم الأخذ بالأسباب.

تطبيق عملي: عندما تصاب بأزمة، لا تنس الدعاء. قبل أن تتصل بالمحامي، أو تبحث عن حل، أو تتصل بصديق، ارفع يديك إلى الله وقل: "رب نجني". الدعاء ليس بديلاً ٠ عن العمل، بل هو روح العمل.

سادساً: دلالة "مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" - تحديد مصدر الخطر

"القوم" وليس "الناس" أو "الفراغة"

لماذا قال "القوم"؟ كلمة "قوم" في القرآن تستخدم غالباً للدلالة على جماعة يجمعهم نسب أو وطن أو دين، ويكون بينهم تلاحم واتحاد. فرعون وقومه كانوا متحالفين على الظلم.

اللمسة البيانية: تعريف "القوم" بأل وإضافته إلى صفة "الظالمين" يفيد الحصر. أي: أنهم القوم الذين اتصفوا بالظلم، وليس عندهم صفة أخرى تغلب عليها.

"الظالمين" - لماذا هذه الصفة تحديداً؟

موسى لم يقل "من القوم الكافرين" أو "من القوم المعادين". قال "الظالمين". لأن الظلم هو الذي أوجب الخوف والهروب. الظلم هو الذي يدفع الإنسان إلى طلب النجاة. والله سبحانه لا يحب الظالمين، وهو منجي المستضعفين من الظالمين.

الدرس الإيمانى: عندما تدعو الله، اذكر صفة أعدائك التى تتنافى مع عدل الله .قل: "الظالمين"، لأن الله لا يرضى الظلم لنفسه ولا لعباده.

الدلالة النفسية: تحديد الخطر يساعد فى مواجهته

عندما يحدد موسى مصدر الخطر) "القوم الظالمين"، فهذا يعنى أنه يعرف عدوه، ويعرف طبيعة الخطر. الخطر المجهول أخطر من الخطر المعروف .موسى كان واعياً.

تطبيق تربوي: فى تربية الأبناء، علمهم أن يحددوا مخاوفهم .لا تقل "لا تخف" .قل: "مما تخاف؟" . تحديد الخطر هو أول خطوة لمواجهته. سابعاً: اللمسات البلاغية الشاملة فى الآية

1.التقديم والتأخير: لماذا قدم "خائفاً" على "يتربق"؟

قدم الله فى الآية الخوف) الحالة الباطنة (على الترقب) الحركة الظاهرة .(هذا له دلالة نفسية عميقة: الباطن أصل للظاهر .الخوف فى القلب هو الذى أوجد الترقب فى الجوارح .لو كان القلب آمناً مطمئناً لما كان هناك ترقب.

القاعدة البلاغية: القرآن يقدم الأهم فالأهم .والخوف هنا أهم لأنه المحرك.

2.الفاء فى "فخرج" - الإسراع والحسم

سبق أن تحدثنا عنها، لكن نزيد هنا: الفاء تفيد أيضاً السببية، أى أن خبر الرجل المؤمن هو السبب المباشر للخروج .وهذا يعلمنا أن قبول النصيحة والعمل بها فوراً من علامات العقل والرشد.

3.الجمع بين الظاهر والباطن

الآية جمعت بين:

- . الباطن: الخوف فى القلب.
- . الظاهر: الترقب بالجوارح.
- . القول: الدعاء باللسان.

هذا تمثيل كامل للإنسان فى أزمة: قلب خائف، جوارح حذرة، لسان داع.

4.الإيجاز المعجز

الآية قصيرة جداً) كلمات معدودة (لكنها تحمل مشهداً كاملاً ، وحالة نفسية متكاملة، ومنهجاً عملياً شاملاً . هذا من الإعجاز البلاغى للقرآن. **ثامناً** : الدلالات النفسية والعقلية والتربوية المتكاملة

1.تصحيح مفهوم التوكل

كثير من الناس يظن أن التوكل يعنى: ألق نفسك فى خطر ولا تخف، ولا تترقب .هذه الآية تصحح هذا الفهم .موسى خرج، خائفاً، يتربق، وداعياً .وهذا كله مع توكله على الله.

القاعدة: التوكل لا ينافى الخوف الطبيعى، ولا ينافى الحذر، ولا ينافى الدعاء .التوكل هو قطع الاستعانة بالأسباب مع الإقرار بأن النجاة من الله.

2.إدارة الخوف - نموذج موسى

موسى يقدم لنا نموذجاً عملياً فى إدارة الخوف:

الخطوة التطبيقية
الاعتراف بالخوف "خائفاً"
تحويل الخوف إلى حركة "فخرج"

تحويل الخوف إلى حذر "يترقب"
تحويل الخوف إلى دعاء "رب نجني"
تحديد مصدر الخوف "من القوم الظالمين"

3. أهمية الحفاظ على النفس

هذه الآية تؤسس لمبدأ عظيم في الإسلام: حفظ النفس مقصد من مقاصد الشريعة. موسى لم يقل "أسأستشهد"، بل سعى للنجاة. وهذا يعلمنا أن الخروج من مكان الخطر واجب إذا كان البقاء يؤدي إلى الهلاك، وأن طلب النجاة ليس عيباً.

4. التخطيط الاستباقي

"يترقب" تعني أن موسى كان يخطط لطريقه، يختار الأوقات المناسبة، يتفادى الكائنات. هذا يعلمنا أن التخطيط المسبق للمواقف الخطرة أمر ضروري.
تاسعا : الرسائل والتوجيهات العملية المستفادة

الرسالة الأولى: الخوف شعاع إلهي يحميك

لا تظن أن الخوف ضعف. الخوف الذي يدفعك إلى الاحتراز هو هبة من الله. لو لم تخف، لتورطت في المخاطر. استمع إلى خوفك، لا تتجاهله، لكن لا تدعه يشلك.

الرسالة الثانية: لا تتردد في الخروج من بيئة الظلم

إذا كنت في مكان يظلم فيه الناس، أو يظلم فيه دينك، أو تهدد حياتك، فاخرج. الهجرة سنة إلهية من لدن آدم إلى يوم القيامة.

الرسالة الثالثة: اجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل

لا تكن متواكلاً فتكسل، ولا تكون معتمداً على الأسباب فتنسى الله. اجمع كما جمع موسى: خروج، خوف، ترقب، دعاء.

الرسالة الرابعة: الدعاء في الشدة عبادة القلب قبل اللسان

علم أولادك أن يلجأوا إلى الله في كل خوف وضيق. اجعل الدعاء عادة في السراء والضراء، وفي الشدة تظهر حقيقته.

الرسالة الخامسة: كن حذراً لكن لا تفقد الأمل

موسى كان خائفاً، لكنه لم ييأس. خرج يبحث عن النجاة. أنت قد تخاف، لكن لا تتوقف عن البحث عن حل.

عاشر : تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نربي أنفسنا على هذه الآية؟

1. تمرين تحديد الخطر: عندما تشعر بالخوف، اكتبه على ورقة. ماذا تخاف بالضبط؟ من تخاف؟ هذا التمرين يشبه "الترقب" الذي فعله موسى.

2. تمرين سرعة اتخاذ القرار: درب نفسك على عدم التأجيل في قرارات الهجر الضرورية. ضع قاعدة: "إذا تأكدت من خطر شيء، فلا تؤجل الخروج منه أكثر من 24 ساعة".

3. تمرين الدعاء في الأزمات: احفظ دعاء موسى "رب نجني من القوم الظالمين". وورده في كل موقف صعب.

4. تمرين الموازنة: في كل قرار مهم، اسأل نفسك: هل أخذت بالأسباب الكافية؟ هل توكلت على الله حقاً؟

في تربية الأبناء

. علمهم أن الخوف طبيعي، لكن علمهم كيف يتصرفون وهم خائفون.

- دريهم على الترقب: انظر يميناً وشمالاً قبل عبور الطريق، هذا ترقب.
- علمهم دعاء الخوف: "رب نجني".
- لا تعاقبهم على الخوف، وعلمهم أن الشجاعة ليست عدم الخوف، بل التصرف الصحيح رغم الخوف.

في علاقاتنا الاجتماعية

- إذا شعرت أن علاقة ما تضررك، فاخرج منها ولا تتردد.
 - إذا شعرت أن بيئة عمل سامة، فخطط للخروج بهدوء وحكمة.
 - كن ناصحاً للآخرين مثل الرجل من أقصى المدينة، وكن متقبلاً للنصيحة مثل موسى.
- الخاتمة: وقفة مع النفس

أيها القارئ العزيز، بعد أن سرنا معاً في رحاب هذه الآلة الكريمة، وتذوقنا لمساتها البيانية، واستشعرنا دلالاتها النفسية والتربوية، أفق معك في لحظة تأمل أخيرة:

موسى عليه السلام، نبي من أولي العزم، يخرج خائفاً يترقب، ويدعو ربه أن ينجيه. هذا المشهد ليس مشهد ضعف، بل هو مشهد صدق مع النفس، وصدق مع الله. إنه يعلمك أن تكون صادقاً مع خوفك، صادقاً مع حاجتك، صادقاً مع ربك.

لا تتصنع الشجاعة عندما تكون خائفاً. اعترف بخوفك، لكن تحرك. ترقب، احترس، خطط، وقل بصدق: "رب نجني".

فمن ينجيك إذا لم ينجك الله؟ ومن يحميك إذا لم يحمك الله؟

رب نجني من كل ظالم، ومن كل خوف يمنعني من فعل الخير، ومن كل تردد يؤخر خروجي مما يؤذيني. آمين.

المبحث الثالث

تفسير الآية 22 من سورة القصص: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ".

المقدمة: لحظة التوجه بعد الخروج

بعد أن خرج موسى عليه السلام من مدينة فرعون خائفاً يترقب، وبعد أن دعا ربه أن ينجيه من القوم الظالمين، ها هو الآن في طريقه إلى وجهة مجهولة. ليس معه خريطة، ولا دليل، ولا رفيق. إنه وحده في صحراء قاحلة، خلفه الخطر، وأمامه المجهول.

تخيل هذا المشهد بإحساسك: شاب يترك كل شيء، يمشي على غير هدى، لا يعلم أين يتجه إلا بإلهام داخلي أو بخبر سمع به. وفجأة، يقرر في قلبه أن يتوجه لتقاء مدين. ليس لأنه يعرف الطريق، بل لأنه سمع عنها أنها بلد قوم صالحين، أو لأنه ألهمه ربه. وفي هذه اللحظة الفارقة، لم يقل: "يا رب دلني على الطريق" فقط، بل قال بأسلوب مليء بالأدب والرجاء والخوف والأمل: "عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ".

هذه الآية ليست مجرد جملة قالها نبي في سفر، بل هي مدرسة في التوكل العملي، والأدب مع الله، والتفاؤل في الشدة، واليقين بأن الهداية من الله وحدها. إنها تعلمك كيف تواجه المجهول، وكيف تتحدث مع ربك عندما تكون في أمس الحاجة إلى التوجيه.

***أهداف الآية ومقاصدها العامة

هذه الآية تحمل أهدافاً عظيمة:

1. إظهار بشرية الأنبياء وافتقارهم لله - فموسى لا يعلم الغيب، ولا يعرف الطريق بنفسه.
2. تعليم الأمة أدب الدعاء في السفر والحيرة - كيف نطلب الهداية بأسلوب الرجاء لا الجزم.
3. ترسيخ مبدأ أن الهداية بيد الله وحده - لا بالخرائط ولا بالبوصلات وحدها.
4. إشاعة روح التفاؤل والأمل - "عسى" كلمة أمل في رحمة الله.
5. تأصيل قيمة المبادرة مع التوكل - توجه أولاً، ثم ادعُ ثانياً.

والآن، دعنا نفوس في أعماق هذه الكلمات القليلة التي تحمل بحراً من المعاني.
***أولاً: دلالة "وَلَمَّا تَوَجَّهَ" - لحظة التحول الحاسمة

اللمسة البيانية: "لما" و"توجه" - ظرفية وحالة

"لما" في اللغة العربية ظرف بمعنى "عندما" أو "حين"، وتفيد المفاجأة أو التعقيب أو ترقب حدوث شيء بعد شيء. هنا، "لما توجه" تعني: في اللحظة التي وجه فيها وجهته، وفي تلك اللحظة بالذات قال. هناك ارتباط وثيق بين الفعل والقول.

السر البلاغي: لو قال "ثم توجه" أو "بعد أن توجه"، لانفصل القول عن الفعل. لكن "لما" تشير إلى أن القول صدر في نفس لحظة التوجه، كأن التوجه ولد الدعاء. هذا يعلمنا أن العمل الصالح يستدعي الدعاء، والدعاء يصاحب العمل.

معنى "توجه" - ليس مجرد مشي

"توجه" تأتي من "وجه" أي صرف وجهه ونيته وقصده إلى جهة معينة. إنها ليست خطوة عابرة، بل هي عزم وإرادة وقصد. موسى لم يسر حائراً، بل وجه وجهته بوعي وإصرار نحو مدين.

الدلالة النفسية: عندما تكون في حيرة، أول خطوة للخروج منها هي أن تتخذ قراراً بالتوجه إلى مكان ما، إلى حل ما، إلى هدف ما. التوجه هو بداية الطريق. ولو كان الطريق غير معروف، فالتوجه الصحيح هو نصف الحل.

الدلالة التربوية: لا تنتظر الرؤية الكاملة

موسى لم يعرف كل تفاصيل الطريق إلى مدين، لكنه توجه. هذا يعلمك أنك لست بحاجة إلى رؤية كاملة للمستقبل لكي تبدأ. ابدأ بالتوجه في الاتجاه الذي ترجحه، والله سيهديك بعد ذلك.

تطبيق عملي: إذا كنت حائراً في اختيار تخصص أو وظيفة أو زوج، لا تنتظر حتى تعرف كل شيء. توجه نحو الخيار الذي تراه أقرب إلى الصواب، وقل "عسى ربي أن يهديني". الهداية تأتي بعد التوجه، وليس قبله.

***ثانياً: دلالة "تلقاء مدين" - جهة مجهولة ومعروفة في آن

لماذا "مدين" وليس "أرض مدين"؟

"مدين" هي اسم بلد أو قبيلة. القرآن يذكرها دون تعريف، مما يدل على أن موسى كان يعرف عنها شيئاً، ربما سمع أنها أرض فيها أمان وليس فيها ظلم مثل ظلم فرعون.

اللمسة البلاغية: حرف الجر "تلقاء" يفيد الاستقبال والمقابلة، أي أنه جعل وجهه مقابل مدين، متجهاً إليها مباشرة. ليس ملتفتاً يمنة أو يسرة، بل مصمماً.

"تلقاء" - لماذا لم يقل "إلى مدين"؟

"تلقاء" تعني ناحية أو جهة، وليس بالضرورة أن تكون مدين هي الهدف المحدد بدقة. إنها تعبر عن توجه تقريبي، لأن موسى لم يكن يعرف الطريق بدقة. هذا من روعة التعبير القرآني: هو يتجه نحو جهة مدين، لكنه لا يعرف أين مدين بالضبط.

الدلالة النفسية: كم مرة توجهت إلى هدف لا تعرف كيف تصل إليه بالضبط؟ هذا هو واقع الإنسان. لاية تعلمك ألا تشك الحيرة، بل توجه نحو الجهة الصحيحة ولو تقريباً.

الدلالة التربوية: المعرفة النسبية تكفي للبدء

ليس شرطاً أن تعرف كل شيء. موسى عرف اسم البلد واتجاهها العام، وهذا كان كافياً ليبدأ. البدء بنصف معلومة أفضل من عدم البدء أبداً.

***ثالثاً: دلالة "قال" - القول في المقام المناسب

لماذا قال في هذه اللحظة تحديداً؟

موسى لم يقل وهو في المدينة، ولم يقل بعد أن وصل إلى مدين. قال لما توجه. أي في بداية الطريق، في لحظة الشروع. هذا يعلمنا أن الدعاء يكون في بداية العمل، ليبارك الله العمل ويهديك

فيه.

السر التربوي: استحباب دعاء السفر عند بدايته، ودعاء الدراسة عند بدايتها، ودعاء الزواج عند بدايته .
ابداً كل عمل بدعاء التوجه والهداية.

الدلالة البلاغية: إسناد القول إلى موسى

الآية لم تقل "فدعا" بل "قال". "قال" هنا تحمل معنى الدعاء والرجاء. وهي صيغة تحمل الوقار و الهدوء، وليس الصراخ أو الاستغاثة. موسى خرج من حالة الخوف والترقب إلى حالة من السكينة و الرجاء.

اللمسة النفسية: عندما تبدأ رحلة جديدة، لا تبدأ بالذعر. خذ نفساً عميقاً، وقل بكلمات هادئة: "عسى ربي أن يهديني". هذا يهدي نفسك ويربط قلبك بالله.
***رابعاً: دلالة "عسى" - كلمة الأمل والأدب مع الله
"عسى" من الله ومن العبد: فرق عظيم

"عسى" في اللغة تفيد الترجي (الأمل) إذا كانت من العبد، والإيجاب إذا كانت من الله. فإذا قال الله "عسى" فهو واجب الوقوع. وإذا قال العبد "عسى" فهو رجاء وأمل.

اللمسة البلاغية الدقيقة: موسى قال "عسى ربي" وليس "عسى الله". "ربي" هنا تعني المربي والمدبر . وهو يطلب من ربه أن يهديه، لكن بأدب جميل، لا على سبيل الإلزام أو الجزم، بل على سبيل الرجاء والأمل.

لماذا لم يقل "اهديني" مباشرة؟

هذا من أعظم دروس الأدب مع الله. موسى كان بإمكانه أن يقول "رب اهديني" بصيغة الأمر. لكنه اختار صيغة الرجاء "عسى". لماذا؟

. لأنه يخاطب ربه، والأدب مع الله أن لا تجزم على الله بشيء.
. لأنه يعلم أنه لا يستحق الهداية إلا بفضل الله.
. لأنه يريد أن يظل قلبه معلقاً بالله، لا واثقاً بنفسه.

الدرس التربوي: في دعائك، لا تقل "لا بد أن تفعل" بل قل "عساك تفعل". كن على حافة الرجاء، لا على حافة الادعاء. الأدب مع الله أن تخاطبه بلسان الافتقار لا لسان الافتخار.

الدلالة النفسية: قوة الأمل في الشدة

"عسى" كلمة صغيرة لكنها تحمل طاقة هائلة من الأمل. عندما تكون في ضيق، وتقول "عسى ربي أن يفرجها"، فإنك تضح في نفسك أملاً يجعلك تواصل الطريق. موسى كان في صحراء، لا طعام معه ولا ماء ولا دليل، لكنه قال "عسى". هذه الكلمة حملته إلى النجاة.

تطبيق: إذا كنت في أزمة، لا تقل "يارب نجني" فقط. قل "عسى ربي أن ينجيني". هذه الصيغة تمنحك الأمل والقوة والاستمرارية.
***خامساً: دلالة "رَبِّي" - الإضافة التي تمنح الأمان

لماذا قال "ربي" ولم يقل "رب" فقط؟

إضافة "ربي" إلى ياء المتكلم تفيد الاختصاص والقرب. موسى يقول: أنا وأنت، أنت ربي الذي رباني، الذي رعاني منذ صغري، الذي أنقذني من القتل، الذي علمني، الذي اختارني. هذه الإضافة تمنح الداعي شعوراً بالأمان والخصوصية.

اللمسة النفسية: عندما تنادي شخصاً باسمه فقط، تشعر بمسافة. عندما تناديه بـ "أبي" أو "أخي" أو "صديقي"، تشعر بقرب. هنا موسى ينادي بـ "ربي" مضافاً إلى نفسه، فيشعر بقرب الله منه واختصاصه به.

الدلالة التربوية: اجعل علاقتك بالله علاقة قرب لا بعد

علم نفسك أن تنادي الله بـ "ربي" دائماً. ليس فقط "رب العالمين" بل "ربي أنا". هذه التربية تجعل الدعاء ينبع من القلب لا من اللسان فقط.

***سادساً: دلالة "أَنْ يَهْدِيَنِي" - الهداية في أوسع معانيها

ما هي الهداية التي طلبها موسى؟

الهداية ليست فقط دلالة على الطريق. الهداية في القرآن تشمل:

- هداية الطريق (الدلالة على الطريق الصحيح)
- هداية التوفيق (أن يوفقه الله للسير فيه)
- هداية الثبات (أن يثبته على الطريق)
- هداية النجاة (أن يخرج من الضيق إلى السعة)

موسى طلب كل هذه المعاني. كان يحتاج إلى:

1. أن يعرف الطريق إلى مدين.
2. أن يوفق في سلوك هذا الطريق.
3. أن يثبت حتى لا يضل.
4. أن ينجو من فرعون ومن المخاطر.

اللمسة البلاغية: قدم الفعل "يهديني" على المفعول به "سواء السبيل" رغم أن الأصل "يهديني سواء السبيل". هذا التقديم يفيد الاهتمام بالهداية نفسها، ثم بالطريق. المهم هو أن يهديه الله، وأي طريق يهديه إليه هو الخير.

الدلالة النفسية: الهداية حاجة مستمرة

موسى نبي، ومع ذلك يحتاج إلى هداية الله في كل خطوة. هذا يعلمك أنك مهما وصلت من علم أو إيمان، فإنك في حاجة دائمة إلى هداية الله. لا تستغني عنها أبداً.

تطبيق: في كل صلاة، نقرأ "اهدنا الصراط المستقيم" سبع عشرة مرة على الأقل في اليوم. هذا لأن حاجتنا للهداية تتجدد كل لحظة.

***سابعاً: دلالة "سَوَاءَ السَّبِيل" - الطريق الوسط المستقيم

معنى "سواء" لغة وبلاغة

"سواء" تأتي بمعنى الوسط، العدل، الاستواء، الاستقامة. "سواء السبيل" هو الطريق الأقوم، الأعدل، الأ وسط، الواضح. وهو ضد الطريق المعوج أو الضيق أو المتشعب.

اللمسة البيانية: إضافة "سواء" إلى "السبيل" تفيد أن الطريق نفسه مستقيم ومعتدل وواضح. موسى لم يطلب أي طريق، بل طلب أفضل طريق، أعدله، أوضحه.

لماذا طلب "سواء السبيل" وليس "السبيل" فقط؟

هذا يدل على كمال حرص موسى. لم يطلب أن يصل إلى مدين بأي طريق، بل طلب الطريق الأسهل، الأقصر، الأكثر أمناً، الأوضح. هذا يعلمنا أن نطلب من الله الخير كله، لا أي خير.

الدرس التربوي: عندما تدعو الله، لا تكن عامياً. اطلب أفضل ما يريده الله لك. قل "رب اهديني لأحسن الأخلاق، لأفضل الأعمال، لأقوم السبل". موسى علمك أن تطلب سواء السبيل وليس أي سبيل.

الدلالة النفسية: الإنسان يبحث عن اليقين

في حالة الحيرة، الإنسان لا يريد أي طريق، يريد الطريق الواضح الذي لا شك فيه. "سواء" تعني الاستواء والوضوح. موسى كان خائفاً ضائعاً، فاحتاج إلى يقين. فطلب من الله أن يهديه إلى الطريق الذي يزيل حيرته.

***ثامناً: اللمسات البلاغية الشاملة في الآية

1. تقديم "عسى" على الفعل

لو قال "يهديني ربي عسى" لاختلف المعنى. تقديم "عسى" يفيد الاهتمام بالأمل والرجاء قبل الهداية . إنها كمن يفتح قلبه للرحمة قبل أن يطلب شيئاً.

2. تكرار ياء المتكلم

"ربي" (الياء)، "يهديني" (الياء). (تكرار ياء المتكلم في آية قصيرة يعطي إحساساً بالقرب والخصوصية، وكان موسى يتحدث مع ربه في خلوة تامة.

3. الإيجاز مع الإعجاز

ثلاث كلمات فقط: "عسى ربي أن يهديني سواء السبيل" - لكنها تحمل:

- . أسلوباً أدبياً في الدعاء
- . طلباً شاملاً للهداية
- . إقراراً بالافتقار
- . أملاً عظيماً
- . تحديداً دقيقاً للمطلوب

هذا هو إعجاز القرآن: كلمات قليلة، معان لا تنتهي.

4. التوجيه نحو الغاية دون ذكر الوسيلة

موسى ذكر الغاية (الهداية إلى سواء السبيل (ولم يذكر الوسيلة) كيف؟ متى؟ أين؟ (هذا يعلمك أن الله أعلم بكيفية تحقيق ما تطلب. لا تطلب من الله الطريقة، بل اطلب النتيجة، والله يدبر لك الطريقة.

***تاسعاً: الدلالات النفسية والعقلية والتربوية المتكاملة

1. إدارة حالة "الحيرة" - نموذج موسى

موسى يقدم لنا نموذجاً نفسياً رائعاً في التعامل مع الحيرة:

الخطوة سلوك موسى تطبيقيك
الاعتراف بالحيرة توجه تلقاء مدين) مع أنه لا يعرف الطريق (اعترف أنك لا تعرف كل شيء
اتخاذ قرار التوجه نحو جهة معينة لا تبق حائراً، اختر اتجاهاً
طلب الهداية الدعاء بالأسلوب المناسب أسأل الله أن يرشدك
التفاؤل قال "عسى" وليس "لعل" توقع الخير من الله
ترك التفاصيل لله لم يقل "أرني الخريطة" ثق بأن الله سيدبر لك

2. مفهوم التوكل العملي

بعض الناس يظن أن التوكل هو الجلوس والدعاء فقط. موسى علمنا: توجه أولاً ، ثم ادعُ ثانياً . التوكل ليس تعطيلاً ، للأسباب، بل هو روح تسري في الأسباب. توجه بجسدك، وقل بقلبك: "عسى ربي أن يهديني".

3. التفاؤل المشروع في الإسلام

"عسى" هي كلمة التفاؤل في القرآن. في الشدة، لا تيأس. قل "عسى". الله يحب من عبده أن يظن به خيراً. قال الله في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي". فإذا قلت "عسى ربي" فقد أحسنت الظن بالله.

4. الأدب مع الله: لا تجزم على الله

من أعظم ما نتعلمه من هذه الآية: أدب الدعاء. لا تقل "رب اهديني" فقط، بل قل "عساك تهديني".

ليس لأنك تشك في قدرة الله، بل لأنك تعلم أنك لا تستحق، وأن كل شيء بفضل الله. الأدب أن تطلب ولا تلجّ بطريقة جازمة.

5. أهمية البدء بالنية الصحيحة

"توجه" فيها معنى النية والقصد. موسى لم يخرج هارباً فقط، بل توجه بقصد الوصول إلى مكان صالح. هذا يعلمك أن الهروب من الشر يجب أن يكون مصحوباً بالتوجه إلى الخير. لا تترك شيئاً إلا لتذهب إلى شيء أفضل.

***عاشراً: الرسائل والتوجيهات العملية

الرسالة الأولى: لا تعرف الطريق؟ ابدأ بالتوجه

كثير من الناس ينتظرون أن تتضح لهم الرؤية 100 % قبل أن يبدأوا. هذه الآية تقول: ابدأ بالتوجه، واطلب الهداية أثناء السير. الوضوح يأتي مع الحركة، وليس قبلها.

الرسالة الثانية: أمل المؤمن لا ينقطع

موسى خرج من بلده، بلا مال، بلا رفيق، بلا طعام، بلا خريطة، ومع ذلك قال "عسى". هذا هو المؤمن: لا ييأس أبداً. في أصعب الظروف، تبقى "عسى" في قلبه ولسانه.

الرسالة الثالثة: أدب الدعاء نصف العبادة

تعلم من موسى أن تخاطب ربك بأدب. لا تقل "يا الله أعطني" فقط. قل "عساك يا رب أن تعطيني". هذه الصيغة تربط قلبك بالله، وتجعلك تشعر بحاجتك الدائمة إليه.

الرسالة الرابعة: اطلب أفضل ما عند الله

لا تكن مقنعاً بالقليل في دعائك. اطلب "سواء السبيل"، اطلب أفضل الوظائف، أفضل الأزواج، أفضل الأصدقاء، أفضل الطرق. الله كريم، يحب أن يسأله عباده أحسن ما عنده.

الرسالة الخامسة: ثق بأن الله سيهديك

موسى قال "عسى ربي أن يهديني" ولم يقل "رب اهدني" بصيغة الجزم. هذا فيه ثقة مع أدب. أنت على يقين أن الله سيهديك، لكنك تعبر عن هذا اليقين بأسلوب الرجاء. وهذه قمة الأدب.

***الحادية عشرة: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نطبق هذه الآية في حياتنا؟

أولاً: في بداية أي مشروع جديد

. قبل أن تبدأ وظيفة جديدة، قبل أن تسافر، قبل أن تبدأ دراسة، قبل أن تتزوج: قل "عسى ربي أن يهديني سواء السبيل". ابدأ بالتوجه، ثم بالدعاء.

ثانياً: في أوقات الحيرة والضياع

. عندما لا تعرف أي قرار تختار، أي طريق تسلك: توجه نحو الخيار الذي ترجحه، وقل "عسى ربي أن يهديني". لا تبق في دائرة الحيرة.

ثالثاً: في تربية الأبناء

. علم أولادهم كلمة "عسى" في دعائهم. علمهم أن يقولوا "عسى ربي أن يوفقني في الامتحان"، "عسى ربي أن يرزقني صديقاً صالحاً". هذا يبني فيهم الأمل والأدب.

رابعاً: في التعامل مع الإحباط

. عندما تفشل في شيء، لا تقل "انتهى الأمر". قل "عسى ربي أن يهديني إلى ما هو خير لي". حول الإحباط إلى أمل.

خامساً: في السفر والتنقل

. كلما سافرت، تذكر موسى .قل عند بداية السفر: "عسى ربي أن يهديني سواء السبيل". حتى لو كان معك GPS ، لأن الهداية الحقيقية من الله.

تمارين عملية لتربية النفس

- 1.تمرين "عسى اليومية": كل صباح، قبل أن تبدأ يومك، قل: "عسى ربي أن يهديني اليوم إلى سواء السبيل في عملي وعبادتي وعلاقاتي".
 - 2.تمرين التوجه: عندما تواجه مشكلة، لا تبقَ في مكانك .توجه إلى جهة الحل) اذهب إلى من يمكن أن يساعدك، ابحث عن معلومة، اتخذ قراراً (وقل "عسى ربي أن يهديني".
 - 3.تمرين الأدب: في كل دعائك، حاول أن تستخدم "عسى" مرة واحدة على الأقل .قل "عسى ربي أن يفرج همي"، "عسى ربي أن يرزقني من حيث لا أحتسب".
 - 4.تمرين التفاؤل: عندما تمر بأزمة، اكتب على ورقة: "عسى ربي أن يخرجني منها إلى خير". اقرأها كل يوم .ستجد الأمل ينمو في قلبك.
- ***الخاتمة: الوقفة الأخيرة مع "عسى"

أيها القارئ العزيز، بعد هذه الرحلة في عمق آية واحدة من كتاب الله، أقف معك في لحظة تأمل:

موسى بن عمران، نبي الله وكرامته، خرج من بلده هارباً، لا يملك شيئاً، لا يعرف الطريق، لا يرى أمامه إلا صحراء قاحلة وخلفه خطر مميت .في هذه اللحظة التي تتداعى فيها كل أسباب الدنيا، لم ييأس، ولم ينفذ، ولم يقل "هلكت". بل قال كلمة غيرت مسار التاريخ: "عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ".

هذه الكلمة علمتك:

- . أن تبدأ ولا تنتظر الرؤية الكاملة.
- . أن تدعو الله بأدب وافتقار لا يجزم واستحقاق.
- . أن تظل متفائلاً " ولو كانت كل الأبواب مغلقة.
- . أن تطلب من الله أفضل الهداية، لا أي هداية.
- . أن تثق بأن الله سيهديك، ولو كنت لا ترى الطريق.

والآن، وأنت في لحظة قراءة هذه الكلمات، هل تمر بحيرة؟ هل أنت في بداية طريق لا تعرف نهايته ؟ هل تشعر بالضياع في قرار من القرارات؟

تذكر موسى .قل كما قال: "عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ". وابدأ .تحرك .توجه .فالله لا يخيب من تعلق به، ولا يضل من استهداه.

ربنا عساك تهدينا إلى سواء السبيل، عساك تخرجنا من حيرتنا إلى اليقين، عساك تجعل لنا من كل ضيق مخرجاً .أمين

المبحث الرابع.

تفسير الآية 23 من سورة القصص: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ^١ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ^٢ قَالَتَا لَا تَسْقِيَنَا يَا نَجَّارَ ^٣ وَأَبْنَا شَيْخًا كَبِيرًا"

المقدمة: مشهد البئر الأول في مدين

بعد أن قطع موسى عليه السلام الصحراء متوجهاً لتقاء مدين، وهو يردد دعاءه الجميل "عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ"، ها هو الله يستجيب دعاءه خطوة بخطوة. وصل موسى إلى ماء مدين، ذلك المكان الذي يجتمع فيه الناس لسقيا مواشيهم. تخيل معي هذا المشهد الذي رسمه القرآن بأحرف من نور:

موسى الغريب، المتعب، الجائع، العطشان، يصل إلى بئر يزحم عليه الناس. رجال أقوياء يسقون مواشيهم، يدفعون بعضهم، أصوات وزحام. وفجأة، يرى مشهداً آخر بعيداً عن الزحام: امرأتان تقفان على طرف، لا تختلطان بالرجال، تذودان (أي تكفان) أغنامهما عن الاقتراب من الماء، لأنهم لا يستطيعان مزاحمة الرجال. موسى، بفطرته النبوية، وبأخلاقه الربانية، لم يتجاهلهم. ذهب إليهما

وسأل بلطف: "ما خطبُكما؟" - ما شأنكما؟ لماذا لا تسقيان؟

أجابتا بصدق وعفة: "ثا تسقي حتّى يُصَدِرَ الرَّعَاءُ" - لا نستطيع أن نسقي حتى يخرج الرعاة وينصرفوا، لأننا ضعيفتان ولا نستطيع مزاحمة الرجال. ثم ذكرتا السبب الحقيقي: "وأبونا شَيْخٌ كبيرٌ" - لا يوجد رجل في البيت يعيننا، فاضطررنا نحن للقيام بهذه المهمة.

هذه الآية ليست مجرد حلقة في قصة موسى، بل هي مدرسة في المبادرة إلى الخير، والشهامة، و الغيرة على الضعيف، والعفة، والصدق، والتواضع. إنها تعلمك كيف تتصرف عندما ترى حاجة، وكيف تسأل دون إحراج، وكيف تقدم المساعدة دون منت.

اهداف الايه ومقاصدها العامه

تحمل هذه الآية أهدافاً عظيمة:

1. إظهار استجابة الله لدعاء موسى - "عسى ربي أن يهديني" تحققت بالوصول إلى الماء والموقف.
2. تربية المسلم على المبادرة لخدمة الناس - موسى لم ينتظر أن تطلب منه المساعدة.
3. تعزيز قيمة الشهامة والغيرة على حرمة الضعيف - رجل واحد أمام جماعة لا يخاف.
4. تأصيل مبدأ المساواة والعدل - موسى سقى للمراتين دون مقابل.
5. إظهار فضل العفة والصدق - المراتان لم تختلطا بالرجال، وذكرتا سبب ضعفهما بصراحة.
6. تعليم آداب السؤال - كيف تسأل دون إحراج (ما خطبُكما؟ وليس ما بكما؟).

والآن، دعنا نغوص في أعماق هذه الكلمات.
اولا : دلالة "ولمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ" - لحظة الوصول

اللمسة البيانية: "لما" و"ورد"

كما في الآية السابقة، "لما" تفيد التعقيب والترقب. أي: في اللحظة التي وصل فيها إلى ماء مدين، حدث ما حدث. هناك ترابط بين الدعاء السابق ("عسى ربي أن يهديني") وهذا الوصول. كأن الله يقول: هذا نتيجة دعائك.
السر البلاغي: "ورد" تعني الوصول إلى الماء، وهي كلمة تحمل معنى الورد والارتداد، أي أنه جاء يطلب الماء لنفسه أولاً. موسى كان عطشاً هو أيضاً، لكنه أثر غيره على نفسه.

"ماء مدين" - لماذا أضيف الماء إلى مدين؟

الإضافة تدل على أن هذا الماء هو ماء البئر المعروف لأهل مدين. موسى غريب، لكنه وصل إلى المكان الصحيح. هذا من هداية الله له.

الدلالة النفسية: عندما تدعو الله بالهداية، لا تنتظر معجزة. قد تكون الهداية أن يوصلك الله إلى مكان عادي، لكنه يكون بداية خير عظيم. موسى وصل إلى بئر ماء عادي، لكن هذا البئر كان بداية زواجه واستقراره.

الدلالة التربوية: استشعار فضل الله بعد الدعاء

متى وصل موسى؟ بعد أن قال "عسى ربي أن يهديني". هذا يعلمك أن تشعر بأن كل وصول إلى خير هو استجابة لدعائك، ولو كان بالوسائل العادية. لا تقل "هذا طبيعي". قل "هذا من هداية الله".
ثانياً: دلالة "وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ" - مشهد الزحام

"أمة" - لماذا وصفهم بأمة؟

"أمة" هنا تعني جماعة كبيرة كثيرة. وليس المقصود أمة بمعنى أمة الأنبياء. هذا الوصف يدل على كثرة الناس وزحامهم على الماء.

اللمسة البلاغية: لو قال "رجالا" لكان العدد قليلاً. لكن "أمة" تفيد الكثرة والتنوع. وهذا يزيد من قيمة فعل موسى: في زحام شديد، ورجال أقوياء، تأتي امرأتان ضعيفتان، ويأتي غريب واحد ليساعدهما.

"يسقون" - فعل مضارع يدل على الاستمرار

فعل المضارع "يسقون" يعطي صورة حركية مستمرة، كأنهم في انشغال تام، لا يلتفتون لمن حولهم.

هذا يصور لك المشهد الحياتي القاسي: كل مشغول بنفسه، لا أحد يرى الضعيفات.

الدلالة النفسية: كم مرة نكون مشغولين بأنفسنا لدرجة أننا لا نرى حاجة من حولنا؟ الآية تذكرنا ألا نكون كالأمة التي تسقي ولا تلتفت.

الدلالة التربوية: نقد ثقافة "كل مشغول بنفسه"

المشهد يصور مجتمعاً لا تراحم فيه، قوته يزاحمون الضعفاء. موسى جاء ليغير هذه الثقافة بعمل فردي. هذا يعلمك أنك قد تكون أنت الاستثناء في مجتمع أناني.

ثالثاً : دلالة "وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ" - مشهد الضعف والعفة

"من دونهم" - بعيداً عن الزحام

هذا الظرف المكاني "من دونهم" يعني بعيداً عن الرجال، في ناحية أخرى. المرأة المسلمة تعرف مكانها: لا تختلط، تقف على طرف، تنتظر حتى ينصرف الرجال. هذا من العفة والحياء.

اللمسة البلاغية: تقديم الظرف "من دونهم" على "امرأتين" يفيد الاهتمام بالمكانة البعيدة، وكأن الله يريد أن يلفت نظرك إلى أن هاتين المرأتين لم تكونا في وسط الرجال، بل في مكان منفصل.

"امرأتين" - التثنية التي تحمل ألماً

ذكر التثنية "امرأتين" وليس "نساء" أو "فتاتين" يدل على القلة والوحدة. هما فقط، اثنتان، لا معين لهما. هذا يزيد من شعورك بالأسى عليهما.

"تذودان" - فعل الضعف والمقاومة

"تذودان" من الذود، وهو كف الماشية وطردها ومنعها من الاقتراب من الماء. هذا الفعل يدل على:

1. ضعفهما - لأنهما تذودان، أي تمنعان أغنامهما بالقوة البسيطة.

2. عفتهما - لا تدخلان وسط الرجال.

3. صبرهما - تنتظران ساعات حتى ينصرف الرعاة.

الدلالة النفسية: تخيل امرأتين تقفان تحت الشمس، أغنامهما تظماً، والماء أمامهما، لكنهما لا تستطيعان الاقتراب. كم من الألم والصبر في هذا المشهد؟ لكنهما لم تطلبا المساعدة من أحد، حياءً وعفة.

الدلالة التربوية: العفة في العمل وليست في التواكل

هاتان المرأتان لم تبقيا في البيت وتركوا الغنم تموت عطشاً. خرجتا للعمل، لكن مع الحفاظ على العفة: لا اختلاط، لا مزاحمة. هذا يعلمك أن العفة ليست ترك العمل، بل أداء العمل في حدود الشرع.

رابعاً : دلالة "قَالَ مَا خَطْبُكُمَا" - سؤال الشهامة والأدب

"خطبكما" - لماذا لم يقل "ما أمركما" أو "ما شأنكما"؟

"الخطب" في اللغة هو الأمر العظيم ذو الشأن. موسى قال "ما خطبكما" وليس "ما أمركما" لأنه رأى مشهداً عظيماً غير عادي: امرأتان تذودان في زحام الرجال. هذا الأمر يستحق أن يسأل عنه.

اللمسة البلاغية: كلمة "خطب" توحى بأن موسى أدرك أن هناك قصة خلف هذا المشهد. لم يستصغر الموقف، بل اعتبره خطباً عظيماً.

لماذا سألهما وليس الرجال؟

هذا من شهامة موسى. لم يذهب ليسأل الرجال عن سبب وجودهما، بل ذهب إليهما مباشرة، بكل أدب واحترام. لم يتجاهلهما، ولم يتناول عليهما.

الدلالة النفسية: الشهم الحقيقي هو من يبادر إلى معرفة حاجة الضعيف، لا من ينتظر أن يشكو له.

موسى رأى مشهداً غير طبيعي، فبادر بالسؤال.

أدب السؤال: "ما خطبكما" وليس "ما بكما" أو "لماذا لا تسقيان؟"

لو قال "لماذا لا تسقيان" لكان فيه نوع من التوبيخ أو الاستنكار. لكنه قال "ما خطبكما" - ما هو أمركما العظيم؟ هذا سؤال مفتوح، محايد، غير محرج. يعطي المرأتين فرصة لشرح وضعهما دون إحراج.

الدرس التربوي: عندما تسأل شخصاً عن مشكلته، لا تبدأ بسؤال مباشر قد يخرجه. قل "ما خطبك؟" - ما شأنك؟ أترك له مساحة ليشرح ما يشاء. هذا من كمال الأدب.

خامسا : دلالة "قالتا لا تسقي حتى يصدر الرعاء" - جواب الصدق والعفة

"لا نسقي" - نفي الفعل ليس رغبة بل اضطراراً

هما قالتا "لا نسقي" وليس "ما لنا حاجة في السقي". هما تريدان السقي، لكنهما لا تستطيعان. النفي هنا للاستعانة بالإرادة.

اللمسة البلاغية: حذف المفعول به (أي لا نسقي أغنامنا) فيه إيجاز، والمقام يفهم المراد. لكن الأهم: هما لم تطلبا المساعدة مباشرة، بل شرحتا الواقع. وهذا من العفة: لا تمد اليد للسؤال، بل تعرض الحال.

"حتى يصدر الرعاء" - الانتظار الطويل

"يصدر" من الصدور، وهو الانصراف والرجوع. أي أننا ننتظر حتى يفرغ الرعاء من سقيهم وينصرفوا، ثم نأتي بعد ذلك لنسقي. هذا يعني أنهما تنتظران ساعات طويلة، في الحر، أغنامهما تعطش، لكنهما تفضلان الانتظار على الاختلاط.

الدلالة النفسية: هذا المشهد يعلمك الصبر على المشقة من أجل الحفاظ على العرض. كم مرة نتنازل عن مبادئنا من أجل الراحة؟ هاتان المرأتان فضلتا العناء على الحرام.

الدلالة التربوية: لا تستحي من ذكر عجزك إذا كان للضرورة

هما قالتا بصراحة: "لا نسقي حتى يصدر الرعاء". اعترفتا بضعفهما، لكن ليس على سبيل التذلل أو الشكوى، بل على سبيل الإخبار بالحال. هذا يعلمك أن الصدق في وصف واقعك ليس عيباً، خاصة إذا كنت في مقام طلب المعونة.

سادسا: دلالة "وأبونا شيخ كبير" - العذر الحقيقي والأسرة المتماسكة

"وأبونا" - ذكر الأب فيه إشعار بالحماية

هما ذكرتا الأب مع أنهما قالتا إنه شيخ كبير لا يستطيع المجيء. لماذا ذكرتاه؟ لتعرفا موسى أن لهما حامياً وعائلة، وأنهما ليستا وحيدتين أو ساقطتين. هذا من العفة أيضاً: لا تريدان أن يظن بهما ظن سوء.

اللمسة البلاغية: تقديم "أبونا" على "شيخ كبير" يفيد الاهتمام بالأبوة والنسب، ثم وصفه بالكبر. هذا أسلوب محترم: هو أبونا أولاً، ثم هو كبير.

"شيخ كبير" - تأكيد العجز

"شيخ" يدل على الكبر، و"كبير" تأكيد. أي أنه بلغ أقصى درجات الكبر، لا يستطيع الحركة أو السعي وراء الغنم. هذا يعذر المرأتين أكثر: ليس عندهما رجال، فاضطرتا للخروج.

الدلالة النفسية: كم من أسر تعاني من غياب الراعي، فتضطّر النساء للقيام بأعمال شاقة؟ هذا المشهد يصور معاناة الضعفاء، ويدعو الأقوياء إلى نجدتهم.

الدلالة التربوية: تكريم الأسرة وعدم استغلال الغربة

موسى عرف أن لهاتين المرأتين أباً، وأنهما ليستا وحيدتين، لكنه مع ذلك ساعدهما. ليس كل من يساعد امرأة يكون له نية سيئة. الشهامة النبوية تعرف حدودها.

سابعاً : اللمسات البلاغية الشاملة في الآية

1. التكرار: "وجد" مرتين

قال "ووجد عليه أمة" و"ووجد من دونهم امرأتين". التكرار يفيد التنوع والمفاجأة. وجد شيئين مختلفين تماماً: زحام رجال، وضعف امرأتين. هذا التضاد يبرز جمال المشهد.

2. المفاجأة بالانتقال من الكثرة إلى القلة

من "أمة" كثيرة إلى "امراتين" قليلة. هذا الانتقال المفاجئ يخلق انتباهاً في نفس القارئ. كان من المتوقع أن يجد موسى رجالاً فقط، لكن المفاجأة كانت المرأتين.

3. الإيجاز في الحوار

الحوار بين موسى والمرأتين قصير جداً، لكنه يحمل معاني عميقة:

- سؤال موسى: كلمتان "ما خطبكما"
- جوابهما: جملة قصيرة "لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير"

هذا الإيجاز يدل على سرعة الموقف، وحسن الأدب، وعدم التطويل في غير حاجة.

4. حكمة حذف رد موسى عليه السلام

الآية لم تذكر ماذا قال موسى بعد أن سمع جوابهما. لماذا؟ لأن القرآن يريد أن ينتقل إلى المشهد التالي مباشرة: موسى يسقي لهما. هذا الحذف يدل على أن الموقف كان واضحاً لا يحتاج إلى كلام. الفعل كان أبلغ من القول.

ثامناً الدلالات النفسية والعقلية والتربوية المتكاملة

1. مبادرة الخير دون انتظار الطلب

موسى لم تطلب منه المرأتان المساعدة. هما فقط شرحتا وضعهما. لكنه بادر. هذا يعلمك أن المؤمن الحقيقي لا يحتاج إلى أن يطلب منه الخير، بل يسبق إلى اكتشاف الحاجة.

تطبيق: في بيتك، في عملك، في مجتمعك، لا تنتظر أن يطلب منك أحد المساعدة. راقب، اكتشف، بادر.

2. الشهامة والغيرة على الضعيف

موسى رأى ضعيفتين في زحام رجال، فتحرك. لم يقل "ما لي ولهاتين"، ولا قال "سأكمل طريقتي". الشهامة خلق إسلامي أصيل: أن يغار الرجل على كرامة المرأة الضعيفة.

3. العفة في العمل - نموذج المرأتين

هاتان المرأتان نموذج في العفة العملية:

- لا تختلطان بالرجال.
- تنتظران حتى ينصرفوا.
- تتصرفان بكرامة وصدق.
- تذكران وجود أبيهما للحفاظ على السمعة.

الدرس للنساء: يمكنك العمل والخروج للحاجة، مع الحفاظ على العفة والحياء. العفة ليست حبساً في البيوت، بل سلوك في الأماكن العامة.

4. التواضع في السؤال عن الحاجة

موسى، على مكانته النبوية، لم يستنكف أن يسأل امرأتين عن شأنهما. هذا يعلمك التواضع: لا تتردد في سؤال الضعفاء عن أحوالهم.

5. الصبر والثقة بالله

المرأتان كانتا تنتظران ساعات طويلة، وثقتا بأن الله سيرسل لهما من يسقيهما. وهذا ما حدث. الصبر على المشقة مع الثقة بالله من أعظم العبادات. تأسعاً: الرسائل والتوجيهات العملية المستفادة

الرسالة الأولى: الله يهديك بعد دعائك بطرق لا تتوقعها

موسى دعا "عسى ربي أن يهديني سواء السبيل". فهداه الله إلى بئر مدين، ثم إلى امرأتين محتاجتين، ثم إلى أبيهما، ثم إلى زواج واستقرار. أحياناً الهداية تكون عبر خدمة الآخرين.

الرسالة الثانية: لا تحتقر حاجة صغيرة

قد تظن أن سقي أغنام لمرأتين عمل بسيط. لكنه كان بداية نبوة موسى، وبداية أسرة، وبداية عشرة سنوات من العمل. لا تحتقر فعل الخير، فربما يفتح الله لك به أبواباً عظيمة.

الرسالة الثالثة: الحياء من الإيمان، لكنه لا يمنع العمل

المرأتان لم تتركا العمل بحجة الحياء. تعلمتا كيف تعملان مع الحفاظ على الحياء. هذا رد على من يظن أن الحياء يعني الكسل أو التواكل.

الرسالة الرابعة: اسأل بلطف، وأجب بصدق

موسى سأل بلطف: "ما خطبكما؟". فأجابتا بصدق: "لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير". هذا نموذج في التواصل الإنساني الراقي.

الرسالة الخامسة: كن أنت التغيير في المجتمع الأناني

في مجتمع كان فيه الرجال مشغولين بأنفسهم، جاء رجل غريب واحد غير الموازين. لا تقل "المجتمع فاسد، لن أستطيع تغييره". ابدأ بنفسك، ولو كنت واحداً غريباً. ***العاشرة: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نطبق هذه الآيات؟

أولاً: في المبادرة لخدمة الآخرين

- إذا رأيت شخصاً يعاني في حمل شيء، بادر ولو لم يطلب.
- إذا رأيت شخصاً حائراً في الطريق، بادر وأرشده.
- إذا رأيت امرأة أو كبيراً في حاجة، لا تنتظر حتى يطلب.

ثانياً: في الحفاظ على العفة في العمل

- إذا كنت تعمل في مكان مختلط، التزم بالحدود الشرعية.
- لا تخلُ بامرأة أجنبية.
- غض البصر.
- ليكن عملك في مكان مكشوف أو بحضور آخرين.

ثالثاً: في تربية الأبناء

- علم بناتك العفة مع القدرة على العمل والإنتاج.
- علم أبناءك الشهامة والمبادرة لخدمة الضعيف.

· اجعل في البيت نموذجاً للمساعدة دون انتظار الطلب.

رابعاً: في التعامل مع الغرباء

· موسى كان غريباً، ومع ذلك ساعد. لا تحتقر غريباً، فقد يكون عوناً لك.
· كن لطيفاً مع الغرباء في بلدك، فربما هم في أمس الحاجة.

خامساً: في الدعاء والثقة بالله

· إذا كنت في ضيق، ادع الله كما دعا موسى.
· ثم تحرك وابحث عن الفرص.
· وثق بأن الله سيهديك إلى الخير من حيث لا تحتسب.

تمارين عملية لتربية النفس

1. تمرين "البصيرة": كل يوم، حاول أن تكتشف حاجة شخص من حوله دون أن يخبرك. ثم بادرتبليتها. سجل ذلك في مفكرتك.
 2. تمرين "السؤال اللطيف": عندما ترى شخصاً في حالة غير طبيعية، تدرب على سؤاله بلطف: "ما خطبك؟" بدلاً من "ماذا حدث معك؟".
 3. تمرين "العفة العملية": إذا كنت تعمل في مكان عام، حدد لنفسك ثلاثة حدود شرعية تلتزم بها اليوم (غض بصر، لا خلوة، لا لمس).
 4. تمرين "الغريب": إذا رأيت غريباً في مسجد أو مكان عام، بادرت بالترحيب به وسؤاله إن كان يحتاج شيئاً.
- ***الخاتمة: وقفة مع مشهد البئر

أيها القارئ العزيز، بعد أن سرنا معاً في رحاب هذه الآية، وتخلينا مشهد البئر في مدين، أريدك أن تقف معي لحظة وتتأمل:

موسى عليه السلام، نبي كريم، في أول أيام غربته، متعب، جائع، عطشان. يصل إلى بئر. كان من حقه أن يبحث عن طعام وشراب لنفسه أولاً. لكنه رأى ضعيفين، فقدم حاجتهما على حاجته. سقى لهما قبل أن يشرب هو. هذا هو الكرم النبوي، هذه هي الشهامة الربانية.

والمرأتان، في ضعفهما، لم تتوسلا، لم تبكيا، لم تمدا أيديهما. قالتا بصدق: "لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير". عرضتا حاجتهما بكرامة، فجاءتهما الكرامة من حيث لا تحتسبان: رجل غريب، لكنه نبي كريم.

ماذا نتعلم؟

- أن الخير يبدأ منك، ولو كنت غريباً.
- أن المبادرة لخدمة الناس مفتاح للبركة.
- أن العفة لا تعني العجز.
- أن الصدق في عرض الحاجة يجلب الإكرام.
- وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

والآن، وأنت تقرأ هذه الكلمات، انظر حولك: هل هناك "امرأتان تزدودان" في حياتك؟ هل هناك ضعفاء ينتظرون من يبادر؟ هل هناك حاجة يمكنك تلبيتها؟

لا تنتظر. كن كموسى. تحرك. اسق لمن يحتاج. وثق بأن الله سيرزقك من حيث لا تحتسب.

ربنا كما هديت موسى إلى ماء مدين، فاهدنا إلى مواقع الخير التي ترضيك. واجعلنا ممن يبادرون إلى خدمة عبادك الضعفاء، دون منت ولا أذى. آمين.

المبحث الخامس

تفسير الآية 24 من سورة القصص: "فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"

المقدمة: لحظة العطاء بعد العطش

بعد أن سأل موسى عليه السلام المرأتين عن خطبهما، وأخبرتهما بعجزهما عن السقي حتى يصدر الرعاء، وأن أباهما شيخ كبير، لم ينتظر موسى لحظة واحدة. تخيل معي هذا المشهد الذي يخطف الألباب:

رجل غريب، متعب، جائع، عطشان، قطع صحراء شاسعة، لم يجد طعاماً ولا شرباً بعد. يقف على بئر ماء، والناس من حوله يزحمون، والماء أمام عينيه. لكنه يرى امرأتين ضعيفتين تذودان أغنامهما. في لحظة واحدة، يتقدم موسى إلى البئر، ويسقي لهما قبل أن يسقي نفسه. لا يطلب أجراً، ولا يطلب معروفاً، ولا حتى يشترط أن يشرب أولاً. "يسقي ثم يتوارى إلى الظل".

وفي ذلك الظل، بعيداً عن أعين الناس، في خلوة تامة مع ربه، لا يطلب ملكاً ولا جاهاً ولا سلطاناً. يرفع يديه بقلب منكسر، ويقول كلمة هزت عرش الرحمن: "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ".

هذه الآية ليست مجرد استكمال للقصة، بل هي ذروة المشهد، وهي مدرسة متكاملة في:

- الإخلاص في العمل - سقى لله لا للجزاء.
- التواضع بعد العطاء - لم يمن، بل تولى إلى الظل.
- آداب الافتقار إلى الله - كيف تسأل ربك بادب وخشوع.
- الفقر إلى الله في ذروة القوة - أقوى لحظات موسى كان يقول فيها "إني فقير".

والآن، دعنا نفحص في أعماق هذه الكلمات القليلة التي فيها من الأسرار ما لا يحصى.
***أهداف الآية ومقاصدها العامة

تحمل هذه الآية أهدافاً عظيمة:

1. تعليم الإخلاص في العمل لله - موسى سقى لله لا للمرأتين ولا لأبيهما.
 2. تربية المسلم على التواضع بعد الإحسان - لا مئة، لا انتظار لشكر، بل التولي إلى الظل.
 3. تأصيل آداب الافتقار إلى الله - كيف ندعوه ونحن في أشد الحاجة.
 4. تصحيح مفهوم الغنى والفقر - الغنى بالله لا بالمال، والفقر إليه هو أعلى درجات العبودية.
 5. إظهار أن العبادة الحقيقية تكون في الخفاء - موسى تولى إلى الظل ليخلو بربه.
- ***أولاً: دلالة "فَسَقَى لهما" - فعل الإخلاص الصامت

اللمسة البيانية: الفاء والفعل الماضي

"فَسَقَى" بالفاء التي تفيد التعقيب السريع دون أي تراخ. لم يقل "ثم سقى" بل "فَسَقَى". بعد أن سمع قصتهما، لم يتأمل طويلاً، ولم يطلب منهما أجراً، ولم يشترط شيئاً مباشراً: سقى.

السر البلاغي: الفاء هنا تفيد أيضاً السببية، أي أن سبب السقي هو ما سمع منهما من عجز وضعف. هذا يعلمك أن سماع حاجة الضعيف يجب أن يكون سبباً فورياً للعمل، لا للتفكير الطويل.

"لها" - لام التعليل وليست لام الملك

"سقى لهما" وليس "سقاها". الفرق دقيق لكنه عظيم:

- "سقاها" تعني أعطاهما ماء ليشربا.
- "سقى لهما" تعني سقى أغنامهما أو مواشيهما.

هذا يدل على أن موسى فهم الحاجة الحقيقية: ليست المرأة هي التي تحتاج إلى ماء لشربها) كان يمكن أن تعطى قليلاً من ماء، بل أغنامهما هي التي تحتاج إلى سقي كثير. موسى كان ذكياً فطناً، أدرك الحاجة الحقيقية.

الدلالة التربوية: عندما تريد مساعدة أحد، لا تقدم له ما تظنه هو يحتاج. افهم حاجته الحقيقية. موسى أدرك أن السقي للأغنام، لا للمرأتين شخصياً.

كيف سقى؟ ولماذا لم يذكر القرآن التفاصيل؟

القرآن لم يذكر كيف سقى موسى، هل نزع الدلو بنفسه، هل زاحم الرجال، هل استخدم قوته. لكن المفسرين قالوا: نزع الدلو بنفسه وسقى حتى رويت الأغنام. هذا الحذف مقصود: ليبقى العمل لله، وليترك التفاصيل للخيال. المهم النتيجة: سقى.

اللمسة البيانية: الإيجاز في ذكر فعل السقي يدل على أن الفعل نفسه لم يكن مهماً بالقدر الذي كانت فيه النية والإخلاص. المهم أنه سقى، وكيف لا يهم.

الإخلاص في الخدمة: أول درس من الآية

موسى لم يعرف هاتين المرأتين، لم يرها قبل ذلك، لا يعرف أباهما، لا يعرف هل سيكافئانه أم لا. لكنه سقى. لماذا؟ لأنه أخلص النية لله. رأى حاجة فبادر، لا ينتظر جزاءً ولا شكوراً.

الدرس العميق: الإخلاص أن تعمل الخير ولو كنت في أشد الحاجة إليه أنت شخصياً. موسى كان عطشاناً، لكنه أثر غيره على نفسه. هذا هو الإخلاص الذي يرفع الدرجات.

تطبيق: كيف نربي أنفسنا على الإخلاص في الخدمات؟

- عندما تخدم أحداً، لا تنتظر منه شكراً أو مدحاً.
 - قدم الخدمة وكأنك تقدمها لله، لا للشخص.
 - لا تشترط مقابلًا، ولا تذكر خدمتك بعد ذلك.
 - إذا كنت أنت نفسك محتاجاً، فقدم غيرك على نفسك إن استطعت.
- ***ثانياً: دلالة "ثم تولى" إلى الظل" - التواضع بعد العطاء والخلوة بالله

"ثم" - التراخي الذي يحمل حكمة

بعد "فسقى" بالفاء السريعة، جاءت "ثم" التي تفيد التراخي والمهل. لماذا؟ لأنه بعد أن أنهى السقي، احتاج إلى أن يتنفس، أن يرتاح، أن يبتعد. "ثم" تعني أنه أتم العمل كاملاً، ثم بعد ذلك توجه.

السر البلاغي: لو قال "فتولى" لكان معناه أنه سقى وتولى في آن واحد. لكن "ثم" تفيد انتهاء العمل تماماً ثم الانتقال إلى ما بعده. هذا يعلمك إتقان العمل قبل الانتقال إلى غيره.

"تولى" - ليس مجرد ذهاب، بل إعراض وإقبال

"تولى" تأتي من التولي، وهو الإعراض عن شيء والإقبال على شيء آخر. موسى أعرض عن الناس، وعن البئر، وعن المرأتين، وعن الرعاة، وأقبل على الظل. هذا الفعل يدل على أنه لم يبقَ ليتحدث مع المرأتين، لم يطلب أجراً، لم يقل "سقيت لكم، ماذا ستعطوني؟". أعرض تماماً.

الدلالة النفسية: هذا يعلمك آداب المعروف: إذا قدمت معروفًا لشخص، لا تبقى لتذكره، ولا تنتظر شكره. تول، ابتعد، اذهب إلى شأنك. هذا أكمل للإخلاص.

"إلى الظل" - لماذا الظل تحديداً؟

الظل هو مكان لا شمس فيه، مكان بارد، مكان للراحة والاستتار. اختار موسى الظل لأنه:

1. كان متعباً ويحتاج إلى راحة بعد السقي.
2. أراد أن يختفي عن أعين الناس.
3. الظل مكان هادئ مناسب للدعاء والخلوة بالله.

اللمسة البيانية: تعريف "الظل" (بأل) الظل وليس ظلاً " (يدل على أنه ظل معين، ربما ظل شجرة أو جدار. وهذا يعطي خصوصية للمكان.

لماذا لم يذهب إلى الناس ليطلب طعاماً؟

موسى كان جائعاً بلا شك. كان يمكنه أن يذهب إلى الرعاة أو إلى المرأتين ليطلب طعاماً. لكنه لم يفعل. فضل أن يتوارى في الظل، ويسأل الله وحده. هذا هو كرم النفس وعزتها: لا تسأل الناس، واسأل الله.

الدرس التربوي: تعلم من موسى ألا تمتد يدك إلى الناس ما استطعت. إذا كنت محتاجاً، فاجلس في ظل بيتك، وارفع يديك إلى الله، واسأله. خيّر لك من أن تذهب تسأل الناس.

الدلالة التربوية: التواضع بعد العطاء

بعض الناس إذا قدموا خدمة، ينتظرون أن يُحتفى بهم، أن يجلسوا في صدر المجلس، أن يمدحهم الناس. موسى قدم أعظم خدمة (سقى لأغنام في زحام)، ثم ذهب إلى الظل، مكان المتواضعين، مكان الضعفاء. هذا هو التواضع الحقيقي.

***ثالثاً: دلالة "فَقَالَ رَبِّ" - النداء في خلوة الظل

"فقال" - الفاء بعد التولي

بعد أن تولى إلى الظل، في تلك الخلوة، قال. الفاء هنا تفيد السببية: سبب قوله هو أنه صار في الظل، بعيداً عن الناس، ففرغ قلبه لله.

السر البلاغي: لو قال "وقال" لكان مجرد إخبار. لكن "فقال" تدل على أن التولي إلى الظل كان تمهيداً وتوطئة للدعاء.

"رَبِّ" - نداء المحب المضطر

لم يقل "يا رب"، بل قال "رَبِّ" بحذف حرف النداء. هذا كما تعلمنا سابقاً يدل على السرعة والحاجة الماسة. وفي الخلوة، هذا النداء المختصر يعبر عن قرب شديد بين العبد وربّه.

الدلالة النفسية: عندما تكون وحيداً مع الله، لا تحتاج إلى كلمات كثيرة. "رَبِّ" وحدها تكفي. هي كلمة تفتح القلب، وتذرف الدموع، وتكشف الحاجة.

***رابعاً: دلالة "إِنِّي لَمَّا أَتَزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" - قمة آداب الافتقار

هذه الجملة هي ذروة الآية، بل هي من أروع الأدعية التي علمها الله لموسى، وأراد أن يعلمها للأمة. دعنا نحللها كلمة كلمة.

"إِنِّي" - افتتاح الحديث بالنفس

بدأ الدعاء بنفسه "إِنِّي"، إقراراً بالوجود، وإقراراً بالحاجة، وإقراراً بالعبودية. لم يقل "رب أنت الغني" فقط، بل قال "أنا الفقير". بدأ بنفسه قبل أن يذكر ربه.

اللمسة البلاغية: تقديم الضمير "إِنِّي" يفيد الاهتمام والحرص. أي: أنا بالذات، وليس غيري، أنا الفقير إليك.

"لَمَّا أَتَزَلْتُ إِلَيَّ" - الاعتراف بأن الخير كله من الله

"ما" هنا مصدرية، والتقدير: "إِنِّي لَمَّا أَتَزَلْتُ إِلَيَّ". أي: لأجل كل خير تنزله إليّ. موسى لم يحدد نوع الخير: خير الدنيا أو الآخرة، خير الطعام أو الشراب، خير الزوجة أو الولد أو المال. قال "من خير" أي أي خير كان. هذا من شرف الطلب وجمعه: لا تطلب شيئاً محدداً، بل اطلب كل خير.

السر البلاغي: "أَتَزَلْتُ" فعل يدل على أن الخير من السماء، من عند الله. لم يقل "أعطيتني" بل "أَتَزَلْتُ" إشارة إلى علو المصدر وكرمه. والخير المنزل هو الخير الكثير المبارك.

"إِلَيَّ" - التخصيص بالقرب

قال "إِلَيَّ" وليس "لي". "إِلَيَّ" تفيد الوصول والاتصال، أي الخير الذي يصل إليّ ويبلغني. وهذا فيه إشارة إلى أن موسى يريد خيراً يلامسه، يصل إليه، لا خيراً بعيداً عنه.

"من خير" - التنكير للتعظيم

"خير" نكرة في سياق الإثبات، وهي تفيد التعظيم والعموم. أي: أي خير، وكل خير، مهما كان. موسى

لم يطلب قليلا ، بل طلب الخير كله، بلا حدود .هذا من حسن ظنه بالله: لا يستحي أن يطلب كل شيء من ربه.

"فقرير" - أبلغ كلمة في الافتقار

"فقرير" وليس "مسكين". الفقرير في اللغة هو الذي انكسر فقاره) عموده الفقرير (من شدة الحاجة .إنه الذي انحنى ظهره من الفقر .صورة قوية جدا .موسى لم يقل "إني محتاج" بل قال "فقرير" - فقرير بمعنى المطلق.

الدلالة النفسية: هذه الكلمة تعني أن موسى وصل إلى درجة من الانكسار لله أنه شعر بأن عموده الفقرير قد انكسر .هذا هو الأدب مع الله: أن تأتي إليه بقلب منكسر، لا بقلب متكبر أو متعال.

الفرق بين "فقرير" و"مسكين" في السياق

المسكين أسوأ حالا ً من الفقرير في بعض التعريفات، لكن الفقرير هنا اختير لأنه يدل على كسر العظم وليس فقط قلة المال .موسى يريد أن يقول: أنا منكسر بين يديك، لا حيلة لي، لا قوة لي، لا مال لي، لا طعام لي، لا شراب لي، لا أحد لي سواك.

ترتيب الجملة: "إني لما أنزلت إليّ من خير فقرير"

الترتيب غير معتاد .الأصل: "إني فقرير إلى ما أنزلت إليّ من خير". لكنه قدم "لما أنزلت إليّ من خير" على "فقرير". لماذا؟

السر البلاغي: التقديم يفيد الاهتمام بالمطلوب أولا ً ، ثم بالحالة .كأنه يقول: أي خير تنزله إليّ، أنا فقرير إليه .المهم هو الخير الذي عندك، ثم أنا الفقرير إليه .هذا من شدة الأدب: يبدأ بذكر فضل الله وإحسانه، ثم يذكر حاجته. ***خامساً: آداب الافتقار المستفادة من دعاء موسى

هذا الدعاء القصير يعلمنا أدبا عظيما في سؤال الله .دعنا نستخرج هذه الآداب واحدا تلو الآخر:

الأدب الأول: الإخلاص لله في السؤال

لم يسأل موسى المرأتين، ولا الرعاة، ولا أحدا من الناس .لجأ إلى الله مباشرة .هذا يعلمك أن الافتقار إلى الله هو أصل العبودية، والافتقار إلى الناس مذلة.

الأدب الثاني: التوسل باسم الربوبية

قال "ربّ" وليس "إلهي". الرب هو المرابي، المدبر، المالك .عندما تكون فقريرا، تحتاج إلى من يربيك، يدبرك، يملك أمرك .هذا الاسم أنسب حال الفقر.

الأدب الثالث: الاعتراف بأن الخير كله من الله

"ما أنزلت إليّ من خير" - أي خير يأتييني، مهما كان صغيرا، فهو منزل من عندك .لا أستجلب الخير بنفسني، ولا يأتييني من غيرك.

الأدب الرابع: تعميم الطلب وعدم التحديد

"من خير" - أي خير، دون تحديد .هذا من كمال الثقة بالله: لا تقل "أعطني كذا وكذا" فقط، بل قل "أعطني كل خير تعلمه لي". الله أعلم بما ينفعك.

الأدب الخامس: التعبير عن شدة الحاجة بكلمة "فقرير"

لا تقل "أريد" فقط .قل "أنا فقرير". اعترف بانكسارك وحاجتك المطلقة .هذا أقرب إلى الإجابة.

الأدب السادس: تقديم ذكر فضل الله على ذكر حاجتك

قدم "لما أنزلت إليّ من خير" على "فقرير". هذا أدب رفيع: ابدأ بذكر إحسان الله وإمكانياته، ثم اذكر

حاجتك.

الأدب السابغ: الإلحاح في الدعاء مع الهدوء

موسى لم يصرخ، لم يرفع صوته بطريقة مزعجة. قالها بهدوء وخشوع: "إني لما أنزلت إليّ من خير فقير". هذا هو الإلحاح اللطيف.

***سادساً: اللمسات البلاغية الشاملة في الآية

1. التدرج في المشهد: سقى، ثم تولى، ثم قال

ثلاث مراحل متتالية:

- سقى - عمل الجوارح.
- تولى إلى الظل - انقطاع عن الناس.
- قال - عمل القلب واللسان.

هذا تدرج صاعد من العمل الظاهر إلى الخلوّة إلى المناجاة.

2. حذف المفعول به في "سقى"

لم يقل "سقى أغنامهما" أو "سقى ماء". هذا الحذف يدل على أن الفعل نفسه أهم من تفاصيله. المهم أنه سقى، وتاماً.

3. التضاد بين "سقى" و"تولى"

سقى للناس، تولى عن الناس. تضاد جميل: أعطى ثم انصرف، لم ينتظر شيئاً.

4. السجع الداخلي

"تولى" و"الظل" و"قال" - فيها تناسق صوتي خفيف يريح السمع.

5. التركيز على الضمائر

"إني" - "إليّ" - ياء المتكلم في "ربّ" - هذه الضمائر المتكررة تعطي إحساساً بالحديث الذاتي الحميم بين العبد وربّه.

***سابعاً: الدلالات النفسية والعقلية والتربوية المتكاملة

1. الإخلاص في العمل: أن تعمل لله دون انتظار جزاء

موسى قدم خدمة جليّة لامرأتين لا يعرفهما، ولم ينتظر منهما شيئاً. هذا هو الإخلاص: أن تفعل الخير لأن الله أمرك بالإحسان، لا لأنك تريد مدحاً أو جزاءً.

تطبيق: عندما تعمل في وظيفتك، أخلص النية لله. لا تعمل من أجل المدير أو الراتب فقط. اعمل لأن الله أمرك بالإتقان والإحسان. هذا يغير كل شيء.

2. التواضع بعد الإنجاز: لا تنتظر التكريم

موسى بعد أن سقى، لم يجلس في مكان مرتفع، بل ذهب إلى الظل. مكان المتواضعين. هذا يعلمك أن العمل لله لا يحتاج إلى احتفاء. إذا أنجزت شيئاً عظيماً، فلا تنتظر أن يصفق لك الناس. تولّ إلى الظل.

3. آداب الافتقار: كيف تدعو الله في أشد الحاجة؟

دعاء موسى يعلمك كيف تدعو في لحظة العوز المطلق:

- كن خالصاً لله، لا تسأل غيره.
- اعترف بفقرك الكامل.

- اعترف بأن كل خير من الله.
- لا تحدده، بل قل "من خير".
- كن واثقاً من كرم الله.

4. العزة في السؤال: لا تسأل الناس

موسى كان جائعاً عطشاناً، لكنه لم يسأل أحداً. فضل أن يسأل الله في الظل. هذا يعلمك عزة النفس المؤمنة: لا تذلل نفسك بسؤال الناس ما استطعت.

5. العمل الصالح مفتاح للخير

موسى ما إن سقى للمرأتين، حتى جاءه الخير من حيث لا يحتسب: دعوته استجيبت، ثم جاءته إحداهما تمشي على استحياء، ثم استأجرتة، ثم تزوج. هذا يعلمك أن البركة تأتي بعد العمل الصالح. ***ثامناً: الرسائل والتوجيهات العملية المستفادة

الرسالة الأولى: ابدأ بالخدمة ثم بالدعاء

موسى خدم أولاً (سقى)، ثم دعا (قال). (الترتيب مهم: لا تطلب من الله شيئاً وأنت لم تقدم خيراً للعباد. قدم، ثم سل.

الرسالة الثانية: الإخلاص أن تخدم ولو كنت محتاجاً

موسى كان محتاجاً للطعام والشراب أكثر من المرأتين) هما عندهما أب وأغنام وبيت، وهو غريب لا شيء معه. (لكنه خدم رغم حاجته. هذا هو الإخلاص.

الرسالة الثالثة: لا تنتظر شكر الناس

إذا قدمت خدمة، فلا تنتظر أن يقول لك الناس "شكراً". تولّ إلى الظل، وانتظر الشكر من الله.

الرسالة الرابعة: دعاء الفقراء مستجاب

أصدق الدعاء وأقربه إلى الإجابة هو دعاء من يقول "إني فقير". لا تتعاضم على الله، ولا تتكبر. كن فقيراً بين يديه، يرفعك.

الرسالة الخامسة: الخير كله من الله، فلا تيأس من رحمته

موسى قال "لما أنزلت إليّ من خير" - أي خير ينزل من عندك. وهذا يشمل كل شيء: الطعام، الشراب، الزوجة، المال، الأمن، الهداية. لا تيأس، فخزائن الله لا تنفذ. ***تاسعاً: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نطبق الإخلاص في الخدمات؟

1. في العمل التطوعي: اعمل ولا تنتظر شهادة شكر. تولّ إلى الظل بعد العمل.
2. في مساعدة الجيران: قدم الخدمة، وانصرف. لا تبقَ لتتحدث عن عملك.
3. في تربية الأبناء: علمهم أن يفعلوا الخير ثم يختفوا، لا ينتظروا المدح.

كيف نطبق آداب الافتقار؟

1. في دعائك اليومي: قل هذا الدعاء بعينه "رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير". احفظه وردد.
2. عند الحاجة: لا تذهب إلى الناس أولاً. اذهب إلى الله في خلوة، في ظل بيتك أو مسجدك، وقل هذا الدعاء.
3. عند الشعور بالغنى: تذكر أنك فقير إلى الله في كل لحظة. لا تغتر بقوتك أو مالك.

تمارين عملية لتربية النفس

1. تمرين "الخدمة الصامتة": كل يوم، قدم خدمة لشخص دون أن يعرف من فعلها. ثم تولّ إلى الظل

- (سجل شعورك).
2. تمرين "دعاء الفقر": كل يوم، اخلُ بنفسك 5 دقائق في مكان هادئ، وقل "رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير" بتدبر وخشوع.
3. تمرين "تقديم الغير على النفس": في موقف واحد اليوم، قدم حاجة غيرك على حاجتك ولو كنت محتاجاً. سجل كيف شعرت.
4. تمرين "عدم انتظار الشكر": عندما تقدم خدمة لأحد، ابتعد فوراً قبل أن يشكرك. لا تنتظر كلمة شكر.
***العاشرة: خصوصية هذه الآية في الإخلاص وآداب الافتقار

خصوصية الإخلاص في الآية

ما يميز هذه الآية في موضوع الإخلاص:

1. الإخلاص في العمل قبل الدعاء - موسى لم يدعُ الله أن يعينه على السقي، بل سقى ثم دعا. هذا يعلمنا أن الإخلاص يسبق طلب الجزاء.
2. إخفاء العمل - ذهب إلى الظل، مكان لا يراه فيه الناس. أخفى عمله الصالح. هذا من الإخلاص.
3. عدم المنة - لم يقل للمراتين "سقيت لكم". لم يذكر لهما أنه سقى أصلاً. تولى فوراً.
4. العمل رغم الحاجة الشخصية - الإخلاص الحقيقي أن تقدم خدمة وأنت في أمس الحاجة إليها. موسى كان عطشاناً جائعاً، لكنه أثر غيره.

خصوصية آداب الافتقار في الآية

ما يميز هذه الآية في الافتقار إلى الله:

1. الافتقار المطلق - لم يقل "إني محتاج" بل "فقير" وهي أشد درجات الحاجة.
 2. تقديم ذكر الخير الإلهي - قدم "لما أنزلت إليّ من خير" على "فقير". وهذا أدب رفيع.
 3. تعميم الطلب - "من خير" أي كل خير، لا شيء محدد. هذا من كمال الثقة.
 4. الجمع بين العمل والدعاء - الافتقار إلى الله لا يعني ترك العمل. بل العمل ثم الدعاء.
 5. الخلوة بالله - تولى إلى الظل ليخلو بربه. هذا يعلمنا أن أفضل الافتقار يكون في الخفاء، لا في ملأ الناس.
- ***الحادية عشرة: مقارنة بين دعاء موسى ودعاء غيره في القرآن

النبى الدعاء دلالة الافتقار
موسى "إني لما أنزلت إليّ من خير فقير" اعتراف بالفقر المطلق
أيوب "إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين" اعتراف بالضر
يونس "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" اعتراف بالظلم
زكريا "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة" طلب محدد

دعاء موسى يتميز بـ: العموم والاعتراف بالفقر المطلق دون طلب شيء محدد. وهذا أعلى درجات الأدب.

***الخاتمة: وقفة مع موسى في الظل

أيها القارئ العزيز، بعد هذه الرحلة في ظلال هذه الآية العظيمة، أريدك أن تتخيل هذا المشهد مرة أخرى، ولكن هذه المرة كأنك أنت موسى:

أنت في أرض غريبة، لا مال معك، لا طعام، لا شراب. تعب السفر أضناك. تصل إلى بئر، والناس يزحمون. ترى امرأتين ضعيفتين تنتظران في الطرف. في داخلك صراع: نفسك الجائعة العطشانة تصرخ، لكن قلبك المؤمن يدفعك إلى الخير. تقدم، تسقي لهما، تروي أغنامهما، ثم تبتعد. تذهب إلى ظل شجرة. تجلس وحدك. ثم ترفع يديك إلى السماء وتهمس: "رَبِّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير".

في هذه اللحظة، في هذا الظل، مع هذه الكلمات، تنزل البركات. يستجيب الله. ثم تأتي إحداها تمشي على استحياء... والقصة تكتمل.

ماذا نتعلم؟

. أن الإخلاص مفتاح البركة.

- أن الخدمة لله قبل أن تطلب من الله.
- أن التواضع بعد العطاء أكمل للإخلاص.
- أن الافتقار إلى الله هو أعلى مقامات العبودية.
- وأن الظل الذي تجلس فيه وحدك مع ربك قد يكون بداية لنور لا ينطفئ.

لا تنتظر حتى تمتلك الدنيا كلها لتخدم الناس. اخدم وأنت فقير. اخدم وأنت محتاج. اخدم ثم اختف في الظل. وقل بقلبك منكسر: "رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير".

فوالله، ما خاب من قالها، وما رد من دعا بها، وما ندم من عمل بها.

ربنا كما علمت موسى أدب الافتقار، فعلمنا. ووفقه للإخلاص في العمل، فوفقنا. واجعلنا من عبادك الفقراء إليك، الأغنياء بك. آمين

المبحث السادس.

تفسير الآية 25 من سورة القصص: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"

المقدمة: المشهد الذي تتنفسه الحياء والثقة

بعد أن سقى موسى عليه السلام للمراتين، وتولى إلى الظل، ورفع يديه بدعاء الفقر والانكسار "رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير"، ها هو الله يستجيب الدعوة من حيث لا يحتسب. تخيل معي هذا المشهد العذب الذي يخطف الألباب:

المرأتان تعودان إلى أبيهما الشيخ الكبير، تخبرانه بما حدث. غريب أتى، سقى لهما، ثم تولى ولم يطلب شيئاً. الأب - الذي هو نبي الله شعيب عليه السلام كما يقول أكثر المفسرين - يعرف أن هذه ليست طباع السفائين العاديين. إنه رجل فيه خير، وربما يكون مستجاب الدعوة. فيرسل إحدى ابنتيه لتدعوه.

فتخرج إحداهما. والقرآن يرسم حركتها بدقة متناهية: "تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ". ليست متبخترة، ولا خائفة، ولا مستحيية إلى درجة الارتباك. تمشي مشية المتزنة الواثقة المطيطة، مشية تحفظ كرامتها وتبعد عن طهارة قلبها. تصل إلى موسى، وتقول له بكل أدب وثقة: "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا". ليس فيها تردد، ولا خجل زائد، كلام واضح، هدفه تكريم من أحسن إليهم.

يذهب موسى معها. يقص عليه الأب قصصه. وما أن يسمع الأب قصة موسى وخروجه من مصر خوفاً من فرعون وملئه، حتى يطمئنه على الفور: "لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ".

هذه الآية تحمل في طياتها عوالم من المعاني: الحياء بلا ضعف، والدعوة بلا تردد، والجزاء بلا مئة، والأمان بعد الخوف، والطمأنينة بعد الرعب. إنها مدرسة في العلاقات الإنسانية النبيلة، ومدرسة في الثقة بالله بعد النجاة.---

اهداف الابيه ومقاصدها العامه

1. تعليم الحياء الإسلامي العملي - كيف تمشي المرأة المسلمة، وكيف تتحدث.
2. إظهار أن الإحسان يُقابل بالإحسان - الأب يدعو موسى ليجزيه أجر سقيه.
3. تأصيل مبدأ الأمان والطمأنينة - الأب يزيل خوف موسى بكلمة "لا تخف نجوت".
4. تقديم نموذج للقيادة الحكيمة - الأب لا يرسل ابنته وحدها إلا بثقة وأمان.
5. ترسيخ قيمة الاعتراف بالجميل - الأب يريد أن يكافئ من أحسن إلى أهله.

اولاً : دلالة "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا" - لماذا إحداهما وليس كليهما؟

اللمسة البيانية: التثنية ثم الإفراد

في الآية السابقة ذكر "امراتين"، وهنا يقول "إحداهما". هذا يعني أن واحدة فقط هي التي جاءت، وليس الاثنتين. لماذا؟

- الحكمة العملية: لو جاءت كلتاها لكان فيه تشبه بالرجال في العدد، وربما أثار ذلك حساسية اجتماعية.
- الحكمة النفسية: مجيء واحدة يخفف على موسى، فمشهد امرأتين معاً قد يسبب حرجاً.

. الحكمة التربوية: تعلم المرأة أن لا تخرج وحدها ليلاً لمخاطبة رجل غريب، لكن في النهار للحاجة الضرورية، وبعفة، تخرج الواحدة.

السر البلاغي: التعريف بـ "إحداهما" يدل على أنهما معروفتان، وواحدة منهما بالذات جاءت. ربما الكبرى أو الصغرى، لكن الأهم أنها جاءت بمهمة محددة.

الدلالة التربوية: العمل بروح الفريق

لم ترسل الأب كليهما، حتى لا تشغلا عن العمل، وحتى لا يكون في ذلك إفراط. علمنا هذا أن توزيع المهام من الحكمة. وفي الوقت نفسه، جاءت ممثلة عن أسرتها، وهذا يعلم المرأة المسؤولية أن تمثل أسرتها خير تمثيل.

ثانياً: دلالة "تمشي على استحياء" - مشية الحياء لا مشية الخوف

التحليل اللغوي والدلالي

"على استحياء" - الاستحياء هو الحياء، وهو خلق يبعث على اجتناب القبيح. وهنا تصف الآية مشيتها بأنها مشية حيية، ليست مشية متكبرة متبخثرة، وليست مشية خائفة متسارعة، ولا مشية مترددة متعثرة.

اللمسة البلاغية: التعبير بـ "على استحياء" وليس "مستحيية" يدل على أن الحياء كان هيئة راسخة عليها، ليست عارضة. إنها تمشي والحياء يغطي مشيتها كله.

ماذا قال المفسرون في مشيتها؟

. ابن عباس رضي الله عنه: "تضع يدها على وجهها" من شدة الحياء.
. مجاهد: "كانت تمشي مشي الحرائر الأعفاء".
. السعدي: "مشية الحرة الكريمة التي لا تخالط الرجال ولا تمشي بينهم مختلطة".

الدلالة النفسية: الفرق بين الحياء والخجل

الحياء خلق نبيل، أما الخجل فهو عيب. المرأة هنا كانت حيية، ليست خجلة. الفرق:

. الخجلة: تنظر إلى الأرض، ترتبك، لا تستطيع الكلام، تتلعثم.
. الحية: تمشي بهدوء، عيناها إلى الأمام، تتكلم بوضوح، لكن بكل أدب.

هذه الفتاة كانت حيية، فجاءت بالرسالة بوضوح وثقة، دون أن تختلط أو تتهافت.

لماذا لم تمش بسرعة أو تركض؟

لو ركضت، لكان فيه تشبه بالرجال وربما إثارة للفتنة. لو مشت ببطء شديد، لكان فيه تكاسل وإضاعة للوقت. مشيتها على استحياء كانت وسطاً بين الإسراع والتباطؤ، مع طمأنينة ووقار.

الدرس التربوي: المشي في الطريق للرجل والمرأة يكون بسكينة ووقار، ليس تبخترًا ولا ركضًا. المرأة المسلمة تمشي مشية تعفف، ولا تلفت الأنظار بزينتها أو صوت نعلها.

تطبيق معاصر: كيف نمشي؟

. للرجال: لا تمش متبخترًا مختلاً، ولا تمش متثاقلاً كسولاً. امش بسكينة ووقار.
. للنساء: لا تمش متبرجة متمائلة، ولا تمش خائفة كأنك تفعل حراماً. امش على استحياء، بثقة وطمأنينة، لكن بدون فتاة.

ثالثاً: دلالة "قالت إن أبي يدعوك" - كلام واضح بلا لف ولا دوران

لماذا قالت "أبي" ولم تقل "والدي"؟

"أبي" فيها حنان وقرب، وتعظيم للأب. وهو تعريفه بالألف واللام "الأب" المعروف عندها. هي تتحدث عن أبيها الذي يرسلها، وتعرف موسى أن هذا الأب صاحب سلطة وحكمة.

اللمسة البلاغية: الفعل "يدعوك" مضارع، يفيد الحال والاستمرار، أي أنه الآن يدعوك، في هذه اللحظة .
ليس أنه دعاك من قبل، بل هو ينتظرك.

"ليجزيك أجر ما سقيت لنا" - لماذا ذكرت الأجر؟

هذه الجملة تحمل عدة رسائل:

1. الاعتراف بالجميل: نحن نعرف أنك أحسنت إلينا، ونريد أن نكافئك.
2. طمأنة موسى: ليس في الدعوة شر، بل هي دعوة تكريم.
3. العرض دون إلحاح: نحن نريد أن نعطيك أجرك، فإن أردت فتعال، وإن لم ترد فلا.

الدلالة النفسية: هذه الفتاة تعلم أن موسى غريب وربما يحتاج إلى طعام وشراب، فجاءته بالدعوة بلطف، دون أن تقول "تعال تأكل" مباشرة، بل قالت "ليجزيك أجر"، وهذا من كمال الأدب.

لماذا لم تطلب منه أن يأتي بنفسها؟

ربما لو قالت "تعال" فقط، لكان فيه نوع من الإلحاح أو حتى الاستجداء. لكنها قالت "أبي يدعوك" فجعلت الدعوة صادرة من الأب، وهو أولى بالكرم، وهي مجرد رسالة.

الدرس التربوي: إذا أردت أن تقدم معروفاً لشخص، فاجعله على لسان كبيرك أو مسؤولك، أو قدمه بوصفه تكريماً، لا بوصفه صدقة.

رابعا: دلالة "فلما جاءه" - طاعة الدعوة والثقة

"فلما جاءه" - الفاء للتعقيب، و"لما" للوقئية

لم يتردد موسى، لم يقل "لعل فيها شراً"، لم يتكاسل. ذهب مباشرة. هذا يعلمنا سرعة إجابة الدعوة إذا كانت في معروف.

السر البلاغي: الجملة قصيرة "فلما جاءه" فيها إيجاز، لكنها تدل على أن موسى لم يسأل "من أنت؟ أين تسكن؟ لماذا يدعوني؟" بل وثق وذهب.

الدلالة النفسية: موسى بين الخوف والطمأنينة

موسى كان لا يزال في حالة حذر، فقد خرج من مصر خائفاً يترقب. لكنه عندما سمع "يدعوك ليجزيك أجر" شعر بالأمان نوعاً ما، فذهب. هذا يعلمك أن الخوف لا يمنع الثقة فيمن يظهر لك الخير.

خامسا : دلالة "وقصّ عليّ القصص" - الحوار الكاشف

"قصّ" و"القصص" - الجنس والمصدر

"قصّ" فعل، و"القصص" مفعول به من جنس الفعل (مفعول مطلق)، وهذا يفيد التكرار والتفصيل. أي أنه قص عليه القصة كلها، من أولها إلى آخرها، بكل تفاصيلها. لم يخف شيئاً.

اللمسة البلاغية: تعريف "القصص" بأل يفيد العهد، أي القصة المعروفة، قصة خروجه من مصر، وقتله القبطي، ومجيء الرجل من أقصى المدينة، وخوفه، وهروبه.

ماذا قال موسى؟ وماذا سمع الأب؟

لم يذكر القرآن تفاصيل القصة، لكن المفسرين قالوا: أخبره أنه من بني إسرائيل، وأنه قتل نفساً خطأ، وأن فرعون يطلبه ليقطله، وأنه خرج هارباً.

الدرس التربوي: الصدق في الحديث مع من تثق به. موسى لم يتصنع، لم يقل "أنا رجل تاجر" أو "أنا مسافر عادي". قال الحقيقة كاملة، وهذا دليل على طهارة قلبه.

الدلالة النفسية: الحوار كوسيلة للتفريغ

موسى كان يحمل همّاً كبيراً. عندما قص قصته على هذا الشيخ الحكيم، شعر بارتياح نفسي. الحكيم

يعرف كيف يستمع، ثم يرد بما يزيل الخوف. هذا يعلمك أهمية وجود مستمع حكيم تفضي إليه بمشكلاتك.

سادسا : دلالة "قَالَ لَا تَخَفْ" - أول كلمة طمأنيئة

لماذا قال "لا تخف" مباشرة؟

هذا الشيخ الحكيم) وهو نبي الله شعيب (أدرك أن موسى يعاني من خوف كبير. الخوف من فرعون، الخوف من القبض عليه، الخوف من المجهول. فأول كلمة قالها له: "لا تخف". هذا من فقه النفس: ابدأ بطمأنة القلب، ثم تحدث.

اللمسة البلاغية: فعل الأمر "لا تخف" مع النون الثقيلة أو الخفيفة) القراءات متواترة (يفيد التأكيد و التحقيق. أي أنك يجب ألا تخاف أبداً، لأن الخوف زال.

"نجوت من القوم الظالمين" - إعلان النجاة

لم يقل "ستنجو" بل قال "نجوت". هذا فعل ماضٍ، يفيد التحقق والوقوع. الأب يقول لموسى: من الآن ، اعلم أنك نجوت. فرعون وقومه الظالمون لن يصلوا إليك هنا.

السر البلاغي: تعريف "القوم" بـ"الظالمين" وإضافة "الظالمين" إليها يفيد الحصر، أي القوم الذين عرفتهم بالظلم، أولئك نجوت منهم. هذا إعلان أمن كامل.

الدلالة النفسية: أثر كلمة الأمان على الخائف

موسى سمعها من رجل حكيم في أرض مدين، بعيداً عن مصر. هذه الكلمة وحدها كانت كفيلة بأن تزيل جزءاً كبيراً من خوفه. هذا يعلمنا قيمة كلمة الطمأنيئة لمن حولنا. قد تكون كلمة "لا تخف" منك سبباً في حياة إنسان.

***سابعاً: اللمسات البلاغية الشاملة في الآية

1. التدرج العاطفي: من الخوف إلى الأمان

- موسى خائف يترقب) الآية. (21
- يجيئه خبر الدعوة) طمأنيئة جزئية.
- يقص القصة) تفريج.
- الأب يقول "لا تخف نجوت") طمأنيئة كاملة.

هذا تدرج عبقرى في التعامل النفسي.

2. التضاد بين مشية الاستحياء ومشية المتكبرات

الآية تصف مشيتها بـ "على استحياء"، وهذا ضد مشية المتكبرات المتبخرات، وضد مشية الخائفات المتسربلات. مشية وسطية كريمة.

3. الحذف البلاغي في "وقص عليه القصص"

لم يذكر ما قصه، لأن المهم هو رد الأب. وفي الحذف إشارة إلى أن القصة معروفة أو مفهومة من السياق.

4. التكرار في حرف الجر "من القوم الظالمين"

تكررت هذه العبارة في الآيات السابقة) موسى قال "رب نجني من القوم الظالمين"، وهنا يقول الأب "نجوت من القوم الظالمين". (هذا التكرار يربط بين الدعاء والإجابة. ***ثامناً: الدلالات النفسية والتربوية المتكاملة

1. الحياء قوة وليس ضعفاً

المرأة التي تمشي على استحياء ليست ضعيفة، بل هي قوية بعفتها. هذا يعلم الفتيات المسلمات ألا

يخجلن من حيائهن، بل يفخرن به.

2.الثقة بالله بعد الأخذ بالأسباب

موسى أخذ بأسباب النجاة) الخروج، السقي، الذهاب مع الفتاة .(والله يسر له الأمان على لسان هذا الشيخ .هذا هو التوكل.

3.الأب الحكيم: نموذج في التربية والقيادة

الأب لم يرسل ابنته في مهمة دون تدريب، لكنه وثق فيها .وعندما جاء موسى، استمع له أولاً ، ثم طمأنه .هذا نموذج في القيادة الرشيدة: الاستماع ثم الطمأنة ثم العمل.

4.مكافأة المحسن واجب

الأب يريد أن يجزيه أجر ما سقى .هذا يعلمنا أن من أحسن إلينا، يجب أن نكافئه ولو بقدر بسيط .لا نترك المعروف بلا مقابل.
***تأسعاً: الرسائل والتوجيهات العملية

الرسالة الأولى: الحياء زينة المرأة المسلمة

لا تخجلي من حيائك، ولا تتركي الحياء بحجة التحرر .الحياء يرفع قدرك، ويجعل الناس يحترمونك أكثر.

الرسالة الثانية: إذا رأيت محسناً فكافئه

لا تترك من أحسن إليك دون شكر أو مكافأة .جزاء الإحسان إحسان مثله أو أفضل.

الرسالة الثالثة: كن مستمعاً حكيماً

عندما يأتيك أحد بقصته، استمع باهتمام، ثم طمئنه .كلمة "لا تخف" قد تغير حياته.

الرسالة الرابعة: لا تحكم على الناس من ظاهريهم

الأب لم يحكم على موسى من مظهره فقط، بل استمع لقصته، ثم حكم .هذا يعلمنا ألا نصدر أحكاماً متسرعة.

الرسالة الخامسة: الأمان الحقيقي من الله ثم من أوليائه

موسى وجد الأمان عند رجل صالح .احرص على صحبة الصالحين، فهم يمنحونك الطمأنينة والأمان.
***"العاشرة: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نطبق الحياء؟

- 1.في المشي: لا تمش متمايلًا ولا متصلبًا .امش بهدوء وسكينة.
- 2.في الكلام: لا تخفض صوتك إلى درجة الهمس، ولا ترفعه إلى درجة الصراخ .تحدث بوضوح مع غض البصر.
- 3.في اللباس: لا تلبس ضيقاً ولا شفافاً، ولا تلبس واسعاً بلا أدب.

كيف نطبق مكافأة المحسن؟

- 1.إذا خدمك شخص، اشكره.
- 2.إذا كان بالإمكان، قدم له هدية أو خدمة مقابلة.
- 3.إذا لم تستطع، فادع له.

كيف نكون مستمعين حكماء؟

- 1.عندما يأتيك شخص بمشكلة، لا تقاطع.

2. قل له "لا تخف" إذا كان خائفاً.
3. لا تنتقد قبل أن تفهم كامل القصة.
4. قدم حلاً أو طمأنة أو دعاء.

تمرين عملي

- . تمرين "مشية الحياء": جرب أن تمشي في طريقك اليومي بسكينة ووقار، دون التفات زائد، ودون تكسر.
 - . تمرين "الاستماع الحكيم": عندما يتحدث إليك شخص اليوم عن مشكلته، اسمعه حتى النهاية، ثم قل له "لا تخف، الأمور ستتحسن".
 - . تمرين "رد الجميل": ابحث عن شخص أحسن إليك يوماً، واشكره أو قدم له خدمة بسيطة اليوم.
- **الخاتمة: مشهد الأمان بعد العاصفة**

أيها القارئ العزيز، تخيل نفسك مكان موسى: خائف، هارب، بلا مال، بلا طعام، بلا شراب. ثم تأتيك فتاة تمشي على استحياء، تدعوك إلى والدها ليجزيك خيراً. تذهب، تجلس أمام شيخ حكيم، تحكي له قصتك كاملة. وفي النهاية، يبتسم في وجهك ويقول: "لا تخف، نجوت من القوم الظالمين".

كم كانت هذه الكلمات ثقيلة على قلب موسى، وكم خفت عنه. كلمات قليلة، لكنها أزالَت جبالاً من الخوف.

ماذا نتعلم؟

- . الحياء خلق الأنبياء والصالحين.
- . مكافأة الإحسان من مكارم الأخلاق.
- . الاستماع الحكيم يريح النفوس.
- . كلمة "لا تخف" قد تكون دواءً لقلب مريض.
- . النجاة من الظلم تتحقق بالهجرة ثم بالالتجاء إلى الله ثم إلى أوليائه.

لا تتردد في أن تكون مثل هذا الأب الحكيم، أو مثل هذه الفتاة الحبيبة، أو مثل موسى الصادق.

ربنا ألبسنا ثوب الحياء، ووفقنا لمكافأة المحسنين، واجعلنا مستمعين حكماء يطمئن بهم الخائفون . آمين

المبحث السابع.

تفسير الآيتين 26 و 27 من سورة القصص

الآية 26: "قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"

الآية 27: "قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَثْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سِتْرًا فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ"

المقدمة: من الخدمة إلى التكريم - مشهد التحول العظيم

بعد أن أطمأن موسى عليه السلام على لسان الشيخ الحكيم "لا تخف نجوت من القوم الظالمين"، وبدأ يتنفس الصعداء بعد عناء السفر والخوف، ها هو المشهد يتحول إلى تكريم لم يتوقعه. تخيل معي هذا المشهد الذي يتنزل فيه الوحي الإلهي ليخلد مواقف لا تزال تشرق بنورها حتى اليوم:

الفتاة التي كانت تمشي على استحياء، عادت إلى أبيها. لكنها لم تعد كما ذهبت. رأت في موسى رجلاً غير عادي. ليس فقط لأنه سقى لهما، بل لأنه سقى ثم تولى إلى الظل، ثم جاء ملبياً الدعوة، ثم قص قصته بصدق. في قلبها، تشكلت صورة عن هذا الغريب: إنه قوي، وإنه أمين. فلم تتردد في أن تقدم اقتراحاً جريئاً لأبيها، قالت: "يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ".

هذه الفتاة، التي لم تتجاوز حياءها الطبيعي، وقفت تتحدث في شؤون العمل والتوظيف، وتنصح أباهها بأسلوب فيه حكمة وثقة. إنها نموذج للمرأة المسلمة الواعية، التي تعرف كيف تقول الحق، وكيف تقدم الصالح لأسرتها.

ثم يأتي دور الأب الحكيم. يسمع اقتراح ابنته، ويتأمل في موسى، ويرى فيه كفاءة وخلقاً. ثم يفاجئ موسى بعرض ليس مجرد وظيفة، بل عرض زواج: "إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ". لكن

ليس زواجاً بلا مقابل، بل على أن يعمل موسى عنده ثماني سنوات، فإن أتم عشرًا فمن تلقاء نفسه.

هاتان الآيتان تحملان بحرًا من المعاني:

- . المرأة العاملة الناصحة - كيف تعرض مهاراتها وتقدم اقتراحاتها.
- . صفات الموظف الناجح - القوة والأمانة.
- . الحوار الأسري المحترم - بين الأب وابنته.
- . مفاهيم العمل والأجر - التوازن بين الحقوق والواجبات.
- . الزواج القائم على الكفاءة والخلق - وليس على المال والنسب فقط.
- . اليسر في المعاملات - عدم إرهاق الطرف الآخر.

والآن، دعنا نفحص في أعماق هاتين الآيتين، كلمة كلمة، حرفًا حرفًا.

أولاً: تفسير الآية 26 - اقتراح الفتاة واستئجار موسى

١/ "قالت: إحداهما" - أي الأختين تكلمت؟

اللمسة البيانية: العودة إلى التثنية

بعد أن جاءت "إحداهما" في الآية السابقة، هنا تقول "قالت إحداهما". هل هي نفسها التي جاءت أم لا أخرى؟ المفسرون على قولين:

- . القول الأول: هي التي جاءت سابقًا، وهي الكبرى أو الصغرى.
- . القول الثاني: هي الأخرى التي لم تخرج، ولما سمعت من أختها قصة موسى، بادرت بالنصيحة.

السر البلاغي: الإبهام في "إحداهما" يفيد أن كلا منهما صالحة للكلام والنصح. ليست واحدة فقط هي الذكية، بل كلتاها عاقلة فطنة. هذا من التكريم للمرأتين معًا.

الدلالة التربوية: للمرأة حق الاقتراح والمشورة

في مجتمع قد يظن بعضهم أن صوت المرأة لا يسمع، هذه الآية تثبت أن المرأة تقدم اقتراحاتها في شؤون الأسرة والعمل، وأن أباه يستمع إليها ويأخذ برأيها. هذا يعلمنا احترام رأي المرأة وتقديره.

٢/ "يا أبت" - نداء الحب والأدب

لماذا "أبت" وليس "أبي"؟

"أبت" هي أداة نداء مركبة من "أب" و"تاء" المتكلم، وحرف النداء محذوف (يا). (هذه الصيغة تدل على التحبب والتلطف والشفقة. فيها عاطفة وحنان، وليست نداء جافًا).

اللمسة البلاغية: التاء في "أبت" عوض عن ياء المتكلم، وهي تفيد القرب والاختصاص. النداء بـ "يا أبت" فيه حرارة العاطفة الأبوية، وليس مجرد "يا أبي" الجافة.

الدلالة النفسية: كيف تخاطب والدك؟

الفتاة لم تقل "يا أبي" فقط، بل قالت "يا أبت" بصيغة التحبب. هذا يعلمنا أن مخاطبة الوالدين تكون بأدب وحب. الكلمة الواحدة قد تحمل دفنًا يغير الموقف كله.

تطبيق: عندما تخاطب والديك، اختر كلماتك بعناية. "يا أبت" و"يا أمت" تحملان من الحب ما لا تحمله الصيغ الجافة.

٣*/ "استأجرة" - طلب التوظيف من طرف الفتاة

ما معنى الاستئجار؟

الاستئجار هو طلب العمل مقابل أجر. الفتاة تطلب من أبيها أن يوظف موسى، يعطيه عملاً بأجر. لا حظ أنها لم تقل "أطعمه" أو "تصدق عليه". هي تريد أن يعمل، أن ينتج، أن يأخذ أجرًا مقابل جهده. هذا من كرامة العمل.

السر البلاغي: فعل الأمر "استأجره" صريح مباشر، لا لف فيه ولا دوران. الفتاة تعرف ماذا تريد، وتقول بثقة. هذا يعلم المرأة أن تتحدث بوضوح حين تعرف الصواب.

لماذا هي التي تقترح وليس الأب؟

قد يكون الأب لم يتبين بعد كفاءة موسى، أو كان يريد أن يمتحنه. لكن الفتاة، وقد رأت ما رأت، بادرت بالاقتراح. هذا يعلمنا أن صاحب الخبرة في مجال معين يقدم اقتراحاته حتى لو كان أصغر سناً أو أقل منصباً.

الدلالة التربوية: العمل عبادة وكرامة

الإسلام يرفع شأن العمل، ويجعله وسيلة للكرامة، لا للتسول. الفتاة تريد أن يعمل موسى، لا أن يتصدق عليه. هذا يعلمنا أن أفضل الصدقة أن تعين إنساناً على العمل.

٤/ "إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" - صفتان تختصران كل شيء

"خير من استأجرت" - من أحسن من يمكن أن تستأجره

الفتاة لم تقل "هو جيد" أو "هو مناسب". قالت "خير من استأجرت" - أفضل من يمكنك أن توظفه على الإطلاق. هذه ثقة عالية في موسى، رغم أنها لا تعرفه إلا من موقف واحد.

اللمسة البلاغية: "خير" اسم تفضيل، يفيد المفاضلة. أي أنه أفضل من غيره ممن يمكن أن تستأجرهم. ليس فقط صالحاً، بل هو الخيار الأمثل.

الصفة الأولى: "القوي" - القوة بمفهومها الشامل

ما هي القوة التي رأتها الفتاة في موسى؟

1. القوة البدنية: نزع الدلو من البئر في زحام الرجال، وسقى الأغنام بمفرده. هذا يحتاج إلى قوة.

2. القوة النفسية: لم يخجل، لم يتردد، لم يطلب أجراً. كان واثقاً من نفسه.

3. القوة الخلقية: التزم بالعفة، لم ينظر إليهما بنظرة ريبة، ولم يحاول استغلال ضعفهما.

4. القوة العقلية: عرف كيف يتصرف، وكيف يسقي، وكيف يذهب إلى الظل، وكيف يحكي قصته.

الدرس العظيم: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف. القوة في كل مجالاتها مطلوبة. القوة البدنية، النفسية، العقلية، الخلقية.

الصفة الثانية: "الأمين" - أمانة تستحق الثقة

الأمانة هي الخلق الذي يجعلك تؤتمن على كل شيء. الفتاة رأت في موسى الأمانة من خلال:

. أنه لم ينظر إليهما بنظرة مريبة.

. أنه لم يحاول استغلال ضعفهما.

. أنه سقى ثم تولى، ولم يطلب شيئاً.

. أنه حكى قصته بصدق دون تزييف.

اللمسة البلاغية: تقديم "القوي" على "الأمين" ليس عشوائياً. فالمرأة تحتاج أولاً إلى قوة تحميها وتقوم على العمل الشاق. ثم بعد القوة، تحتاج إلى أمانة حتى لا تخونها. القوة بدون أمانة خطيرة، وأمانة بدون قوة عاجزة. الجمع بينهما هو الكمال.

الدلالة النفسية: كيف تختار الموظف أو الزوج؟

الفتاة وضعت معياراً عالمياً: القوة والأمانة.

. في العمل: ابحث عن موظف قوي (كفاء، مجتهد، نشيط (وأمين) صادق، لا يخون، يحافظ على الأسرار).

. في الزواج: ابحث عن زوج قوي (قادر على القيادة والحماية (وأمين) وفي، صادق، لا يخون).

. في الصداقة: ابحث عن صديق قوي (يدعمك، يسندك (وأمين) يصدقك، لا يغشك).

تطبيق حياتي: قبل أن توظف أحداً، أو تزوجه، أو تصادقه، اسأل نفسك: هل هو قوي؟ هل هو أمين؟ لماذا لم تذكر الفتاة صفات أخرى كالغنى أو النسب؟

لأنها تعلم أن خير الناس من جمع القوة والأمانة. المال يذهب، النسب لا ينفع بغير عمل، لكن القوة والأمانة هما أساس النجاح في الدنيا والآخرة.

رد الأب على اقتراح ابنته: لماذا لم يذكر القرآن رد الأب؟

الآية التالية مباشرة تنتقل إلى عرض الزواج، وكأن الأب اقتنع باقتراحها بل ورفع السقف. هذا إيجاز قرآني يدل على أن الأب وافق على الاستئجار، ثم بنى عليه عرضاً أكبر. ثانياً: تفسير الآية 27 - عرض الزواج والمفاوضات العادلة

"قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ" - الأب يتقدم بالعرض

١/"إني أريد" - تعبير عن الرغبة لا عن الإيجاب

الأب لم يقل "سأزوجك" بصيغة الأمر، بل قال "إني أريد". هذا يعلمنا أسلوب المفاوضات المحترمة، حيث يعرض الطرف رغبته دون إلزام. يترك للطرف الآخر حرية القبول أو الرفض.

السر البلاغي: تقديم "إني" يفيد الاهتمام والتأكيد. أنا شخصياً، أنا الأب، أريد هذا الأمر. إنها رغبة صادقة، ليست مجرد اقتراح عابر.

٢/"أن أنكحك" - صيغة الإكرام

"أنكح" من النكاح، وهو الزواج. الأب هنا يقوم بدور الولي الذي يعرض ابنته للزواج ممن يرى فيه الكفاءة. هذا هو النموذج الإسلامي الأصيل، حيث الأب هو من يتقدم، لا الفتاة.

لماذا لم يقل "أزوجك"؟

"أنكح" فيها معنى الإكرام والإعظام، وكأن الأب يقول: أريد أن أتشرف بمصاهرتك. هذا من الأدب في عرض الزواج.

الدلالة التربوية: الزواج ليس عيباً أن يعرضه الولي

في بعض الثقافات، يستحي الأب أن يعرض ابنته للزواج. هذه الآية تعلمنا أن عرض الزواج من قبل الولي ليس عيباً، بل هو سنة وشرف.

٣/"إِخْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ" - التحديد مع الإبهام

لماذا قال "إحدى ابنتي هاتين" ولم يسمها؟

هذا من الأدب النبوي في عرض الزواج. لم يقل "فلانة" ليعطي موسى حرية الاختيار بعد أن يرى الفتاتين. وفي الوقت نفسه، "هاتين" إشارة إلى أنهما حاضرات، يمكن لموسى أن ينظر إليهما.

اللمسة البلاغية: "ابنتي" بالإضافة إلى ياء المتكلم تفيد النسب والقرب. إنه يعرض بناته، أغلى ما عنده، على هذا الغريب. هذا يدل على ثقته الكبيرة بموسى.

الدلالة النفسية: احترام رغبة الطرف الآخر

الأب لم يفرض فتاة معينة، بل ترك الخيار. هذا يعلم الولي ألا يجبر ابنته على زواج لا تريده، وألا يفرض على الخاطب فتاة معينة دون رغبته. الزواج قائم على الاختيار والتراضي.

٤/"عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ" - المهر مقابل العمل

"على أن تأجرني" - المهر ليس مالا بل خدمة

هذه خصوصية عظيمة في هذا الزواج. المهر الذي يدفعه الزوج ليس ذهباً ولا فضة، بل عمل ورعاية.

ثماني سنوات من العمل في رعي الغنم مقابل الزواج من إحدى ابنتيه.

السر البلاغي: "تأجرني" من الأجر، أي تعمل عندي بأجر. والمهر هو هذا العمل نفسه. هذا يدل على جواز أن يكون المهر خدمة أو عملاً، وليس بالضرورة مالا.

"ثماني حجج" - لماذا الحجج بدلا من السنين؟

"حجج" جمع حجة، وهي السنة. التعبير بـ "حجج" فيه إشارة إلى أن هذه السنين تمر كأنها حجج متتابع. كما أن الحج أشهر معلومات، فكأنها سنوات محددة واضحة.

اللمسة البلاغية: التعبير بالحجج فيه فخامة وجلال، يليق بمثل هذا العقد المبارك.

لماذا ثماني سنوات بالضبط؟

يمكن أن يكون هذا هو الأجر المعتاد في ذلك الزمان، أو أن الأب أراد أن يمتحن صبر موسى وإخلاصه. ثماني سنوات فترة كافية ليعرف الأب حقيقة من يعمل عنده.

الدلالة الاقتصادية: قيمة العمل

هذا العقد يثبت أن العمل له قيمة عظيمة، قد تعادل الزواج والاستقرار. من لا يملك مالا، يملك عملاً وجهداً، وهذا قد يكون مهراً مقبولاً. ٥/ "فإن أتممتَ عشرًا فَمِنْ عِنْدِكَ" - التطوع بالزيادة من غير إلزام

"فإن أتممتَ عشرًا" - شرط للزيادة

الأب يترك الباب مفتوحاً لموسى أن يزيد سنة أو سنتين على الثماني، ليصبح المجموع عشر سنوات. لكنه لا يلزمه بذلك.

السر البلاغي: "فإن" تفيد الشرط، أي أن الأمر متروك لك. إن شئت أتممتَ عشرًا، وإن شئت اكتفيت بثمان.

"فَمِنْ عِنْدِكَ" - من تلقاء نفسك، لا من عندي

هذه العبارة تحمل روعة الأدب والعدل:

- الأب لا يجبر موسى على العمل عشر سنوات.
- الزيادة من عند موسى، أي من كرمه وإرادته.
- الأب لا يطلب الزيادة، بل يتركها تفضلاً من موسى.

اللمسة البلاغية: "من عندك" أي من جهتك ومن طيب نفسك. هذا الأب لا يريد أن يستغل حاجة موسى، بل يعامله بإنصاف.

الدلالة النفسية: لا تستغل حاجة الآخرين

الأب يعرف أن موسى غريب، محتاج إلى مأوى وعمل وزوجة. لكنه لم يستغل هذه الحاجة ليكلفه عشر سنوات إجبارياً. بل ترك له الخيار. هذا يعلمنا العدل وعدم استغلال ضعف الآخرين. ٦/ "وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُشْقَ عَلَيْكَ" - نفي إرادة المشقة

لماذا قال هذه الجملة؟

الأب يؤكد أنه لا يريد أن يضيق على موسى أو يثقله. هو يريد اليسر، لا العسر. هذه من أخلاق الكرام، أن تطلب من الآخرين بقدر استطاعتهم، ولا تكلفهم ما لا يطيقون.

السر البلاغي: "ما أريد" نفي للإرادة، أي أن الإرادة منعدمة. ليس فقط أنه لا يشق عليه، بل أنه لا يريد أن يشق أصلاً. هذا أبلغ في النفي.

"أَنْ أُشْقَ عَلَيْكَ" - المشقة المرفوضة

المشقة هي التكلف والجهد الزائد. الأب يريد عملاً ، لكن ليس إلى درجة المشقة التي تضر بموسى . هذا يعلمنا الموازنة بين حق العامل وحق رب العمل.

الدلالة التربوية: اليسر في المعاملات

عندما تطلب من شخص عملاً ، لا تطلب فوق طاقته .وعندما تعقد اتفاقاً، اترك للطرف الآخر مساحة من اليسر. هذا من البركة في التعامل.
٧/ "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" - وعد بالحسنى مع استثناء التوكل

"ستجدني" - وعد بالمستقبل

الأب يعد موسى أنه سيجده من الصالحين. أي: ستجدني حسن المعاملة، وفيًا بالوعد، عادلاً في الحقوق. هذا من الثقة التي يعطيها الأب لموسى.

اللمسة البلاغية: السين في "ستجدني" للاستقبال القريب، أي من أول يوم ستري ذلك.

٩/ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ" - استثناء التوكل

هذا الأب الحكيم لا ينسى أن يعلق وعده بمشيئة الله. لا يغتر بقوته، ولا يعد بما لا يعلم. هذا من آداب التوكل التي نتعلمها: لا تقل "سأفعل" بدون "إِنْ شَاءَ اللَّهُ".

١٠/ "من الصالحين" - صفة جامعة

لم يقل "من الكرماء" أو "من الأوفياء" فقط، بل قال "من الصالحين". الصلاح يشمل:

- . الصدق في القول.
- . الوفاء بالعهد.
- . العدل في المعاملة.
- . التقوى في السر والعلن.

الدلالة النفسية: أطمئن قلب موسى بأنه سيعيش في بيئة صالحة، مع رجل صالح. هذا يعطيه أمناً نفسياً كبيراً.

ثالثاً: اللمسات البلاغية الشاملة في الآيتين

1. الحوار المتكامل: من ابنة إلى أب إلى غريب

الآية 26 حوار بين ابنة وأبيها. الآية 27 حوار بين الأب وموسى. هذا التسلسل يبني جسراً من الثقة: الابنة تثق في الأب، والأب يثق في موسى، فينشأ عقد مبارك.

2. صفات الخير في كلمات قليلة

"خير من استأجرت القوي الأمين" - خمس كلمات جمعت صفات الكمال في الموظف والزوج.

3. من الاستئجار إلى الإنكاح - قفزة نوعية

الأب لم يكتفِ باستئجار موسى، بل رفع الأمر إلى المصاهرة. هذه قفزة في العلاقة، من علاقة عمل إلى علاقة نسب وأسرة.

4. التفصيل في العقد

الأب ذكر المدة (ثماني حجج)، وأشار إلى الزيادة (عشراً)، ونفى المشقة، ووعد بالصلاح. هذا عقد مفصل واضح، لا غموض فيه، من شأنه أن يقطع النزاع.

5. "إِنْ شَاءَ اللَّهُ" في وعد الصلاح

حتى في وصف نفسه بالصلاح، استثنى بمشيئة الله. هذا قمة التواضع، أن لا يثق الإنسان بنفسه، بل

يعلق كل شيء على إرادة الله.
**رابعاً: الدلالات النفسية والتربوية المتكاملة

1. نموذج المرأة المسلمة العاملة الناصحة

هذه الفتاة جمعت بين:

- . الحياء في مشيتها وكلامها.
- . الفطنة في ملاحظة صفات موسى.
- . الشجاعة في اقتراح توظيفه على أبيها.
- . العلم بمعايير اختيار الرجال (القوة والأمانة).

الرسالة للمرأة: يمكنك أن تكوني عاملة، ناصحة، مقترحة، دون أن تفقدي حيائك أو أدبك.

2. معايير اختيار الرجال: القوة والأمانة

هذه الآية وضعت ميزاناً عالمياً لاختيار الرجال في أي منصب:

- . القوة: كفاءة، قدرة، نشاط، اجتهاد.
- . الأمانة: صدق، وفاء، حفظ للحقوق، عدم خيانة.

تطبيق: قبل أن توظف، قبل أن تزوج، قبل أن تشارك، اسأل: هل هذا الرجل قوي أمين؟

3. الأب الحكيم: نموذج في القيادة الأسرية

هذا الأب (شعيب عليه السلام) (جمع بين:

- . الاستماع لابنته وأخذ رأيها.
- . المبادرة بعرض الزواج من الرجل الصالح.
- . العدل في المفاوضات وعدم استغلال الحاجة.
- . الوعد بالحسن وإعطاء الطمأنينة.
- . التوكل وربط الأمور بمشيئة الله.

4. الزواج القائم على الكفاءة والخلق لا على المال

هذا الزواج لم يكن على أساس مال أو جاه، بل على أساس:

- . أخلاق موسى وقوته وأمانته.
- . رغبة الأب في إكرام هذا الرجل الصالح.
- . قبول موسى بالعمل مهراً.

الرسالة: لا تؤجل الزواج لعدم وجود المال. العمل الصالح والخلق الكريم قد يكونان مهراً مقبولاً.

5. اليسر في العقود وعدم المشقة

الأب قال "وما أريد أن أشق عليك". هذه ثقافة إسلامية أصيلة: العقود مبنية على اليسر، لا على التعقيد والمشقة. رب العمل العادل لا يثقل على عامله.
**خامساً: الرسائل والتوجيهات العملية

الرسالة الأولى: استمع لرأي النساء في من يصلح للعمل أو الزواج

الفتاة رأت في موسى ما لم يره الأب. لا تستصغر رأي المرأة، فقد تكون أكثر دقة في ملاحظة التفاصيل.

الرسالة الثانية: اعرف صفات من تتعامل معهم

قبل أن تستأجر عاملاً، أو تزوج ابنتك، أو تشارك في مشروع، ابحث عن القوة والأمانة. من جمعهما

فهو خير من استأجرت.

الرسالة الثالثة: لا تستغل حاجة الآخرين

الأب لم يقل "أنت غريب ومحتاج، سأكلفك عشر سنوات". بل قال "ثمان، فإن أتممت عشرًا فمن عندك". كن عادلاً مع من هم في حاجة إليك.

الرسالة الرابعة: العمل مهر مقبول

إذا كنت شاباً ولا تملك المال للزواج، فابحث عن عمل يكون مهراً. وإذا كنت ولي أمر، فاقبل العمل مهراً إذا رأيت في الخاطب خلقاً وكفاءة.

الرسالة الخامسة: وعد بالخير وعلق بالمشيئة

إذا وعدت أحداً بحسن معاملة، فقل "ستجديني إن شاء الله من الصالحين". هذا يطمئنه، ويذكرك أنت بأنك تحت مشيئة الله.

**سادساً: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نطبق معايير القوة والأمانة؟

1. في التوظيف: ضع اختبارات تقيس القوة (الكفاءة والأمانة) الصدق، النزاهة.
2. في الزواج: اسأل عن أخلاق الخاطب وقوته على القيادة، وليس فقط عن ماله.
3. في الشراكة: ابحث عن شريك قوي أمين، حتى لو لم يكن غنياً.

كيف نطبق اليسر في العقود؟

1. لا تكتب عقوداً مرهقة فيها بنود تعجيزية.
2. اترك للطرف الآخر مساحة من الخيار (كما ترك الأب الخيار لموسى في إتمام العشر).
3. قل دائماً "ما أريد أن أشق عليك".

كيف نربي أنفسنا على صفات الصالحين؟

1. كن قوياً: طور مهاراتك، قو بدتك، قو نفسك.
2. كن أميناً: احفظ الأسرار، لا تخن، أوف بالوعد.
3. كن صالحاً: اجمع بين القوة والأمانة والعدل والتوكل.

تمارين عملية

1. تمرين "اكتشاف القوة والأمانة": كل يوم، لاحظ شخصاً من حولك، وحاول أن تحدد صفات القوة والأمانة فيه، أو نقصهما. هذا يدرب عقلك على هذه المعايير.
 2. تمرين "العقد اليسير": عندما تتفق مع شخص على شيء، حاول أن تجعل الاتفاق مرناً، وقل له "ما أريد أن أشق عليك".
 3. تمرين "المشورة": اسأل امرأة في عائلتك رأيها في قضية مهمة، وخذ برأيها إن كان صواباً.
 4. تمرين "إن شاء الله": كلما وعدت أحداً بشيء، قل "إن شاء الله". وحاول ألا تعد إلا وأنت صادق.
- سابعاً:** الأسئلة التربوية التي تثيرها الآيتان

1. لماذا اختارت الفتاة أن تقول "يا أبت" بدلاً من "يا أبي"؟
 - لأنها أرادت التعبير عن الحب والتحبب، مما يجعل الأب أكثر استجابة.
2. لو أن موسى رفض عرض الزواج، ماذا كان سيحدث؟
 - الأب ترك له الخيار، ولم يجبره. هذا يعلمنا أن الرفض لا يفسد العلاقة إذا كان بأدب.
3. هل يمكن للمرأة أن تعمل وتنصح في شؤون العمل اليوم؟
 - نعم، بشرط الحفاظ على الحياء والأدب، كما فعلت هذه الفتاة.
4. ماذا لو كان موسى ضعيفاً أو غير أمين؟
 - لما اقترحت الفتاة استنجاره. هذا يعلمنا أن سمعة الإنسان تسبقه.
5. لماذا لم يطلب الأب من موسى أن يختار الفتاة التي يريدها؟
 - لأنه ترك له الحرية بعد أن يراها. والإشارة بـ "هاتين" تدل على أنه سيراهما.

****ثامنا: الخاتمة - وقفة مع هذا العقد المبارك**

أيها القارئ العزيز، بعد هذه الرحلة في هاتين الآيتين العظيمتين، أقف معك في لحظة تأمل:

تخيل نفسك مكان موسى: غريب، هارب، خائف، جائع. ثم تأتيك فتاة حيية تدعوك إلى والدها. ثم يعرض عليك والدها الزواج من إحدى ابنتيه، مقابل أن تعمل عنده ثماني سنوات. في تلك اللحظة، أليس هذا حلمًا يتحقق؟ أمان بعد خوف، واستقرار بعد ترحال، وأسرة بعد وحدة.

وماذا عن الفتاة؟ لقد رأت في موسى صفات نادرة: القوة والأمانة. فلم تتردد في اقتراحه على أبيها. إنها نموذج في الفطنة والشجاعة الأدبية.

وماذا عن الأب؟ لقد أدار الموقف بحكمة نادرة: استمع، واقتنع، وعرض، وعدل، ولم يستغل، وتوكل.

ماذا نتعلم؟

- . أن القوة والأمانة هما أساس كل اختيار ناجح - في العمل، في الزواج، في الصداقة.
- . أن المرأة يمكنها أن تكون ناصحة فطنة - دون أن تفقد حيائها.
- . أن الأب الحكيم يستمع لابنته ويأخذ برأيها - ويكرم الرجل الصالح بمصاهرته.
- . أن اليسر في العقود وعدم المشقة - هو مفتاح البركة والاستمرار.
- . أن الزواج يمكن أن يكون مهره العمل - لمن لا يملك المال.
- . أن التوكل على الله لا يمنع الأخذ بالأسباب - بل يكمله.

والآن، وأنت تقرأ هذه الكلمات، اسأل نفسك:

- . هل أنت قوي أمين؟ إن لم تكن، فاعمل على نفسك.
- . هل تبحث عن شريك حياة أو عمل؟ ابحث عن القوي الأمين.
- . هل تتعامل مع من هم في حاجة إليك؟ لا تستغل، وقل "ما أريد أن أشق عليك".
- . هل تسمع لآراء النساء في أسرتك؟ إنهن قد يرين ما لا ترى.

ربنا كما ألهمت الفتاة أن تقول "يا أبت استأجره"، فألهم نساءنا الصواب. وكما وفقت الأب للعدل و الكرم، فوفق أولياء أمورنا. وكما أكرمت موسى بالاستقرار بعد التعب، فأكرم كل غريب محتاج. آمين

المبحث الثامن.

تفسير الآية 28 من سورة القصص: "قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ^ط أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ^ط وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ"

المقدمة: لحظة الاتفاق الفصل

بعد أن عرض الأب الصالح) شعيب عليه السلام (على موسى عليه السلام الزواج من إحدى ابنتيه مقابل أن يعمل عنده ثماني سنوات، مع إمكانية إتمام عشر من تلقاء نفسه، جاء دور موسى ليرد. تخيل معي هذا المشهد المهيّب:

رجلان صالحان، أحدهما نبي شيخ كبير، والآخر نبي شاب غريب. يجلسان في بيت بسيط في أرض مدين. الأب يعرض، وموسى يستمع. ثم يتقدم موسى بكلمة حاسمة، لا تردد فيها، لا مراوغة، لا بخس لحق، ولا ظلم لأحد. يقول: "ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ" - هذا الذي عرضته هو الاتفاق بيني وبينك، أنا وأنت فقط، لا دخل لأحد فيه. ثم يضع قاعدة من ذهب في العقود: "أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ" - أي الأجلين عملت، سواء الثماني سنوات أو العشر، فلا عدوان عليّ، أي لا تظلمني ولا تطلب مني فوق ذلك. ثم يختم بكلمة تجعل الله رقيباً على هذا الاتفاق: "وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ" - الله شاهد وكفيل على ما نقوله، وهو الذي يجازي من يخلف.

هذه الآية ليست مجرد كلمة قبل بدء العمل، بل هي دستور في التعاقد، ومنهج في الوضوح، وقاعدة في العدل، ودرس في الثقة بالله. إنها تعلمك كيف تتفق، كيف تشتط، كيف تضمن حقوقك وحقوق غيرك، وكيف تجعل الله رقيباً على كل أقوالك وأفعالك.

أهداف الآية ومقاصدها العامة

1. تأصيل مبدأ وضوح العقود - لا غموض، لا لبس، لا تأويل.
2. تعليم الحرية في الاختيار بين البدائل - موسى خير بين الأجلين.
3. ترسيخ قاعدة عدم الظلم في المعاملات - "لا عدوان علي".
4. إظهار التوكل على الله بعد الاتفاق - جعله وكيلاً وشهيداً.
5. تقديم نموذج في الحسم والثقة دون تهور - كلمة موسى كانت حاسمة لكنها لم تكن متعجلة. أولاً: دلالة "قال" - قول الحسم بعد الاستماع

لماذا قال موسى ولم يتردد؟

موسى لم يطلب مهلة للتفكير، لم يقل "سأفكر"، لم يذهب ليتشاور مع أحد. قال مباشرة. هذا يدل على:

- . الثقة بالنفس - يعرف ما يريد.
- . الرضا بالعرض - وجده عادلاً مناسباً.
- . الرغبة في الاستقرار - لا يريد إضاعة الوقت.

السر البلاغي: الفعل "قال" في المقام هنا يفيد الحتمية والجدية. ليس قول متردد، بل قول رجل عازم.

الدلالة التربوية: كن حاسماً في قراراتك المصيرية

عندما يحين وقت القرار، لا تتردد. فكر، ثم احسم. موسى فكر في العرض) وإن لم يذكر القرآن تفكيره)، ثم قال كلمته بكل وضوح. التردد يضيع الفرص، والحسم يبني المستقبل. ثانياً: دلالة "ذلك" - الإشارة إلى العقد بأكمله

"ذلك" - اسم إشارة للبعيد

لماذا قال "ذلك" وليس "هذا"؟ "هذا" للإشارة إلى القريب، و"ذلك" للبعيد. لكن المقام مقام قرب، فلماذا البعد؟

اللمسة البلاغية: الإشارة بـ "ذلك" تفيد التعظيم والتفخيم. أي: ذلك العرض الذي عرضته - وأعني به كل ما تضمنه من شروط ومدة وأجر وزواج - هو الاتفاق بيني وبينك. كأنه يقول: هذا أمر عظيم، نضعه بيننا.

"بينني وبينك" - حصر الاتفاق على الطرفين

موسى يريد أن يقول: هذا الاتفاق خاص بنا نحن الاثنين. لا دخل لأحد فيه. لا وصي، لا وسيط، لا شريك. هذا من الوضوح والاستقلالية في العقد.

الدلالة النفسية: في أي اتفاق، اجعل الأمور واضحة بينك وبين الطرف الآخر. لا تدخل أطرافاً ثالثة قد تسبب تعقيدات.

الدلالة التربوية: العقد شريعة المتعاقدين

"ذلك بيني وبينك" تعني أن ما تم الاتفاق عليه هو القانون الذي نلتزم به. لا نخرج عنه، لا نضيف إليه، لا نحرفه. هذا من الوفاء بالعهد. ثالثاً: دلالة "أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ قُضِيَتْ" - الحرية بين بديلين

"أَيُّمَا" - أداة الخيار والتخيير

"أَيُّمَا" تفيد التعميم والتخيير. أي: أي الأجلين شئت، أي الثماني أو العشر، أنا أعمل به. موسى لم يلزم نفسه بأحدهما، بل ترك لنفسه حرية الاختيار بعد أن يبدأ العمل.

اللمسة البلاغية: "أي" الشرطية مع "ما" الزائدة تفيد الإباحة المطلقة. ليس هناك إجبار على واحد بعينه.

"الأجلين" - التثنية التي تحمل خيارين

الأجلان هما: ثماني سنوات، أو عشر سنوات. موسى يقر بأنه سيعمل أحدهما، لكنه لم يحدد أيهما. هذا من المرونة الذكية:

- يريد أن يكون العمل بإخلاص، والمدة تحددها الظروف.
- ربما يريد أن يمنح نفسه فرصة للزيادة إن أحب البقاء.
- وربما يريد ألا يلزم نفسه بعشر وهو لا يعرف طبيعة العمل.

"قضيت" - الفعل الذي يجمع الأداء والإتمام

"قضيت" من القضاء، بمعنى أديت وأكملت وأتممت. ليست مجرد عمل، بل عمل كامل إلى نهايته. موسى يتعهد بأنه سيكمل الأجل الذي يختاره، ولن يتركه في منتصفه.

الدلالة النفسية: الإتمام والإلتقان صفة المؤمن. لا تبدأ عملاً إلا وأنت عازم على إتمامه.

الدلالة التربوية: أعط نفسك خيارات ولا توقع نفسك في الحرج

موسى لم يقل "سأعمل ثماني فقط" أو "سأعمل عشرًا قطعاً". ترك لنفسه مجالاً ليرى كيف تسير الأمور. هذا يعلمنا ألا نلزم أنفسنا بما قد نعجز عنه، وأن نترك لأنفسنا مساحة من المرونة. رابعاً: دلالة "قلنا عُدوانٌ عليّ" - شرط عدم الظلم

"العدوان" - أبلغ من الظلم

العدوان هو تجاوز الحد والظلم والتعدي. موسى يقول: أي الأجلين عملت، فلا يجوز لأحد أن يعتدي عليّ، لا بطلب زيادة، ولا بتقصير في حقي، ولا باتهامي بالتقصير.

اللمسة البلاغية: نفي العدوان بصيغة "لا عدوان" يفيد النفي العام الشامل. أي أي نوع من أنواع العدوان، أيًا كان مصدره، منك أو من غيرك.

"عليّ" - العدوان الذي يقع على موسى

موسى يطلب الحماية لنفسه من أي ظلم. ليس لأنه أناني، بل لأن حفظ الحقوق واجب. وهو يعلم أن الأب صالح، لكنه يريد أن يكون الأمر واضحاً من البداية.

لماذا اشترط "لا عدوان" مع أن الأب صالح؟

هذا من فقه المواثيق. حتى مع الصالحين، يجب أن يكون العقد واضحاً. ليس لأنك تتهم الآخر، بل لأن الوضوح يقطع الطريق على سوء الفهم. وهذا من تمام العقل.

الدلالة التربوية: لا تترك الأمور للظنون. وضح حقوقك ولو مع من تثق به. الوضوح ليس سوء ظن، بل هو تمام الأمانة.

الدلالة النفسية: المؤمن لا يظلم ولا يقبل الظلم

موسى يغرس فينا مبدأ: لا تظلم، ولا تسمح لنفسك أن تظلم. العدوان مرفوض شكلاً وموضوعاً. المؤمن قوي في حقه، رحيم في حقه. خامساً: دلالة "والله على ما تقول" و"كيل" - استشهاد الله على العقد

"والله" - القسم باسم الجلالة

موسى يستحضر اسم الله في ختام الاتفاق. هذا تأكيد وتعظيم للعقد. كأنه يقول: بالله العظيم الذي نعبد، هو الشاهد.

اللمسة البلاغية: الواو للقسم، أو للاستئناف. على كل، اسم الله في هذا الموضع يجعل العقد مقدساً، لا يمكن الخروج عليه.

"على ما تقول" - شهادة على الأقوال

موسى يجعل الله شهيداً على كل كلمة قالها هو وقالها الأب .ليس فقط على الاتفاق، بل على كل ما تلفظا به .هذا يزرع الرقابة الذاتية والخشية من الله.

"وكيل" - لماذا وكيل وليس شهيد فقط؟

الوكيل هو الكفيل الحافظ المتولي للأمر .الله ليس فقط شاهداً، بل هو:

- . حافظ للعقد - لا يضيع حقاً.
- . مجاز على الخلف - سيعاقب من يخون.
- . مدبر للمصلحة - سيجعل في الوفاء خيراً.

السر البلاغي: "وكيل" صيغة مبالغة) فعيل بمعنى فاعل .(أي أنه الوكيل الحقيقي، القائم على شؤون عباده، الحافظ لحقوقهم.

الدلالة النفسية: الشعور بمراقبة الله يمنع الغدر

عندما تشعر أن الله وكيل على ما تقول، ستحرص على الصدق والوفاء .هذا هو الإيمان العملي، أن تستحضر رقابة الله في كل تعاقد.

الدلالة التربوية: اجعل الله شريكاً في عقودك

أفضل ضمان لأي اتفاق ليس التوثيق الرسمي فقط، بل استشعار أن الله رقيب .إذا تربى الناس على هذا، قل الغدر والخيانة.
سادساً: اللمسات البلاغية الشاملة في الآية

1.الإيجاز المعجز

الآية كلماتها قليلة، لكنها تحمل:

- . قبولاً " للعرض.
- . تحديداً للعلاقة) بيني وبينك).
- . تخييراً بين بدلين) أيما الأجلين).
- . نفيًا للظلم) لا عدوان).
- . استشهاداً بالله) والله وكيل).

كل هذا في جملة واحدة قصيرة.

2.التدرج المنطقي

- . أولاً : تحديد الإطار) "ذلك بيني وبينك".
- . ثانياً: تحديد المرونة) "أيما الأجلين قضيت".
- . ثالثاً: نفي الظلم) "فلا عدوان علي".
- . رابعاً: استحضار الضمان الإلهي) "والله على ما نقول وكيل".

هذا تدرج عبقرى في بناء العقد.

3.الإشارة بالبعد "ذلك" مع القرب

كما ذكرنا، إشارة البعيد تفيد التعظيم .كأن موسى ينظر إلى هذا العقد نظرة إجلال، ويعلم أنه سيكون محور حياته لسنوات.

4.السجع الداخلي

"بينى وبينك" - "علي" - "وكيل" - تناسق صوتي يريح السمع ويجعل الكلمة راسخة.

5.الجمع بين الضمان البشري والضمان الإلهي

العقد واضح بين الطرفين) بيني وبينك، ثم الله وكيل عليه. هذا جمع بين الأخذ بالأسباب) التوثيق اللفظي (والتوكل على الله. سابعاً: الدلالات النفسية والتربوية المتكاملة

1. الحسم في القرارات المصيرية

موسى لم يتردد. هو يقرر مصير ثماني أو عشر سنوات من حياته في لحظات. هذا يعلمنا أن القرارات الكبيرة تحتاج إلى حسم بعد تفكير، وليس إلى تردد وقلق.

2. الوضوح في العلاقات التعاقدية

"ذلك بيني وبينك" - لا غموض، لا تأويل. العقد الناجح هو العقد الذي يفهمه الطرفان بنفس الطريقة. الغموض يفسد العلاقات.

3. التوازن بين الحقوق والواجبات

موسى يضمن حقه من العدوان، وفي نفس الوقت يلتزم بالعمل. هذا توازن: له حقوق وعليه واجبات. المؤمن لا يطالب بحقوقه فقط، بل يفي بواجباته أولاً.

4. الثقة بالله بعد الاتفاق

بعد أن أخذ بالأسباب) وضوح العقد، علق الأمر على الله) وكيل. (هذا هو التوكل الحقيقي: أن تفعل ما عليك، ثم تثق بالله في النتيجة.

5. القدوة الحسنة في التعامل

موسى قدوة في: الوضوح، الحسم، العدل، التوكل. شعيب قدوة في: الكرم، العدل، عدم الاستغلال. هذا المشهد يعلمنا كيف نتعامل مع بعضنا. ثامناً: الرسائل والتوجيهات العملية

الرسالة الأولى: كن واضحاً في عقودك

لا تقل "سنرى"، لا تقل "على حسب". قل هذا ما بيني وبينك. حدد المدة، حدد الأجر، حدد الحقوق. الوضوح يقي من الخصام.

الرسالة الثانية: اترك لنفسك مساحة من المرونة

موسى لم يلزم نفسه بعشر سنوات، بل جعلها خياراً. لا توقع نفسك في عقود قد تعجز عنها. اترك باب الخيار مفتوحاً إن أمكن.

الرسالة الثالثة: لا تظلم ولا تقبل الظلم

"لا عدوان علي" - لا تسمح لأحد أن يظلمك، ولو كان صالحاً. الحق حق، والعدوان مرفوض.

الرسالة الرابعة: اجعل الله رقيباً على عقودك

أفضل توثيق هو أن تستشعر أن الله وكيل على ما تقول. هذا يجعلك صادقاً، ويجعله أميناً.

الرسالة الخامسة: التوكل بعد الأخذ بالأسباب

لا تقل "توكلت على الله" وتترك العقد غامضاً. أوضح أولاً، ثم توكل. موسى أوضح ثم قال "والله وكيل".

تاسعاً: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

كيف نطبق وضوح العقود؟

1. في العمل: إذا كنت تعمل بأجر، حدد المدة والأجر والوصف الوظيفي بوضوح من البداية. لا تقبل عقوداً غامضة.
2. في العلاقات الزوجية: حدد حقوقك وواجباتك بوضوح في إطار الشرع، وتفاهم على الأمور المالية والمدة إن وجدت.
3. في الشراكة: اكتب اتفاقاً واضحاً، ولو كان مع أقرب الناس.

كيف نطبق المرونة؟

1. عندما تتفق على مدة، اترك لنفسك خيار التمديد أو التوقف حسب الظروف.
2. لا تقل "سأفعل كذا مهما حدث". قل "إن شاء الله، وفي حدود استطاعتي".
3. تعلم أن تقول: "أي الأمرين فعلت، فلا عدوان علي".

كيف نطبق استشعار رقابة الله؟

1. قبل أن توقع أي اتفاق، تذكر أن الله وكيل على ما تقول.
2. إذا أردت أن تغش أو تخلف، تذكر أن الله يراك.
3. اجعل كل عقودك مبنية على التقوى، لا على المصلحة فقط.

تمارين عملية

1. تمرين "العقد الواضح": اليوم، اكتب أي اتفاق بسيط مع شخص (محدد، مهمة، خدمة (بوضوح تام، واجعله "بيني وبينك". لاحظ كيف يريحك هذا.
 2. تمرين "الخيار بين أجلين": عندما تواجه قراراً بمدة، اترك لنفسك خيارين (مثل: سأعمل على هذا المشروع إما شهرين أو ثلاثة، وأقرر لاحقاً). (درب نفسك على المرونة.
 3. تمرين "لا عدوان": إذا شعرت أن أحداً يظلمك في اتفاق، قل له بوضوح "هذا عدوان، وهذا لا أقبله". تدرب على رفض الظلم بأدب.
 4. تمرين "الله وكيل": قبل أي اتفاق، قل في نفسك "والله على ما نقول وكيل". تخيل أن الله يسمع كل كلمة. ستري كيف يتغير حديثك.
- **العاشرة: الأسئلة التي تثيرها الآية وتجيب عليها

س1: لماذا لم يحدد موسى أي الأجلين سيعمل؟

لأنه أراد أن يرى مدى حاجته وحبّه للبقاء. لو شعر بالارتياح، أتم العشر. لو احتاج للخروج بعد الثماني، فعل. هذا ذكاء منه.

س2: هل طلب "لا عدوان" يعني أنه يتهم الأب بالظلم؟

لا، بل هو احتراز شرعي. حتى مع الصالحين، نضع الشروط الواضحة. هذا من تمام العقد، وليس سوء ظن.

س3: لماذا قال "والله وكيل" وليس "والله شهيد"؟

الوكيل أقوى من الشهيد. الشهيد يشاهد يرى فقط، والوكيل يتولى الحفظ والجزاء. الله وكيل على العقد، أي أنه سيجازي من يخونه.

س4: ماذا لو أراد الأب أن يزيد المدة بعد الثماني؟

الاتفاق واضح: لا عدوان. الأب لا يستطيع أن يطلب أكثر مما اتفق عليه. هذا هو معنى "بيني وبينك".

س5: هل يمكننا تطبيق هذا الأسلوب في عقودنا اليوم؟

نعم، بل هو واجب. كل عقد يجب أن يكون واضحاً، مع خيارات إن أمكن، مع نفي للظلم، مع استشعار رقابة الله.

**الحادية عشرة: مقارنة بين موقف موسى وموقف غيره

العنصر موسى في هذه الآية غيره من الناس

الوضوح يقول "ذلك بيني وبينك" يقول "خلينا نشوف" أو "اتفقنا ضمناً"
المرونة يترك خيار الأجلين يلزم نفسه بمدة قد لا يستطيعها
رفض الظلم يقول "لا عدوان عليّ" يقبل الظلم خوفاً من الصراع
التوكل يقول "والله وكيل" ينسى الله في عقوده

موسى قدوة في التعامل الراقي.
**الخاتمة: وقفة مع عقد موسى وشعيب

أيها القارئ العزيز، بعد أن سرنا معاً في رحاب هذه الآلية القصيرة ولكنها العميقة، أريدك أن تتخيل نفسك مكان موسى مرة أخرى:

عرض عليك رجل صالح أن يعطيك ابنته زوجة، وبيتاً، وأماناً، مقابل أن تعمل عنده ثماني سنوات . أنت غريب، محتاج، لا تملك شيئاً. لكنك لا تريد أن تبيع نفسك، ولا تريد أن تظلم، ولا تريد أن تتنازل عن كرامتك. فترفع رأسك وتقول بوضوح: "ذلك بيني وبينك". ثم تضع قاعدتك: "أيما الأجلين قضيت ف لا عدوان عليّ". ثم تختم بكلمة تجعل الله شاهداً: "والله على ما نقول وكيل".

في هذه الكلمات، أنت:

- . تثبت كرامتك - لا تقبل أن تكون عبداً لأحد.
- . تثبت حكمتك - تترك لنفسك خيارات.
- . تثبت قوتك - ترفض الظلم.
- . تثبت إيمانك - تجعل الله رقيباً.

ماذا نتعلم؟

- . الوضوح في الاتفاق يقي من النزاع.
- . المرونة في الالتزام تحفظ الحقوق.
- . رفض الظلم واجب وليس كراماً.
- . استحضار الله في العقود يمنع الغدر.
- . التوكل بعد الأخذ بالأسباب هو سنة الأنبياء.

والآن، كلما أبرمت اتفاقاً - مع زوجتك، مع مدير، مع شريك، مع صديق - تذكر كلمات موسى . كن واضحاً، كن مرناً، لا تظلم ولا تقبل الظلم، واستشعر رقابة الله.

ربنا كما علمت موسى حسن التفاوض والوضوح في العقود، فعلمنا . وبارك لنا في أعمالنا وعقودنا وعهودنا . واجعلنا من الوفيين الذين يقولون في عقودهم "والله على ما نقول وكيل". آمين.

القسم الثالث

المبحث الأول

تعد الآية 29 من سورة القصص محطة فارقة في تاريخ البشرية، وليس فقط في حياة النبي موسى عليه السلام؛ فهي تمثل لحظة الانتقال من "حياة البشرية العادية" إلى "مقام النبوة والاصطفاء".

قال تعالى:

{فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}

أولاً: الدلالات والمقاصد العامة للآية

تؤصل الآية لمفهوم الرعاية الربانية؛ فموسى الذي قضى عشر سنين في رعي الغنم ليفي بمهر زوجته، أتمّ الأجل وخرج في رحلة العودة . المقصد هنا هو بيان أن الله يُعدُّ أنبياءه بالصبر والعمل قبل التكليف الكبير.

ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية

* "آنَسَ نَارًا": لم يقل "رأى"، بل قال "آنَسَ" من الإيناس، وهو الشعور بالراحة بعد وحشة . موسى كان في ليل مظلم وبارد، فكانت النار بالنسبة له أماناً قبل أن تكون ضياءً.

* "لَّعَلِّي آتِيكُمْ": استخدام "لعل" يبرز أدب الأنبياء وتواضعهم، فهو لا يجزم بشيء غيبي، كما تعكس حرصه على عدم إعطاء وعود قد لا تتحقق في تلك الظروف الصعبة.

* "بَخْبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ": تنوع المقاصد؛ فالخبر لهداية الطريق، والجذوة) قطعة النار المشتعلة (لتدفئة البدان.

ثالثاً: من ضياع الطريق إلى جلال اللقاء

خرج موسى في ليلة وصفته التفاسير بأنها كانت مطيرة، باردة، ومظلمة، ضل فيها الطريق ولم تشتعل ناره. هذا المشهد يمثل "ذروة الحاجة البشرية".

* دلالة ليلة البرد والظلام: هي الابتلاء الذي يسبق العطاء. فالله يسلبك الأسباب الأرضية (النار، الطريق، الوضوح) (ليعطيك سبباً سماوياً).

* دلالة "امكثوا": تعكس شخصية القائد المسؤول. لم يقل "انتظروا" بل "امكثوا" التي توجي بالاستقرار والقرار في المكان لحمايتهم، وفيها شفقة الأب والزوج الذي يواجه الخطر وحده ليؤمن أهله. رابعاً: دور رب الأسرة (الدروس التربوية)

تتجلى في الآية صورة المسؤولية الأسرية:

* القيادة والمبادرة: موسى هو من يبحث عن الحل، ولا يترك أهله في حيرة.

* الطمأنينة: لم ينقل لهم توتره بضلال الطريق، بل أعطاهم "أمل" الخبر أو التدفئة.

* الحماية: ذهابه وحده للنار التي قد تكون عدواً أو خطراً (إيثاراً وتضحية لحماية أسرته).

خامساً: "علي آتيكم بخبر" ..سقف التوقعات وعطاء الله

تأمل في المفارقة العجيبة التي ذكرتها في سؤالك:

* طلب موسى: خبر عن الطريق) مطلب أرضي (أو نار للتدفئة) مطلب جسدي.

* عطاء الله: الوحي، النبوة، كلام الله مباشرة، والمعجزات) العصا واليد).

القاعدة الإيمانية: عندما يسوقك الله إلى "حاجة" دنيوية في وقت ضيق، فربما هو يسوقك إلى "عطية" سماوية تغير مجرى حياتك. كان يبحث عن "نار" ليصطي بها، فأعطاه الله "نورا" يضيء به العالم.

سادساً: المفاهيم العملية والرسائل المجتمعية

* قيمة الوفاء: "فلما قضى موسى الأجل"، الالتزام بالعقود والوفاء بالعهود هو مفتاح الفرج والتمكين.

* السعي في الأسباب: رغم أن موسى نبي، إلا أنه سار وبحث واجتهد؛ فالسما لا تمطر حلولا على القاعدين.

* الخدمة شرف: أعظم إنسان في ذلك الوقت) موسى (كان يقوم على خدمة أهله وتأمين دفنهم، مما يرسخ قيمة التواضع والخدمة المنزلية للرجل.

* الأدب مع الله في الطلب: التعلم من "لعل" أن الإنسان يسعى والنتائج بيد الله.

سابعاً: القيم التي تغرسها الآية في المجتمع

* السكينة في الأزمات: تعليم المجتمع أن خلف كل ضيق فرجاً كبيراً لا يتخيله العقل.

* الترابط الأسري: إظهار الخوف والحرص المتبادل بين أفراد الأسرة.

* تعظيم قدر الوحي: التنبيه إلى أن حاجة الروح للهدى) الخبر السماوي (أعظم من حاجة الجسد للدفع) النار).

الخلاصة:

الآية تعلمنا أن الله قد يطفئ نارك التي تستدفئ بها، ليقودك في عتمة الليل إلى "نوره" الذي لا ينطفئ. كن كموسى؛ وفيما في عملك، راعياً لأهلك، ساعياً لرزقك، وسيفتح الله لك أبواباً لم تكن في حساباتك

المبحث الثاني.

تعتبر الآية 30 من سورة القصص هي "لحظة التتويج" والتحول من السعي البشري المنهك إلى الاصفاء الرباني المذهل. هي الإجابة الإلهية على نداء الحاجة الذي خرج به موسى عليه السلام. بحثاً عن جذوة نار.

قال تعالى:

{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

أولاً: الدلالات والمقاصد العامة للآية

تؤصل هذه الآية لمفهوم "اللقاء المقدس"، فالمقصد الأساسي هو إعلان الربوبية وتكليف موسى بالرسالة. هنا تنتهي رحلة الهروب من فرعون ورحلة الغربة في مدين، لتبدأ رحلة المواجهة والتمكين بمدد من الله وحده.

ثانياً: اللامسات البيانية والبلاغية

* "فَلَمَّا أَتَاهَا": الفاء للتعقيب والسرعة، مما يوحي بأن الله لا يترك العبد الصادق في حيرته طويلاً؛ فبمجرد وصوله لمكان النار، جاءه النداء.

* "نُودِيَ": بُني الفعل لما لم يُسم فاعله في البداية (قبل التصريح بالالوهية) لتهيئة نفس موسى لهذا الحدث الجلل، ولبیان أن مصدر الصوت ليس بشرياً ولا معتاداً.

* "مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ": تحديد المكان بدقة متناهية (شاطئ، واد، أيمن) يضيف واقعية وقداسية على الحدث، ويؤكد أن المعجزات تقع في أماكن وأزمان حقيقية.

* "فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ": وصف البقعة بالبركة لأنها شهدت كلام الله لموسى، مما يدل على أن الأماكن تشرف بما يقع فيها من طاعات وتجليات إلهية.

ثالثاً: تحول المشهد (من بحث عن نار إلى نور الوحي)

تأمل كيف رتب الله المشهد لموسى:

- * المصدر: ظن موسى أنها نار تحرق، فإذا هي شجرة خضراء يخرج منها النور لا تحترق.
- * الجهة: نودي من جهة اليمين، وهي جهة التفاؤل واليُمن والقوة في الثقافة العربية والقرآنية.
- * التعريف: "إني أنا الله رب العالمين"؛ لم يقل "ربك" فقط، بل "رب العالمين" ليعلم موسى أن القوة التي سيسير بها لمواجهة فرعون هي قوة خالق الكون ومن فيه.
- رابعاً: كيف يعطيك الله أكثر مما أملت؟
- في الآية السابقة طلب موسى "خبراً" أو "جذوة"، وفي هذه الآية نال:
- * بدل الخبر: نال "النبا العظيم" وعلم الغيب والوحي.
- * بدل الجذوة: نال "نور الهداية" الذي أضاء له ولأمته الطريق إلى قيام الساعة.
- هذا يعلمنا أن "خطواتك المتعثرة" في طلب الرزق أو المساعدة، قد تكون هي ذاتها "الخطوات" التي تقودك لأعظم عطاء في حياتك إذا كان قلبك معلقاً بالله.
- خامساً: المفاهيم العملية والرسائل التوجيهية
- * الاستعداد النفسي للتغيير: موسى ذهب ليأخذ ناراً، فوجد نفسه أمام تكليف بتغيير وجه التاريخ.
- الدرس: كن مستعداً دائماً لأن يغير الله مجرى حياتك في لحظة واحدة.
- * أدب الاستماع: عندما نودي موسى، انقطع عن كل شغل. الدرس: تعظيم شعائر الله وكلامه يتطلب حضوراً قلبياً كاملاً.
- * اليقين في نصر الله: ذكر "رب العالمين" في لحظة الضعف البشري لموسى هو رسالة طمأنة بأن من معك هو مالك الملك، فلا تخشَ أحداً.
- سادساً: القيم التي تفرسها الآية في المجتمع
- * قيمة التعظيم: غرس تعظيم كلام الله (القرآن) في نفوس المسلمين، فإذا كان هذا حال موسى عند سماع النداء، فكيف يجب أن يكون حالنا عند تلاوة آياته؟
- * الارتباط بالمقدسات: قيمة "البقعة المباركة" تعزز في المسلم حب الأماكن المقدسة والتعلق بالمساجد.
- * الأمل وعدم اليأس: غرس قيمة أن "النهايات السعيدة" تصنعها "البدايات الشاقة"؛ فالبحث في الظلام انتهى بالوقوف في حضرة النور.
- الخلاصة:

الآية 30 هي رسالة لكل من ضل طريقه في ليل الحياة: استمر في السعي نحو "النار" التي تراها من بعيد (أهدافك، طموحاتك)، فلعلك حين تصل، لا تجد ناراً تحرقك، بل تجد رباً يناديك، يبارك خطواتك، ويصنعك على عينه.

المبحث الثالث

تصل بنا الرحلة الإيمانية في سورة القصص إلى الآية 31، وهي لحظة "الزلزلة والتمكين"، حيث ينتقل موسى -عليه السلام- من مقام "السماع" إلى مقام "التدريب والتربية" على حمل أعباء الرسالة. إنها لحظة المواجهة مع المخاوف النفسية الكبرى ليولد من رحمها الداعية القوي بالله.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۚ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾

أولاً: المشهد التصويري (بناء الصورة الذهنية)

تخيل السكون المهيب في الوادي المقدس، والصمت الذي لا يقطعه إلا صوت الوحي، وفجأة يأتي الأ من: "وَأَلْقِ عَصَاكَ". العصا التي كانت رفيق دربه، وموكاه في غربته، يلقيها لتتحول في لحظة إلى كائن حي، سريع الحركة، مخيف الهيئة (كانها جان).

هنا نرى بشرية الأنبياء؛ موسى لا يهرب فحسب، بل يولي مدبراً ولا يلتفت (ولم يعقب)، في مشهد يجسد أعلى درجات الرهبة الإنسانية. ثم يأتي النداء العلوي ليغسل هذا الخوف ببرد الأمان: "يا موسى أقبل".

ثانياً: اللامسات البيانية والبلاغية

- * "تهتز كأنها جان": تشبيه بليغ يجمع بين الحركة السريعة (الاهتزاز) وبين الخفاء والرهبة (الجان)، وهي الحية الصغيرة سريعة الحركة، مما يصور اضطراب المشهد وتأثيره على النفس.
- * "ولَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ": تعبير بليغ عن شدة الخوف؛ "مدبراً" تعني أعطى ظهره، و"لم يعقب" أي لم يلتفت ورائه حتى ليتفقد الأمر، وهو تصوير لغريزة النجاة البشرية.
- * "أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ": أمران يجمعان بين الفعل الخارجي (الإقبال) والعمل النفسي (عدم الخوف)، ف الثبات الظاهري لا يكتمل إلا بسكينة باطنية.
- * "إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ": جملة اسمية مؤكدة بـ "إن"، وهي ليست مجرد طمأنة لموقف، بل هي "صك أمان" أبدي لموسى في حضرة الله.

ثالثاً: من الانكسار البشري إلى القوة الإلهية

تخاطب هذه الآية أعماق النفس الإنسانية حين تواجه المجهول:

- * دلالة إلقاء العصا: هي رسالة لكل مسلم وداعية: "ألِقْ كل ما تعتمد عليه من أسباب مادية إذا

أمرك الله، لتشهد كيف تتحول هذه الأسباب بآياته إلى قوة لا تقهر.

* شرعية الخوف البشري: أن يخاف موسى ليس نقصاً في إيمانه، بل هو إثبات لبشريته. العظمة ليست في ألا تخاف، بل في أن "تقبل" نحو مصدر خوفك حين يكون الله هو الأمر.

رابعا: جوانب تربوية للارتقاء بالإنسان والداعية

هذه الآية هي "مدرسة إعداد الدعاة"، وتستخلص منها النفس المؤمنة دروساً كبرى:

* كسر الركون إلى المألوف: الداعية يجب أن يتحرر من التعلق بالأدوات (العصا) ليتعلق بمصدر القوة (الله).

* التدريب قبل المواجهة: قبل أن يواجه موسى سحرة فرعون، جعله الله يواجه "خوفه الذاتي" من العصا في الوادي المقدس. الدرس: ابدأ بجهد نفسك وهزيمة مخاوفك الداخلية لتستطيع مواجهة طواغيت الخارج.

* الثبات عند "الرجفة": حين تضطرب الأمور حولك "كأنها جان"، تذكر نداء الله لموسى. الداعية هو من يثبت حين يولي الناس مدبرين.

خامسا: الرسائل والتوجيهات العملية

* رسالة "أقبل": الإقبال هو عنوان النجاح. لا تتهرب من مسؤولياتك الإيمانية أو المجتمعية؛ ففي الإقبال على الله تكمن النجاة.

* رسالة "ولا تخف": الخوف هو القيد الذي يمنع المجتمعات من التغيير. هذه الآية تزرع في وجدان المسلم أن "الأمن" ليس في غياب الخطر، بل في "معية الله" وسط الخطر.

* رسالة "إنك من الأمنين": هذه ليست لموسى وحده، بل لكل من اتبع هدايته. من كان مع الله، فله حصانة ربانية لا تخرقها سهام البشر.

سادسا: القيم التي تغرسها الآية في المجتمع

* قيمة الشجاعة القائمة على الإيمان: ليست تهورا، بل إقداما بيقين.

* قيمة الصدق مع النفس: موسى لم يتظاهر بالقوة بل جرى، فصحه الله. المجتمع المسلم مجتمع صادق، يعترف بضعفه البشري ليستمد منه قوة إلهية.

* قيمة الانضباط للوحي: سرعة استجابة موسى للعودة (أقبل) بعد الهرب تظهر قمة الانقياد لأمر الله.

الخلاصة للسامع:

يا من تشعر بالخوف من مستقبلك، أو تخشى مواجهة تحديات واقعك: "ألق" أوهامك وتوكل على الله. قد ترى حولك "اهتزازا" كأنها الجان، وقد تشعر بالرغبة في الإذبار، لكن نداء السماء يناديك: "أقبل ولا تخف". الأمان ليس في الهروب، بل في العودة إلى حظيرة الطاعة واليقين بـ "إنك من الأمنين".

المبحث الرابع

نتنقل الآن من مشهد "العصا" وما فيه من رهبة واهتزاز، إلى مشهد "اليد" وما فيه من طمأنينة ونور، لنستكمل بناء هذه الصورة الإيمانية المتكاملة في وجدانك، وكيف يصنع الله من الضعف البشري قوة تقهر الطغيان.

قال تعالى في الآية 32 من سورة القصص:

{اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَاقْ بُرْهَانَكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}

أولا: المشهد التصويري (نور بعد رهبة)

بعد أن اضطربت نفس موسى من مشهد الحية، أراد الله أن يمنحه آية تسكن داخل كيانه، آية ملتصقة بجسده. "اسلك يدك في جيبك"؛ أي أدخلها في فتحة قميصك عند الصدر، قريباً من قلبك الذي كان يرتجف قبل قليل. تخرج اليد "بيضاء من غير سوء"؛ نورا ساطعا يغلب سواد الليل، بياضاً ليس بمرض (برص) بل هو جمال وجلال. ثم تأتي اللمسة الحانية: "واضمم إليك جناحك من الرهب"؛ ضمة اليد إلى الصدر لتسكين الروعة وطردهم الخوف.

ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية

* "اسْلُكْ يَدَكَ": السلك هو إدخال الشيء في الشيء بدقة وسهولة، وكأن الله يروض لموسى حركاته لتكون موزونة ومطمئنة.

* "مِنْ غَيْرِ سُوءٍ": احتراز بلاغي بديع؛ لئلا يظن الراي أن البياض مرض، بل هو "نور" محض، تأكيداً على أن عطاء الله كامل ومنزه عن النقص.

* "واضمم إليك جناحك": استعارة تمثيلية في غاية الرقة؛ شبه موسى بالطائر الذي إذا خاف نشر جناحيه واضطرب، فإذا أراد السكينة ضم جناحيه إلى جسده. هي دعوة لجمع النفس وربط الجأش.

* "فَذَاقْ بُرْهَانَكَ": "ذائق" إشارة للمثنى البعيد (العصا واليد)، لبيان علو شأن هاتين المعجزتين وبعد منزلتهما في الحجة والبيان.

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

هذه الآية تخاطب أعماقك كإنسان وكمسلم يواجه مصاعب الحياة:

* الآية في ذاتك: العصا كانت "خارج" موسى، أما اليد فهي "منه". الدرس: الله يعطيك أدوات خارجية للنجاح، لكن القوة الحقيقية والنور الحقيقي ينبعان من "داخلك"، من قلبك الموصول بخالقه.
* السكينة الذاتية: "واضمم إليك جناحك"؛ توجيهه نبوي لكل من داهمه القلق. لا تبحث عن الهدوء في الخارج، بل ضمّ شتات نفسك، واستعن بذكر الله لتهدأ دقات قلبك.
* النور لا السواد: اليد تخرج بيضاء لتواجه ظلام فرعون. الداعية لا يواجه القبح بقبح مثله، بل يواجه السواد بـ "بياض" الحجة، وطهارة اليد، ونور اليقين.

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان المسلم
* تربية النفس على الثبات: الله لا يعطي موسى المعجزات فحسب، بل يعلمه "كيف يثبت" أمامها (واضمم إليك جناحك). القوة بلا ثبات نفسي هي تهور، والثبات بلا قوة هو عجز.
* الطهارة والنزاهة: "من غير سوء"؛ إشارة إلى أن يد الداعية والمسلم يجب أن تكون بيضاء طاهرة من المظالم والآثام، لتكون حجته مقبولة وكلمته مسموعة.
* فهم طبيعة الخصم: "إنهم كانوا قوماً فاسقين"؛ تعريف موسى بطبيعة من سيواجهه. التربية هنا هي "الوعي بالواقع"؛ فالداعية لا يتحرك في فراغ، بل يتحرك ببصيرة مدركاً لنوع العقبات التي ستواجهه.

خامساً: القيم المجتمعية في الآية
* قيمة الحجة والبرهان: "فذاك برهانان"؛ المجتمع المسلم لا يقوم على الغوغائية أو الادعاءات، بل على الدليل القاطع والمنطق الواضح.
* الفرق في التوجيه: رغم أن المواجهة مع طاغية (فرعون)، إلا أن الله أعد موسى برفق وسكينة، ليعلمنا أن "إعداد النفس" يسبق "إعلان المواجهة".
* الأمن النفسي المجتمعي: عندما يتعلم أفراد المجتمع "ضم الجناح" (السيطرة على الانفعالات و الرهبة)، يصبح المجتمع أكثر رزانة وقدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة في وقت الأزمات. الخلاصة للسامع:

يا من استوحشت طريقك، "اسلك يدك في جيبك"؛ ابحث عن مواطن القوة والجمال التي أودعها الله في روحك. لا تخش اضطراب قلبك، بل "اضمم إليك جناحك" بذكر ربك. إن الله حين يرسلك لمواجهة "فراغة" الصعاب في حياتك، لا يرسلك أعزلاً، بل يرسلك بـ "براهين" اليقين التي تجعل يدك تضيء في أحلك الظروف.

المبحث الخامس

ننتقل الآن إلى المشهد الذي يكشف لنا عن "أدب النبوة" وعمق الصدق مع النفس، حيث تبرز الطبيعة البشرية لموسى -عليه السلام- لا كعائق، بل كبوابة لطلب المدد الإلهي. في الآيتين 33 و34، نرى كيف يتحول "الخوف الشخصي" إلى "حرص على الرسالة".
قال تعالى:

{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونُ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ}
أولاً: المشهد التصويري (الاعتراف بالضعف لبناء القوة)
بعد تلك التجليات العظيمة (العصا واليد)، لم يدع موسى القوة الخارقة، بل انحنى بقلبه شاكياً ضيق صدره ومخاوفه لربه. صورة موسى هنا هي صورة "الواقعي المتوكل"؛ فهو يستحضر الماضي (حادثة القتل) ويستشرف المستقبل (التكذيب)، ويطلب "ظهيرا" (هارون) ليقوى به. إنها لحظة تجرد كاملة من "الأنا"، حيث الغاية هي "نجاح المهمة" لا "ظهور الشخص".
ثانياً: المسات البيانية والبلاغية

* "رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ": نداء الربوبية هنا استغاثة بالرحمة والتربية، والاعتراف بالذنب (القتل الخطأ) في مقام التكليف هو قمة الإخلاص وتطهير النفس قبل الانطلاق.
* "أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا": إقرار بتميز الآخر وتواضع من القائد؛ فموسى كليم الله يعترف بتفوق أخيه في "البيان"، مما يرسخ قيمة "التخصص والبراعة".
* "رِدْءًا يُصَدِّقُنِي": "الردء" هو العون الملازم الذي يسد الخلل ويقوي الظهر. اختيار اللفظ يوحي به الحاجة إلى سند حقيقي لا مجرد رفيق طريق.
* تكرار "أَخَافُ": صدق المشاعر؛ خاف من "القتل" (خطر جسدي) وخاف من "التكذيب" (عائق دعوي).

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية
تخاطب هذه الآيات وجدانك لتصحيح مفهوم "البطل":
* المصارحة لا المكابرة: الداعية والمسلم الحق لا يخفي ضعفه عن ربه. الاعتراف بالخوف أو العجز اللساني أمام الله هو أول خطوات "التمكين".
* العمل بروح الفريق: موسى لم يقل "أنا النبي وأنا من كلمني الله"، بل طلب هارون. الدرس: النجاح ليس "بطولة فردية"، بل هو تكامل مواهب.
* الوضوح في الطلب: موسى حدد مشكلته (اللسان) وحدد الحل (هارون). الداعية الناجح هو من

يعرف نقاط ضعفه ويجبرها بالاستعانة بأهل الخبرة.
 رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان المسلم
 * قيمة التواضع الأكاديمي والمهني: أن تعترف بأن غيرك "أفصح" أو "أعلم" في جانب معين هو رفعة لك لا نقص.
 * الأخوة الصادقة: موسى لم يفر من أخيه، بل أراد له أن يشاركه النبوة والشرف. التربية هنا هي نزع "الحسد والمنافسة" من قلب المؤمن تجاه أخيه.
 * استحضار العواقب: التفكير في (يقتلون) و(يكذبون) يعلم المسلم "التخطيط الاستراتيجي"؛ فلا يكفي أن تملك الحق، بل يجب أن تملك وسائل حمايته وإيصاله.
 خامساً: القيم التي تغرسها الآية في المجتمع
 * النزاهة والشفافية: موسى يعرض تاريخه (قتلت منهم نفساً) بوضوح؛ فالمجتمع الصالح هو الذي يُبنى على الصدق لا على إخفاء العيوب.
 * دعم الكفاءات: قيمة تقديم "الأفصح" والأجدد للمهمة المناسبة، بعيداً عن المحسوبية أو التمسك بالمناصب.
 * التكافل النفسي: ضرورة وجود "الردء" (السند) في حياة كل إنسان؛ فالإنسان وحده ضعيف وبأخيه قوي.
 الخلاصة للسامع:

يا من تحمل همّاً أو رسالة وتخشى تعثر لسانك أو مواجهة خصومك: لا تخجل من طلب العون. "هارونك" قد يكون صديقاً، أو كتاباً، أو مهارة تتعلمها. إن الله الذي اصطفى موسى وهو "خائف" و "متردد" في بيانه، هو الذي سيصطفيك ويقويك بمجرد أن تعترف بفقرتك إليه.

المبحث السادس

تصل الرحلة في الوادي المقدس إلى محطتها الحاسمة في الآية 35، حيث يأتي "القرار الإلهي" الذي ينهي كل المخاوف البشرية، ويضع النقاط على الحروف لمستقبل المواجهة. هنا نرى كيف يجيب "رب العالمين" على صدق موسى وتواضعه، وكيف يمنحه "درع الحماية" الأبدي.
 قال تعالى:

{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ} أولا: المشهد التصويري (قوة الانتماء وتثبيت الأركان)

تخيل تلك اللحظة: موسى يخشى القتل، ويخشى التكذيب، ويطلب العون.. فيأتي الرد بكلمات تهز الوجدان: "سنشدّ عضدك". العضد هو أقوى جزء في الذراع، والشد عليه يعني التثبيت والقوة وعدم الارتخاء. لم يقل "سنرسل معك أخاك" فحسب، بل قال "سنشدّ"، كأن هارون صار جزءاً من كيان موسى، يمنحه القوة والصلابة. ثم يتوج المشهد بإعلان "السلطان" الذي يمنع الوصول إليهما بسوء. ثانياً: المسامات البيانية والبلاغية

* "سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ": استعارة تمثيلية مذهلة؛ فالأخ هنا ليس مجرد مرافق، بل هو "العضد" الذي بدونه لا تقوى اليد على العمل. وهذا يبرز قيمة الأخوة والتحالف في الحق.
 * "وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا": السلطان هنا هو "سلطان الحجة" و"سلطان الرعب" في قلوب الأعداء، وهو عطاء يفوق مجرد الحماية، إنه هبة إلهية تغلفهما.
 * "فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا": تعبير عن المنعة التامة؛ فالحواجز ليست مادية فقط، بل هي "حواجز ربانية" تمنع فرعون بكل جبروته من أن يمس شعرة منهما.
 * "بِآيَاتِنَا": الباء هنا للسببية والمصاحبة؛ أي أن سلاحكما هو "الآيات"، فمن كان معه الحق الواضح كان هو الأعلى.

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

هذه الآية هي "دستور النصر" لكل صاحب رسالة:

* الله يستجيب للتفاصيل: موسى طلب "أفصح مني لساناً"، فاستجاب الله بـ "سنشدّ عضدك".
 الدرس: لا تتردد في ذكر احتياجاتك الدقيقة في دعائك، فالله يحب العبد الذي يشكو فقره إليه.
 * القوة في الجماعة: "أنتم ومن اتبعكم الغالبون"؛ النصر ليس للفرد مهما علا شأنه، بل للحق وللجنة المؤمنة التي تحمله.

* اليقين قبل المواجهة: الله يعطي موسى نتيجة المعركة قبل أن تبدأ (الغالبون). (الداعية الواثق يسير في طريقه وهو "موقن" بالنصر، لا بجهد، بل بوعده ربه.

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان المسلم
 * قيمة المؤازرة: التربية على أن يكون المسلم "عضداً" لأخيه، يشد أزره ويقوي عزمه، لا أن يكون مثبطاً أو منافساً.

* الاعتماد على الحجة (السلطان): التربية على أن قوة المسلم في "سلطان علمه وبيانه" وآيات ربه، لا في مجرد القوة العضلية أو المادية.

* الأمن الإيماني: "فلا يصلون إليكما"؛ غرس السكينة في نفس المسلم تجاه "المؤامرات" و"التهديدات"، فإذا كان الله قد كتب لك المنعة، فلن يضررك كيد الكائدين.

خامساً: القيم التي تغرسها الآية في المجتمع

* قيمة "التبعية الواعية": "ومن اتبعكما؛" توضح أن النصر يشمل الأتباع الصادقين أيضاً، مما يغرس روح الانتماء لمنهج الحق.
* السيادة للحق: قيمة أن الغلبة ليست للأقوى سلاحاً) فرعون، بل للأقوى "آية وبرهاناً" موسى وهارون.

* التفاؤل والوعد الصادق: المجتمع الذي يؤمن بـ "أنتم ومن اتبعكما الغالبون" هو مجتمع حي لا يعرف اليأس، مهما كانت قوة الخصم.

سادساً: المفاهيم العملية من القصة كاملة) من الآية 29 إلى (35

* بداية الرحلة) نار: السعي البشري المخلص) طلب الدفء والخبر.

* الوسط) نور: العطاء الإلهي غير المتوقع) النبوة والوحي.

* المواجهة) قوة: تحويل الخوف إلى أمان، والضعف إلى "عضد مشدود".

الخلاصة للسامع:

يا من تخشى مواجهة "فراعنة" الصعوبات في حياتك، تذكر أن الله الذي استجاب لموسى في غربته، سيشدّ عضدك بمن يعينك، وسيمنحك "سلطاناً" من الحجة والقبول. ابحث عن "آيات الله" في حياتك، واستمسك بها، فالموعد هو "الغالبون"، ليس بقوتك، بل بآياته ومعيته.

المشهد الثاني

مرحلة المواجهه الفعلية

بذات الروح الإيمانية التي رافقتنا في الوادي المقدس، ننتقل الآن من "خلوة الإعداد" إلى "جلوة المواجهة". في الآية 36 من سورة القصص، يرتفع الستار عن المشهد الأول للملحمة الكبرى: موسى وهارون في مواجهة فرعون وملئه. هنا نرى كيف يصطدم "نور الوحي" بـ "ظلمة الكبر"، وكيف يواجه الطغيان الحقيقة بالسخرية والإنكار.
قال تعالى:

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ ۚ مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ} أولا : المشهد التصويري (قوة الحق في مواجهة صلف الباطل)

تخيل المشهد: يدخل موسى بقلبه المشدود بالعضد الإلهي، ومعه أخوه هارون، إلى قصر فرعون المليء بالحرص والذهب والجبروت. يلقي موسى حججه (الآيات البينات) التي هي أوضح من الشمس. لكن رد الفعل كان سريعاً وجاهزاً؛ لم يكن رداً عقلياً، بل كان محاولة "تسفيه" و"شيطنة". وصفوا المعجزات بـ "سحر مفترى"، وتذرعوا بالتقاليد البالية (آبائنا الأولين). إنها صورة تجسد صراع "الحقيقة الباهرة" ضد "الوهم المتجذر".

ثانياً: اللامات البيانية والبلاغية

* "بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ": جمع بين "الآيات" (المعجزات) و"بينات" (الواضحات التي لا تحتاج لشرح). هذا يبرز أن الحجة كانت كاملة، وأن الكفر بعدها ليس جهلاً بل هو "عناد".

* "مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ": استخدام أسلوب القصر (ما وإلا) يعكس "الجمود الفكري" لفرعون وملئه؛ فهم حصروا العظمة الربانية في دائرة السحر الضيقة ليهربوا من استحقاقات الإيمان.

* "مُفْتَرًى": لم يكتفوا بوصفه سحراً، بل زادوا أنه "مختلق ومكذوب"، وهي محاولة يائسة للنيل من مصداقية موسى الشخصية.

* "مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا": بلاغة القرآن تصور هنا "صنم التقاليد"؛ فهم يرفضون الحق ليس لأنه باطل، بل لأنه "جديد" لم يألفه آباؤهم.

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

تخاطب هذه الآية كيأنك كمسلم يحمل قيمة أو فكرة في مجتمع قد يعارضها:

* وضوح المنهج: "بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ"؛ كن واضحاً في طرحك، لا تداهن ولا تلبس الحق بالباطل. القوة في "الوضوح" وليست في الغموض.

* توقع الهجوم: لا تحزن إذا اتهموك بـ "الافتراء" أو "الجنون" أو "السحر"؛ فهذه ضريبة يحملها كل من يصعد بالحق أمام أهل الباطل.

* التحرر من تبعية الماضي: "آبائنا الأولين"؛ تعلم ألا تجعل عادات المجتمع وسيلة لرد الحق. المسلم يتبع "الدليل" لا "الموروث الخاطئ".

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان المسلم

* الثبات عند "الصدمة الأولى": موسى واجه تكذيباً فورياً وجماعياً (قالوا)، لكنه ظل ثابتاً. التربية هنا هي بناء "المناعة النفسية" ضد السخرية والرفض.

* الوعي بأساليب التضليل: الآية تفضح كيف يلجأ أهل الباطل لـ "التصنيف" (هذا سحر) للهروب من جوهر الفكرة. كن واعياً ولا تنجر للمعارك الجانبية.

* مواجهة "الفكر الشمولي": فرعون وملؤه يمثلون "العقل الجمعي المطبق"؛ والتربية الإسلامية تهدف لبناء "الفرد المستقل" الذي يبحث عن البيئة ولو خالف الجميع.

خامساً: القيم التي تغرسها الآية في المجتمع

* قيمة الحوار المبني على الدليل: استنكار القرآن لرد فرعون يغرس فينا أن الرد على الأفكار يجب أن يكون بـ "أفكار" لا بـ "اتهامات".

* نبذ التقليد الأعمى: القيمة العليا هي للحق والوحي، وليس لما وُجد عليه الآباء إذا كان مخالفاً للفطرة والعقل.

* الشجاعة الأدبية: قيمة الوقوف بكلمة الحق في وجه القوة الغاشمة، مستنداً إلى "البينة" التي معك.

سادساً: كيف تتحول لحظة المواجهة إلى مدرسة؟
تأمل الفرق بين "هدوء الوادي المقدس" وبين "صخب قصر فرعون".

* في الوادي: كان موسى يتلقى النور والسكينة.

* في القصر: يواجه الظلام والضجيج.

الدرس: شحن الروح في خلوات الطاعة هو الذي يعطيك القدرة على الصمود في ضجيج المواجهات.

الخلاصة للسامع:

يا من تحمل "بينة" في قلبك، لا يروعنك صياح المكذبين الذين يقولون لك: "هذا وهم" أو "هذا لم يفعله أبائنا". إن الله الذي ساق موسى بآياته البينات، يعلم أن الباطل دائماً ما يتدرع بالقديم ليهرب من نداء التجديد والحق. كن "بيناً" في نفسك، واضحاً في هدفك، ولا تلتفت لمن سمى "النور" سحراً؛ فالحقيقة تفرض نفسها في النهاية.

المبحث الثاني

انظر كيف كان رد موسى -عليه السلام- على هذا الاستكبار، وكيف استعمل منطق "العلم والربوبية" هذا ما تجسده الآية 37 من سورة القصص، وهي مشهد "السمو الأخلاقي والمنطقي". فبعد أن واجه فرعون وملؤه معجزات موسى بالاثام بالسحر والتمسك بالتقاليد البالية، لم ينجر موسى -عليه السلام- إلى مهاتراتهم، بل رد بمنطق الواثق بربه، العليم بعاقبة الأمور.

قال تعالى:

{وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}

أولاً: المشهد التصويري (الهدوء في وجه العاصفة)

تخيل المشهد: فرعون وحاشيته يضجون بالاثامات والسخرية "سحر مفترى"، "ما سمعنا بهذا"، وفي وسط هذا الضجيج يقف موسى بكل سكينة، لا يدافع عن نفسه "شخصياً"، بل يحيل الأمر إلى "علم الغيب والشهادة". هو لا يحاول إقناع من أغلق عقله، بل يضع قاعدة قانونية وإلهية خالدة: العبرة بـ

الخواتيم وبحقيقة الهدى.

ثانياً: اللامات البيانية والبلاغية

* "رَبِّي أَعْلَمُ": صيغة أفعال التفضيل "أعلم" تقطع الطريق على ادعاءات فرعون. إن كان فرعون يدعي المعرفة، فإن الله هو المحيط بكل شيء. وفي قوله "ربي" بالإضافة لباء المتكلم (استشعار للقرب و النصر).

* "بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ": لم يقل "أنا جئت بالهدى"، بل ساقها بأسلوب التعميم والوصف، وهو قمة الأدب والنفقة، فالحق لا يحتاج لتزكية ذاتية بقدر ما يحتاج لبيان مصدره (من عنده).

* "عَاقِبَةُ الدَّارِ": تعبير بليغ يشير إلى الفوز النهائي، سواء في الدنيا بالتمكين أو في الآخرة بالجنة. هو ينقل الصراع من "اللحظة الحاضرة" الزائلة إلى "المستقبل" الباقي.

* "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ": تذييل للآية بـ "جملة تقريرية" تمثل قانوناً كونياً. استعمل "إن" للتأكيد، ونفى "الفلاح" عن الظلمة، مما يعني خسارتهم الحتمية مهما بلغت قوتهم الآن.

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

هذه الآية تبني في وجدانك كإنسان وداعية جداراً من الصلابة:

* عدم الانشغال برد الإساءة: عندما تتهم في نيتك أو عملك، لا تستهلك طاقتك في الدفاع الشخصي. قل كما قال موسى: "الله أعلم بالحق وبالصادق".

* التركيز على "الهدى" لا "الأنا": موسى ركز على "من جاء بالهدى"، اجعل هدفك إيصال الفكرة و القيمة، ولا تجعل الصراع صراعاً على الانتصار للنفس.

* اليقين في النتيجة: الداعية لا يستعجل الثمرة. يكفيك أن تعلم أن الظلم (الظلم الكفر أو ظلم الناس (طريقه مسدود، وأن الفلاح حليف المتقين.

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان المسلم

* تربية "النفس الطويل": الآية تعلم المسلم أن ينظر لـ "عاقبة الدار"، لا يغره تقلب الذين كفروا في البلاد، ولا تحزنه الغلبة المؤقتة للباطل.

* التعلق بالعلم الإلهي: عندما يسخر منك الناس لتمسكك بقيمك، فإن شعور "ربي أعلم" يمنحك اكتفاءً ذاتياً يغنيك عن مدح الخلق أو ذمهم.

* الارتقاء عن الخصومة الفاجرة: موسى لم يقابل سبهم بسب، بل قابل جهلهم بالعلم، وتخرصاتهم بـ اليقين.

خامساً: القيم التي تفرسها الآية في المجتمع

* قيمة "المعيارية": المعيار ليس "ما سمعنا به في آبائنا"، بل المعيار هو "الهدى من عند الله". المجتمع المسلم مجتمع يقدر الحق والحجة.

* قيمة "المسؤولية عن العواقب": تذكير المجتمع بأن كل فعل له "عاقبة"، وأن الظلم الاجتماعي أو الفكري هو انتحار جماعي) لا يفلح الظالمون).
* قيمة "التواضع المعرفي": رد العلم لله) ربي أعلم (يربي المجتمع على عدم الادعاء أو مصادر الحقيقة دون برهان).

سادساً: المفاهيم العملية) من البحث عن التدفئة إلى يقين العاقبة)
تأمل كيف بدأت القصة ببحث موسى عن "خبز" للأرض) طريق مادي، وانتهت هنا وهو يقرر "الخبر اليقين" عن عاقبة الدار) طريق سماوي).
* خرج يطلب أقل العطايا) نار لليلة واحدة).
* فأعطاه الله أعظم العطايا) وحي للدنيا والآخرة).
* وهو الآن يواجه أكبر الطغاة) فرعون (بقلب لم يعد يخشى إلا الله).
الخلاصة للسامع:

يا من تواجه ظلماً أو تكديباً، اجعل شعارك "ربي أعلم". لا تحاول إثبات صدقك لمن قرر أن يكذبك، بل استمر في طريق "الهدى"، وضّم إليك جناحك من الرهب، وثق أن "عاقبة الدار" محجوزة لمن اتقى، وأن الفلاح باب مغلق في وجه كل ظالم مهما علا بناؤه.
بهذا نرى كيف واجه موسى الكبر باليقين.. فماذا فعل فرعون؟ هل تود أن تنتقل للآية 38 لنترى كيف تصاعد جنون العظمة عند فرعون وكيف حاول تحدي السماء ببناء "الصرح"؟

المبحث الثالث

نتقل الآن إلى واحدة من أخطر محطات العناد البشري في التاريخ؛ الآية 38 من سورة القصص. هنا تنتقل من "منطق الوحي" الهادي الذي مثله موسى، إلى "منطق الطغيان" الذي يمثله فرعون. في هذه الآية، نرى كيف يتحول الكبر من مجرد "إنكار" إلى "سخرية علنية" وتحدي سافر للخالق سبحانه. قال تعالى:

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}

أولاً: المشهد التصويري) بناء الوهم لمواجهة الحقيقة)
تخيل فرعون وهو يقف وسط حاشيته) الملأ، يرمق موسى بنظرة استعلاء، ثم يلتفت إلى جمهوره ليعلن "الوهيته" المزعومة بوقاحة منقطعة النظير. ولأن الحجة غائبة عنه، لجأ إلى "الاستعراض المادي"؛ أمر وزيره هامان ببدء مشروع بناء ضخم) الصرح. (المشهد يصور النار وهي توقد على الطين لصناعة الأجر، والعمال يرفعون البناء، ليس لهدف معماري، بل للسخرية من فكرة "إله في السماء". إنه مشهد "الغرور الذي يبحث عن قمة ليرى منها ما لا يرى".
ثانياً: المسامات البيانية والبلاغية

* "ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي": تعبير دقيق يصور "الجهل المتستر بالعلم"؛ فهو لم يقل "لا يوجد إله"، بل قال "ما علمت"، ليوهم قومه بأنه بحث واستقصى ولم يجد أحداً غيره، وهي قمة الخداع المعرفي.

* "فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ": بلاغة القرآن تبرز طبيعة البناء في مصر القديمة) الأجر المحروق. (ونداء "هامان" بالاسم يعكس طبيعة السلطة التي تعتمد على "البيروقراطية التنفيذية" في تنفيذ نزوات الحاكم.

* "لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى": استخدام "لعل" هنا للسخرية والتهكم، فهو يصور الإله وكأنه "جسم" يمكن الوصول إليه بمرتقى مادي، محاولاً حصر "الإيمان الغيبي" في "قياس حسي" ضيق.
* "وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ": ختم قوله بالظن المؤكد باللام) لأظنه؛ ليعترك في نفوس قومه أثراً من الشك والريبة تجاه صدق موسى.

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

تخاطب هذه الآية وجدانك حين تواجه "عنجهية" الباطل ومحاولته لتسفيه إيمانك:

* الباطل يبحث عن "صروح" والمؤمن يبحث عن "حقائق": الطواغيت عبر التاريخ يحاولون إيهام الناس بالمباني والمنجزات المادية لصرفهم عن الحقائق الروحية. لا تبهر بـ "صروح" الباطل، فأساسها من طين.

* خداع "ما علمت": احذر من الذين يحاولون نفي الحقائق الإيمانية بحجة "عدم الرصد العلمي" أو "عدم المعرفة الحسية". عدم العلم بالشئ لا يعني عدم وجوده.

* الثبات أمام السخرية: موسى يقف صامداً وفرعون يسخر منه ببناء برج. الدرس: لا يضررك استهزاء أهل الدنيا، فالمستبصر بنور الوحي يرى ما خلف الصروح من خراب.

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان المسلم

* تربية العقل على "النقد": الآية توضح كيف يستخف الحاكم قومه) يا أيها الملأ. (المسلم يتربى على ألا يكون "إمعة" يصدق كل من ادعى المعرفة أو ملك القوة.

* الفرق بين "العلو الحقيقي" و"العلو الزائف": فرعون يريد علواً بالطين والأجر، وموسى علا بمقام "أتست ناراً" و"ثوبي". التربية الإسلامية تهدف للعلو الروحي لا المادي الزائل.

* الحذر من "بطانة السوء": دور "هامان" هنا هو دور المنفذ المطيع للباطل. المسلم يتربى على ألا

يكون أداة في يد ظالم لبناء "صرح" من الوهم.

خامساً: القيم التي تغرسها الآلية في المجتمع

* قيمة "الحقيقة فوق السلطة": فرعون يملك القوة ويقول "أنا إله"، لكن الحقيقة تظل أن الله هو رب العالمين. المجتمع المسلم يحمي نفسه بتقديم "الحق" على "القوة".

* نبذ التأليه البشري: تحذر الآلية من صناعة "الأصنام البشرية" التي تدعي العلم بكل شيء وتطالب بـ الولاء المطلق.

* التواضع أمام عظمة الخالق: الصرح مهما علا يظل محدوداً، والسماء مهما علت تظل فوق قدرة البشر. القيمة هي الاعتراف بمحدودية الإنسان أمام لا محدودية الخالق.

سادساً: المفاهيم العملية من الخبر الأرضي إلى تحدي السماء

تأمل المفارقة العجيبة:

* موسى: بدأ بـ "لعلي آتيكم بخبر" تواضع وبحث عن حاجة، فأنتهى بلقاء الله.

* فرعون: بدأ بـ "لعلي أطلع" كبر وبحث عن سخرية، فأنتهى بـ "وجنوده في اليم".

الخلاصة للسامع:

يا من ترى في واقعه اليوم "صروحاً" من المادة، و"هامانات" من التضليل الإعلامي أو الفكري الذين يحاولون إخفاء ضياء الوحي. تذكر أن "الطين" يظل طيناً مهما ارتقى. فرعون أراد "الاطلاع" بالسلم المادي، وموسى "اطلع" بقلبه في الوادي المقدس. الأمان في القلب لا في الصرح، واليقين في الوحي لا في الظن

المبحث الرابع

نأتي الآن إلى صورته الحساب الختامي في هذا المشهد، حيث تتقلص "الصروح" العالية وتتلأشى "الألوهية" المزعومة أمام جبروت الحق. في الآية 39 من سورة القصص، يضع القرآن الكريم التوصيف الدقيق لمرض فرعون وجنوده، ويبين العاقبة الحتمية لكل من ظن أن القوة المادية تمنحه حصانة من الوقوف بين يدي الله.

قال تعالى:

{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ}

أولاً: المشهد التصويري وهم الخلود والتمكين

تخيل فرعون وهو يزهو بصرحه، والجنود من حوله يملأون الأرض ضجيجاً بقوتهم وعددهم. المشهد يصور حالة من "الانتفاخ الكاذب"، فرعون ليس وحده، بل معه "جنوده" الذين صاروا أدوات في يد كبريائه. الأرض التي يسرون عليها خيل إليهم أنهم ملكوها للأبد، وأن شريط الحياة سينتهي عند حدود قوتهم، متناسين اللقاء الأعظم.

ثانياً: المسامات البيانية والبلاغية

* "وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ": إسناد الاستكبار للجميع؛ لأن الجنود بموافقتهم وتنفيذهم لأوامر الطاغية صاروا شركاء في الجرم. الاستكبار هنا فعل "تكلف"، أي حاولوا لبس رداء العظمة الذي لا يليق إلا بالله.

* "فِي الْأَرْضِ": قيد المكان الأرض (يبرز ضالة استكبارهم؛ فمهما علوا، هم محصورون في كوكب صغير في كون الله الواسع، مما يوحي بسخف هذا الكبر.

* "بِغَيْرِ الْحَقِّ": احتراز قرآني بليغ؛ فالعظمة لله "بالحق" لأنه الخالق، أما استكبارهم فهو "بغير الحق" لأنه ادعاء لما ليس لهم.

* "وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ": هذا هو "جذر المشكلة"؛ نسيان الآخرة. الظن هنا هو الاعتقاد الخاطئ الذي بنيت عليه كل تصرفاتهم الطائشة.

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

تخاطب هذه الآلية أعماق النفس البشرية لتحذرها من "فخ القوة":

* القوة مسؤولية لا كبر: عندما يمنحك الله جاهاً، أو علماً، أو منصباً، تذكر "بغير الحق"؛ فلا تتوهم أنك تملك هذا الفضل لذاتك، بل هو استخلاف.

* خطر "التبعية العمياء": رسالة لكل من يتبع باطلاً بحجة "أنا عبد مأمور"؛ الجنود استكبروا مع فرعون فحشروا معه. الداعية يربي الناس على "الولاء للحق" لا "الولاء للأشخاص".

* بوصلة الرجوع: اجعل دائماً فكرة "إلينا يرجعون" هي الحاكمة لتصرفاتك. من أيقن بالرجوع، انضبط في السلوك.

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان والداعية

* تربية النفس على "التواضع المعرفي والوجودي": المسلم يدرك أنه عابر سبيل في هذه الأرض، فلا يستكبر فيها. التربية هنا تهدف لكسر "الأنا" المتضخمة.

* فهم "سيكولوجية الطغيان": الطغيان يبدأ بظن "الاستغناء" عن الله. الداعية يربي المجتمع على "الافتقار الدائم" لله) يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله).

* الحذر من الاغترار بـ "الكثرة": جنود فرعون كانوا كثرًا، لكن كثرتهم لم تغن عنهم شيئاً أمام الحق. المسلم يتربى على أن القيمة في "الحق" ولو كان أهله قلة.

خامساً: القيم التي تغرسها الآلية في المجتمع

* قيمة "المساءلة الأخلاقية": المجتمع الذي يؤمن بالرجوع إلى الله) إلينا يرجعون (هو مجتمع تسوده العدالة والأمانة تلقائياً.

* المواطنة الصالحة بغير استعلاء: غرس قيمة أن التفوق في الأرض) اقتصادياً أو عسكرياً (يجب أن يكون "بالحق" لخدمة البشرية، لا للاستكبار عليها.

* العدل الاجتماعي: الآلية تنفر من "الاستكبار الطبقي" أو "العسكري" الذي يمارسه القوي على الضعيف.

سادساً: المفاهيم العملية) من البحث عن الدفء إلى السقوط في اليم(تأمل كيف اكتملت الصورة الآن:

* موسى: خرج خائفاً، فقيراً، يبحث عن نار.. فأنتهى بـ "إقبال" وأمان ونوبة.

* فرعون: كان آمناً، ملكاً، يملك الأنهار.. فأنتهى بـ "استكبار بغير الحق" وظن كاذب. الخلاصة للسامع:

يا من ترى القوة تتغطرس، والصروح تتطاول، وتسمع ضجيج "الجنود" الذين يظنون أنهم ملوكوا مصائر الخلق.. لا يغرنك مشهد "الاستكبار في الأرض". انظر بعين الوحي إلى الحقيقة: إنهم "إلينا يرجعون". كل من بنى مجده على "غير الحق" هو يبني على رمال متحركة. كن مع موسى في "تواضعه وبوحته"، لتكون معه في "نجاته وفلاحه".

المبحث الخامس

نختم هذا المشهد المهيب بالآية 40 من سورة القصص، وهي لحظة "الحسم الإلهي"؛ حيث تتلاشى صروح الطين، وتغرق كبرياء السلطة، ويسدل الستار على واحدة من أعظم قصص الغرور البشري، ليبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

قال تعالى:

{فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} أولا : المشهد التصويري) السقوط المروع من القمة إلى القاع(

تخيل تلك اللحظة الخاطفة: فرعون الذي قال "أنا ربكم الأعلى"، وجنوده الذين استكبروا بغير الحق، فجأة وبلا مقدمات، تأتيهم القوة الإلهية. كلمة "فأخذناه" تصور القوة المطبقة التي لا فكاك منها، وكلمة "فنبدناهم" تصور الاستهانة به وبسلطانه؛ فالنبد هو إلقاء الشيء المستغنى عنه بغير اكتراث. العظمة التي بناها في سنين، والجيوش التي أربع بها البلاد، انتهت كلها في جوف "اليم" (البحر)، حيث لا صرح ينفج، ولا هامان يشفع.

ثانياً: المسامات البيانية والبلاغية

* "فَأَخَذَتْهُ": الفاء للتعقيب والسرعة، وكلمة "أخذ" توحى بالتمكن التام والقبض القوي؛ فلا مجال للهروب أو الاعتذار.

* "فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ": تشبيهه بليغ لحالهم؛ فالبحر الذي كان يفتخر فرعون بأن أنهاره تجري من تحته، صار هو القبر الذي يبتلعه. ولفظ "النبد" يشعر القارئ بمدى ضعة هؤلاء الظلمة عند الله مهما تعاظموا في أعين الناس.

* "فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ": فعل الأمر "انظر" هو دعوة للتأمل والاعتبار لكل الأجيال. وكلمة "عاقبة" تؤكد صدق قول موسى في الآية السابقة: "ومن تكون له عاقبة الدار".

ثالثاً: الرسائل الوجدانية والتوجيهات للداعية

تخاطب هذه الآية أعماق قلبك لتستأصل منه جذور الخوف من القوى المادية:

* الخواتيم تحسم المعارك: لا تنظر إلى قوة الباطل في "البداية"، بل انظر إلى "النهاية" التي كتبها الله. العاقبة هي المعيار الحقيقي للنجاح.

* عدالة السماء لا تستثني أحداً: "وجنوده"؛ لم ينجُ التابع كما لم ينجُ المتبوع. الدرس للداعية: ربّ الناس على أن المسؤولية فردية، وأن القوة المجمععة على الباطل هي كثرة غثاء أمام تدبير الله.

* الاستغناء بالله: موسى الذي بدأ "وحيداً" و"خائفاً" في ليلة باردة، انتهى "ناجياً" و"منصوراً" على ساحل البحر، بينما غرق "الملك" و"الجيش".

رابعاً: الجوانب التربوية للارتقاء بالإنسان والداعية

* تربية النفس على "المراقبة": عندما تستشعر قوة "الأخذ" الإلهي، يزداد ورعك وانضباطك. التربية هنا هي بناء "التقوى" كصمام أمان ضد الطغيان الشخصي.

* الاعتبار بـ "اليم": البحر آية من آيات الله، يكون "طريقاً يبساً" للمؤمن (موسى)، و"قبراً غارقاً" للظالم (فرعون). (الدرس: الكون كله مسخر بأمر الله، فلا تخشِ الأسباب المادية إذا كان مسبب الأَسباب معك.

* وضوح المصير: الآية ترسم نهاية واضحة للظلم؛ مما يعزز في نفس الداعية "الصمود النفسي" في أوقات المحن.

خامساً: القيم التي تغرسها الآية في المجتمع

* قيمة "المسؤولية الجماعية": الجنود الذين أطاعوا فرعون نالوا مصيره؛ مما يغرس في المجتمع قيمة "قول الحق" و"رفض الظلم" مهما بلغت التوضيحات.

* قيمة "التواضع الاجتماعي": الاستكبار يؤدي إلى "النبد". المجتمع المسلم يتربى على أن التفاخر بـ

القوة أو المال هو طريق الهلاك.
 * العدالة الإلهية المطلقة: غرس اليقين بأن المظلومين) بني إسرائيل (سينتصرون في النهاية، وأن الظالمين مهما طال أمد حكمهم، فإن لحظة "الأخذ" آتية لا محالة.
 سادساً: المفاهيم العملية والقيم المغروسة) نهاية الرحلة)
 لقد تتبعنا الرحلة من الآية 29 إلى الآية 40 :
 * موسى: خرج يبحث عن "نار" لتدفئة أهله، فوجد "نور" الوحي ليضيء للعالمين.
 * فرعون: كان يملك "أنهار" الدنيا، وانتهى غريقاً في "يم" الآخرة.
 * القيمة المركزية: الله يعطي أكثر مما نأمل بكثير إذا كان السعي مخلصاً، ويأخذ أعلى ما نملك إذا كان الكبر منهجاً.
 الخلاصة الوجدانية لك أيها السامع:
 تأمل كيف بدأت القصة بـ "ليلة باردة ومظلمة" وانتهت بـ "بصيرة نيرة ونصر مبين". لا تحزن إذا بدأت رحلتك في ظلام، أو إذا ضللت الطريق في ليلة شاتية؛ فربما خلف ذلك الجبل "نار" تنتظرك لتتحول إلى "نور" يغير قدرك. واعلم أن كل "صرح" يُبنى بغير الحق هو "نبذ" ينتظر صاحبه، وأن من قال "أقبل ولا تخف" لموسى، يقولها لك اليوم ولكل مسلم صادق: أقبل على الله، ولا تخف من الفراغة، فإن العاقبة للمتقين.

القسم الخامس

المبحث الأول

تفسير الآية 41 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي لحظة ..أنت تقف أمام مشهد قرآني مهيب، حيث تنكشف الحقائق وتتجلى السنن الإلهية في أبهى صورها. الآية 41 من سورة القصص تأتي في سياق قصة موسى وفرعون، بعد أن أغرق الله فرعون وجنوده في اليم، وجعلهم عبرة لمن خلفهم. ثم تأتي هذه الآية لتصدّم الوعي البشري بحقيقة مرعبة: أن الموت الجسدي ليس نهاية القصة، بل هناك حياة أخرى ممتدة بعد الموت، حياة التأثير والقُدوة.

قال تعالى: "وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ" (القصص: 41)

الأفكار الرئيسية في الآية

1. تحول القادة الظالمين إلى أئمة) قادة (في الشر والضلal
2. حقيقة الدعوة إلى النار كمسار وجودي وليس مجرد قول
3. نفي النصر عنهم يوم القيامة
4. كشف الميراث المشؤوم الذي يتركه الطغاة في الأرض

أولاً : لماذا سمى الله قادة الكفر "أئمة"؟ وما دلالة ذلك؟

دلالة اللفظ ومقامه

كلمة "أئمة" جمع إمام، وهو القائد والمقتدى به. وهي كلمة تحمل في الأصل مقاماً عظيماً، لأن الإمام في الخير يُصلى خلفه وتتبع خطواته. لكن الله هنا يستخدم هذا اللفظ الجليل في مقام التهكم والا نتقام المعنوي.

تأمل معي هذه المفارقة القرآنية العجيبة: فرعون الذي كان يريد أن يكون إماماً في الدنيا بالسلطان و القهر، جعله الله إماماً في النار. الذي سعى للعلو والمجد، صار نموذجاً يُحتذى به في الخزي والضلal . إنها صفة إلهية لكل من يظن أن القيادة مطلق سلطة، فالقائد قد يكون إمام هدى أو إمام ضلال.

الإرث المشؤوم

هذه الآية هي آية الكشف عن "الميراث المشؤوم" الذي تركه فرعون وجنوده. فلقد رأينا بأعين قلوبنا غرق أجسادهم في اليم، وهذه الآية تخبرنا عن شيء أعظم: غرق أرواحهم في ضلال أبدي. فبينما رأى بنو إسرائيل جثث فرعون وجنوده تطفو على الماء، يخبرنا القرآن أن أرواحهم تغوص في بحر من الضلال يمتد لقرون.

إنها تحذير صارخ: الإنسان قد يموت جسداً لكنه قد يظل حياً في تأثيره. فرعون مات ميتة الجسد،

لكنه أصبح إماماً لكل طائفة ومفسد بعده.

التحذير من تحول الإنسان إلى نموذج شر

الآية تخاطب فيك الوعي العميق: أنت -أيها الإنسان- مكرم عند الله، خلقت في أحسن تقويم، ولكنك قد تنحدر إلى أن تكون "نموذجاً للشر يُحتذى به". هذه هي الكارثة الحقيقية. أن تصبح إماماً في الضلال معناه أنك حولت كرامتك الإنسانية إلى أداة لهلاك الآخرين.

١٢

كيف تخاطب الآية وجدانك؟

إعادة تعريف مفهوم التأثير

تأمل معي: هل فكرت يوماً أن تأثيرك في الآخرين قد يستمر بعد موتك؟ كل منشور تكتبه، كل كلمة تقولها، كل موقف تعيشه - قد يكون بصمة في قلوب الآخرين. الآية تزرع في نفسك رعباً مقدساً من فكرة أن تكون "إماماً في الضلال". أن يسيّر الناس خلفك فتكون سبباً في هلاكهم.

خطورة القدوة في عصرنا

في زماننا المعاصر، ظهرت أنواع جديدة من "أئمة الضلال":

- . دعوات القوميات والعصبيات: قادة يحرضون على الكراهية باسم العرق أو الأصل
- . الطائفية والمذهبية: أئمة باطل يقسمون الأمة باسم الدين
- . المناطقية والسلالية: من يفرقون بين الناس بأصولهم وأماكن ميلادهم
- . المشاهير الذين يدعون إلى الفسق: مغنون وفنانون ومؤثرون يقدمون الرذيلة في قالب جذاب

كيف نتجنب هذه القدوات السيئة؟

١. اتبني وعياً نقدياً: لا تتبع أي مؤثر قبل أن تختبر فكره ومنهجه
٢. التدقيق في المصادر: اعرف من تتلقى عنه دينك وقيمك
٣. مراجعة المحتوى الذي نستهلكه: اسأل نفسك: هل هذا الشخص يقودني إلى الجنة أم إلى النار؟
٤. بناء بدائل إيجابية: ابحث عن أئمة الهدى الحقيقيين

خطورة الترويج للشر

كل من ينشر محتوى فاسداً، كل من يروج لفكرة ظالمة، كل من يعجب بمنشور يدعو إلى معصية - هو شريك في الإمامة إلى النار. الآية تضعك أمام مسؤوليتك: أنت إما أن تكون إمام هدى أو إمام ضلال، لا توجد منطقة رمادية.

ثانياً: معنى "يذعنون إلى النار" وحقيقة الإمامة في الشر

حقيقة الدعوة إلى النار

ليست مجرد دعوة لفظية بلسانهم. الدعوة إلى النار تكون بـ:

- . الأقوال: نشر الشبهات والشهوات
- . الأفعال: السلوكيات المنحرفة التي يقتدى بها
- . القوانين: سن القوانين الجائرة التي تشرع الظلم
- . الثقافة: صناعة محتوى فكري وفني يهدم القيم
- . القدوة: كونهم مثلاً يحتذى في الفساد

نهاية أئمة الشر

إنها نهاية مأساوية مرعبة:

- . في الدنيا: خزي وذل وإن كانوا يظنون أنهم في عز
- . عند الموت: حسرة وندم

- في القبر: عذاب وضيق
- يوم القيامة: لا ينصرون

مسؤولية الكلمة والدعوة

كل من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها .إذا قلت كلمة ضلال فتبناها آخرون، فأنت إمامهم في النار .هذه مسؤولية عظيمة تجعل المؤمن يتقي الله في كل كلمة ينشرها، في كل منشور يكتبه، في كل فيديو يشاركه.

ثالثا : دلالة "لا يُنصَرُونَ"

يقين انتصار الحق

تأمل هذه المقارنة الرائعة التي ترسمها الآية في قلبك:

بداية القصة: فرعون ملك جبار، له الجنود والقصور والسلطان .موسى عليه السلام رجل ضعيف، يبحث عن دفء النار لعله يأتي بقبس.

نهاية القصة: موسى نبي مرسل، له القوة والجاه عند الله، ينجو وينتصر .فرعون غريق في اليم، زال سلطانه وجنوده وجاهه، ثم يأتي ما هو أعظم: "ويوم القيامة لا ينصرون".

الخلاصة: العبرة بالخواتيم، لا بالمظاهر الزائلة.

دروس عملية

1. لا تنخدع بقوة الباطل مهما بدت عظيمة
 2. لا تيأس من ضعف الحق مهما بدا صغيراً
 3. تذكر أن النصر الحقيقي ليس نصر الجسد، بل نصر الروح والمنهج
- رابعا**

الأبعاد التربوية والنفسية للآية

البعد التربوي

1. تربية القدوة: علم نفسك وأولادك أن كل إنسان قدوة في مجاله
2. مسؤولية التأثير: ربّ في النفوس الشعور بالمسؤولية عن تأثيرهم في الآخرين
3. اختيار القدوات: علم الأجيال كيفية اختيار القدوة الصالحة

البعد النفسي

1. ازرع الخوف الإيجابي: خوف من أن تكون سبباً في ضلال الآخرين
2. تعزيز الرقابة الذاتية: أن تراقب نفسك قبل أن تؤثر في غيرك
3. بناء الوعي بالعواقب: كل فعل له امتداد في الزمن

خامسا

الآفاق المستفادة من الآية

الآفاق السياسي (القيادة والتبعية)

- القيادة الحقيقية ليست تسلطاً بل توجيهاً للخير
- القائد مسؤول عن من يقودهم في الدنيا والآخرة
- التبعية العمياء تقود إلى الهلاك

الآفاق الاجتماعي (القيم والمبادئ)

- المجتمع الذي يقدر أئمة الضلال هو مجتمع مهلك
- تغيير المجتمع يبدأ بتغيير القدوات
- الأعراف والتقاليد قد تكون أئمة ضلال إذا خالفت الشرع

الأفق الثقافي

- الإعلام والفن والثقافة قد تكون أدوات دعوة إلى النار
- المثقفون والفنانون أئمة في مجتمعاتهم
- تصحيح المفاهيم يبدأ بتصحيح صورة القدوة

سادسا

الرسائل والتوجيهات العملية

رسائل للقلب

١. أنت إما إمام هدى أو إمام ضلال، لا ثالث لهما
٢. تأثيرك في الآخرين ليس ترفاً فكرياً، بل مسؤولية يوم القيامة
٣. لا تقل "أنا حر" في فعل ما تشاء، فحريتك تنتهي عندما يقتدي بك الآخرون

توجيهات عملية لتطبيق الآيات في حياتك

١. اراجع محتوياتك على وسائل التواصل: كل منشور تنشره هو دعوة. هل تدعو إلى جنة أم إلى نار؟
٢. احذر من التحريض: لا تحرض على كراهية، لا على عصبية، لا على طائفية
٣. تذكر القيادة الحقيقية: ليست كثرة الأتباع، بل أن تكون داعي هدى
٤. لا تروج لأئمة الضلال: حتى ولو كانوا مشاهير. لا إعجاب، لا مشاركة، لا تقليد أعمى
٥. كن قدوة في الخير ولو صغيرة: ابتسامة، كلمة طيبة، نصيحة سرية، مساعدة محتاج

خطوات عملية للحماية من أئمة الضلال في عصر السوشيال ميديا

١. تحقق قبل أن تتابع: ابحث عن سيرة المؤثر قبل أن تسمح له بدخول حياتك
٢. قلل من التعرض: من أمن الفتنة قلّ تعرض لها
٣. ابحث عن البديل الصالح: لكل مؤثر فاسد، هناك مؤثر صالح
٤. درب أسرتك: علم أبنائك كيف يميزون بين القدوة الحسنة والسيئة

الخلاصة

الآية 41 من سورة القصص ليست مجرد نص ديني تقرأه، بل هي:

- صفة وجدانية توقظك من غفلة التأثير
- مرآة روحية ترى فيها انعكاس تأثيرك في الآخرين
- خريطة نجاة من فخاخ القدوات الفاسدة
- دستور قيادة يعلمك أن تكون إمام هدى لا إمام ضلال

تذكر دائماً: كل واحد منكم إمام، وكل واحد منكم مسؤول عن رعيته. فاختر لنفسك أي الإمامين تريد أن تكون، فالعاقبة لمن اتقى، والنصر لمن صدق، والخلود لمن أخلص.

المبحث الثاني

تفسير الآية 42 من سورة القصص
المقدمة والسباق

تأمل معي هذا المشهد المهيّب الذي ترسمه الآية بعد أن أغرق الله فرعون وجنوده في اليم، وجعلهم أئمة يدعون إلى النار، ثم أخبر أنهم يوم القيامة لا ينصرون. فجاءت الآية التالية لتختتم المشهد بخاتمة مرعبة: "وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ" (القصص: 42).

إنها ليست مجرد إخبار عن عقوبة، بل هي رسم لمصير الإنسان الذي يختار طريق الطغيان والضلال. فبينما رأينا بأعيننا غرق أجسادهم في اليم، تخبرنا هذه الآية عن شيء أشد: غرق أسمائهم وذكورهم في لعنة البشرية، وفضيحة أبدية لا تنتهي عند حدود الموت.

هذه الآية هي آية تشويه السمعة الأبدي، وهي تحذير صارخ لكل من يظن أن السلطة والجاه يحميان

صاحبهما من العار، ففرعون الذي كان يهاب الناس لسانه ويسكتون خوفاً من بطشه، صار اليوم لعنة على كل لسان يؤمن بالله.
****الأفكار الرئيسية في الآية**

١. اللعنة الدنيوية: الإتياع باللعنة في الدنيا كخزي وطرده وإبعاد عن رحمة الله.
٢. المقبوحية الأخروية: الفضيحة والتشويه والطرده يوم القيامة.
٣. اتصال العقاب: لعنة الدنيا تتصل بلعنة الآخرة، فلا انقطاع للعذاب المعنوي.
٤. السمعة ك رأس مال: تحذير من أن السمعة السيئة قد تكون أعظم عقوبة من عذاب الجسد.

اولاً : لماذا "أَتَبَعْنَاهُمْ"؟ وما دلالة الإتياع؟

سَرَّ اختيار الفعل "أَتَبَعْنَا"

تأمل معي هذا الفعل العجيب: "أَتَبَعْنَاهُمْ". إنه ليس مجرد "أَلْحَقْنَا" أو "جَعَلْنَا"، بل هو إلحاق لازم لا يفارق. إنها لعنة تلتصق بهم كالظل، تسير خلفهم أينما ذهبوا في الدنيا.

تخيّل معي أن تسير في الأسواق، في المجالس، في التاريخ، وفي كل مكان يُذكر فيه اسمك، فتجد لعنة الله تلاحقك. هذا هو حال فرعون وقومه: كلما تلا مؤمن القرآن، قال: "فَأَخَذَهُ اللَّهُ تَكَاَلِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى" (النازعات: 25)، فتتجدد لعنته مع كل تلاوة، ومع كل خطبة، ومع كل درس. لقد صار اسمه مقترناً باللعنة إلى الأبد.

إنها لعنة مستمدة من الله، أي أنها ليست مجرد كلمات ينطق بها الناس، بل هي إجراء إلهي: شرع الله لعنتهم وجعلها على السنة المؤمنين. فالمؤمن حين يلعن فرعون، إنما ينفذ مشيئة الله التي ألصقت به هذه اللعنة.

ثانياً : ما هي حقيقة "اللعنة" في الدنيا؟

اللعنة ليست مجرد كلمات

اللعنة في الدنيا ليست مجرد سبّ وشتم، بل هي:

١. الطرد والإبعاد عن رحمة الله: إنها حالة من الحرمان المعنوي، أن يحرم الإنسان من نور الله في قلبه، ومن توفيقه في عمله، ومن بركة في عمره.

٢. الخزي والفضيحة: كما قال المفسرون: "خزياً وعذاباً". ففرعون الذي كان يهاب في الدنيا صار مضرب المثل في الكبر والطغيان، يذكر الناس اسمه في سخرية وازدراء.

٣. الثناء القبيح والمقت والذم: قال السعدي: "لهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد". فحتى أعداء الإسلام حين يذكرون فرعون، لا يذكرونه بخير.

٤. أن يكونوا أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم، كما قال السعدي. أي أنهم نموذج يُحتذى في الطرد من الرحمة.

لماذا أشار الله إلى الدنيا بـ "هذه"؟

تأمل معي هذه اللفظة البلاغية: قال "في هذه الدنيا". قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: الإشارة بـ الدنيا بـ "هذه" لتهوين أمر الدنيا بالنسبة للآخرة.

كأن الله يقول: هذه الدنيا التي افتتنتم بها، وتنافستم على زخرفها، وغرركم حتى عبدتم غيري، إنما هي دنيا حقيرة، ولعنتكم فيها ما هي إلا تمهيد للعذاب الأعظم في الآخرة. إنها دنيا تافهة لا تستحق أن تباع فيها الآخرة.

ثالثاً : ما معنى "المقبُوحين"؟ وما دلالات هذا الوصف المرعب؟

المقبُوحون: بين اللغة والتفسير

كلمة "المقبُوحين" تحمل في طياتها معاني متعددة متكاملة، كلها تصف فظاعة حالهم يوم القيامة:

المعنى الأول: المبعدون عن رحمة الله
هذا أصل المعنى: أنهم مطروحون خارج ساحة الرحمة الإلهية، لا نصيب لهم من كرم الله ولا من عفوه.

المعنى الثاني: المستقذرة أفعالهم
قال السعدي: "المستقذرة أفعالهم". أي أن أعمالهم التي كانوا يفتخرون بها في الدنيا تصير يوم القيامة مستقذرة، مقززة، ينفر منها البصر والنفس.

تخيّل معي هذا المشهد: فرعون الذي كان يقول "أنا ربكم الأعلى"، ويأمر ببناء الصرح ليطلع إلى إله موسى، تأتي أعماله يوم القيامة في صورة مقززة، ينظر إليها هو والخلائق فيخزي ويفتضح.

المعنى الثالث: المشوهون في صورهم
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون". إنها عقوبة معنوية وجسدية معاً: أن تصير صورته مشوهة قبيحة بعد أن كان في الدنيا يتجمل ويتزين.

المعنى الرابع: المطرودون من كل خير
"المقبوح: المطرود المبعد عن كل خير". فهم محرومون من أي خير، من أي نور، من أي راحة، من أي أمل.

لماذا قال "هم من المقبوحين" بصيغة الاسمية؟

هذه لفظة بلاغية دقيقة جداً. تأمل معي: في شطر الآية الأول قال "وَأَتَّبَعْتَاهُم" بصيغة الفعل الماضي، وفي الشطر الثاني قال "هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ" بصيغة الاسمية.

قال ابن عاشور: إن اللعنة في الدنيا قد انتهت بإغراقهم، أو أن لعن المؤمنين لهم يكون في أحيان متفرقة، فجاء معها بالجملة الفعلية التي لا تقتضي الدوام. أما تقبيح حالهم يوم القيامة فهو دائم معهم ملازم لهم، فجاء معه بالجملة الاسمية التي تفيد الثبات والدوام.

إنها إشارة إلى أن فضيحتهم في الآخرة ليست لحظة عابرة، بل هي حالتهم الأبدية. إنها الخزي المقيم ، والعار الدائم.

رابعا : كيف تخاطب هذه الآية وجدانك وعقلك؟

الرسالة الأولى: السمعة ليست ترفاً، بل هي قدر

هذه الآية تحطم في نفسك فكرة أن السمعة أمر ثانوي. كثير من الناس يظنون أن المهم هو "ما تفعله" فقط، أما "ما يقال عنك" فليس مهماً. الآية تقول: لا، أنت مسؤول عن سمعتك أمام الله، وقد تكون اللعنة الدنيوية أشد وطأة من بعض أنواع العذاب.

تأمل: فرعون يعذب في قبره، ويعذب في ناره، لكن هناك شيء آخر: اسمه ملعون على كل لسان مؤمن. كلما تلا مسلم القرآن قال: "فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى" (النازعات: 25)، فتتجدد اللعنة. كلما مرت الأيام والسنوات، يتجدد العار.

الرسالة الثانية: لا تنخدع بقوة الطغاة اليوم

ربما تنظر اليوم إلى بعض الطغاة وأئمة الضلال، فتراهم في قمة السلطان، والناس تخافهم وتهابهم، و الدنيا تزين لهم. هذه الآية تزرع في قلبك يقيناً: هذا المجد زائل، وهذه الهيبة ستتحول إلى لعنة، وهذا الاسم الذي يهابه الناس اليوم سيكون لعنة على كل لسان غداً.

الرسالة الثالثة: التوبة تمحو اللعنة

لا تباأس من رحمة الله. هذه الآية تتحدث عن قوم أصروا على الكفر والطغيان حتى الممات. أما أنت، فباب التوبة مفتوح. كلما تذكرت هذه الآية، تذكر أن الله لا يلعن من تاب وأناب. إنها ليست آية يأس، بل آية تحذير لمن يظن أن الطغيان يفلت من العقاب.

خامسا : الأبعاد المتعددة للآية

البعد النفسي

١. الخوف من السمعة السيئة: الآية تغرس في النفس خوفاً عميقاً من أن يكون المرء سبباً في فساد الآخرين، أو أن يظل اسمه مقترناً بالشر بعد موته. كل إنسان لديه رغبة في "البقاء" بعد الموت، وهذه الآية تحدد لك طريق البقاء: إما بقاء حميد في رحمة الله، وإما بقاء مشؤوم في لعنة الله.

٢. الرقابة الذاتية: من عرف أن كل فعل له انعكاس على سمعته الدنيوية والأخروية، راقب نفسه أكثر. هذه الآية تضع أمامك سؤالاً: لو مات شخص اليوم، كيف سيكون ذكره بين الناس؟ هل سيدعون له بالرحمة أم باللعنة؟

٣. الشعور بالمسؤولية الجماعية: الآية تذكرك أن لعنة الله قد تلحق ليس فقط بالطاغية، بل بمن تبعه. فأنت حين تتبع طاغية أو تروج لضال، فأنت شريك في اللعنة.

البعد التربوي

١. تعليم الأجيال قيمة السمعة الطيبة: علم أبنائك أن أعظم استثمار يمكن أن يقدموه هو بناء سمعة طيبة عند الله وعند الناس. وأن أسوأ ما يمكن أن يحدث للإنسان أن يكون "مقبوحاً" في الدنيا والآخرة.

٢. ربط الأبناء بعواقب الأفعال: لا تقل لابنك "هذا حرام" فقط، بل قل له: تخيل أن هذا الفعل قد يجعلك "مقبوحاً" عند الناس، وقد تلحق بك اللعنة في الدنيا. هذا الربط بين الفعل والسمعة له أثر بالغ في التربية.

٣. القدوة الحسنة: أنت كأب أو أم أو معلم، أنت نموذج يحتذى. الآية تذكرك أنك إن كنت قدوة سيئة، فقد تلحق بك اللعنة على السنة من أفسدتهم. وإن كنت قدوة حسنة، فلك دعوات الخير ممن اهتموا بك.

البعد الاجتماعي

١. دور المجتمع في تقويم الانحراف: الآية تشير إلى أن اللعنة تكون "على السنة المؤمنين". أي أن المجتمع المؤمن له دور في بيان فساد الطغاة وأئمة الضلال، وفي تحذير الناس منهم.

٢. قيمة السمعة في المجتمع: المجتمع الذي لا يلعن الطغاة ولا ينبذ الظالمين هو مجتمع فقد حيويته والأخلاقية. الآية تدعو إلى مجتمع يقدر الخير وينبذ الشر، ويكون لسانه ناطقاً بالحق ولو على الطغاة.

٣. التحذير من "تبييض" الطغاة: في عصرنا، هناك من يحاول "تلميع" صور الطغاة وأئمة الضلال، عبر الإعلام أو الدعاية. الآية تذكر أن هذه المحاولات لا تغير من واقعهم شيئاً، فالله قد أتبعهم لعنة، و الناس المؤمنون يلعنونهم.

البعد السياسي

١. هشاشة السلطان: الآية تحطم فكرة أن السلطة تحمي صاحبها. فرعون كان له السلطان المطلق، ومع ذلك لم تمنعه سلطته من اللعنة. أي سلطة في الدنيا، مهما بدت قوية، لا تستطيع أن تحمي صاحبها من عار السمعة السيئة.

٢. مسؤولية الحاكم: كل حاكم يجب أن يتذكر هذه الآية: إن حكم بالعدل، فله الدعوات الطيبة والذكر الجميل. وإن حكم بالجور، فله اللعنة والعار الأبدي.

٣. التبعية العمياء: الآية تحذر التابعين الذين ينقادون وراء الطغاة. فرعون وجنوده كلهم لحقتهم اللعنة، ليس فرعون وحده. فمن يطيع الطاغية ويشاركه في ظلمه، فهو شريك في اللعنة.

البعد الثقافي

١. دور الإعلام في تشكيل السمعة: في عصر السوشيال ميديا، أصبحت السمعة سلاحاً ذا حدين. الآية تذكر أن ما ينشر عن شخص ما، إن كان حقاً، فهو جزء من إتياع اللعنة أو الرحمة. فالمؤمن لا ينشر الفاحشة في الذين آمنوا، ولا يروج لأئمة الضلال.

٢. مقاومة ثقافة "عبادة المشاهير": مجتمعنا يعاني من "تقديس" المشاهير، حتى وإن كانوا على ضلال .
الآية تحارب هذه الثقافة، وتذكر أن المشاهير الذين يدعون إلى المعاصي، هم أئمة في النار، ملعونون في الدنيا، مقبوحون في الآخرة.

٣. صناعة المحتوى الهادف: كل من ينتج محتوى في الإعلام أو الفن أو التعليم، يجب أن يتذكر أنه يكتب اسمه في صحائف السمعة .فإن أنتج محتوى هادفاً، ذكره الناس بالخير .وإن أنتج محتوى هابطاً مضلاً ، لحقته اللعنة.

سادس: الفروق البلاغية بين آية 41 وآية 42

لاحظ معي هذا التدرج الرهيب في العقوبات:

الآية 41 والآية 42
"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ" وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً"
عقوبة أخروية: الإمامة في النار عقوبة دنيوية: اللعنة في الدنيا
"وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ" "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ"
نفي النصر: الخذلان إثبات القبح: التشويه والطرده

إنه تصعيد في العقاب: من خذلان، إلى لعنة، إلى تقبيح وتشويه. كل مرحلة أشد من التي قبلها.
سابعاً : الدروس المستفادة والتطبيقات العملية

رسائل للقلب

١. لا تبع سمعتك بأي ثمن في الدنيا، فهي رأس مالك عند الله وعند الناس.

٢. لا تخف الطغاة في حياتك، فإن هيبتهم زائلة، ولعنة الله تلحقهم.

٣. كن أنت مصدراً للرحمة لا للعنة .اجعل اسمك مقترناً بالخير، ودعوات الناس لك بالصلاح.

تطبيقات عملية في حياتك اليومية

١. في وسائل التواصل الاجتماعي:

- قبل أن تنشر أي محتوى، اسأل نفسك: هل هذا المنشور يجلب لي الدعاء أم اللعنة؟
- لا تروج لأئمة الضلال، حتى ولو كانوا مشاهير .لا إعجاب، لا مشاركة، لا تعليق إيجابي.
- انشر محتوى يذكر الناس بالله، ويحذر من الطغاة، ويروج للقيم.

٢. في محيط عملك ودراستك:

- كن قدوة حسنة في أخلاقك، حتى يذكرك زملاؤك بالخير.
- لا تحز لطاغية أو ظالم في محيط عملك، مهما كانت منفعتهم.
- انصح من ترى أنه على وشك أن يصبح "إماماً في الضلال" قبل أن تلحقه اللعنة.

٣. في تربية أبنائك:

- علمهم أن السمعة الطيبة أعلى من المال والجاه.
- حذرهم من متابعة المشاهير الفاسدين، وشرح لهم عاقبتهم.
- اجعل لهم قدوات حسنة من التاريخ الإسلامي، وأظهر لهم كيف يبقى ذكر الصالحين إلى الأبد.

٤. في بناء علاقاتك الاجتماعية:

- اختر أصدقاء يكونون عوناً لك على الخير، لا شركاء في اللعنة.
 - لا تصاحب من يروج للشر أو يضحك على المعاصي، فإن مجالستهم تجلب اللعنة.
 - كن أنت الشخص الذي يدعو له الناس بعد موته، لا الذي يلعنونه.
- الخلاصة النهائية

الآية 42 من سورة القصص ليست مجرد نص ديني، بل هي:

- وصية إلهية تحذرك من أن السمعة السيئة قد تكون أعظم عقوبة من عذاب الجسد.
- رادع نفسي يمنعك من التماذي في المعاصي التي تفسد سمعتك عند الله وعند الناس.
- بوصلة اجتماعية ترشدك إلى أهمية دور المجتمع في لعن الطغاة وأئمة الضلال.
- درس في القيادة يذكر كل حاكم وكل مؤثر أن سلطانه زائل، وسمعته باقية.

تذكر دائماً: أنت تكتب سيرتك الذاتية كل يوم. كل كلمة تقولها، كل فعل تفعله، كل منشور تنشره، كل علاقة تبنيها. هذه السيرة ستقرأها الناس بعد موتك، وستقرأها أنت يوم القيامة في صحيفتك. فاجعلها سيرة تجلب لك رحمة الله ودعوات المؤمنين، لا سيرة تجلب لك لعنة الله ولعنة الناس.

إن كنت تريد أن تكون من "المقبوحين" أو من "المكرمين"، فالخيار لك اليوم. فاختر، واسع، وتب

المبحث الثالث

تفسير الآية 43 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الإلهي البديع الذي ترسمه الآية بعد أن أغرق الله فرعون وجنوده، وأتبعهم في الدنيا لعنة، وجعلهم يوم القيامة من المقبوحين. ثم تأتي هذه الآية كأنها نفس الرحمن بعد غضبه، نور بعد ظلمة، حياة بعد موت.

قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَتَذَكَّرُونَ" (القصص: 43)

إنها آية تعلن عن سنة الله الثابتة: لا يهلك قوماً إلا ويبعث لهم من يقودهم إلى النور. فبعد أن رأينا هلاك فرعون وجنوده، وأئمة الضلال، والمقبوحين، ها هو الله يذكرنا بنعمة أعظم: الكتاب الذي أوتي لموسى.

هذه الآية هي آية الموازنة بين النعمة والنقمة، وبين الهلاك والهدى، وبين اللعنة والرحمة. إنها تريح قلب المؤمن بأن الله لا يترك عباده سدى، بل يرسل لهم من يخرجهم من الظلمات إلى النور.

**

الأفكار الرئيسية في الآية

١. إيتاء موسى الكتاب: تأكيد على فضل الله على بني إسرائيل بعد هلاك عدوهم.
٢. التوقيت الدقيق: "من بعد ما أهلكنا القرون الأولى" - بيان لحكمة الله في توقيت إنزال الكتب.
٣. صفات الكتاب الثلاث: بصائر، هدى، رحمة.
٤. الغاية: "لعلهم يتذكرون" - هدف التشريع هو التذكر والاعتاظ.
٥. القرون الأولى: إشارة إلى الأمم الماضية التي أهلكها الله بكفرها وطغيانها.

****أولاً:** اللامسات البيانية والبلاغية في الآية

١. تأكيد "ولقد" - قسم وتوكيد.

تأمل معي هذه اللفتة: بدأ الله الآية بـ "ولقد" التي تفيد القسم والتوكيد. لماذا هذا التوكيد؟

لأن الله يريد أن يقرر في قلبك حقيقة عظيمة: أن إيتاء موسى الكتاب ليس صدفة، ولا مجرد حدث عابر، بل هو سنة إلهية ثابتة وحكمة بالغة. كأن الله يقول: أقسم لكم، إن من رحمتي بعبادي أن أنزل الكتب بعد هلاك الظالمين، لئلا يبقى الناس بلا هدى.

٢. "آتينَا موسى الكتاب" - الإيتاء والإعطاء

لفظ "آتينَا" من الإيتاء، وهو إعطاء عن كرم ومنة. لم يقل "أنزلنا" فقط، بل "آتينَا" ليشعر موسى وبني إسرائيل أن هذا الكتاب عطية إلهية، ليس استحقاقاً منهم. فيه تذكير بأن الهدى فضل من الله، ليس كسباً بشرياً.

٣. "من بعد ما أهلكنا القرون الأولى" - التوقيت كقصة درامية

هذه الجملة تحمل في طياتها مشهداً تاريخياً مهيباً: هلاك الأمم السابقة. لاحظ التعبير بـ "القرون الأ

أولى" وليس "القرون الماضية". "الأولى" تفيد السبق في الزمن، وكأنها تحيلك إلى قصص عاد وشمود وقوم نوح وغيرهم ممن أهلكهم الله.

اللمسة البلاغية: تقديم ذكر الإهلاك على ذكر الإيتاء. كأن الله يقول: قبل أن أعطيكم الكتاب، أريكم كيف أهلك من كفر بالرسول قبلكم، لتقدروا قيمة هذا الكتاب، ولتخافوا إن كفرتم به أن يصيبكم ما أصابهم.

٤. "بصائر" - جمع بصيرة، وهي قوة الإبصار القلبي

هذه كلمة عظيمة جداً. "بصائر" جمع بصيرة، وهي نور في القلب يبصر به الحقائق. الكتاب ليس مجرد معلومات، بل هو أداة لإنارة العقول والقلوب.

اللمسة البيانية: اختار الله "بصائر" دون "أبصار" لأن البصائر تتعلق ببصيرة القلب، بينما الأبصار تتعلق بالعين. فالكتاب يعالج العمى القلبي، لا العمى البصري.

٥. "وَهْدَى وَرَحْمَةً" - ثلاث صفات مترادفة متكاملة

البصائر ثم الهدى ثم الرحمة. إنها سلم روحي:

- البصائر: إدراك الحقائق
- الهدى: التوجيه إلى الطريق المستقيم
- الرحمة: الثمرة النهائية التي يشعر بها المؤمن

لاحظ الترتيب: البصائر أولاً (لتنير العقل)، ثم الهدى (ليوجه الإرادة)، ثم الرحمة (لتكون النتيجة). لا يمكن أن تحصل على الرحمة دون بصيرة وهدى.

٦. "لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" - غاية مرجوحة

"لعل" تفيد الترجي، والترجي هنا من الله معناه التوقع والتهيؤ، أي جعلنا الكتاب لهم بصائر وهدى ورحمة، ونحن نرجو منهم أن يتذكروا. وليس المراد أن الله يرجو شكاً، بل هو تعبير لطيف عن أن الله أعد الأسباب، وبقي على العباد أن يفعلوا المسبب.

كلمة "يَتَذَكَّرُونَ" فيها دلالة أنهم كان لديهم علم سابق بالحق، لكنهم نسوه، فالكتاب جاء ليذكرهم. أو أن الفطرة السليمة موجودة، والكتاب ينبهها. ***ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة

١. سنة الله في إرسال النور بعد الظلمة

تأمل هذه السنة الإلهية الرائعة: كلما أهلك الله قوماً بالطغيان، أرسل كتاباً وهدى لمن بعدهم. لماذا؟

لأن الله لا يريد أن تخلو الأرض من حجة. فبعد هلاك فرعون، أرسل التوراة لموسى. بعد هلاك الأمم المكذبة، أرسل القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم.

هذه الآية ترسخ في قلبك الأمل: مهما اشتد الظلم وطغى الطغاة، فإن الله سيبعث بعدهم نورا. فلا تيأس من رحمة الله، ولا تظن أن الظلام سيدوم.

٢. التوراة: ليست كتاباً عادياً

الله يصف التوراة بثلاث صفات متكاملة:

- بصائر: تنير البصيرة، تفتح العيون على الحقائق التي كانت خافية.
- هدى: توجيه عملي لطريق الحياة، لا مجرد نظريات.
- رحمه: لأن اتباعها يؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا الوصف ينطبق على كل كتاب منزل، وخصوصاً القرآن الذي قال فيه: "هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً" (الأعراف: 203).

٣. الغاية: التذكر، لا الحفظ فقط

"لعلهم يتذكرون" - هذه هي الثمرة الحقيقية للكتاب. ليس المهم أن تحفظ النص، بل أن تتذكر ما فيه عندما تحتاج إليه. التذكر يعني استحضار الهدى في مواقف الحياة.

تأمل الفرق بين "يتذكرون" و"يعلمون": العلم معرفة، والتذكر استحضار المعرفة عند الحاجة. كثير من الناس يعلمون الحق لكنهم لا يتذكرونه عند الشهوة أو الغضب. الكتاب نزل ليوقظ فيك الذاكرة الإيمانية.

٤. العبرة بالخواتيم والسياق

هذه الآية تأتي بعد آيات هلاك فرعون ولعنته. إنها مقابلة بديعة بين:

قبل الآية 43 الآية 43

هلاك الطغاة إيتاء الكتاب للمرسلين
لعنة ومقبوحية بصائر وهدى ورحمة
نهاية مشؤومة بداية مباركة
عقاب الأعداء رحمة للأولياد

المؤمن يشعر بالرضا: الله مع عباده الصالحين، لا يتركهم بعد هلاك عدوهم دون أن يمدهم بالنور.
***ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: أنت لست وحدك أبداً

قد تمر بظروف صعبة، وتشعر أن الطغاة يسيطرون، وأئمة الضلال يملؤون الأرض فساداً. هذه الآية تهمس في أذنك: انتظر. بعد كل هلاك للباطل، يأتي النور. الله لا يترك عباده. قد يأتي الفرج بعد حين.

تذكر بني إسرائيل: كانوا مستضعفين تحت سلطان فرعون، ثم أغرقهم الله، ثم أعطى موسى الكتاب. ثلاث مراحل: ظلم، ثم خلاص، ثم هدى. هذه سنة الله.

الرسالة الثانية: الكتاب هو سلاحك في الحياة

أنت تملك كتاباً من عند الله - القرآن. إنه بصائر لك، وهدى لك، ورحمة لك. لماذا تبحث عن التوجيه عند الفلاسفة وعلماء النفس الغربيين وأنت بين يديك الكتاب الذي يبصرك بالحقائق؟

الآية تزرع فيك محبة الكتاب، وتجعله نبراس حياتك. كلما أظلمت بك الدنيا، افتح المصحف. كلما حارت بك السبل، ارجع إلى الآيات. إنها بصائر تنير العتمة.

الرسالة الثالثة: تذكر دائماً

"لعلهم يتذكرون" - كم مرة قرأت آية، ثم نسيتها عندما احتجت إليها؟ كم مرة سمعت وعظاً، ثم غاب عنك في لحظة اختبار؟

الآية تدعوك إلى أن تجعل القرآن رفيق الذاكرة، تحفظه وتندبره وتستحضره. ليس المهم أن تختتم القرآن كل شهر، بل المهم أن يتذكرك القرآن عندما تمر بموقف، أو تتذكره أنت.
***رابعاً: الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيماني

١. الإيمان بحكمة الله في توقيت التشريع: لم يعط الله موسى الكتاب قبل هلاك فرعون، بل بعده. لأن بني إسرائيل لو أتاهم الكتاب وهم تحت ظلم فرعون، لما استطاعوا تطبيقه بحرية. الله يختار التوقيت المناسب.

٢. الإيمان بأن الهدى فضل من الله: "آتَيْنَا" - إيتاء، ليس استحقاقاً. كل مؤمن يجب أن يشعر أن

هدايته منحة إلهية، لا نتيجة ذكائه أو اجتهاده.

٣. الإيمان بوحدة الرسالة: كل الكتب السماوية تشترك في صفات البصائر والهدى والرحمة. هذا يربط قلب المؤمن بجميع الأنبياء والكتب.

البعد النفسي

١. التخفيف من حدة اليأس: عندما تشعر بغلبة الباطل، تذكر هذه الآية: بعد الإهلاك يأتي الإيتاء. الظلم له نهاية، والنور قادم.

٢. تعزيز الشعور بالأمان: المؤمن يطمئن بأن الله معه، ولن يتركه بدون هدى. وجود الكتاب في حياته يمنحه الاستقرار النفسي.

٣. تحفيز الذاكرة الإيمانية: الآية تدعوك إلى تدريب نفسك على تذكر الله وكتابه في كل لحظة. هذا يعزز اليقظة الذهنية والوعي الروحي.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء قيمة الكتاب: كيف نغرس في أولادنا حب القرآن؟ بتذكيرهم أن هذا الكتاب هو بصائر وهدى ورحمة، وليس مجرد واجب دراسي.

٢. ربط الأبناء بالتاريخ القرآني: قصص الأمم السابقة والقرون الأولى ليست مجرد حكايات، بل عبر . علم أولادك أن هلاك الظالمين سنة إلهية، وأن الله يعطي الكتاب لاتباع الرسل بعد هلاك أعدائهم.

٣. غرس عادة التذكر: درب أبنائك على استحضار الآيات في مواقف الحياة. مثلاً: عندما يشعر بـ الغضب، تذكر "وَالظَّالِمِينَ الْغَيْظُ". عندما يريد الكذب، تذكر "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ".

البعد الاجتماعي

١. دور الكتاب في بناء المجتمع: التوراة أعطيت لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، لتكون دستوراً لمجتمع جديد. كذلك القرآن أنزل لبناء أمة. الكتاب هو أساس النهضة الاجتماعية.

٢. التحذير من نسيان الهدى: "لعلهم يتذكرون" - المجتمع الذي ينسى كتابه يضل. نسيان الوحي هو بداية الانحدار.

٣. الأمل في إصلاح المجتمع: مهما فسد مجتمع، يمكن إصلاحه بالعودة إلى الكتاب. فبعد فساد فرعون وقومه، جاء الكتاب لموسى ليؤسس مجتمعاً صالحاً.

البعد الثقافي

١. الكتاب مصدر البصائر: في عصر تكاثرت فيه المعلومات والآراء، يبقى الكتاب المنزل هو المصدر الموثوق للبصائر الحقيقية. كل المعارف البشرية قابلة للخطأ، أما الوحي فهو الحق.

٢. مقاومة ثقافة النسيان: مجتمعنا يعاني من "ثقافة النسيان" الجماعي للقيم. الآية تدعو إلى ثقافة التذكر والاتعاظ.

٣. تقديم الكتاب كرحمة: الدعوة إلى الله لا تكون بالتهديد فقط، بل بإظهار أن الدين رحمة. "ورحمة" - هذه الصفة تجعل الناس يقبلون على الكتاب.

البعد السياسي

١. العلاقة بين السلطة والكتاب: بعد زوال سلطة فرعون الظالمة، جاءت سلطة الكتاب. الحكم الصالح هو الذي يحكم بالكتاب.

٢. تحذير الحكام: أي حاكم لا يحكم بما أنزل الله، فهو يشبه فرعون في طغيانه، ومصيره الهلاك، ويأتي من بعده كتاب وهدى لمن يخلفونه.

٣. دور الأنبياء في بناء الدولة: موسى لم يكن مجرد نبي، بل قائد سياسي أسس أمة بعد تحريرها .
الكتاب كان دستور تلك الأمة.
***خامساً: الدروس المستفادة والتطبيقات العملية

رسائل للقلب

١. لا تياس من ظلم الطغاة، فلكل طاغية نهاية، وبعد النهاية يأتي النور.
٢. أحب كتاب الله حباً حقيقياً، فهو بصيرتك في الحياة، وهداك إلى الطريق، ورحمتك في الدنيا والآخرة.

٣. جعل القرآن رفيقاً تذكرك، احفظه وتدبره، واستحضره في كل موقف.

تطبيقات عملية في حياتك اليومية

١. في علاقتك بالقرآن:

- . خصص وقتاً يومياً للتدبر، وليس للتلاوة فقط. اسأل نفسك: ما البصائر التي أخذتها من هذه الآية؟
- . احفظ آيات الأحكام والمواعظ، لتتذكرها عند الحاجة.
- . اربط آيات القرآن بمواقف حياتك، واكتب تأملاتك.

٢. في التربية:

- . اجعل لأولادك ورداً يومياً من القرآن مع تفسير مبسط.
- . علمهم قصص "القرون الأولى" وعبرهم: عاد، ثمود، قوم نوح، فرعون.
- . دربهم على تذكر الآيات في المواقف اليومية، وامدحهم عندما يفعلون ذلك.

٣. في الدعوة:

- . عندما تدعو الناس إلى الإسلام، قدّمه لهم على أنه "بصائر وهدى ورحمة"، وليس مجرد تكاليف وقيود.
- . بين لهم أن القرآن يحرر العقول من الظلمات إلى النور.
- . استخدم أسلوب "التذكير" لا "الإلقاء"، لأن القرآن نزل ليتذكر الناس، لا ليتعلموا جديداً فقط.

٤. في مواجهة أئمة الضلال:

- . تذكر أن الله يهلك القرون الأولى الطاغية، ثم يعطي الكتاب للصالحين. فلا تحزن من كثرة أئمة الضلال اليوم، فلكل طاغية نهاية.
- . قاوم الضلال بالكتاب، فالبصائر التي في الكتاب أقوى من دعوات الباطل.
- . كن أنت ممن يتذكرون ويدعون إلى التذكر.

٥. في بناء مجتمعك:

- . شجع من حولك على العودة إلى الكتاب، وعدم الاكتفاء بالثقافة المستوردة.
- . كون مجموعات لتدبر القرآن، تعينون بعضكم على التذكر.
- . صحح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام بالرجوع إلى الكتاب، لا إلى الأهواء.

***سادساً: ربط الآية بآيات سابقة في سورة القصص

لنر كيف تنسجم هذه الآية مع سياق السورة:

الآية الموضوع العلاقة

41 أئمة يدعون إلى النار هؤلاء هم القرون الأولى التي أهلكت

42 لعنة ومقبوحية نتيجة الإهلاك

43 إيتاء موسى الكتاب بعد الإهلاك يأتي الهدى

44-46 إخبار النبي بما لم يشهد تأكيد أن القرآن وحي

إنها سلسلة بديعة:
ظلم الطغاة (فرعون) ← هلاكهم ← لعنتهم ← ثم إيتاء الكتاب لموسى ليكون نورا لمن بعدهم.
المؤمن عندما يقرأ السورة يشعر بأنه في رحلة من الظلمة إلى النور، من عبودية الطغاة إلى حرية الكتاب.
***سابعاً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل أتعامل مع القرآن كـ "بصائر" تنير عقلي؟ أم مجرد كلمات أقرأها بلا فهم؟
٢. هل أشعر أن القرآن "هدى" يوجه خطواتي في الحياة؟ أم أنه مجرد عبادة لقلبي فقط؟
٣. هل أجد في القرآن "رحمة" تريح نفسي وتطمئن قلبي؟ أم أنه مصدر خوف وتهديد فقط؟
٤. هل أنا ممن "يتذكرون" آيات الله عند الحاجة؟ أم أنني أعلم ولا أتذكر؟
٥. هل أؤمن بأن الله سيهلك الطغاة وأئمة الضلال، ويعطي الكتاب للصالحين من بعدهم؟
الخلاصة النهائية

الآية 43 من سورة القصص ليست مجرد إخبار تاريخي، بل هي:

- . نافذة أمل في قلب كل مستضعف: بعد كل طاغية يأتي النور.
- . دستور معرفي يحدد مصادر البصائر والهدى والرحمة: الكتاب المنزل.
- . برنامج تربية لتدريب النفس على تذكر الله في كل لحظة.
- . درس في القيادة يبين أن الحكم الصالح هو الحكم بالكتاب.

تذكر دائماً: أنت تعيش في زمن كثر فيه أئمة الضلال، وكثرت فيه دعوات الباطل، وكثرت فيه وسائل النسيان والإلهاء. لكن الله لم يتركك بلا سلاح. بين يديك كتاب: هو بصائر، وهدى، ورحمة. فأقبل عليه، وتدبره، واستحضره، تذكره، يعيش قلبك، وتنير بصيرتك، وتهتدي خطاك، وترحم نفسك.

وإن رأيت الطغاة يعيشون فساداً، فانتظر نصر الله. فالسنة الإلهية لا تتخلف: "من بعد ما أهلكنا القرون الأولى" يأتي الإيتاء والهدى والرحمة. فكن من أهل الذكر، تكن من أهل النجاة.

المبحث الثالث

تفسير الآيتين 44 و 45 من سورة القصص
المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد القرآني الفريد. بعد أن حدثك الله عن هلاك فرعون وجنوده، وعن إبتاء موسى الكتاب ليكون بصائر وهدي ورحمة، ينتقل السياق فجأة إلى خطاب مباشر للنبي محمد ﷺ، وإليك أنت أيضاً أيها القارئ.

قال تعالى: "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ" (القصص: 44)
"وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ" (القصص: 45)

هاتان الآيتان هما آية إثبات الوحي وإبطال شبّهات المشركين. إنهما تضعانك أمام حقيقة مذهلة: محمد ﷺ لم يكن حاضراً تلك الأحداث، ولم يشهد تلك المشاهد، ومع ذلك يأتيك بالخبر اليقين كأنه كان هناك. فمن أين علم بذلك؟ إنه الوحي من عند الله.

هذه الآيات تخاطب قلبك وعقلك معاً: قلبك لتزداد إيماناً بصدق النبي، وعقلك لتدرك أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا من عند الله.

***الأفكار الرئيسية في الآيتين

الآية 44 :

١. نفى وجود النبي ﷺ في مكان الوحي (جانب الغربي)

٢. نفى مشاهدته لحدث قضاء الأمر إلى موسى

٣. إثبات أن علمه بهذا الخبر إنما هو من عند الله

الآية 45 :

١. بيان الحكمة من انقطاع الوحي فترة طويلة (تطاول العمر على القرون)

٢. نفى مقام النبي ﷺ في أهل مدين

٣. نفى تلاوته آيات الله عليهم

٤. إثبات أن الله هو المرسل لهذا النبي

أولاً : اللامسات البيانية والبلاغية في الآية 44

١. "وَمَا كُنْتَ" - أسلوب النفي المتكرر

تأمل هذا الأسلوب القرآني البديع: يبدأ الآية بـ "وَمَا كُنْتَ" ثم يعيدها في نهاية الآية "وَمَا كُنْتَ". إنه نفي مزدوج يؤكد أن النبي ﷺ لم يكن موجوداً في المكان ولا في الزمان المناسبين لمعرفة هذه القصة.

كأن الله يقول: يا محمد، أنت لست هناك، فكيف جئت بهذا الخبر؟ إنه تحدٍ لكل من يشك في نبوته.

٢. "بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ" - الإشارة إلى مكان محدد بدقة

"الغربي" يعني الجانب الغربي من جبل الطور الذي نودي منه موسى. هذه دقة جغرافية مذهلة. لو كان محمد ﷺ يأخذ هذه القصة من كتب اليهود أو من أسفارهم، لما أتى بهذه التفاصيل المكانية الدقيقة التي لا يعرفها إلا أهل تلك الديار.

إنها إشارة إلى أن الذي أخبره هو الذي خلق المكان، وهو الذي كلم موسى هناك.

٣. "إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ" - قضاء الأمر وإيحاؤه

لفظ "قَضَيْنَا" هنا ليس بمعنى الحكم، بل بمعنى أوحينا وألقينا وأعلمنا. قال ابن عباس: "قضينا إليه" أي أوحينا إليه وأعلمناه.

"الأمر" ما هو الأمر؟ هو التكليف بالرسالة، أو الأمر بخلاص بني إسرائيل، أو إلقاء العصا، أو الذهاب إلى فرعون. إنه حدث عظيم، والنبي لم يكن حاضراً.

٤. "وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ" - تأكيد عدم المشاهدة

الشاهد هو الحاضر الذي يرى بعينه. الله ينفي عن نبيه أنه كان من الحاضرين ذلك المشهد. فكيف

علم به؟

هذا الأسلوب يجعلك تتوقف وتتساءل: إن لم يكن محمد ﷺ هناك، ولم يقرأ كتباً ولا قابل أحداً من أهل تلك القصة) لأن القرون تطاولت، فمن أين أتى بهذه المعلومات؟
ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية في الآية 45

١. "ولكنّا" - الالتفات والاستدراك البديع

هذه "لكن" الاستدراكية تحمل في طياتها معنى عظيماً. كأن الله يقول: ليس الأمر كما يظن المشركون أنك أخذت هذه القصص من اليهود أو النصارى، ولكن نحن أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر، فاندurst أخبارهم، ولم يبق من يعلمها، ثم أوحيناها إليك.

إنها ترد على شبهة أن النبي أخذ العلم من أهل الكتاب، لأن العصور تطاولت وانقطع الخبر.

٢. "أنشأنا قروناً" - الإنشاء والإيجاد بعد العدم

"أنشأنا" تعني أوجدنا وخلقنا. الله يذكر أنه هو الذي خلق الأمم والأجيال التي جاءت بعد موسى. وهو الذي قدر تطاول الأعمار عليها.

٣. "فتطاولَ عليهمُ العُمُرُ" - سر البلاغة في هذه العبارة

تأمل معي هذه العبارة العجيبة: "فتطاولَ عليهمُ العُمُرُ". لم يقل "فطالت أعمارهم" بل "تطاول عليهم العمر". هناك فرق دقيق:

. "طالت أعمارهم" تعني أنهم عاشوا طويلاً .
. "تطاولَ عليهمُ العُمُرُ" تعني أن العمر نفسه طال وامتد بهم حتى صاروا قروناً متطاوله، ونسي الأخبار، ودرست الآثار.

هذه الصيغة تفيد التكلف والمبالغة، وأن العمر قد امتد بهم إلى حد أن كل شيء قديم نسي. إنها إشارة إلى أن الفترة بين موسى ومحمد كانت طويلة جداً (ألفاً سنة أو أكثر)، حتى انقطع خبر التفاصيل الدقيقة.

٤. "وما كنتَ ثاوياً" - الثواء: الإقامة واللبث

"ثاوياً" من الثواء، وهو الإقامة واللبث. ينفي الله أن يكون النبي ﷺ مقيماً في مدين، أو عاش بين أهل مدين. لأن قصة موسى في مدين مع شعيب، وتفاصيل خروجه من مصر ومجيئه إلى مدين، لو كان النبي ﷺ عاش هناك أو سمع من أهلها، لقال المشركون: أخذ هذه القصة من أهل مدين.

والنفي هنا شامل: لم تكن مقيماً، ولم تكن تتلو عليهم آياتنا.

٥. "تتلو عليهمُ آياتنا" - التلاوة والإخبار

"تتلو" من التلاوة، وهي القراءة والإخبار بالآيات. لو كان النبي ﷺ مقيماً في مدين لكان يتلو عليهم آيات الله، لكنه لم يفعل. فكيف إذن علم بقصة موسى مع شعيب؟

٦. "ولكنّا كنا مُرسِلين" - الخاتمة المنتصرة

بعد كل هذا النفي، تأتي الخاتمة العظيمة: "ولكنّا كنا مُرسِلين". أي: لم تشهد شيئاً من ذلك، ولكن نحن أرسلناك وأوحينا إليك بهذه القصص. إنها إثبات النبوة والرسالة.

لاحظ استخدام "كنا" الدالة على الاستمرار والثبات. أي: من شأننا أن نرسل الرسل وننزل عليهم الكتب.

ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآيات وجدانك وعقلك؟

الرسالة الأولى: إثبات الوحي بطريقة منطقية محكمة

هذه الآيات تقدم لك برهاناً عقلياً على صدق نبوة محمد ﷺ. تخيل معي: لو جاءك رجل اليوم وأخبرك بتفاصيل دقيقة عن حادثة وقعت قبل ألفي سنة في بلد لم تزره، ولم يقرأ عنها في كتاب، ولم يسمعها من أحد، ثم أتى بتفاصيل لا يعرفها إلا من عاش هناك - ما هو تفسيرك؟ لا تفسير إلا أنه أوحى إليه من الله. هذا هو المنطق الذي تضربه هذه الآيات في عقلك.

الرسالة الثانية: أنت تعيش في حضرة الوحي قد تمر بفترة تشعر فيها أن الله بعيد، أو أن الوحي انقطع. هذه الآية تهمس في أذنك: الله هو الذي يرسل الرسل في الوقت المناسب. قد تطول الفترات بين الأنبياء، وقد تظن أن السماء صمتت، لكن الله يرسل من يشاء في الوقت الذي يشاء. "أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر" - ثم أرسلنا محمداً. لا تيأس، فرحمة الله تأتي بعد فترة انتظار.

الرسالة الثالثة: العلم الحقيقي من عند الله

أنت تعيش في عصر تتكدس فيه المعلومات، وتتنافس فيه وسائل المعرفة. لكن الآية تذكرك: العلم الحقيقي الذي ينقذك هو ما أوحاه الله. كل المعارف البشرية قابلة للخطأ والنسيان والتحريف، أما الوحي فهو المعصوم. محمد لم يذهب إلى الغرب، ولم يشهد الوحي، ولم يقم في مدين، ومع ذلك أتى بأخبار اليقين. هذا هو العلم النافع. **رابعا** : الأبعاد المختلفة للآيتين

البعد الإيماني

١. الإيمان بالوحي مصدرٌ للمعرفة: ليس كل العلم يكتسب بالحضور والمشاهدة. هناك علم بالوحي هو أصدق من علم العيان.

٢. الإيمان بصدق النبي ﷺ: هذه الآيات تقطع الطريق على كل شك، وتثبت أن محمداً ﷺ مرسل من الله.

٣. الإيمان بعلم الله المحيط: الله الذي أخبر نبيه بما حدث قبل قرون، هو الذي يعلم ما سيحدث بعد قرون. وهذا يزيدك يقيناً.

البعد النفسي

١. علاج الوحدة النفسية: قد تشعر أنك وحيد في مواجهة التحديات، وأن لا أحد يفهم ما تمر به. تذكر أن الله يراك ويعلم بك، كما علم نبيه بأخبار الماضين.

٢. تعزيز الثقة في الوحي: عندما تهاجم الشبهات عقلك، تذكر هذه الآيات التي تثبت بالمنطق أن القرآن وحي من الله. هذا يريح نفسك.

٣. الصبر على طول الأمد: "فتطاول عليهم العمر" - تذكر أن الفرج قد يأتي بعد فترة طويلة. لا تستعجل النتائج.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء منهج إثبات النبوة: درب أبنائك على التفكير المنطقي في إثبات صدق النبي ﷺ، باستخدام هذه الآيات كنموذج.

٢. غرس قيمة الأمانة العلمية: النبي ﷺ لم يقل "هذا من عندي" بل قال "هذا وحي". علم أولادك أن ينسبوا العلم إلى مصادره.

٣. التحذير من انقطاع الأثر: "فتطاول عليهم العمر" - مع طول الزمن، تندرس الآثار وتضيع الحقائق. علم أبنائك أهمية تدوين العلم ونقله بالأمانة.

البعد الاجتماعي

١. دور الأجيال في نقل المعرفة: عندما تطول الأعمار وتتطاول القرون، تضعف الذاكرة الجماعية. هذا

يؤكد أهمية وجود وحي محفوظ من عند الله.

٢. الحاجة إلى تجديد الرسالة: بعد فترة انقطاع طويلة بين موسى ومحمد، أرسل الله نبياً جديداً . هذا يعلمنا أن البشر يحتاجون إلى تجديد دائم للرسالة.

البعد الثقافي

١. انقد نظرية "الاقتباس": كثير من المستشرقين زعموا أن محمداً اقتبس قصص القرآن من اليهود و النصارى. هذه الآيات ترد عليهم بأن الفترة كانت طويلة جداً، والتفاصيل دقيقة جداً، ولا يمكن أن تكون اقتباساً.

٢. إثبات أن القرآن وحي مستقل: لم يأخذ القرآن من كتب سابقة، بل هو وحي من الله.

البعد السياسي) في سياق الدعوة)

١. تحدي المشركين: هذه الآيات تتحدى كل من يشك في النبوة. إنه تحدٍ مفتوح: هاتوا تفسيراً آخر لعلم محمد بهذه الأخبار الغائبة.

٢. إثبات أن العلم الحقيقي عند الله: لا عند الفلاسفة ولا عند الكهنة ولا عند العرافين.
خامساً : الدروس المستفادة والتطبيقات العملية

رسائل للقلب

١. لا تشترط المشاهدة لتصدق: قد لا ترى الله، لكن آثاره ووحىه بين يديك. الإيمان بالغيب هو جوهر الدين.

٢. ثق في وحي الله أكثر من ثقتك في عينيك: العين قد تخطئ، والوحي لا يخطئ.

٣. العلم الحقيقي نور يقذفه الله في القلب، ليس مجرد معلومات مكتسبة.

تطبيقات عملية في حياتك اليومية

١. في التعامل مع الشبهات:

- إذا سمعت شبهة حول القرآن) مثلاً : محمد اقتبس من التوراة(، تذكر هذه الآيات.
- ادرس المنطق القرآني في إثبات الوحي، وعلمه للآخرين.
- لا تنزعج من كثرة الشبهات، فالقرآن جابو عليها قبل أن تطرح.

٢. في طلب العلم:

- لا تجعل همك الوحيد هو الكتب البشرية، بل اجعل القرآن والسنة مصدرك الأول.
- تواضع للوحي، واعلم أن عقلك مهما بلغ لا يدرك كل شيء.
- ازرع في نفسك يقيناً أن الله يعلم ما لا تعلم.

٣. في التربية:

- قص على أبنائك قصة موسى ﷺ ثم اسألهم: كيف عرف النبي محمد هذه القصة؟
- دربهم على التفكير النقدي والمنطقي في إثبات النبوة.
- علمهم أن العلم ليس فقط ما نراه، بل ما أوحاه الله إلينا.

٤. في الدعوة إلى الله:

- استخدم هذا الأسلوب القرآني في دعوة غير المسلمين: كيف عرف محمد هذه التفاصيل الدقيقة؟
- قدم القرآن كمعجزة عقلية، وليس فقط كمعجزة حسية.
- تحد من يشك في النبوة بهذه الآيات.

٥. في التعامل مع وسائل التواصل:

- كثير من المحتوى الذي تتصفحه اليوم هو "أخبار غائبة" عنك .لا تصدق كل ما ترى.
- تذكر أن أصدق الخبر هو خبر الله ورسوله.
- كن حذراً من "تطاول العمر" على الأخبار، فمع الوقت تتحرف الحقائق.

سادساً : ربط الآيتين بما قبلهما في سورة القصص

لنرَ كيف تنسجم هذه الآيات مع السياق:

الآية الموضوع العلاقة

41-42 هلاك فرعون ولعنته عبرة من الماضي

43 إيتاء موسى الكتاب رحمة بعد العذاب

44-45 إثبات وحي القرآن إلى محمد كيف علمنا بهذه القصص

إنها سلسلة متكاملة:

قصص الماضي ـــ ثم إيتاء الكتاب لموسى ـــ ثم إثبات أن محمداً لم يحضر تلك الأحداث ـــ ولكن الله أوحاها إليه.

الهدف النهائي: أن توقن أن القرآن حق من عند الله.

***سابعاً: أسئلة تثيرها الآيتان في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

- ١.هل أنا موقن يقيناً تاماً أن هذا القرآن وحي من الله؟ أم في قلبي شكوك؟
 - ٢.هل تعاملت مع القرآن ككتاب بشري يمكن أن يخطئ؟ أم كوحي إلهي معصوم؟
 - ٣.هل حاولت أن أدرس الأدلة العقلية على نبوة محمد ﷺ؟ أم اكتفيت بالتقليد؟
 - ٤.عندما أقرأ قصص الأنبياء في القرآن، هل أشعر أنني أمام خبر يقين من عند الله؟ أم مجرد حكايات؟
 - ٥.هل أستطيع أن أدافع عن القرآن أمام من يشك فيه بهذه الآيات؟
- ***ثامناً: لمسة بلاغية أخيرة – التحدي في "وَمَا كُنْتَ"

تأمل معي هذا التحدي الخفي في الآيتين .الله ينفي عن نبيه أنه كان في مكان الحدث، ثم يقول "وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ".

كأن الله يقول: لو كنت هناك يا محمد لقالوا أخذت القصة بالمعانية .لكنك لم تكن هناك، فلم يبق إلا أن نقول: أوحينا إليك.

هذا التحدي مفتوح لكل العصور .أي شخص يشك في القرآن، عليه أن يقدم تفسيراً مقنعاً لمصدر علم محمد بهذه الأخبار الغائبة، دون اللجوء إلى الوحي.

وإلى أن يأتي أحد بتفسير، يبقى الحل الوحيد: هذا القرآن وحي من عند الله.
**الخلاصة النهائية

الآيتان 44 و 45 من سورة القصص ليستا مجرد إخبار تاريخي، بل هما:

- برهان عقلي على صدق نبوة محمد ﷺ، ووحانية القرآن.
- ردّ مفحم على كل من زعم أن محمداً اقتبس قصص الأنبياء من مصادر بشرية.
- تثبت للقلب بأن الله لم يترك عباده بدون وحي، بل أرسل رسلاً في الوقت المناسب.
- درس في المنهجية في التعامل مع الشبهات، وتقديم الأدلة المنطقية على الإيمان.

تذكر دائماً: أنت تحمل بين يديك كتاباً أخبرك بأخبار من مضى كأنك كنت هناك .لم يحضر محمد تلك

الأحداث، ولم يقم في مدين، ولم يتلمذ على يهودي أو نصراني. ولكن الله أرسله، وأوحى إليه، وصدقه بالمعجزات.

فإن زلزل قلبك شك، أو هاجم عقلك شبهة، تذكر هذه الآيات: "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ"، "وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ". ثم أجب: من أين جاء هذا العلم إن لم يكن من عند الله؟

إنه الوحي. إنه الحق. فأمن به، وتمسك به، وادعُ إليه. فالله معك، وهو الذي أرسلك، وهو الذي سينصرك

المبحث الرابع

تفسير الآية 46 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد المهيّب الذي لا تزال تفاصيله ترتعش في أعماقك. بعد أن أخبرك الله أن محمداً ﷺ لم يكن بجانب الغربي عندما قضى الأمر إلى موسى، ولم يكن من الشاهدين، ولم يكن تأويًا في أهل مدين، يأتي الآن المشهد الأكبر: مشهد المناجاة الإلهية على جبل الطور.

قال تعالى: "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (القصص: 46)

هذه الآية هي آية الامتنان الإلهي التي تفضح كل ادعاء، وتقطع كل طريق للشك، وتغمر قلبك بشعور أنك تشهد رحمة الله تنزل عليك من فوق سبع سموات.

إنها تضعك أمام حقيقة صادمة: أنت - أيها الإنسان - كنت في ظلام دامس، لم يأتك نذير من قبل، ثم فجأة وبلا سبب منك، نزلت عليك الرحمة. ليس لأنك أهلاً، بل لأن الله رحيم.

هذه الآية تخاطبك مباشرة: محمد لم يكن هناك عندما نودي موسى، لكن الله أرسله إليك أنت. إنها رسالة حب إلهي مبطنة في ثنايا النفي والإثبات.

****الأفكار الرئيسية في الآية**

1. نفي وجود النبي ﷺ بجانب الطور عند مناجاة الله لموسى.
 2. تحديد الحدث العظيم: "إذ نادينا" - نداء الله لموسى من الشجرة المباركة.
 3. بيان سبب الإخبار بهذا الخبر الغائب: "ولكن رحمة من ربك".
 4. تحديد مهمة النبي: "لتنذر قوماً".
 5. وصف القوم: "ما أتاهم من نذير من قبلك".
 6. الغاية النهائية: "لعلهم يتذكرون".
- **أولاً: اللامسات البيانية والبلاغية في الآية**

1. "بجانب الطور" - تحديد المكان بدقة تصويرية

تأمل: في الآية 44 قال "بجانب الغربي" (الجانب الغربي من الطور)، وهنا قال "بجانب الطور". هناك فرق دقيق:

- الآية 44 : نفت وجوده عند قضاء الأمر إلى موسى في الجانب الغربي تحديداً.
- الآية 46 : تنفي وجوده عند النداء الإلهي من جانب الطور عموماً.

إنه نفي متدرج: أولاً نفي التفاصيل المكانية الدقيقة، ثم نفي الحدث الأكبر نفسه. كأن الله يقول: لم تكن هناك في التفاصيل، ولا في الحدث الكلي.

2. "إذ نادينا" - النداء الإلهي بصيغة التعظيم

"نادينا" بصيغة الجمع الدالة على العظمة والجلال. النداء هنا ليس نداءً عادياً، بل هو مناجاة إلهية خارقة للعادة. الله نادى موسى من شجرة، وكلمه تكليماً.

تخيل عظمة هذا المشهد: الجبل يرتجف، والنبي يخلع نعليه، والرب ينادي. هذا المشهد المهيّب، لم يكن محمداً ﷺ حاضراً فيه. فكيف علم به؟ إنه الوحي.

٣. "وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ" - الاستدراك الأعظم

هذه "لكن" الاستدراكية هي قلب الآية النابض. بعد أن نفى الله أن يكون النبي حاضراً، استدرك: "ولكن" - ليس الأمر كما تظنون أن محمد¹ أخذ هذه القصة من مصدر بشري، بل هي رحمة من الله.

تأمل التركيب: "وَلَكِنْ رَحْمَةً" - لم يقل "ولكن أوحيناها إليك"، بل جعل نفس الوحي والإنذار هو عين الرحمة. إنها رسالة مبطنة: يا محمد، هذا الذي أوحيناها إليك ليس تكليفاً ثقيلاً، فقط، بل هو رحمتي بك وبقومك.

٤. "مَّن رَّبِّكَ" - الإضافة إلى الربوبية

"ربك" فيها تربية ورعاية وعناية خاصة. إنها ليست رحمة من أي أحد، بل من ربك الذي خلقك، ورعاك، ونشأك، واصطفاك. هذه الإضافة تزرع في قلب النبي ﷺ وفي قلبك أنت شعوراً بالأمان: الله الذي رباك هو الذي رحمك بهذا الوحي.

٥. "لِيُنذِرَ قَوْمًا" - الغاية من الرحمة

الرحمة نزلت لأجل الإنذار. الإنذار في ظاهره تخويف، لكنه في حقيقته رحمة. لأن من ينذر قوماً من عذاب وشيك، إنما يفعل ذلك رحمة بهم.

تأمل هذه المفارقة البلاغية: الله يسمي الوحي "رحمة"، ثم يحدد مهمته بـ "الإنذار". فالإنذار رحمة. التحذير من النار رحمة. البيان الحازم للعواقب رحمة.

٦. "مَا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ" - الفترة الزمنية الطويلة

هذا وصف لأمة العرب (أمة محمد ﷺ). لم يأتهم نذير من قبل محمد. الفترة بين عيسى ومحمد طويلة (حوالي 600 سنة)، وقبل عيسى لم يرسل إلى العرب نبي.

هذه الجملة تحمل عتاباً لطيفاً للأمم السابقة، وامتناناً عظيماً لهذه الأمة. أنتم كنتم في ظمأ رוחي طويل، ثم جاءكم السقيا.

٧. "لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" - الغاية النهائية

مرة أخرى "لعلهم" تفيد الترجي والتهييؤ. الغاية من الإنذار ليست مجرد الخوف، بل التذكر. التذكر هنا أعمق من مجرد العلم: إنه استحضار الفطرة، والعودة إلى الأصل، والاتعاظ. ****ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة**

١. الرحمة الإلهية: أصل الوحي ومنتهاه

أولاً: لتأمل هذه الحقيقة العظيمة: الوحي كله رحمة. كل آية في القرآن، كل حكم شرعي، كل قصة، كل أمر ونهي، هو رحمة من الله.

قد تشعر أحياناً أن التكاليف ثقيلة، أو أن الأوامر الإلهية تقيد حريتك. هذه الآية تعيد ضبط بوصلتك: كل ما نزل من عند الله هو رحمة. لو تركت الله وشأنك، وتركت نفسك لهواك، لهلكت. فالحدود رحمة، والعبادات رحمة، والقصص رحمة، والإنذار رحمة.

٢. الإنذار قبل الحساب: عدل الله ورحمته

الله لم يعذب أمة إلا بعد أن يرسل إليها نذيراً. هذه سنة إلهية. وأنت اليوم، قبل أن يحاسبك الله، أرسل إليك نبياً وكتاباً. هذه فرصة عظيمة.

الآية تزرع في قلبك شكراً: الحمد لله الذي أنذرنى قبل أن يعذبني. الحمد لله الذي أرسل إلي رسولاً يخوفني من النار ليدلني على الجنة.

٣. خصوصية الأمة المحمدية

أنت تنتمي إلى أمة لم يأتها نذير من قبل. هذه نعمة عظيمة ومسؤولية كبرى. أنتم أول أمة تستلم الوحي كاملاً غير محرف، وآخر أمة قبل يوم القيامة.

الآية تهمس في أذنك: أنت لست كالأمم السابقة. أنت أمة متأخرة في الزمن لكنها متقدمة في الشرف. أنتم خير أمة أخرجت للناس.

٤. التذكر هو الهدف الأسمى

ليس المطلوب منك أن تخاف فقط، بل أن تتذكر. الخوف المؤقت يزول، أما التذكر فيصبح ملكة. عندما تتذكر الله، وعندما تتذكر اليوم الآخر، وعندما تتذكر النار والجنة، فإنك تعيش في حالة من اليقظة الدائمة.

الآية تريدك أن تصل إلى مرحلة "التلقائية الإيمانية": أن تتذكر الله تلقائياً في كل موقف، دون أن تحتاج إلى مجهود ذهني كبير.
***ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: أنت مشمول برحمة لم تختبرها

توقف قليلاً. هل سألت نفسك: لماذا ولدت في أسرة مسلمة؟ لماذا وصل إليك الإسلام؟ لماذا هداك الله ولم يضلِكَ؟

الجواب: "رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ". إنها رحمة محضة. لم تكن أهلاً لها، ولم تدفع ثمناً لها. لقد أتتك مجاناً. هذا الشعور بالامتنان يغير نظرتك للحياة كلها.

الرسالة الثانية: لست وحدك في الظلام

قد تمر بلحظات تشعر فيها أنك ضائع، وأنه لا أحد يرشدك. الآية تذكرك: الله أرسل إليك نذيراً. هناك كتاب، وسنة، وعلماء، ومواعظ. لست وحدك. الرحمة نزلت لتخرجك من الظلمة إلى النور.

الرسالة الثالثة: التذكر هو مفتاح النجاة

أنت لا تحتاج إلى أن تكون عالماً جليلاً، ولا ولياً كاملاً. كل ما تحتاجه أن تتذكر. تذكر أن الله يراك. تذكر أن الموت قريب. تذكر أن الحساب عسير. هذا التذكر كفيل أن يغير مسار حياتك.
***رابعاً: الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيماني

١. الإيمان بأن الوحي مصدره الرحمة: ليس مصدره الغضب أو الانتقام. الله رحيم بك، لذلك أرسل إليك الرسول والكتاب.

٢. الإيمان بأن الله لا يعذب إلا بعد إنذار: هذا من عدله ورحمته. كل من لم تبلغه الرسالة، له حكم آخر.

٣. الإيمان بفضل هذه الأمة: أنتم المختارون لخاتمة الرسالات.

البعد النفسي

١. الشعور بالأمان العاطفي: عندما تعلم أن الله أرسل إليك الرحمة، تشعر بأنك محبوب من الله، وأن لك قيمة عنده.

٢. علاج الاكتئاب الروحي: قد يشعر الإنسان أن الله بعيد، أو أنه غير مهم. هذه الآية ترد: أنت مهم جداً لدرجة أن الله أرسل إليك رسولاً وأنزل عليك كتاباً.

٣. تحفيز الذاكرة الإيمانية: التذكر يحتاج إلى تدريب. الآية تحفزك على تدريب نفسك على استحضار الله.

البعد التربوي

١.تعليم الأبناء قيمة النعمة: كيف نغرس في أولادنا شكر نعمة الإسلام؟ بتذكيرهم أن هذه الأمة لم يأتها نذير من قبل، فالحمد لله على هذه الرحمة.

٢.غرس عادة التذكر: علم أولادك أن يقولوا في كل موقف: "تذكرت أن الله يراني"، "تذكرت أن الموت قريب".

٣.القدوة في الإنذار: أنت كأب أو أم، دورك أن تنذر أبنائك بلطف ورحمة، لا بقسوة. فالإنذار رحمة.

البعد الاجتماعي

١.مسؤولية الأمة عن الإنذار: بعد أن أرسل الله النبي، أصبح دور الأمة هو الإنذار. كل مسلم نذير في موقعه.

٢.الأمة التي لم يأتها نذير: هذه العبارة تحمل فخراً ومسؤولية. فخراً بخصوصية الأمة، ومسؤولية بأن تكون أمة شاهدة على الناس.

٣.الرحمة أساس الدعوة: عندما تدعو الناس إلى الله، تذكر أن دعوتك هي رحمة. فلا تكن قاسياً أو متعصباً.

البعد الثقافي

١.نقد نظرية "الجفوة الإلهية": بعض الثقافات تشعر أن الله تخلقى عن البشر. القرآن يرد: الله أرسل إليكم نذيراً رحمة منه.

٢.التأكيد على استمرارية الوحي: الوحي لم ينقطع، بل تجدد في هذه الأمة بالقرآن والسنة.

البعد السياسي (في سياق الدعوة)

١.إشرعية الإنذار في الحكم: أي حاكم لا ينذر رعيته بالحق، ولا يذكرهم بالله، قد خان الأمانة.

٢.رحمة الله تشمل الحاكم والمحكوم: الجميع بحاجة إلى التذكر والإنذار.

*****خامساً: الدروس المستفادة من الآية في حياتنا العملية**

هذه الفقرة هي بديل "ربط الآية بما قبلها"، ونركز فيها على كيفية تطبيق الآية في واقعنا العملي اليومي.

الدرس الأول: إعادة تعريف "الرحمة" في حياتك

كثيراً ما نظن أن الرحمة هي النعيم والرخاء فقط. الآية تعلمك أن الإنذار نفسه رحمة. فكل من نصحك، وكل من حذرك من طريق خاطئ، وكل من قال لك كلمة حق ولو كانت قاسية - هؤلاء هم أهل الرحمة الحقيقية.

تطبيق عملي:

- عندما ينصحك أحد وتشعر بالانزعاج، تذكر أن هذا النصح هو رحمة من الله بك.
- كن أنت نذيراً رحيماً لمن حولك: حذر باللين، وبيّن العواقب برفق.
- لا تترك من تحب يقع في الخطأ دون أن تنذره، فإن سكوتك عن الإنذار هو ترك للرحمة.

الدرس الثاني: كيف ننذر في عصر السوشيال ميديا؟

اليوم، وسائل التواصل جعلت كل إنسان "نذيراً" في مجاله. لكن كيف ننذر برحمة لا بقسوة؟

تطبيقات عملية:

- عند نشر محتوى تحذيري: لا تنشر فقط صور النار والعذاب، بل اربط التحذير بالرحمة. قل: "هذا

تحذير لترحم نفسك".
· عند التعليق على منشور خاطئ: لا تهاجم الشخص، بل نذره بلطف قل: "أخي، أتذكر أن الله يرانا؟".
· عند رؤية فكرة ضالة: حذر منها بأسلوب علمي موضوعي، لا بتجريح شخصي.
· كن نذيراً لنفسك أولاً : قبل أن تنذر غيرك، نذر نفسك. ضع لنفسك ورداً يومياً من التذكير بالله و اليوم الآخر.

الدرس الثالث: "ما أتاها من نذير من قبلك" - اغتنام الفرصة

أنت تعيش في زمن لم يعد فيه عذر لأحد. النذير قد جاء، والكتاب بين يديك، والسنة واضحة. فماذا بعد؟

تطبيقات عملية:

· لا تقل "لم أكن أعلم". العلم متوفر. فتق الله وابحث عن الحق.
· لا تؤجل التوبة. فقد أتاك النذير، والحجة قد قامت عليك.
· كن شاكراً لهذه النعمة بأن تصلي ركعتين شكر لله كل يوم، أن جعلك من أمة محمد ﷺ.

الدرس الرابع: "لعلهم يتذكرون" - تدريب الذاكرة الإيمانية

التذكر يحتاج إلى تمرين يومي. كيف تدرب نفسك على تذكر الله؟

تطبيقات عملية:

· الأذكار: حافظ على أذكار الصباح والمساء، فهي تدريب على تذكر الله.
· ربط الأمور اليومية بالله: عندما تأكل، تذكر الله الرازق. عندما تشرب، تذكر الله المسقي. عندما تنجح، تذكر الله الموفق.
· الاستغفار: الاستغفار هو تذكر للذنوب وتذكر لمغفرة الله.
· النظر في الآيات: كلما رأيت غروب الشمس، أو المطر، أو طفلاً " يبتسم، تذكر أن هذه رحمة من ربك.

الدرس الخامس: الإنذار في العلاقات الأسرية

الأسرة هي أولى مجالات الإنذار بالرحمة.

تطبيقات عملية:

· للآباء والأمهات: أنذروا أبناءكم بالعواقب الطبيعية لأفعالهم، لا بالضرب والتخويف المقزز. قل لابنك: "إذا لم تذكر، فستفشل. وهذه الرحمة أن أنذكرك الآن".
· للأزواج: أنذر زوجتك برفق إذا رأيتها على خطأ. لا تتربص بها، بل كن نذيراً رحيماً.
· للأبناء: إذا رأيت والديك على معصية، فأنذرهما بأدب واحترام. إنه من البر.

الدرس السادس: تجنب فخ "الإنذار القاسي"

بعض الناس يظنون أن الإنذار يعني التخويف والتهديد والقسوة. الآية تعلمك أن الإنذار رحمة، أي يجب أن يكون مشوباً بالرفقة.

تطبيقات عملية:

· قبل أن تنذر أحداً، اسأل نفسك: هل سيكون كلامي رحمة له أم عذاباً نفسياً؟
· اختر الوقت المناسب والمكان المناسب والأسلوب المناسب.
· اجعل الإنذار مقدمة للحل، وليس نهاية الطريق.
· إذا أخطأت في أسلوب الإنذار، فاعتذر وعدل.

الدرس السابع: شكر نعمة النذير

كيف نشكر الله على أنه أرسل إلينا نذيراً؟

تطبيقات عملية:

- محبة النبي ﷺ: أكثر من الصلاة عليه، وتعلم سنته، واتباعها.
- شكر العلماء: العلماء هم ورثة الأنبياء، فهم النذر بعد النبي.
- الدعوة إلى الله: أفضل شكر للنعمة أن تنقلها للغير. ادع غير المسلمين إلى الإسلام، وذكر المسلمين.
- تلاوة القرآن بتدبر: كل آية في القرآن هي إنذار ورحمة. فأقبل عليها.

الدرس الثامن: التعامل مع من لم يأتهم نذير (في عصرنا)

هناك من لم تبلغهم الدعوة بشكل صحيح. كيف نتعامل معهم؟

تطبيقات عملية:

- لا تتعجل بالحكم عليهم. الله يقول "مَا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ" - أي إذا لم يأتهم النذير، فحكمهم مختلف.
- ادعهم بلطف وحكمة. كن أنت النذير الرحيم لهم.
- لا تستعجل النتائج. الهداية بيد الله.
- ***سادساً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل أشعر حقاً أن الإسلام نعمة؟ أم أنني أعيشه كعادة وتقاليد؟
 ٢. هل أمارس الإنذار مع من أحب؟ أم أتركهم يهلكون بسكوتي؟
 ٣. هل أتذكر الله في لحظات الغفلة؟ أم أن التذكر يحتاج إلى منبه خارجي دائماً؟
 ٤. كيف سيكون موقفني يوم القيامة حين يسألني الله: ألم يأتك نذير؟
 ٥. هل أنا شاكر لنعمة الإسلام؟ وأين أثر هذا الشكر في حياتي؟
- ***الخلاصة النهائية

الآية 46 من سورة القصص ليست مجرد خبر تاريخي، بل هي:

- رسالة حب إلهية تقول لك: أنت مهم عندي، ولذلك أرسلت إليك رسولا .
- إعادة تعريف للرحمة بأن الإنذار والتحذير هما أسمى أنواع الرحمة.
- تذكير بالنعمة العظمى أنك من أمة محمد التي لم يأتها نذير من قبل، فجاءها هذا النبي الكريم.
- برنامج حياة لتدريب نفسك على التذكر الدائم لله، والإنذار الرحيم للغير.

تذكر دائماً: أنت تعيش في زمن كثرت فيه الملهيات، وتاهت فيه القلوب. لكن الله لم يتركك. أرسل إليك نذيراً من قبلك؟ لا، بل أرسله إليك أنت بالذات. محمد ﷺ لم يكن بجانب الطور عندما نودي موسى، لكنه جاءك أنت رحمة.

فلا تضيع هذه الرحمة. تذكر. وأنذر. واشكر. وتوب. واهتد. فإن ربك رحيم، وهو الذي ناداك بهذا القرآن، وهو الذي ينتظر منك أن تتذكر.

فهل أنت متذكر؟

المبحث الخامس

تفسير الآية 47 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الذي يرسمه الله أمام عينيك. بعد أن أخبرك أنه أرسل محمداً ﷺ رحمة من ربك لينذر قوماً لم يأتهم نذير من قبله، تأتي هذه الآية لتعطيك المنطق الإلهي وراء إرسال الرسل و الكتب والنذر.

قال تعالى: "وَلَوْ أَن تَصِيَّبُهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (القصص: 47)

هذه الآية هي آية قطع الحجة وإقامة العذر الشرعي. إنها تضعك أمام حقيقة مرعبة ورحيمة في آن واحد: لو لم يرسل الله الرسل، لكان للناس حجة يوم القيامة. لكن الله قطع العذر وأرسل الرسل، فلم يبق لأحد حجة.

إنها تخاطب فيك الخوف والرجاء معاً: تخاف أن تكون ممن يعذبون بعد قيام الحجة، وترجو أن تكون ممن اغتنم الفرصة قبل أن يندم حيث لا ينفع الندم.

******* الأفكار الرئيسية في الآية

١. السبب الموجب لإرسال الرسل: "لولا" التي تفيد امتناع شيء لوجود شيء آخر.
 ٢. المصيبة التي تصيب الظالمين: جزاء على ما قدمت أيديهم.
 ٣. حجة الظالمين يوم القيامة: "لولا أرسلت إلينا رسولا".
 ٤. الغاية من إرسال الرسل: اتباع الآيات والدخول في عداد المؤمنين.
 ٥. قطع الحجة على البشر: إرسال الرسل يزيل أي عذر يمكن أن يتذرع به الناس.
- ***** أولاً: اللغات البيانية والبلاغية في الآية

١. "ولولا" – أداة امتناع لوجود

"لولا" من أعظم الأدوات البلاغية في اللغة العربية. إنها تفيد: امتناع الشيء لوجود غيره. أي: لولا أننا أرسلنا الرسل، لأصابتهم مصيبة ثم احتجوا علينا.

كأن الله يقول: السبب الذي من أجله أرسلنا الرسل هو قطع الحجة. لو تركنا الناس بلا رسل، ثم عذبناهم، لقالوا: ربنا لو أرسلت إلينا رسولا "لأمنّا".

إنها تبين عدل الله المطلق: لا يعذب أحداً إلا بعد أن يقطع عذره.

٢. "أن تصيبهم مصيبة" – المصيبة: بين النكرة والإضافة

لفظ "مصيبة" جاء نكرة، أي غير معرفة. لم يقل "المصيبة" معرفة بـ"أل". هذا يفيد التنكير للتهويل و التعظيم – أي مصيبة مهما كانت، سواء كانت عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة.

ووصفها بأنها "بما قدّمت أيديهم" أي بسبب أعمالهم السيئة التي فعلوها بأنفسهم. إنها جزاء عادل، وليست ظلماً من الله.

تأمل كلمة "قدّمت" – فيها إشارة إلى أن أعمالهم سبقتهم إلى الله، وهي تنتظرهم يوم الجزاء. كأن يد الإنسان تزرع في الدنيا، وتحصد في الآخرة.

٣. "فيقولوا" – الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب

الفاء هنا ترتب الحدث: تصيبهم المصيبة، ثم عقب ذلك مباشرة يقولون هذا القول. إنها تصوير لحالة الندم السريع الذي لا ينفع.

تخيل مشهداً: شخص يعذب، وفجأة يتذكر أن لديه حجة، فيقولها. لكن الحجة مقطوعة. إنه مشهد مؤلم.

٤. "ربّنا" – النداء في مقام الشدة

عند الشدة، ينادي الإنسان ربه. لاحظ أنهم نادوه بـ "ربنا" وليس "إلهنا". لأن "الرب" هو المربي و المالك والسيد. في لحظة العذاب، يعترفون بأنه ربهم، لكن الاعتراف لا ينفع بعد فوات الأوان.

إنها مفارقة مؤلمة: كانوا في الدنيا يعبدون غيره، وفي الآخرة ينادونه ربنا.

٥. "لولا أرسلت إلينا رسولا" – نفس الأداة لكن في مقام الاحتجاج

مرة أخرى "لولا"، لكن هنا بمعنى التحريض والتوبيخ. أي: هلا أرسلت إلينا رسولا ؟ إنه سؤال يائس ، يريدون به تبرير عصيانهم.

تأمل: الله استخدم "لولا" في أول الآية لبيان سبب الإرسال، وهم يستخدمون "لولا" في احتجاجهم. هي ذات الأداة لكن في سياقين مختلفين: سياق الرحمة الإلهية، وسياق يأس البشرية.

٦. "فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" - نتيجة مشروطة

يضعون شرطين:

- اتباع الآيات: العمل الظاهر.
- الدخول في الإيمان: التصديق الباطن.

إنهم يدعون أنهم لو أرسل إليهم رسول لآمنوا واتبعوا. لكن الله يعلم أنهم سيكفرون، كما قال في آية أخرى: "وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الأنعام: 111).

٧. حذف الجواب - لفظة بلاغية رائعة

في أول الآية، "لولا" تحتاج إلى جواب. الجواب المقدر: لما أرسلنا إليك رسولا. أي: ولولا أنهم سيحتجون بهذه الحجة، لما أرسلنا الرسل.

لكن الله حذف الجواب وأبقاه مقدرًا في الذهن. هذا الحذف يفيد الاختصار والإيجاز، ويجعل العقل يبحث عن الجواب بنفسه، فيزداد التصاقًا بالمعنى. ***ثانيًا: دلالات الآية ورسائلها العميقة

١. عدل الله المطلق في عدم تعذيب أحد إلا بعد إنذار

هذه الآية تؤسس لقاعدة عظيمة: لا عذاب بدون إنذار. الله أرحم بعباده من أن يعذبهم وهم لا يعلمون. فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجة.

قد تشعر أحيانًا أن الله قاس في عقابه. هذه الآية ترد: الله لو شاء لعذبكم بلا حجة، لكنه أقام لكم العذر ثم أُنذركم. فمن أصر بعد الإنذار، فله ما يستحق.

٢. المصيبة نتيجة لما قدمت الأيدي

"بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ" - هذه العبارة ترد في القرآن كثيرًا، وهي تذكرك بأنك أنت السبب في مصائبك. لا تلم القدر، ولا تلم الشيطان، ولا تلم الآخرين. ابدأ بنفسك.

كل ذنب فعلته، كل ظلم ارتكبته، كل حق ضيعته - هو بمثابة "تقديم" إلى يوم القيامة. أنت تزرع اليوم، وستحصد غدًا.

٣. حجة الظالمين المفضوحة

لاحظ ماذا قالوا: "لَوْ أَنَّا أُرْسِلْنَا رُسُلًا". لم يقولوا "لولا هديتنا" أو "لولا غفرت لنا". بل طلبوا رسولاً فقط.

هذا يدل على أنهم يعترفون ضميرًا أن الرسول هو الطريق إلى الهداية. ولكن الله رد عليهم: قد أرسلنا، فلماذا لم تتبعوا؟

إنها فضيحة للظالمين: طلبتم رسولاً، فجاءكم، ثم كفرتم به.

٤. إرسال الرسل نعمة قبل أن يكون تكليفًا

قد ينظر البعض إلى إرسال الرسل على أنه تكليف ومسؤولية ثقيلة. هذه الآية تقدم لك نظرة مغايرة: إرسال الرسل هو نعمة ورحمة، لأنه يقطع الحجة عنك. لولا الرسل لكان مصيرك العذاب دون إنذار. لكن الله رحمك فأرسل إليك من يذكرك.

***ثالثًا: كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: لا تقل "لم أعلم"

كم مرة تذرعت بالجهل لتبرر تقصيرك؟ "لم أكن أعلم أن هذا حرام"، "لم أسمع بهذا الحديث"، "ما كنت أعرف أن هذا ذنب".

هذه الآية تحذرك: يوم القيامة لن ينفَعك الجهل. لأن الله أرسل إليك رسولا ً وكتاباً وعلماء وواعظين. الحجة قد قامت عليك. فإذا أصررت على المعصية، فأنت تتحمل المسؤولية كاملة.

الرسالة الثانية: الندم قبل فوات الأوان

"فَيَقُولُوا" - هذه الفاء تفيد الترتيب السريع. تصيبهم المصيبة، ثم يقولون فوراً. إنه ندم في لحظة العذاب. لكن الأوان قد فات.

الآية تهمس في أذنك: لا تؤجل الندم إلى يوم القيامة. تب الآن. ارجع الآن. فباب التوبة مفتوح. لا تكن ممن يندمون حيث لا ينفع الندم.

الرسالة الثالثة: أنت تملك الفرصة الآن

لو كنت تعيش في فترة الفترة (الزمن بين نبي وآخر)، لكان لك عذر. لكنك تعيش بعد بعثة محمد ﷺ ، والقرآن بين يديك، والسنة واضحة. أنت في زمن قامت فيه الحجة.

هذه الآية تزرع فيك شعوراً بالمسؤولية: أنت مخاطب بهذه الآية. لا تقل "لولا أرسلت إلينا رسولا ً" لأن الرسول قد أرسل. لا تقل "لم نعلم" لأن العلم متوفر. فماذا أنت فاعل؟
**رابعاً: الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيماني

١. الإيمان بعدل الله: الله لا يظلم مثقال ذرة. لا يعذب أحداً إلا بعد إنذار وقطع حجة.

٢. الإيمان بالرسول: الإيمان بالرسول يعني الإقرار بأنهم حجة الله على خلقه. فمن آمن بهم نجا، ومن كفر هلك.

٣. الإيمان بالجزاء: "بِمَا قَدَّمْتُمْ أُبْدِيهِمْ" - تأكيد أن الأعمال تجازى، وأن الله لا يظلم الناس شيئاً.

البعد النفسي

١. تحطيم وهم "الجهل عذر": كثير من الناس يرتاحون للجهل، ويظنون أنه يحميهم. الآية تحطم هذا الوهم: الجهل ليس عذراً إذا كان التقصير في طلب العلم.

٢. تعزيز الشعور بالمسؤولية: أنت مسؤول عن أفعالك. لا تنقل اللوم إلى الظروف أو الآخرين. يدك هي التي قدمت.

٣. استعجال التوبة: تخيل أن العذاب يأتي فجأة، وتبدأ بالندم السريع. هذا التخيل يدفعك إلى التوبة الفورية.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء المسؤولية الشخصية: لا تعود أبناءك على إلقاء اللوم على الغير. علمهم أن يقولوا "أنا أخطأت" بدلاً من "الظروف صعبة".

٢. غرس قيمة طلب العلم: الجهل ليس فخراً. علم أبناءك أن طلب العلم فرض، وأنه هو الذي يزيل العذر.

٣. التحذير من التسويف: "سأتوب غداً"، "سأصلي عندما أكبر". هذه الآية تحذر من التسويف، لأن المصيبة قد تأتي قبل الغد.

البعد الاجتماعي

١. دور المجتمع في الإنذار: المجتمع المؤمن مسؤول عن تذكير بعضه البعض. لا تكن أنانياً وتقول "كلّ" يتحمل مسؤوليته". بل نذّر من حولك.

٢. بناء مجتمع يعترف بالخطأ: مجتمع صحي هو الذي يعترف أفرادُه بأخطائهم، ولا يختلقون الأعذار.
البعد الثقافي

١. نقد ثقافة "إلقاء اللوم": ثقافتنا أحياناً تشجع على إلقاء اللوم على الآخرين (الحكومة، الظروف، القدر). (هذه الآلية تعيد توجيه البوصلة إلى الذات).

٢. قيمة العلم في الإسلام: الإسلام دين العلم. الجهل ليس عذراً، لأن العلم متاح.

البعد السياسي (في سياق المسؤولية)

١. مسؤولية الحاكم في إزالة الجهل: الحاكم الذي يبقي شعبه جاهلاً، يشاركهم في الإثم لأن الحجة لم تقم عليهم.

٢. قطع الحجة قبل العقاب: أي عقاب في أي نظام، يجب أن يسبقه بيان واضح للقوانين والعقوبات.
***خامساً: الدروس المستفادة من الآلية في حياتنا العملية

الدرس الأول: لا تنتظر حتى تصيبك المصيبة

كم من الناس يؤمنون عند الموت، لكن إيمانهم لا ينفع. كم من الناس يتوبون عند رؤية العذاب، لكن التوبة لا تقبل.

تطبيقات عملية:

- عند سماع آية الوعيد: لا تؤجل العمل بها. قل: "هذه مصيبة قد تصيبني، فلأتب الآن".
- في كل صباح: استشعر أن المصيبة قد تأتي اليوم. هذا الاستشعار يجعلك تعيش في حالة من الاستعداد الدائم.
- لا تنتظر "علامات" معينة لتتوب. التوبة واجبة الآن.

الدرس الثاني: امتلك الشجاعة لمواجهة أخطائك

"بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ" - هذه العبارة تدعوك إلى مواجهة نفسك بصدق.

تطبيقات عملية:

- محاسبة النفس يومياً: خصص 5 دقائق كل ليلة تسأل فيها نفسك: ماذا قدمت يداي اليوم؟ خيراً أم شراً؟
- لا تخلق الأعذار: عندما تخطئ، لا تقل "الظروف"، "الرفقة السيئة"، "التربية". قل: "أنا أخطأت، وسأصلح".
- الاعتذار بصدق: إذا أخطأت في حق شخص، اعتذر له دون تبريرات. الاعتراف بالخطأ فضيلة.

الدرس الثالث: اغتنم الفرصة قبل أن تسلب

أنت الآن تملك فرصة لا يملكها الأموات: فرصة التوبة، فرصة العمل الصالح، فرصة طلب العلم.

تطبيقات عملية:

- اغتنم صحتك قبل سقمك: كما قال النبي ﷺ. صلّ اليوم قبل أن تمرض.
- اغتنم شبابك قبل هرمك: اعمل للأخرة في قوة شبابك.
- اغتنم غناك قبل فقرك: أنفق في سبيل الله قبل أن تفقر.
- اغتنم فراغك قبل شغلك: تعلم القرآن وادرسه قبل أن تشغل بال الدنيا.

الدرس الرابع: كن رسولا ً في محيطك

الآية تذكر بأهمية وجود "من ينذر". قد لا تكون نبياً، لكنك تستطيع أن تكون نذيراً في دائرتك.

تطبيقات عملية:

- . في العائلة: كن أنت النذير لأهلك. ذكرهم بالله، واقرأ عليهم الآيات، وحذّرهم من المعاصي.
- . في العمل: انصح زملاءك بلطف، وذكرهم بالصلاة والصدق والأمانة.
- . في وسائل التواصل: انشر محتوى تذكيرياً. قد يكون سبباً في هداية شخص.
- . كن نذيراً لنفسك أولاً: لا تكن ممن ينهى الناس وينسى نفسه.

الدرس الخامس: لا تجعل الغرور يمنعك من اتباع الرسول

الحجة التي ذكرتها الآية: "فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ" - اتباع الآيات. كثير من الناس يعرفون الحق لكن غرورهم يمنعهم من اتباعه.

تطبيقات عملية:

- . تواضع للحق: إذا تبين لك أن رأياً معيناً هو الصواب، فاتبعه حتى لو كان يخالف هوى نفسك.
- . لا تنعصب لرأيك أو لمذهبك أو لشخصك. الحق أحق أن يتبع.
- . لا تستكبر عن السؤال إذا كنت لا تعلم. الكبر يمنع الهداية.

الدرس السادس: احذر من فخ "لولا"

كلمة "لولا" قد تكون سلاح ذو حدين:

- . "لولا" الرحمة: أرسلنا الرسل لولا أن تصيبهم مصيبة.
- . "لولا" الاحتجاج: يقولون لولا أرسلت إلينا رسولا.

أنت أيضاً قد تستخدم "لولا" لتبرير تقصيرك: "لولا ظروفي لصلحت"، "لولا أصدقائي لفعلت"، "لولا وقتي الضيق لتعلمت".

تطبيقات عملية:

- . تخلص من لوم الظروف: الظروف لن تتغير وحدها. ابدأ بما تستطيع فعله الآن.
- . حول "لولا" السلبية إلى إيجابية: بدلاً من "لولا كذا لفعلت"، قل "سأفعل رغم كذا".
- . لا تنتظر الكمال: لا تقل "سأبدأ عندما تتحسن الظروف". ابدأ الآن، ولو بقليل.

الدرس السابع: المبادرة إلى الإيمان قبل حلول المصيبة

المؤمن العاقل هو من يبادر إلى الإيمان والطاعة قبل أن تحل به المصيبة. أما الأحقق فهو من يؤخر حتى يرى العذاب.

تطبيقات عملية:

- . صمم خطة إيمانية لنفسك: أهداف يومية، أسبوعية، شهرية لزيادة الإيمان.
- . لا تنتظر رمضان فقط لتتوب. كل يوم هو فرصة.
- . استحضر الموت يومياً، فهذا يدفعك إلى المبادرة.

الدرس الثامن: الدعاء بقلب صادق

لاحظ قولهم: "رَبَّنَا لَوْلا أُرْسِلْتَ" - نادوا ربهم. لكن الأوان فات.

تطبيقات عملية:

- . ادع الله الآن أن يثبتك على الإيمان، وأن يهديك، وأن يغفر لك.
- . لا تؤجل الدعاء إلى لحظة الشدة، فربما لا تستجاب.
- . أكثر من الدعاء في الرخاء، فإله يحب أن يُدعى.

*****سادساً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك**

اسأل نفسك بصدق:

١. كم مرة قلت في نفسي "لم أكن أعلم" وأنا أعلم؟
 ٢. كم مرة أخرت التوبة بحجة "سأتوب بعدين"؟
 ٣. هل أقمت الحجة على نفسي بقراءة القرآن وسماع المواعظ ثم عصيت؟
 ٤. إذا جاءني الموت الآن، هل سأكون من الذين يقولون "ربنا لولا أرسلت" وقد أرسل؟
 ٥. هل أنا نذير لمن حولي؟ أم أنني شريك في ضلالهم بسكوتي؟
 ٦. هل ألقى باللوم على الظروف والقدر، أم أواجه أخطائي بشجاعة؟
- ***الخلاصة النهائية**

الآية 47 من سورة القصص ليست مجرد إخبار عن حجة الظالمين، بل هي:

- تحذير صارخ من التأخير والتسويف، فإن المصيبة قد تأتي قبل أن تتوب.
- دعوة لمواجهة الذات وتحمل المسؤولية، بدلاً من إلقاء اللوم على الآخرين.
- تذكير بنعمة الرسالة التي قطعت الحجة، فلا عذر لأحد بعد محمد ﷺ.
- برنامج عملي لاغتنام الفرصة قبل فوات الأوان، والمبادرة إلى التوبة والطاعة.

تذكر دائماً: أنت لا تعلم متى تأتي المصيبة. قد تأتي غداً، وقد تأتي اليوم، وقد تأتي بعد ساعة. فهل أنت مستعد؟ هل تبت؟ هل تبتعت الآيات؟ هل أصبحت من المؤمنين؟

لا تكن ممن يندمون حيث لا ينفع الندم. لا تكن ممن يقولون "ربنا لولا أرسلت" وقد أرسل. لا تكن ممن تقدم أيديهم السيئات ثم يبحثون عن أعذار واهية.

أنت الآن تملك الفرصة. فالقرآن بين يديك، والسنة واضحة، والعلماء موجودون. فلا تنتظر حتى تصيبك المصيبة. بادراً الآن. تب الآن. اعمل الآن. وكن من عباد الله المؤمنين.

فإن ربك رحيم، يقبل التوبة، ويغفر الذنوب، ويمهل ولا يهمل. لكنه إذا أرسل المصيبة، فلا مرد لها. اغتنم المهلة قبل انقضائها.

المبحث السادس

تفسير الآية 48 من سورة القصص
المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الإنساني المأساوي. لقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وقطع الحجة على الناس. ثم جاء الحق من عند الله، فإذا بالإنسان يعاند ويجادل، لا يريد الخضوع للحق، بل يبحث عن أي شبهة يتمسك بها.

قال تعالى: "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أَوْتِيَ مَثَلٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ" (القصص: 48)

هذه الآية هي آية فضح الأعذار المتقلبة. إنها تضعك أمام حقيقة صادمة: الإنسان إذا أراد الكفر، سيجد ألف عذر. وإذا أراد الإيمان، حاجته واحدة فقط: الحق.

هذه الآية تكشف عن نمط بشري ثابت: التمرد على الحق، ورفض التسليم، والتناقض في الحجج. إنها تحفر في أعماق النفس البشرية لتريك كيف تتحایل على نفسك لتبرر موقفها من الدين. الأفكار الرئيسية في الآية

١. مجيء الحق من عند الله إلى المشركين (القرآن على لسان محمد ﷺ).

٢. طلبهم المعجزة على طريقة موسى: "لولا أوتي مثل ما أوتي موسى".

٣. الرد عليهم بذكر كفرهم السابق بما أُوتي موسى.
٤. وصفهم للتوراة والقرآن بأنهما "سحران تظاهرا".
٥. إعلانهم الكفر المطلق: "إنا بكل كافرون".
اولا : اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

١. "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ" - الفاء و"لما" للترتيب والمفاجأة

الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، و"لما" تفيد أن المجيء حدث في زمن معين. كأن الله يقول: بعد كل ما سبق من إرسال الرسل وإنزال الكتب، جاءهم الحق واضحا جليا. فماذا كان ردهم؟
إنها مفاجأة: لم يفرحوا بالحق، بل أعرضوا. "لما" هنا تحمل معنى المفاجأة في المقابلة: جاءهم الحق فإذا هم معرضون.

2. "من عندنا" - إضافة التشريف والتعظيم

لم يقل "جاءهم الحق" فقط، بل "من عندنا". هذه الإضافة تفيد:

- . أن الحق ليس من عند بشر، بل من عند الله خالق السموات والأرض.
- . التشريف: هذا الحق صادر من مقام الربوبية والإلهية.
- . القطع: لا مجال للشك في مصدره.

هذه الإضافة تزيد المشركين تمسكا بعنادهم، لأنهم يعلمون أنه من عند الله لكنهم يكفرون.

3. "قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى" - طلب المعجزات بغرض التعنت

"لولا" هنا للتحضيض، أي: هلا أُوتي محمد مثل ما أُوتي موسى؟ وماذا أُوتي موسى؟

- . العصا التي تتحول إلى ثعبان.
- . اليد البيضاء.
- . الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.
- . فلق البحر.
- . التوراة المكتوبة.

تأمل: هم يطلبون معجزات حسية، وقد أتاهم القرآن وهو أعظم معجزة عقلية. إنه تعنت لا طلب هداية.

4. "أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ" - الرد الإلهي المدمر

هذه الهمزة للاستفهام التوبيخي الإنكاري، والواو للعطف. إنه سؤال يفضحهم: ألم يكفروا بما أُوتي موسى من قبل؟ أي: كيف تطلبون معجزات مثل موسى، وأنتم كفرتم بموسى نفسه حين جاءكم اليهود؟ أو كفر أسلافكم بموسى؟

إنه تناقض صارخ: يطلبون معجزة، وهم أصلا لا يؤمنون بالمعجزات السابقة.

5. "قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا" - وصف التوراة والقرآن بالسحر

بعد أن فضحهم الله، قالوا تصریحا: التوراة والقرآن "سحران".

- . "سِحْرَانِ" تثنية، أي كلاهما سحر.
- . "تَظَاهَرَا" من الظاهر، أي تعاونا وتوافقا على السحر.

هذا وصف خطير جدا. فهم لم يكتفوا بتكذيب القرآن، بل كذبوا التوراة أيضا، وزعموا أن موسى ومحمد ساحران متعاونان.

6. "وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ كَاْفِرُونَ" - التصريح بالكفر المطلق

"بكل" أي بكل ما جاء به موسى ومحمد، وبكل كتاب وأنزل، وبكل رسول أرسل. إنهم يعلنون الكفر الشامل، لا يستثنون شيئاً.

هذه الجملة تحمل يأساً من هدايتهم، وتقطع الطريق على أي أمل في إيمانهم.
ثانياً : دلالات الآية ورسائلها العميقة

1. نفس الإنسان المكذب: من المعجزات إلى التعنت

هذه الآية تكشف لنا عن طبائع النفوس المكذبة. عندما تأتي الحجة، لا تخضع، بل تطلب حجة أخرى. وعندما تأتي الحجة الأخرى، تطلب ثالثة. وهكذا إلى ما لا نهاية.

ليس العجز هو المشكلة، بل الإرادة. هم لا يريدون الإيمان، فيبحثون عن أي ذريعة. ولهذا قال الله عنهم: "وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس: 97).

2. تناقض الحجج: سحران تظاهرا

لاحظ التطور في حججهم:

. أولاً : طلبوا معجزات مثل موسى.
. ثم: عندما ذكروا بكفرهم بموسى، قالوا: إن التوراة والقرآن كلاهما سحر.

إنهم ينتقلون من حجة إلى أخرى دون خجل. هذا هو حال من يجادل بالباطل: لا يهمه الاتساق المنطقي، بل يهمه فقط رفض الحق بأي طريقة.

3. الكفر الشامل: إنا بكل كافرون

هذا التصريح يكشف عن حقيقة الكفر: ليس كفراً ببعض الأنبياء، بل بجميعهم. من كفر بمحمد فقد كفر بموسى وعيسى وجميع الرسل. لأن الرسالة واحدة، والمنهج واحد.

وهذا يفيد أن اليهود الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بمحمد، هم في الحقيقة كفار بموسى أيضاً، لأنهم لم يتبعوا ما جاء به موسى من البشارة بمحمد.
ثالثاً : كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: تأمل نفسك.. هل أنت صادق في طلب الهداية؟

قف مع نفسك قليلاً . كم مرة بحثت عن أعذار لتترك دينك أو تتهاون في التزامك؟ كم مرة قلت: "لو رأيت معجزة لآمنت"؟

الآية تفضحك: أنت لا تريد معجزة. أنت تريد عذراً. لو أتتك المعجزة، لقلت: هذا سحر. ولو جاءك نذير آخر، لقلت: لماذا هذا؟ الأمر ليس في المعجزات، الأمر في قلبك.

الرسالة الثانية: التناقض البشري مكشوف عند الله

قد تظن أن حججك مقنعة، وأن تناقضاتك خفية. هذه الآية تهمس في أذنك: الله يعلم ما تخفي. هو الذي فضح حجج المشركين، وهو الذي يفضح حججك أنت. فلا تحاول أن تخدع الله أو تخادع نفسك.

الرسالة الثالثة: الكفر الشامل هو النهاية الطبيعية للتعنت

عندما يصير الإنسان على رفض الحق، يصل به الأمر إلى أن يكفر بكل شيء. قد يبدأ بالتشكيك في آية، ثم يصل إلى تشكيك في القرآن كله، ثم في جميع الأديان.

الآية تحذرك: لا تفتح على نفسك باب الشكوك الصغيرة، فقد تقودك إلى الكفر الكبير.
رابعاً : الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيماني

١. الإيمان بأن القرآن حق من عند الله: مهما قال المكذبون، فالحق واضح. لا تلتفت إلى كلامهم.

٢. الإيمان بوحدة الرسالة: كل الرسل جاءوا بدين واحد، فمن كفر بواحد فقد كفر بالجميع.

٣. الإيمان بأن المعجزات لا تنفع من أراد الكفر: المعجزات الحسية قد يراها الإنسان ثم يكفر، كما رأى فرعون الآيات ثم كفر.

البعد النفسي

١. كشف آليات الدفاع النفسي: الإنسان المكذب يستخدم آليات نفسية مثل "الإنكار" و"التبرير" و"الإسقاط" ليتجنب مواجهة الحق.

٢. التناقض المعرفي: عندما يواجه الإنسان حقيقة تتناقض مع معتقداته، يشعر بتناقض معرفي فيلجأ إلى تغيير الحقيقة أو تغيير معتقداته. هؤلاء اختاروا تغيير الحقيقة ووصفها بالسحر.

٣. التعنت كمرض نفسي: التعنت ليس مجرد موقف، بل هو حالة نفسية تجعل الإنسان يرفض الحق مهما كان واضحاً.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء الصدق الفكري: علم أبنائك ألا يجادلوا بالباطل، وألا يبحثوا عن أعذار واهية لتبرير أخطائهم.

٢. غرس قيمة التسليم للحق: من أعظم الدروس التربوية أن تعلم أبنائك أن الحق أحق أن يتبع، مهما كان مصدره.

٣. التحذير من التناقض: علم أبنائك أن يكونوا متسقين في أقوالهم وأفعالهم، وأن لا يقولوا قولاً ثم ينقضوه.

البعد الاجتماعي

١. ظاهرة الجدل بالباطل: المجتمعات التي تنتشر فيها الجدالات العقيمة هي مجتمعات مريضة. الآلية تدعو إلى النقاش الهادف القائم على الحق.

٢. خطر التطرف الفكري: الذين يصلون إلى وصف الكتب السماوية بالسحر، هم في قمة التطرف الفكري. يجب على المجتمع أن يحتوي هؤلاء قبل أن يتطرفوا أكثر.

البعد الثقافي

١. ثقافة التعنت: بعض الثقافات ترفض أي فكرة جديدة لمجرد أنها جديدة. الآلية تحارب هذه الثقافة.

٢. ثقافة التكفير: الذين قالوا "سحران تظاهرا" كفروا بالجميع. هذه ثقافة تكفيرية خطيرة يجب مقاومتها.

البعد السياسي (في سياق الدعوة)

١. عدم الانشغال بطلبات المعجزات: الدعوة إلى الله لا تحتاج إلى معجزات حسية في كل مرة. القرآن نفسه هو المعجزة.

٢. التعامل مع المكذبين: إذا رأيت من يجادل بالباطل ويتنقل من حجة إلى حجة، فلا تشغل به، بل اتركه وشأنه.

خامساً: الدروس المستفادة من الآلية في حياتنا العملية

الدرس الأول: لا تكن من "لولا"يين

كثير من الناس يعيشون في حالة "لولا":

- "لولا أن الظروف صعبة لالتزمت".
- "لولا أن أصدقائي سيضحكون علي لفعلت الخير".
- "لولا أنني مشغول لقرأت القرآن".

هذه الآية تفضح هذه الأعذار. إنها "لولا" التعنت، وليست "لولا" الصدق.

تطبيقات عملية:

- تخلص من كلمة "لولا" في قاموسك. استبدلها بـ "سأفعل رغم".
- لا تنتظر الظروف المثالية. ابدأ بما تستطيع.
- اسأل نفسك: هل أنا صادق في رغبتني في التغيير؟ أم أبحث عن أعذار؟

الدرس الثاني: راجع تناقضاتك

كم مرة قلت شيئاً ثم نقيضه؟ كم مرة طلبت شيئاً ثم لما حصلت عليه رفضته؟

تطبيقات عملية:

- خصص وقتاً لمراجعة مواقفك السابقة. هل أنت متسق مع نفسك؟
- إذا اكتشفت تناقضاً، صححه فوراً. لا تتمسك بالخطأ بدافع العزة.
- كن صادقاً مع نفسك قبل أن تكون صادقاً مع الآخرين.

الدرس الثالث: احذر من الانزلاق إلى الكفر الشامل

قد تبدأ بانتقاد آية، ثم تصل إلى انتقاد القرآن، ثم إلى انتقاد الدين كله. هذا منزل خطير.

تطبيقات عملية:

- إذا أشكلت عليك آية، اسأل أهل العلم، ولا تتعجل بالحكم.
- لا تجعل الشبهات الصغيرة تتراكم في قلبك. ابحث عن إجاباتها فوراً.
- حافظ على صحبة صالحة تذكرك بالله وتثبتك على الإيمان.

الدرس الرابع: لا تطلب المعجزات لتؤمن

الإيمان الحقيقي لا يقوم على المعجزات الحسية، بل على البصيرة واليقين. فرعون رأى المعجزات وكفر، والمؤمنون آمنوا دون أن يروا.

تطبيقات عملية:

- انظر إلى آيات الله في الكون: السماء، الأرض، الجبال، البحار، نفسك. هذه معجزات دائمة.
- انظر إلى القرآن: إعجازه اللغوي، العلمي، التشريعي، النبوي. هذه معجزة كافية.
- لا تنتظر أن ترى ملكاً ينزل من السماء لتؤمن. ابدأ بالإيمان الآن.

الدرس الخامس: لا تجادل بالباطل

الجدال بالباطل مرض خطير. قد يظن الإنسان أنه يدافع عن الحق، لكنه في الحقيقة يدافع عن هواه.

تطبيقات عملية:

- إذا شعرت أنك تجادل فقط لتثبت أنك على صواب، فتوقف.
- تعلم فن "الاستسلام للحق". إذا تبين لك الصواب، فقل: "سمعنا وأطعنا".
- لا تجعل الكبرياء يمنعك من الرجوع إلى الحق.

الدرس السادس: كفر الآخرين ليس مبرراً لكفرك

المشركون قالوا: "سحران تظاهرا". لم يكن هذا القول مبنياً على دليل، بل على هوى.

تطبيقات عملية:

- لا تقلد الآخرين في كفرهم أو ضلالهم. كل نفس مسئولة عن نفسها.
- لا تقل: "فلان كافر، فأنا مثله". هذا هروب من المسؤولية.
- ابحث عن الحق بنفسك، واتبعه ولو خالفك الناس.

الدرس السابع: كيف تتعامل مع من يجادلك بالباطل؟

قد تواجه في حياتك من يناقشك في الدين بطريقة غير صادقة، يطلب معجزات، يتناقض، يتهرب.

تطبيقات عملية:

- لا تشغل بمجادلته. قدم له الحق ببساطة، ثم اتركه.
- لا تحاول إرضاءه بمعجزات لن تقنعه. المعجزة الحقيقية هي القرآن.
- إذا رأيته ينتقل من حجة إلى حجة، فاعلم أنه لا يريد الهداية. ادع له بالهداية، ولا تجادل.

الدرس الثامن: تأمل في عاقبة المكذبين

المشركون الذين قالوا "سحران تظاهرا" انتهى بهم الأمر إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. هذه عاقبة كل من يعاند الحق.

تطبيقات عملية:

- ادرس تاريخ الأمم المكذبة: قوم نوح، عاد، ثمود، فرعون. كيف كانت نهايتهم؟
- استفد من عبر التاريخ. لا تكرر أخطاءهم.
- تذكر أن كل من عاند الحق خسر الدنيا والآخرة.

الدرس التاسع: التواضع للحق فضيلة

أعظم ما يميز المؤمن هو تواضعه للحق. لا يستكبر عن قبول الحق مهما كان مصدره.

تطبيقات عملية:

- إذا نصحك أحد ولو كان أصغر منك سناً، فتقبل النصيحة.
- إذا تبين لك أنك كنت على خطأ، فاعترف بخطئك.
- لا تتعصب لرأيك، فالعبرة بالحق لا بالشخص.

الدرس العاشر: الإيمان بالجميع

الآية تعلمك أن الإيمان لا يتجزأ. من آمن بمحمد ﷺ فقد آمن بجميع الرسل. ومن كفر بمحمد فقد كفر بالجميع.

تطبيقات عملية:

- احترم جميع الأنبياء والكتب السماوية في إطار ما أنزله الله.
 - لا تفرق بين الرسل، فكلهم جاءوا بالحق من عند الله.
 - كن فخوراً بإيمانك الشامل، ولا تكن ممن يكفر ببعض ويكفر ببعض.
- سادساً:** أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. كم مرة بحثت عن أعذار لتترك فريضة أو ترتكب معصية؟
٢. هل أنا صادق في رغبتني في الهداية؟ أم أنني أريد فقط تبرير موقفني؟
٣. هل لدي تناقضات في مواقفي الدينية؟ مثلاً: أؤمن بالقرآن لكن لا أطبقه؟

٤. لو أتاني الحق من عند الله، هل سأقبله أم سأبحث عن عذر؟

٥. هل أنا من الذين يقولون "سحران تظاهرا" بأسلوب معاصر؟ مثلا: "الأديان كلها خرافات".

٦. هل أستطيع أن أقول بصدق: "أمنت بالله ورسله وكتبه" دون تردد؟
الخلاصة النهائية

الآية 48 من سورة القصص ليست مجرد حكاية عن المشركين القدماء، بل هي:

- مرآة تنظر فيها إلى نفسك، لترى هل أنت صادق في طلب الحق أم تبحث عن أعذار؟
- تحذير من التناقض والتقلب في الحجج، فإن الله يفضح ذلك.
- كشف لطبيعة النفس البشرية المكابرة التي ترفض الخضوع للحق.
- درس في الجدل أن تترك من يجادل بالباطل، فإنه لن يهتدي.

تذكر دائماً: الحق جاءك من عند الله. لا تنتظر معجزة خاصة بك. القرآن بين يديك، والفطرة نقية، و العقل يعمل. فلا تقل "لولا" ولا تبحث عن أعذار.

إن كنت تريد الهداية، فاسأل الله بصدق، وتواضع للحق، واتبع ما أنزل إليك من ربك. وإن كنت تريد الكفر، فستجد ألف عذر، وستصل في النهاية إلى أن تقول "إنا بكل كافرون".

الخيار لك. والله يعلم ما في قلبك. فلا تخدع نفسك، ولا تحاول خداع الله. فالله أرحم بك من أن يتركك بلا حجة، وأعدل من أن يعذبك بلا إنذار. لكنه إذا أقام الحجة، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، ثم أصررت على الكفر، فما لك بعد ذلك من عذر.

فاختر الآن. اختر الإيمان الصادق، والتواضع للحق، واتباع الرسول. فذلك خير لك في الدنيا والآخرة
المبحث السابع

تفسير الآيتين 49 و 50 من سورة القصص
المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الحوارى الفريد. بعد أن فضح الله تناقضات المشركين، ورد على شبهتهم بأن محمد ﷺ لم يأت بمثل ما أوتي موسى، وبعد أن وصفوا التوراة والقرآن بأنهما "سحران تظاهرا"، يأتي الآن التحدي الإلهي المباشر، حواراً مع العقول قبل القلوب.

قال تعالى:

"قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (القصص: 49)

"فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (القصص: 50)

هاتان الآيتان هما آية التحدي المطلق وآية فضح اتباع الهوى. إنهما تضعان الإنسان أمام خياره المصيري: إما أن يتبع الحق الواضح، وإما أن يتبع هواه ويظل في ضلال مبين.

هما مخاطبان فيك أعمق ما فيك: عقلك لتدبر البرهان، وقلبك لتحب الحق، وإرادتك لتختار الهدى.
***** الأفكار الرئيسية في الآيتين**

الآية 49:

١. الأمر الإلهي للنبي ﷺ أن يتحداهم: "قُلْ".
٢. التحدي بإتيان كتاب من عند الله.
٣. شرط هذا الكتاب: أن يكون أهدى من التوراة والقرآن.
٤. وعده النبي ﷺ باتباعه إن أتوا به.
٥. شرط القبول: "إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ".

الآية 50:

١. نتيجة عدم الاستجابة: إن لم يستجيبوا لك.
٢. الحقيقة المكشوفة: إنما يتبعون أهواءهم.
٣. الاستفهام التوبيخي: ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؟

٤.الجواب: لا أحد أضل منهم.
٥.الختم الإلهي: إن الله لا يهدي القوم الظالمين.
اولا : اللّمسات البيانية والبلاغية في الآية 49

1."قل" - الأمر المباشر للنبي ﷺ

تأمل هذه اللفتة: الله يأمر نبيه أن يقول بنفسه هذا التحدي. لم يقل "قل لهم" فقط، بل اختصر الأمر في "قل". فيها:

- . التشريف: النبي هو المتحدث باسم الوحي.
- . المواجهة المباشرة: لا واسطة بين النبي والمشرّكين.
- . الجرأة الإيمانية: أن يعلن النبي التحدي أمام قومه.

2."فأتوا" - فعل الأمر بصيغة الجمع

"أتوا" من الإتيان، وهو طلب المجيء بالشيء. الله يطلب منهم أن يأتوا بكتاب، أي يحضروه ويقدموه. هذا التحدي يتطلب منهم جهداً: إما أن يصنعوا كتاباً، أو يأتوا بكتاب من السماء.

إنه تحدّ مفتوح لكل البشرية: إن كنتم صادقين في أن ما عندكم خير مما عند محمد، فأتوا بكتاب أهدي من القرآن.

3."بكتاب من عند الله" - شرط المصدر الإلهي

لم يقل "بكتاب فقط" بل "من عند الله". أي:

- . لا يقبل كتاب من صنع البشر.
- . يجب أن يكون منزلاً من السماء.
- . يجب أن يكون وحياً إلهياً.

هذا الشرط يقطع الطريق على أي محاولة لتأليف كتاب بشري. فهم عاجزون عن ذلك.

4."هو أهدي منهما" - معيار المقارنة

"أهدي" اسم تفضيل من الهدى، أي أكثر إرشاداً إلى الحق وأقوم سبيلاً. التحدي هو: أتوا بكتاب خير من التوراة والقرآن.

لاحظ دقة التعبير: لم يقل "خير منهما" بل "أهدي منهما". لأن الهداية هي جوهر الكتب السماوية. ف الكتاب الذي لا يهدي إلى الله ليس كتاباً من عنده.

5."أتبعه" - استعداد النبي للاتباع

هذه أكبر مفاجأة في الآية. النبي ﷺ يقول: إن أتيتم بكتاب أهدي من القرآن، فسأترك القرآن وأتبعه.

هذا يدل على:

- . الموضوعية المطلقة: النبي لا يتعصب لكتابه، بل يتبع الحق أينما كان.
- . الثقة الجازمة: النبي متأكد أنه لن يأتوا به أبداً.
- . التواضع للحق: الاستعداد للتخلي عن أي شيء من أجل الحق.

6."إن كنتم صادقين" - الشرط النهائي

هذا الشرط يختبر صدقهم. إن كانوا صادقين في أن دينهم خير، وأن محمداً على باطل، فهذه فرصتهم لإثبات ذلك.

"صادقين" جمع صادق، وهو من يطابق قوله الواقع. إنهم يدعون أنهم على حق، فهاتوا برهانكم.

ثانيا : اللّمسات البيانية والبلاغية في الآية 50

1."فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ" - نتيجة محققة

"فَإِنْ" تفيد التعليق والنتيجة. "لم يستجيبوا" أي لم يجيبوا هذا التحدي، ولم يأتوا بكتاب. لاحظ: التحدي واضح، وهم عاجزون عن الاستجابة. هذا العجز دليل على أنهم غير صادقين.

2."فَاعْلَمْ" - أمر بالعلم واليقين

لم يقل "فقل لهم" أو "فاحذرهم"، بل "فاعلم". أي: تأكد وتيقن واعلم علماً يقينياً. هذا الخطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين. العجز عن الإتيان بكتاب أهدى ليس مجرد ظاهرة، بل هو برهان قاطع على أنهم يتبعون أهواءهم.

3."أَتَمَّا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ" - حصر اتباع الهوى

"إنما" أداة حصر. أي: ليسوا يتبعون دليلاً ولا برهاناً ولا هدىً من الله، بل يتبعون أهواءهم فقط. "أهواءهم" جمع هوى، وهو ميل النفس إلى ما تشتهي بلا دليل. الهوى قد يكون شهوة، أو كبراً، أو عناداً، أو تعصباً.

4."وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ" - الاستفهام التوبيخي الإنكاري

هذا الاستفهام معناه: لا أحد أضل ممن اتبع هواه بلا هدى. إنه أسلوب بلاغي للتأكيد على أنهم في قمة الضلال.

"بغير هدى" أي ليس معهم دليل من الله، ولا كتاب منزل، ولا حجة عقلية صحيحة.

5."إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" - الختم الإلهي المحكم

هذه الجملة خاتمة الآية، وهي قاعدة إلهية ثابتة: الظالمون لا يستحقون الهداية، والله لا يهديهم.

. "الظالمين" هم الذين ظلموا أنفسهم باتباع الهوى، وظلموا الحق بتكذيبه.

. نفي الهداية عنهم ليس معناه أن الله عاجز، بل هو جزاء لظلمهم.

****ثالثاً: دلالات الآيتين ورسائلهما العميقة**

1.التحدي القرآني: إعجاز مستمر

هذه الآيات تمثل نموذجاً من التحدي القرآني للمشركين. القرآن يتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بعشر سور، ثم بسورة واحدة، ثم هنا يتحداهم بكتاب أهدى من القرآن.

الرسالة: هذا التحدي قائم إلى يوم القيامة. كل من يدعي أن عنده ديناً أفضل من الإسلام، فعليه أن يقدم كتاباً أهدى من القرآن. ولن يستطيع.

2.اتباع الهوى: مرض العصر

الآية تكشف أن أصل الضلال هو اتباع الهوى. ليس الجهل هو المشكلة، بل الإرادة الفاسدة. الإنسان قد يعرف الحق لكن هواه يمنعه من اتباعه.

الرسالة: الهوى ليس مجرد ميل، بل هو معبود يُطاع من دون الله. قال تعالى: "أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" (الجاثية: 23).

3.الظلم يمنع الهداية

الآية تربط بين الظلم وحرمان الهداية. الظالم لا يستحق أن يهديه الله. والهداية ليست مجرد معرفة، بل توفيق للعمل.

الرسالة: لا تظلم نفسك باتباع الهوى، فإن الظلم يحول بينك وبين هداية الله.

رابعاً: كيف تخاطب هاتان الآيتان وجدانك؟

الرسالة الأولى: أنت مدعو إلى الموضوعية

هل أنت مستعد أن تتبع الحق أينما كان؟ حتى لو كان على يد عدوك؟ حتى لو كان يخالف ما تربيت عليه؟

الآية تضعك أمام اختبار الصدق: لو جاءك كتاب من عند الله أهدى من القرآن، هل ستتبعه؟ الجواب الحقيقي يكشف عن مدى صدقك في طلب الحق.

الرسالة الثانية: هوى النفس هو أكبر عدو لك

قد تظن أن عدوك هو الشيطان، أو أعداؤك من البشر. الآية تهمس في أذنك: أكبر أعدائك هو هواك. هو الذي يزين لك المعصية، ويقتنعك أنك على صواب، ويصرفك عن الحق.

الرسالة الثالثة: الظلم يبدأ من الداخل

لا تظن أن الظلم هو فقط أخذ حقوق الآخرين. أعظم ظلم هو ظلم النفس باتباع الهوى. عندما تتبع هواك بغير هدى من الله، فأنت ظالم لنفسك، والله لا يهدي الظالمين.

الرسالة الرابعة: التحدي لا يزال قائماً

اليوم، يدعي كثيرون أن عندهم كتباً ومناهج أهدى من الإسلام. الآية تتحداهم: هاتوا كتاباً من عند الله أهدى من القرآن. ولن يستطيعوا. هذا يثبت في قلبك يقيناً أن الإسلام هو الحق. خامساً: الأبعاد المختلفة للآيتين

البعد الإيماني

١. الإيمان بأن القرآن هو أهدى الكتب: ليس هناك كتاب على وجه الأرض يهدي إلى الحق مثل القرآن. هذا يقين يجب أن يرسخ في القلب.

٢. الإيمان بأن الهداية بيد الله: الله لا يهدي الظالمين، فاحرص أن لا تكون من الظالمين.

٣. الإيمان بصدق النبي ﷺ: استعداده لاتباع أي كتاب أهدى يدل على أنه لا يتعصب لنفسه، بل يتبع الحق.

البعد النفسي

١. كشف آليات الهوى: الهوى يعمي البصيرة، ويحجب الحق، ويجعل الباطل يبدو جميلاً. تعرف على هواك لتتخلص منه.

٢. اختبار الصدق مع النفس: "إن كنتُمْ صَادِقِينَ" - الآية تختبر صدقك. هل أنت صادق مع نفسك؟ أم تخادعها؟

٣. علاج التعصب: التعصب لفكرة أو مذهب أو شخص هو شكل من أشكال اتباع الهوى. الآية تدعو إلى الموضوعية.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء الموضوعية: علم أولادك ألا يتعصبوا لرأيهم، وأن الحق أحق أن يتبع مهما كان مصدره.

٢. غرس قيمة البحث عن الحق: لا تقلد والدك أو مجتمعتك تقليداً أعمى. ابحث عن الحق بنفسك.

٣. التحذير من اتباع الهوى: الهوى هو سبب الانحراف. علم أبنائك كيف يميزون بين ما يهوونه وما هو حق.

البعد الاجتماعي

١. نقد ثقافة التعصب: المجتمعات المتعصبة لا تتقدم. الآية تدعو إلى ثقافة التسليم للحق.

٢. بناء مجتمع موضوعي: المجتمع الذي يقبل النقد ويصحح أخطائه هو مجتمع صحي.

٣. الحوار الموضوعي: الآية نموذج للحوار الموضوعي: قدم الأدلة، وكن مستعداً لتغيير قناعاتك إن ظهر لك الحق.

البعد الثقافي

١. تحدي الثقافات الأخرى: الإسلام يتحدى كل الثقافات أن تأتي بكتاب أهدى من القرآن. هذا واثق من نفسه.

٢. الرفض الثقافي للتقليد الأعمى: التقليد الأعمى للآباء والأجداد هو شكل من أشكال اتباع الهوى.

البعد السياسي

١. إشرعية تغيير الحكم: أي حاكم لا يحكم بما أنزل الله، إنما يتبع هواه. ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى؟

٢. رفض الديكتاتورية: الحاكم المستبد يفرض رأيه وهواه على الناس. الآية ترفض ذلك. سادساً: الدروس المستفادة من الآيتين في حياتنا العملية

الدرس الأول: اختبر صدقك مع نفسك

اسأل نفسك بصدق: هل أنت مستعد لاتباع الحق لو تبين لك أن ما كنت عليه خطأ؟

تطبيقات عملية:

- عندما تسمع رأياً مخالفاً، لا ترفضه فوراً. ادرسه بتجرد.
- إذا تبين لك أنك كنت مخطئاً، فاعترف بخطئك وتعلم منه.
- لا تتكبر عن قبول الحق، فالكبر من أعظم مظاهر اتباع الهوى.

الدرس الثاني: تعرف على هواك وحاربه

الهوى قد يكون خفياً. قد يكون حب المال، أو الجاه، أو الكسل، أو التعصب.

تطبيقات عملية:

- خصص وقتاً لمراجعة دوافعك. لماذا تفعل ما تفعل؟ هل لأن الله أمر؟ أم لأن هواك يزين؟
- عرّف نفسك على عيوبك. الجهل بالهوى هو أول دروب الضلال.
- حارب هواك بالصوم والصلاة والذكر ومجاهدة النفس.

الدرس الثالث: كن موضوعياً في الحوار

عندما تناقش شخصاً في الدين أو الفكر، كن كالنبي ﷺ: مستعداً لاتباع الحق إن ظهر.

تطبيقات عملية:

- لا تناقش لتثبت أنك الأذكى، بل لتصل إلى الحق.
- إذا قدم الطرف الآخر دليلاً أقوى، فاعترف بذلك.
- لا تتعصب لرأيك، فالعبرة بالدليل لا بالأشخاص.

الدرس الرابع: القرآن هو أهدى كتاب، فاجعله دليلك

إذا كنت تبحث عن الهداية في كتب الفلاسفة أو علماء النفس أو التنمية البشرية، تذكر: القرآن أهدى منها كلها.

تطبيقات عملية:

- . اجعل لك ورداً يومياً من تدبر القرآن.
- . عندما تواجه مشكلة، ابحث عن حلها في القرآن قبل أي مصدر آخر.
- . قارن بين تعاليم القرآن وتعاليم أي كتاب آخر، وسترى الفرق.

الدرس الخامس: لا تكن من الظالمين

الظلم يمنع الهداية. لا تظلم نفسك، ولا تظلم غيرك.

تطبيقات عملية:

- . توب إلى الله من كل ذنب، فالذنوب ظلم للنفس.
- . رد المظالم إلى أصحابها.
- . لا تظلم أحداً بقول أو فعل، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

الدرس السادس: التحدي لا يزال قائماً

في عصرنا، هناك من يقول إن البوذية أو الهندوسية أو العلمانية أهدى من الإسلام. الآية تتحداهم.

تطبيقات عملية:

- . ادرس الأديان الأخرى بعمق، وستجد أنها لا تملك كتاباً محفوظاً كالقرآن، ولا تعاليم تهدي كتعاليمه.
- . كن واثقاً من دينك، لكن دون تعصب أعمى.
- . استخدم هذا التحدي في دعوة غير المسلمين: هل لديك كتاب أهدى من القرآن؟ هاته أتبعه.

الدرس السابع: الهوى في عصر السوشيال ميديا

اليوم، أصبح اتباع الهوى أسهل من أي وقت مضى. وسائل التواصل تعرض عليك ما تحب، وتؤكد آراءك، وتغذي هواك.

تطبيقات عملية:

- . لا تتابع فقط من يوافق هواك. تابع من ينقذك وينصحك.
- . لا تقع في فقاعة "الفلتر بابل" حيث ترى فقط ما تريد أن تراه.
- . ابحث عن الحقيقة، لا عن ما يرضيك.

الدرس الثامن: كيف تتعامل مع من يتبع هواه؟

قد تواجه من يجادلك بالهوى، لا بالدليل. كيف تتعامل معه؟

تطبيقات عملية:

- . لا تشغل بجذاله. قدم له الدليل مرة أو مرتين، فإن أصر فاتركه.
- . لا تغضب منه، فهو أضل نفسه بنفسه.
- . ادعُ له بالهداية، فالله وحده القادر على قلب الأهواء.

الدرس التاسع: الهوى يبدأ صغيراً ثم يكبر

قد تبدأ باتباع هوى صغير: تأخير الصلاة قليلاً، أو كذبة بيضاء، أو نظرة محرمة. ثم يكبر الهوى حتى يصير معبوداً.

تطبيقات عملية:

- . عالج الهوى وهو صغير. لا تقل "إنها مرة واحدة".
- . جاهد نفسك في الطاعات الصغيرة قبل الكبيرة.

• استغفر الله من كل ذنب صغير، فإن الصغائر تكبر بالتكرار.

الدرس العاشر: الهداية نور من الله

لا تظن أنك تهدي نفسك بنفسك. الهداية نور يقذفه الله في القلب. فاطلبها من الله.

تطبيقات عملية:

- أكثر من الدعاء: "اللهم اهديني وسددني".
- اعمل بالأسباب التي تجلب الهداية: الصدق، التواضع، طلب العلم، صحبة الصالحين.
- احذر من أسباب حرمان الهداية: الكبر، الظلم، اتباع الهوى.
- سابعاً: أسئلة تثيرها الآيتان في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل أنا مستعد حقاً لاتباع الحق لو جاءني من أي مصدر؟ أم أنني متعصب لما أنا عليه؟

٢. كم مرة اتبعت هواي بدلاً من اتباع هدى الله؟

٣. هل أستطيع أن أتحدى غير المسلمين بأن يأتوا بكتاب أهدى من القرآن؟

٤. هل أشعر أن القرآن هو أهدى كتاب في حياتي؟ أم أنني أبحث عن الهدى في أماكن أخرى؟

٥. هل منعي هواي من التوبة من ذنب؟ أم من قبول نصيحة؟

٦. هل أنا من الظالمين الذين لا يستحقون الهداية؟ وماذا سأفعل لأخرج من هذا الظلم؟
الخلاصة النهائية

الآيتان 49 و 50 من سورة القصص ليستا مجرد تحدٍ للمشركون، بل هما:

- دستور فكري يعلمك الموضوعية في طلب الحق، وعدم التعصب لرأيك أو كتابك.
- تحذير نفسي من أخطر أمراض الروح: اتباع الهوى بغير هدى من الله.
- معيار إيماني تختبر به صدقك مع الله ومع نفسك: هل تتبع الحق أم تتبع هواك؟
- بوصلة حياتية ترشدك إلى أن القرآن هو أهدى الكتب، فلا تبحث عن الهدى في غيره.

تذكر دائماً: أنت في معركة مع هواك. هو أكبر عدو لك. قد تهزم أعداءك من البشر، لكنك إن لم تهزم هواك، فأنت الخاسر.

الهوى يحجب الحق، ويزين الباطل، ويقود إلى الظلم. والظالمون لا يهديهم الله. فلا تكن من الظالمين.

اختر اليوم: هل ستتبع الحق ولو كان ثقيلاً ً على نفسك؟ أم ستتبع هواك ولو كان مريحاً؟ التحدي لا يزال قائماً. والإجابة في قلبك.

المبحث الثامن

تفسير الآيات 51 و 52 و 53 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا التدرج الإلهي الرائع. بعد أن تحدى الله المشركين بأن يأتوا بكتاب أهدى من التوراة و القرآن، وبعد أن فضح اتباعهم لأهوائهم، يأتي الآن مشهد آخر: مشهد رحمة الله بهذه الأمة، ومشهد إيمان أهل الكتاب الصادقين بالقرآن.

قال تعالى:

"وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (القصص: 51)

"الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ" (القصص: 52)

"وَإِذَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ" (القصص: 53)

هذه الآيات هي آيات الامتنان بنزول القرآن وآيات إيمان أهل الكتاب الصادقين. إنها تخاطب فيك الشعور بالنعمة العظمى: أن الله لم ينزل القرآن جملة واحدة، بل متفرقاً على قلب النبي، ليكون التذكير أقوى والهدى أبلغ.

كما أنها تبشرك بأن هناك من أهل الكتاب من آمنوا بالقرآن قبل أن يسمعه، لأنهم كانوا يجدونه مكتوباً عندهم، فلما سمعوه قالوا: آمنا به، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين.

هذه الآيات تريح قلب المؤمن: لست وحدك. هناك من سبقك من أهل الكتاب يعترفون بحق هذا القرآن، ويؤمنون به، ويشهدون أنه من عند الله. الأفكار الرئيسية في الآيات

الآية 51:

١. تأكيد الله بقسم: "ولقد".
٢. وصل القرآن وتتابعه: "وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ".
٣. الغاية: "لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ".

الآية 52:

١. وصف فئة مؤمنة من أهل الكتاب: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ".
٢. إيمانهم بالقرآن: "هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ".
٣. حصر الإيمان فيهم: "هُمْ" ضمير الفصل.

الآية 53:

١. مشهد التلاوة: "وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ".
 ٢. رد فعلهم الفوري: "قَالُوا آمَنَّا بِهِ".
 ٣. شهادتهم بالحق: "إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا".
 ٤. إخبارهم عن حالهم السابقة: "إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ".
- أولاً: اللامسات البيانية والبلاغية في الآية 51

1. "ولقد" - القسم والتوكيد

تأمل هذه الافتتاحية: "ولقد" تجمع بين حرف القسم والتحقيق. إنها تؤكد أن ما سيأتي ليس كلاماً عابراً، بل هو سنة إلهية وحقيقة يقينية.

الله يقسم: لقد وصلنا القول. لماذا القسم؟ لأن في هذه الحقيقة عظماً يستحق التوكيد.

2. "وَصَلْنَا" - التوصيل والتتابع

"وَصَلْنَا" من التوصيل، وهو جعل الشيء متصلاً متتابعاً. لم يقل "أنزلنا" فقط، بل "وَصَلْنَا". فيه إشارة إلى أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، بل نزل مفرقاً على ثلاث وعشرين سنة.

هذا التوصيل يحمل حكماً عظيمة:

- تثبيت قلب النبي ﷺ: كلما نزلت آية، تشتد عزمته.
- التدرج في التشريع: الأحكام نزلت تدرجياً لتناسب قدرة البشر.
- التذكير المستمر: كل فترة ينزل قرآن جديد، فيتجدد الوعظ والتذكير.

3. "القول" - القرآن

أطلق الله على القرآن اسم "القول" مع أنه كتاب. هذا يدل على أن القرآن كلام الله المنزل، وليس مجرد سطور مكتوبة. هو قوله تعالى يتلى آناً الليل وأطراف النهار.

4. "لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" - الغاية من التوصيل

مرة أخرى "لعل" التي تفيد الترجي والتهيؤ. الغاية من إنزال القرآن متفرقاً هي التذكير. لو نزل دفعة واحدة، لربما أذهلهم، ولربما نسوه. لكنه نزل مفرقاً ليتدبروه ويتذكروه.

"يتذكرون" وليس "يعلمون" - لأن التذكر أعمق من مجرد العلم. التذكر هو استحضار المعلومة عند الحاجة. التذكر هو أن تعيش الآية في واقعك.
ثانياً: اللغات البيانية والبلاغية في الآية 52

1. "الذين آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ" - وصف المؤمنين من أهل الكتاب

"الذين" اسم موصول يفيد التعيين. هم فئة معينة من أهل الكتاب، وليس كلهم.
"آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" أي أعطيناهم التوراة والإنجيل.
"من قبله" أي من قبل القرآن. أي أنهم كانوا مؤمنين بكتبهم السابقة.

2. "هم به يؤمنون" - ضمير الفصل للحصر

"هم" ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد. أي: هم وحدهم الذين يؤمنون به، وليس المشركون الذين كفروا بالكتب السابقة.

الجملة "به يؤمنون" قدم الجار والمجرور "به" على الفعل "يؤمنون" للاهتمام والحصر. أي: به وحده يؤمنون إيماناً خاصاً.

3. دلالة الآية: إيمان أهل الكتاب الصادقين بالقرآن

هؤلاء هم الذين آمنوا بالنبى ﷺ من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام، وتميم الداري، وبحيرا الراهب (على اختلاف في بعضهم). كانوا يجدون صفة محمد في كتبهم، فلما جاء آمنوا به.
ثالثاً: اللغات البيانية والبلاغية في الآية 53

1. "وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ" - مشهد التلاوة

"إذا" ظرفية للمفاجأة، وتفيد الحال المستقرة. كلما تتلى عليهم آيات القرآن، يكون ردهم واحداً.

"يُتْلَى" من التلاوة، وهي القراءة المتتابعة. القرآن يتلى عليهم، أي يقرأ عليهم بصوت مرتفع. هذا المشهد يصور لك لحظة الإيمان.

2. "قَالُوا آمَنَّا بِهِ" - الإيمان الفوري

لم يقولوا "سوف نؤمن" أو "ننظر في الأمر". بل قالوا "آمنّا" في الحال. إنها سرعة في الإيمان تدل على أن قلوبهم كانت مهيأة، وأن البصائر كانت منيرة.

3. "إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا" - الشهادة بالحق

ثلاث دلالات في هذه الجملة:

1. "إِنَّهُ" للتوكيد - لا شك فيه.

2. "الْحَقُّ" - ليس باطلاً، ليس أسطورة، ليس شعراً، ليس كهانة.

3. "مِنْ رَبِّنَا" - مصدره رب العالمين، وليس من عند بشر.

هذه الشهادة تصدر عن أهل الكتاب الذين عرفوا صفات النبي في كتبهم، وتيقنوا أنه هو النبي المبشر به.

4. "إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ" - الإسلام السابق

هذه الجملة تحمل معنى عظيماً: نحن كنا مسلمين من قبل مجيء هذا القرآن. أي: كنا موحدين، مخلصين لله، متبعين لما في كتبنا من البشارة بمحمد.

"مسلمين" من الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد لله. ليس المقصود الإسلام بمصطلحه الخاص بعد بعثة محمد، بل الإسلام العام: الإخلاص لله والتسليم له.
رابعاً: دلالات الآيات ورسائلها العميقة

1. نعمة تلاوة القرآن: هدي متجدد

الآية 51 تذكر بنعمة عظيمة: أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، بل نزل مفزقاً ليظل القرآن حياً في قلوب الناس. لو نزل دفعة واحدة، لكان ككتاب عادي يُقرأ ثم يُنسى. لكنه نزل متفرقاً على قلب النبي، وفي مناسبات مختلفة، ليصبح مرافقاً لحياة الأمة.

الرسالة: كل مرة تسمع فيها آية جديدة، أو تتلو آية حفظتها، فتذكر أن هذه نعمة من الله. استشعر أن الله يريدك أن تتذكر، أن تستيقظ، أن تعود إليه.

2. أهل الكتاب المؤمنون: شهود على صدق القرآن

الآيات 52-53 تقدم لك شهادة من خارج الأمة. ليس المسلمون فقط هم من يؤمنون بالقرآن، بل هناك من أهل الكتاب من كانوا ينتظرون هذا النبي، فلما جاء عرفوه كما يعرفون أبناءهم.

الرسالة: القرآن ليس كتاباً عربياً فقط، بل هو كتاب عالمي. وقد شهد له أهل الكتاب الذين عرفوا البشارات في كتبهم. هذا يزيدك يقيناً.

3. الإيمان السابق: أصل الإيمان واحد

"إنا كنا من قبله مسلمين" - هذه الجملة تعلمك أن الإسلام ليس ديناً جديداً. إنه دين الله منذ آدم. كل الأنبياء جاءوا بالإسلام: الاستسلام لله وحده. فمن آمن بموسى وعيسى على الوجه الصحيح، فهو مسلم، وسيؤمن بمحمد ﷺ.

الرسالة: لا تنظر إلى أهل الكتاب السابقين على أنهم "آخرون". هم إخوة لك في الإيمان إذا آمنوا بالله ورسوله جميعاً. والقرآن جاء مصداقاً لما بين يديه. خامساً: كيف تخاطب هذه الآيات وجدانك؟

الرسالة الأولى: أنت تعيش في نعمة التذكير المستمر

تأمل: كم مرة تسمع القرآن في اليوم؟ في الصلوات الخمس، في الإذاعة، في التلفاز، في وسائل التواصل. هذا هو "توصيل القول". الله يصل لك القول، يكرره، يذكرك به، لعلك تتذكر.

فلماذا لا تتذكر؟ لماذا تغفل؟ لماذا تمر عليك الآيات ولا تؤثر في قلبك؟

الرسالة الثانية: هناك شهود من خارج الصف يؤمنون بما تؤمن به

قد تشعر أحياناً أنك غريب، وأن العالم كله ضدك. هذه الآيات تهمس في أذنك: هناك من أهل الكتاب من يؤمنون بالقرآن، ويشهدون أنه الحق من ربهم. لست وحدك. الحق له أنصاره في كل مكان.

الرسالة الثالثة: كن من "الذين كانوا مسلمين من قبل"

لا تنتظر حتى تسمع الآية لتؤمن. كن مستعداً للإيمان قبل أن يأتيك البيان. كن من الذين قالوا: "إنا كنا من قبله مسلمين". أي: اجعل قلبك خاضعاً لله، مستعداً لقبول الحق أينما جاء. سادساً: الأبعاد المختلفة للآيات

البعد الإيماني

١. الإيمان بأن القرآن نعمة متجددة: كل يوم تتلو القرآن، فهو نعمة جديدة. اشكر الله عليها.

٢. الإيمان بأن الكتب السابقة كانت بشارة بمحمد ﷺ: هذا يثبت أن دين الله واحد، وأن محمداً ﷺ مرسل من الله.

٣. الإيمان بأن الإيمان الحقيقي واحد: من آمن بالله حقاً، آمن بجميع الرسل.

البعد النفسي

١. تجديد النشاط الإيماني: "توصيل القول" يعني أن الله يمدك بالطاقة الإيمانية بين الحين والآخر. لا

تَبَاسُ إِذَا فُتِرَتْ، فَالآيَاتُ الْجَدِيدَةُ تَجْدُدُ نَشَاطُكَ.

٢. الشَّعُورُ بِالانْتِمَاءِ: أَنْتَ لَسْتَ وَحِيدًا فِي إِيمَانِكَ. هُنَاكَ مِنْ سَبَقَكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِمَا تُؤْمِنُ بِهِ. هَذَا يَخَفِّفُ عَنْكَ الشَّعُورَ بِالْغَرَبَةِ.

٣. الِاسْتِعْدَادُ الدَّائِمُ لِلْحَقِّ: "كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ" - هَذِهِ الْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ هِيَ الْأُسْمَى: أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِتَقْبِيلِ الْحَقِّ مَتَى جَاءَ.

البعد التربوي

١. التَّكَرُّارُ فِي التَّعْلِيمِ: "وَصَلْنَا الْقَوْلَ" تَعْلَمُكَ أَنْ التَّكَرُّارَ ضَرُورِيٌّ فِي التَّرْبِيَةِ. لَا تَمَلْ مِنْ تَكَرُّارِ النَّصَائِحِ لِأَبْنَائِكَ، فَالتَّكَرُّارُ يُوَصِّلُ الْمَعْنَى.

٢. التَّدرِجُ فِي التَّرْبِيَةِ: كَمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ مَفْرُقًا، كَذَلِكَ التَّرْبِيَةُ تَحْتَاجُ إِلَى تَدْرِجٍ. لَا تَطْلُبْ مِنْ ابْنِكَ الْكَمَالَ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

٣. الْقُدُوةُ مِنْ خَارِجِ الْأُسْرَةِ: أحيانًا تُؤَثِّرُ شَهَادَةُ شَخْصٍ مِنْ خَارِجِ الْعَائِلَةِ فِي الْأَبْنَاءِ أَكْثَرَ مِنْ نَصْحِكَ أَنْتَ. اسْتَغْنِ بِشَهَادَاتِ الْآخَرِينَ الصَّادِقَةِ.

البعد الاجتماعي

١. قَبُولُ الْآخَرِ الصَّادِقِ: الْآيَاتُ تَعْلَمُكَ أَنْ تَقْبَلَ شَهَادَةَ غَيْرِ الْمُسْلِمِ إِذَا كَانَ صَادِقًا. أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ، شَهَادَتُهُمْ قِيَمَةٌ.

٢. الْحِوَارُ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ: الْآيَاتُ تَفْتَحُ بَابَ الْحِوَارِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، وَهَذِهِ الْكُتُبُ تُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ، فَلِمَاذَا لَا تُؤْمِنُونَ بِهِ؟

٣. بِنَاءُ جَسُورٍ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ: هُنَاكَ قَوَاسِمٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ الصَّادِقِينَ: الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالرَّسْلِ. ابْنِ عَلَيْهَا.

البعد الثقافي

١. الْإِسْلَامُ لَيْسَ بَدْعَةٍ: بَعْضُ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ بِجَدِيدٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ. الْآيَةُ تَرُدُّ: الْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ اللَّهِ الْقَدِيمِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَانُوا مُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ آمَنُوا بِهِ.

٢. اسْتِمْرَارِيَّةُ الرِّسَالَةِ: الْقُرْآنُ لَيْسَ مَنْقُطَعًا عَمَّا قَبْلَهُ، بَلْ هُوَ مُصَدِّقٌ وَمُهَيِّمٌ.

البعد السياسي

١. التَّعَامُلُ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ: الْآيَاتُ تَقْدِمُ نُمُودَجًا لِلتَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا: احْتِرَامُهُمْ، وَقَبُولُ شَهَادَتِهِمْ، وَالاعْتِرَافُ بِفَضْلِهِمْ.

٢. الْحُرِيَّةُ الدِّينِيَّةُ: "آمَنَّا بِهِ" - إِيمَانُهُمْ جَاءَ عَنْ قَنَاعَةٍ، لَا عَنْ إِكْرَاهٍ. الْإِسْلَامُ لَا يَكْرَهُ أَحَدًا عَلَى الْإِيْمَانِ. سَابِعًا: الدَّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنَ الْآيَاتِ فِي حَيَاتِنَا الْعَمَلِيَّةِ

الدرس الأول: استشعر نعمة التذكير المستمر

أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ: كُلُّ يَوْمٍ تَسْمَعُ الْقُرْآنَ. فِي الْفَجْرِ، الظُّهْرِ، الْعَصْرِ، الْمَغْرَبِ، الْعِشَاءِ. فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْبَيْتِ، فِي السَّيَارَةِ. هَذَا هُوَ "تَوْصِيلُ الْقَوْلِ".

تطبيقات عملية:

- قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، اسْتَخِضِرْ أَنَّ اللَّهَ يَصِلُ لَكَ الْقَوْلَ رَحْمَةً بِكَ.
- إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ آيَةٌ تَعْرِفُهَا، فَلَا تَمْرُ بِهَا مَرُورًا عَابِرًا. تَذَكَّرْ أَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ مِنْكَ التَّذَكُّرَ.
- اشْكُرِ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى نِعْمَةِ الْقُرْآنِ.

الدرس الثاني: لَا تَمَلْ مِنَ التَّكَرُّارِ فِي تَذَكُّيرِ نَفْسِكَ وَالْآخَرِينَ

قد تشعر بالملل من تكرار نفس الآيات، نفس المواعظ، نفس النصائح. الآية تعلمك أن التكرار هو سنة الله.

تطبيقات عملية:

- . كرر على نفسك الآيات التي تثبت قلبك، ولو ألف مرة.
- . لا تمل من تذكير أهلك وأولادك بنفس المعاني، فالتكرار يوصل.
- . استخدم وسائل متعددة لتوصيل القول: كتابة، صوت، فيديو، مناقشة.

الدرس الثالث: كن من "الذين يؤمنون به" قبل أن يسمعه

أهل الكتاب الصادقون آمنوا بالقرآن قبل أن يسمعه، لأنهم كانوا يجدونه مكتوباً عندهم. أنت أيضاً يمكنك أن تكون من الذين يستعدون للحق قبل أن يأتي.

تطبيقات عملية:

- . كن مستعداً لتقبل أي حق يتبين لك، ولو كان يخالف ما اعتدته.
- . ادرس الكتب السابقة (التوراة والإنجيل) كما هي اليوم، لترى كيف حرفت البشارات، ولتعرف أن الإسلام هو الحق.
- . اجعل قلبك خاضعاً لله دائماً، تقبل الحق أينما جاء.

الدرس الرابع: شهادات الآخرين تثبت يقينك

قد تمر بفترة شك أو حيرة. تذكر أن هناك من أهل الكتاب من شهدوا أن هذا القرآن حق من ربهم.

تطبيقات عملية:

- . اقرأ قصص الذين أسلموا من اليهود والنصارى، مثل قصة عبد الله بن سلام، وتميم الداري.
- . شاهد مقاطع فيديو لقساوسة وحاخامات اعتنقوا الإسلام، واسمع شهاداتهم.
- . لا تستهن بشهادة من يبحث عن الحق بصدق، حتى لو كان من دين آخر.

الدرس الخامس: التدرج في الالتزام

كما نزل القرآن مفرقاً، فالتزم أنت بالدين تدريجياً. لا تحاول أن تصبح ولياً في يوم وليلة.

تطبيقات عملية:

- . ابدأ بالفرائض، ثم أضف النوافل تدريجياً.
- . لا تقس على نفسك فوق طاقتها، فالدين يسر.
- . تقبل أنك قد تخطئ، ثم تتب، ثم تعاود المحاولة.

الدرس السادس: كن شاهداً على الحق كما شهد أولئك

أهل الكتاب الصادقين قالوا: "آمنا به، إنه الحق من ربنا". أنت أيضاً يجب أن تكون شاهداً على الحق.

تطبيقات عملية:

- . لا تتردد في قول "هذا حق" حتى لو خالفك الناس.
- . اشهد للقرآن بأنه من عند الله، بلسانك وفعلك وسلوكك.
- . كن داعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الدرس السابع: الإسلام ليس بدعة

إذا سمعت من يقول إن الإسلام دين جديد ابتدعه محمد، فتذكر هذه الآية: "إنا كنا من قبله مسلمين".

تطبيقات عملية:

- تعلم تاريخ الأنبياء، واعرف أن الإسلام هو دين الله منذ آدم.
- في حوارك مع غير المسلمين، قل لهم: الإسلام ليس ديناً جديداً، هو تجديد لدين إبراهيم وموسى وعيسى.
- اقرأ عن الحنيفية، دين إبراهيم، وكيف كان العرب الموحدون قبل الإسلام على دين إبراهيم.

الدرس الثامن: كيف نطبق "يتذكرون" في حياتنا

الغاية من توصيل القول هي التذكر. كيف نجعل القرآن يذكرنا؟

تطبيقات عملية:

- احفظ القرآن بخشوع، وليس فقط للحفظ. اجعل كل آية تخاطبك أنت شخصياً.
- اربط الآيات بواقعك: عندما تمر بموقف، تذكر آية تناسبه.
- اكتب تأملاتك اليومية من القرآن في مذكرة.
- ناقش مع أهلك معاني الآيات وكيف تطبق في حياتكم.

الدرس التاسع: التعامل مع أهل الكتاب اليوم

ليس كل أهل الكتاب اليوم على شاكلة الذين آمنوا بالقرآن. لكن الآية تعلمنا أن نبحت عن الصادقين.

تطبيقات عملية:

- لا تعمم الحكم على كل اليهود والنصارى. فيهم من يبحث عن الحق.
- كن لطيفاً في دعوتهم، واذكرهم ببشارات كتبهم بمحمد.
- إذا رأيت منهم موقفاً صادقا، فقدره واشكرهم عليه.

الدرس العاشر: التذكر هو ثمرة الوحي

القرآن كله نزل ليذكرك. ذكرك بالله، بالآخرة، بالجنة والنار، بالحساب.

تطبيقات عملية:

- اجعل لك ورداً يومياً من التذكر: تذكر نعمة الله، تذكر ذنبك، تذكر الموت.
- استخدم "منبهات التذكر": آية مكتوبة على حائطك، تذكير على هاتفك، صديق يذكرك.
- لا تكن ممن يسمعون القرآن ثم ينسونه. التذكر هو أن تعيش القرآن.
- ثامناً: أسئلة تثيرها الآيات في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. كم مرة مرت علي آية قرآنية فلم أتذكر؟ لماذا غفلت؟
 ٢. هل أشعر أن القرآن يخاطبني شخصياً؟ أم أتعامل معه ككتاب تاريخي؟
 ٣. لو كنت من أهل الكتاب الذين ينتظرون النبي، هل كنت سأؤمن بمحمد ﷺ فور سماعه؟
 ٤. هل أنا مستعد للإيمان بأي حق يتبين لي؟ أم أنا متعصب لما أنا عليه؟
 ٥. هل أشكر الله على نعمة القرآن كل يوم؟ وكيف يظهر شكري؟
 ٦. هل أستطيع أن أقول بصدق: "إننا كنا من قبله مسلمين" أي كنا خاضعين لله قبل أن نسمع التفاصيل؟
- الخلاصة النهائية

الآيات 51-53 من سورة القصص ليست مجرد إخبار عن نزول القرآن أو عن إيمان أهل الكتاب، بل هي:

- تذكر بنعمة التلاوة المتجددة التي تصل إلى قلبك كل يوم لعلك تتذكر.
- بشرى بوجود شهود من خارج الأمة يؤمنون بهذا القرآن ويشهدون أنه الحق من ربهم.
- دعوة إلى الاستعداد الدائم للحق بأن تكون من الذين كانوا مسلمين من قبل.
- منهج تربوي يعلمك التكرار والتدرج في الوصول إلى القلوب.

تذكر دائماً: أنت تعيش في بحر من النعم، وأعظمها نعمة القرآن. كل يوم يتلى عليك، كل يوم يذكر، كل يوم يناديك. فلا تغفل.

وإذا أحسست بالغربة في إيمانك، فتذكر أن هناك من سبقك من أهل الكتاب الصادقين آمنوا بما تؤمن به، وشهدوا أنه الحق من ربهم. فأنت لست وحدك.

وكن من الذين قالوا: "أما به، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين". أي: اجعل قلبك خاضعاً لله ، مستعداً لقبول الحق، مسلماً لله قبل أن يأتيك البيان، وبعد أن يأتيك.

فإن الله واصل لك القول رحمة بك، لعلك تتذكر. فتذكر. فالتذكر هو الطريق إلى النجاة

المبحث التاسع

تفسير الآيتين 54 و 55 من سورة القصص
المقدمة والسباق

تأمل معي هذا المشروع التربوي الإلهي العظيم. بعد أن بشرك الله بإيمان أهل الكتاب الصادقين الذين قالوا "أما به، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين"، يأتي الآن وصف دقيق لصفاتهم، وجزائهم العظيم، ومواقفهم النبيلة.

قال تعالى:

"وَأُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" (القصص: 54)

"وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ" (القصص: 55)

هاتان الآيتان هما آية الأجر المضاعف وآية الكرامة والسماحة. إنهما ترسمان لنا صورة المؤمن الكامل: الذي صبر على أذى المشركين وأهل الكتاب المعاندين، والذي يجعل من الحسنات درعاً ضد السيئات، و الذي ينفق مما رزقه الله، والذي إذا سمع الجهل واللغو أعرض بكرامة، وقال قولاً فيه سلام ووداع جميل.

إنهما تخاطبان فيك أعرق ما فيك: تدعوانك إلى الصبر الذي يضاعف الأجر، إلى العفو الذي يمحو السيئات، إلى الكرم الذي يزكي النفس، إلى العزة التي لا ترد الجهل بجهل مثله، بل بالحلم والسلام.

**الأفكار الرئيسية في الآيتين

الآية 54:

١. الإشارة إلى أولئك المؤمنين الموصوفين سابقاً: "أُولَئِكَ".

٢. الأجر المضاعف: "يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ".

٣. سبب المضاعفة: "بِمَا صَبَرُوا".

٤. دفع السيئة بالحسنة: "وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ".

٥. الإنفاق مما رزقهم الله: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ".

الآية 55:

١. موقفهم من اللغو: إذا سمعوه أعرضوا عنه.

٢. قولهم المفصل: "لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ".

٣. تحية السلام: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ".

٤. الإعلان عن عدم ابتغاء الجاهلين: "لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ".

أولاً: للمسات البيانية والبلاغية في الآية 54

1. "أُولَئِكَ" - اسم الإشارة للتعظيم والتمييز

تأمل هذه الافتتاحية: "أُولَئِكَ" للإشارة إلى البعيد. لماذا الإشارة إلى البعيد مع أنهم حاضرون في

السياق؟ لأن الله يريد أن يرفعهم ويميزهم. كأنهم في منزلة عالية بعيدة المنال، يُشار إليهم بإكبار وإجلال.

"أولئك" تشمل كل من اتصف بما سبق: الذين آمنوا بالكتب السابقة، ثم آمنوا بالقرآن، وقالوا "آمنّا به، إنه الحق من ربنا". إنهم نموذج المؤمن الكامل.

2. "يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ" - الأجر المضاعف

"يُؤْتُونَ" فعل مضارع مبني للمجهول، يدل على أن الله هو المؤتي، وأنهم يتلقون الأجر من عنده بلا وساطة. والمضارع يفيد الاستمرار والتجدد: كلما صبروا، يؤتون أجرهم.

"أَجْرَهُمْ" أضيف الأجر إليهم، أي الأجر المستحق لهم بعدل الله وكرمه.

"مَرَّتَيْنِ" تنية، أي أجرين: أجر على إيمانهم بالكتاب الأول (التوراة أو الإنجيل)، وأجر على إيمانهم بالقرآن. وقيل: أجر على صبرهم على أذى المشركين، وأجر على هجرتهم وجهادهم. وقيل: أجر على دفع السيئة بالحسنة، وأجر على الإنفاق.

3. "بِمَا صَبَرُوا" - سبب المضاعفة

"بِمَا" أي بسبب صبرهم. "صَبَرُوا" فعل ماضٍ، لكنه يدل على استمرار الصبر في الماضي والحاضر والمستقبل.

ما هو صبرهم؟

. صبرهم على دينهم الأول: حين كانوا على اليهودية أو النصرانية، صبروا على أذى قومهم الذين انحرفوا.

. صبرهم على اتباع محمد ﷺ: حين آمنوا به، واجهوا أذى المشركين وأهل الكتاب المعاندين.

. صبرهم على الطاعات وعن المعاصي: صبرهم على أداء الحقوق وترك المحرمات.

. صبرهم على أذى الناس: حين كانوا يدرؤون السيئة بالحسنة.

4. "وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ" - دفع الشر بالخير

"يَذَرُونَ" من الدرع، وهو الدفع بقوة. إنهم ليسوا سلبيين، بل يدفعون السيئة بنشاط وفعالية.

"بِالْحَسَنَةِ" ما هي الحسنة التي يدرؤون بها السيئة؟

. الحسنة: العفو، الصفح، الكلمة الطيبة، الدعاء للظالم، الإحسان إلى المسيء.

. السيئة: الإساءة، الأذى، القول السيئ، الفعل القبيح.

هذه الصفة هي قمة الأخلاق الإسلامية. المؤمن لا يقابل السيئة بمثلاً، بل يدفعها بالحسنة. قال تعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (فصلت: 34).

5. "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" - الإنفاق من الرزق

تقديم الجار والمجرور "مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ" على الفعل "يُنْفِقُونَ" يفيد الحصر والاهتمام. أي: من ذلك الرزق الذي أعطيناكم إياه، وليس من مال غيرهم، ينفقون.

"رَزَقْنَاهُمْ" إضافة الرزق إلى الله تذكير بأن المال ليس ملكاً لهم حقيقة، بل هو عطاء من الله. فإذا أنفقوا، إنما يردون فضل الله على خلقه.

"يُنْفِقُونَ" فعل مضارع يدل على الاستمرار، فهم ينفقون في السراء والضراء، في العسر واليسر، على الفقراء والمساكين، وفي وجوه الخير كلها.

ثانياً: اللغات البيانية والبلاغية في الآية 55

1. "وَإِذَا سَمِعُوا اللَّقْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ" - الإعراض بكرامة

"إِذَا" الشرطية تفيد أن هذا الأمر واقع ومتكرر. كلما سمعوا لغوا، كان ردهم واحداً.

"اللغو" هو الكلام الساقط، الباطل، الفاحش، السخيف، ما لا خير فيه. يشمل السب، الشتم، السخرية، الأغاني الماجنة، الكذب، الغيبة، النميمة، الجدل العقيم.

"أَعْرَضُوا عَنْهُ" إعراض تام. لم يردوا عليه، لم يجادلوا فيه، لم ينشغلوا به. أعرضوا بجوارحهم وقلوبهم. هذا الإعراض ليس ضعفاً، بل هو قوة وعزة.

2. "وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ" - قاعدة التعامل مع المخالف

هذه الجملة تحمل في طياتها منهجاً كاملاً في التعامل مع من يخالفك في الدين أو الفكر:

. لنا أعمالنا: نحن مسؤولون عن أعمالنا، لا عن أعمالكم.

. لكم أعمالكم: أنتم مسؤولون عن أعمالكم، لا عنا.

إنها تعبير عن التسامح العميق، وعدم فرض الرأي، وترك الجزاء لله. وليست دعوة إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هي في موقف الإعراض عن اللغو والجهل.

3. "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ" - تحية الوداع بلا عداوة

هذه الكلمة تحمل معاني عظيمة:

. السلام تحية الإسلام: تحية أهل الجنة.

. السلام بمعنى السلامة: أي نحن في سلام منكم، وأنتم في سلام منا.

. السلام بمعنى التحية والوداع: كأنهم يقولون: نترككم بسلام، لا نريد لكم سوءاً.

. السلام بمعنى الاستغناء: أي لا حاجة لنا بكم، ولا بجدالكم.

هي قمة الأدب في الاختلاف. لم يسبوهم، لم يشتموهم، لم يدعوا عليهم. بل قالوا: سلام عليكم.

4. "لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ" - الإعلان النهائي

"تَبْتَغِي" نطلب ونريد. "الجاهلين" هم الذين يتصفون بالجهل، سواء كان جهلاً بالله، أو جهلاً بالحق، أو جهلاً بأصول الأدب.

"لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ" أي: لا نطلب صحبتهم، لا نريد مجالستهم، لا نرغب في جدالهم، لا نبتغي طريقهم. نحن نبتغي العلماء والحكماء وأهل الحلم، أما الجاهلون فلا نطلبهم.

هذه الجملة فيها عزة وكرامة. المؤمن لا ينزل إلى مستوى الجاهلين، ولا يضيع وقته معهم. ثالثاً: دلالات الآيتين ورسائلهما العميقة

1. الأجر المضاعف: سنة الله مع من آمن بالرسول جميعاً

من آمن بموسى ثم آمن بمحمد، أو آمن بعبسى ثم آمن بمحمد، أو آمن بجميع الرسل، فإن له أجرين: أجر إيمانه بالأول، وأجر إيمانه بالثاني. وهذا يدل على أن الإيمان الصحيح لا يتجزأ، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، فليس بمؤمن حقيقي.

الرسالة: إيمانك بمحمد ﷺ لا يلغي إيمانك بموسى وعيسى، بل يكمله. واحترامك للكتب السابقة هو جزء من إيمانك.

2. الصبر هو مفتاح الأجر المضاعف

لم يقل "بما آمنوا" فقط، بل "بما صبروا". فالإيمان وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى صبر على مشاقه. الصبر على الأذى، الصبر على الهجرة، الصبر على الالتزام، الصبر على دفع السيئة بالحسنة.

الرسالة: لا تنتظر الأجر الجزيل بلا ثمن. الطريق إلى الجنة مفروش بالصبر. كلما زاد صبرك، زاد أجرك.

3. دفع السيئة بالحسنة: أعلى مراتب الأخلاق

هذه الصفة تجعل المؤمنين قدوة في المجتمع. بدل أن تنتشر العداوة والبغضاء، يزرع المؤمن المحبة و العفو. قد يظن البعض أن هذا ضعف، لكنه في الحقيقة قوة عظيمة، لأنها تحتاج إلى جهاد للنفس.

الرسالة: عندما يسيء إليك شخص، جرب أن ترد بإحسان. قد تحول عدوك إلى صديق. هذا هو الطريق المحمدي.

4. الإنفاق شكر للرزق.

الإنفاق ليس تبرعاً من فضلك، بل هو رد لفضل الله. الله رزقك، وأنت تنفق مما رزقك شكرًا له. والإنفاق يزيك النفس، ويطهر المال، ويعين المحتاجين.

الرسالة: لا تبخل بما رزقك الله. فالبخل يمرض النفس ويجفف الروح. والإنفاق يوسع الصدر ويبارك المال.

5. الإعراض عن اللغو: استثمار للعمر.

عمر الإنسان محدود. كل دقيقة تقضيها في سماع اللغو، أو الرد على الجاهلين، أو الانشغال بالتافه، هي دقيقة ضائعة لا تعود.

الرسالة: كن حريصاً على وقتك. لا تسمع اللغو، وإذا سمعته فأعرض عنه. وقتك أثمن من أن تضيعه في ما لا ينفذ.

6. "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم": منهج التعايش

هذه القاعدة القرآنية هي أساس التعايش السلمي مع المخالفين. لا نكرهم على ديننا، ولا نعتدي عليهم، ولا نشتم معتقداتهم. بل لكل دينه، ولكل عمله، والجزاء عند الله.

الرسالة: في مجتمع متعدد الأديان والثقافات، التزم بهذا الأدب: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين. هذا هو الإسلام. رابعاً: كيف تخاطب هاتان الآيتان وجدانك؟

الرسالة الأولى: صبرك ليس عبثاً

قد تمر بضيق، وتشعر أن صبرك على أذى الناس، أو على مشاق الالتزام، أو على انتظار الفرج، يذهب هباءً. هذه الآية تهمس في أذنك: لا، صبرك له أجر، بل أجرين. كل لحظة صبر تسجل لك، وكل ألم تحتسبه، يتحول إلى نور يوم القيامة.

الرسالة الثانية: قوة العفو

قد تشعر أحياناً أن الرد على الإساءة يمثلها هو القوة، وأن العفو ضعف. الآية تصحح هذا المفهوم: القوة الحقيقية هي أن تدفع السيئة بالحسنة. هذا ما يحتاج إلى جهاد، وهذا ما يرفع درجاتك.

الرسالة الثالثة: أنت غني بالإنفاق

قد تشعر بالفقر، أو تخاف الفقر إذا أنفقت. الآية تذكرك: الله هو الرزاق. وما أنفقته سيعوضه الله. والإنفاق ليس فقط بالمال، بل بالكلمة الطيبة، والابتسامة، والعون.

الرسالة الرابعة: لا تنزل إلى مستوى الجاهلين

عندما يسبك جاهل، أو يستهزئ بك، أو يثير الغبار، قد تشعر برغبة في الرد بنفس الأسلوب. الآية ترفعك فوق هذا: أعرض، وقل سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين. أنت أكبر من أن تنزل إلى مستواهم. خامساً: الأبعاد المختلفة للآيتين

البعد الإيماني

1. الإيمان بأن الأجر على قدر الصبر: كلما زاد صبرك، زاد أجرك. لا تضيع صبرك.

٢. الإيمان بأن الحسنة تمحو السيئة: هذه سنة إلهية. فالعفو يمحو أثر الإساءة، والصدقة تطفئ الخطيئة.

٣. الإيمان بأن الرزق من الله: فإذا أنفقت، فأنت ترد الأمانة إلى صاحبها.

البعد النفسي

١. الصبر يعزز الصحة النفسية: الصبر يقلل التوتر والقلق، ويزيد من المرونة النفسية.

٢. دفع السيئة بالحسنة يحرر النفس: عندما تغفو، تتحرر من أسر الغضب والانتقام. العفو راحة للنفس.

٣. الإعراض عن اللغو يحمي العقل: الابتعاد عن الجدالات العقيمة والكلام الباطل يحمي الصحة النفسية.

٤. "سلام عليكم" تمنح الطمأنينة: تحية السلام تطمئن النفس وتقلل العداوة.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء الصبر: درب أبنائك على الصبر على الأذى، وعدم الانفعال.

٢. تعليمهم العفو: علمهم أن العفو أقوى من الانتقام، وأن الحسنة تدفع السيئة.

٣. تعليمهم الإنفاق: دربهم على العطاء منذ الصغر، ولو بقليل.

٤. تعليمهم الإعراض عن اللغو: علمهم ألا ينشغلوا بالكلام الباطل، وألا يردوا على الجاهلين.

البعد الاجتماعي

١. أبناء مجتمع متسامح: تطبيق "يدرؤون بالحسنة السيئة" يخلق مجتمعاً يسوده العفو لا الانتقام.

٢. التعايش السلمي: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم" هو أساس التعايش مع المخالفين.

٣. رفع مستوى الحوار: الإعراض عن اللغو يرفع مستوى الحوار إلى الأدب والموضوعية.

البعد الثقافي

١. مقاومة ثقافة الانتقام: بعض الثقافات تشجع على الثأر والانتقام. الآية تقدم ثقافة العفو.

٢. ثقافة الإنفاق: الإسلام يبني ثقافة العطاء لا الاكتناز.

٣. ثقافة احترام الوقت: الإعراض عن اللغو يعزز ثقافة استثمار الوقت.

البعد السياسي

١. سياسة التسامح مع المخالفين: "سلام عليكم" يمكن أن تكون أساساً لعلاقات دولية سلمية.

٢. عدم التدخل في شؤون الآخرين: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم" تعني عدم فرض الرأي أو الدين على الآخرين.

٣. قيادة بالقُدوة: القائد الذي يدفع السيئة بالحسنة يكسب احترام حتى أعدائه.
سادساً: الدروس المستفادة من الآيتين في حياتنا العملية

الدرس الأول: كيف تضاعف أجرك؟

تريد أجراً مضاعفاً؟ صبرك هو المفتاح. صبر على الطاعة، صبر عن المعصية، صبر على أذى الخلق.

تطبيقات عملية:

- عندما يؤذيك شخص، اصبر واحتسب الأجر. قل: "هذا يصبرني، وأرجو الأجر المضاعف".
- عندما تشعر بالكسل عن العبادة، ذكر نفسك أن صبرك على الطاعة يضاعف الأجر.
- عندما تدعو إلى الله وتواجه السخرية، فاصبر، فصبرك يكتب لك أجرين.

الدرس الثاني: تطبيق "يدرؤون بالحسنة السيئة" في حياتك

كيف تدفع السيئة بالحسنة عملياً؟

تطبيقات عملية:

- إذا شتمك أحد: ادعُ له بالهداية، أو قل كلمة طيبة. جرب: "الله يغفر لك"، "أسأل الله أن يهديك".
- إذا ظلمك أحد: سامحه، ولا تنتقم. العفو يطفئ نار الظلم.
- إذا أخطأ في حقك زميل: اصنع له معروفاً. ربما يتحول إلى صديق.
- إذا سمعت كلمة جارحة: رد بكلمة جميلة. قال تعالى: "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا".

الدرس الثالث: الإنفاق حتى في الضيق

الإنفاق ليس مقصوراً على الأغنياء. كل يستطيع أن ينفق بحسب قدرته.

تطبيقات عملية:

- إنفاق المال: ولو بالقليل. تصدق بجنيته، بدرهم، بما تستطيع.
- إنفاق الجهد: ساعد محتاجاً، تطوع في عمل خيري.
- إنفاق العلم: علم شخصاً شيئاً نافعاً.
- إنفاق الكلمة الطيبة: ابتسامة، دعاء، نصيحة، كلمة تشجيع.
- إنفاق الوقت: اقض وقتاً مع مريض، أو يتيم، أو محتاج للرعاية.

الدرس الرابع: كيف تتعامل مع اللغو في عصر السوشيال ميديا؟

وسائل التواصل الاجتماعي مليئة باللغو: شتائم، جدالات عقيمة، أخبار كاذبة، فيديوهات تافهة.

تطبيقات عملية:

- إذا مررت بمنشور مسيء: لا تعلق، لا تشارك، لا تغضب. أعرض عنه ببساطة.
- إذا دخلت في نقاش عقيم: اخرج منه بأدب. قل: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم".
- إذا رأيت جاهلاً يثير الفتنة: لا تنزل إلى مستواه. لا ترد الجهل بجهل.
- استخدم خاصية "إخفاء" أو "كتم": للمحتوى الهابط، ولا تضيع وقتك فيه.
- خصص وقتاً للقراءة الجادة بدلاً من التصفح العشوائي.

الدرس الخامس: قول "سلام عليكم" في الخلافات

عندما تختلف مع شخص، كيف تنهي الخلاف؟

تطبيقات عملية:

- في النقاشات العائلية: إذا وصل النقاش إلى حائط مسدود، قل: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم، لا نريد الجدل".
- في الخلافات العملية: أنه النقاش بتحية ودية، واترك الباقي لله.
- على وسائل التواصل: إذا شعرت أن النقاش لن يفيد، اكتب: "سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين"، ثم اخرج.
- لا تترك الخلاف بغضب: بل بسلام، حتى لا تبقى العداوة في القلوب.

الدرس السادس: الصبر على الابتلاءات الكبرى

قد يتليك الله بمرض، أو فقدان عزيز، أو مشكلة مالية. هذا هو الصبر العظيم.

تطبيقات عملية:

- . عند المصيبة: قل "إنا لله وإنا إليه راجعون"، واحتسب الأجر. تذكر أن هذا الصبر يضاعف أجرك.
- . لا تتسخط: التسخط يضيع الأجر. الرضا يكتب لك الصبر.
- . استشر أهل العلم والثقة، ولا تنعزل.
- . تذكر أن الصبر من شيم المؤمنين، وأن الجزاء على قدر البلاء.

الدرس السابع: كيف تصبر على أذى الناس؟

أذى الناس أنواع: كلمة جارحة، تصرف مؤلم، ظلم، إهمال.

تطبيقات عملية:

- . لا تأخذ كل شيء على محمل شخصي: ربما الآخر مريض نفسياً، أو يمر بضائقة.
- . لا تنتقم: الانتقام يزيد الشر. العفو يطفئه.
- . ادع للمسيء: "اللهم اهده، اللهم اغفر له". هذا أرقى درجات دفع السيئة بالحسنة.
- . تذكر أن الله سيعوضك: كل ظلم تتعرض له، له عند الله عوض.

الدرس الثامن: الإنفاق وعلاقته بالصبر

الصبر والإنفاق مرتبطان. الصبر على البخل يؤدي إلى الإنفاق، والإنفاق يحتاج إلى صبر على الشح.

تطبيقات عملية:

- . تدرب على الإنفاق ولو بالقليل: حتى يعتاد قلبك على العطاء.
- . لا تؤجل الصدقة: إذا خطر ببالك أن تتصدق، فافعل فوراً قبل أن يثبطك الشيطان.
- . اختر وجوهاً محبة للإنفاق: أقارب محتاجون، جيران، طلاب علم، مساجد، مستشفيات.

الدرس التاسع: "لا نبتغي الجاهلين" في اختيار الأصدقاء

أصدقاؤك يؤثرون فيك. الآية تعلمك ألا تبتغي الجاهلين.

تطبيقات عملية:

- . اختر أصدقاءً بعناية: ابحث عن من يعينك على الخير، ويرفع مستواك الفكري والديني.
- . لا تصاحب الجاهلين: ليس معنى ذلك أن تقطعهم، لكن لا تجعلهم بطانتك وأصحاب شرك.
- . إذا أصر صديق على الجهل واللغو: ابتعد عنه بأدب، وقل له: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم".
- . كن أنت قدوة في الحلم والعلم، حتى ينجذب إليك الطيبون.

الدرس العاشر: تطبيقات عملية في الأسرة

الأسرة هي أول مكان تطبق فيه هذه الآيات.

تطبيقات عملية:

- . الصبر على أخطاء الزوج/الزوجة: لا تغضب بسرعة، وتذكر أن صبرك يضاعف أجرك.
- . دفع السيئة بالحسنة مع الأبناء: عندما يخطئ ابنك، لا تشتمه، بل عامله بحسن، ووجهه بلطف.
- . الإنفاق على الأسرة: هو من أعظم وجوه الإنفاق. أنفق على زوجتك وأولادك ووالديك.
- . الإعراض عن اللغو في المنزل: لا تشغل وقت الأسرة بالثرثرة التافهة أو الجدالات العقيمة.
- . إنهاء الخلافات بسلام: إذا نشب خلاف بين أفراد الأسرة، تدخل وأنهيه بقول: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم".
- . سابعاً: أسئلة تثيرها الآيتان في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. كم مرة صبرت على أذى فاحتسبت الأجر؟ أم أنني أنفعل بسرعة؟
 ٢. عندما يسيء إلي شخص، هل أرد الإساءة بمثلها، أم أحاول دفعها بالحسنة؟
 ٣. هل أنفق مما رزقني الله؟ أم أنا مسرف على نفسي، أو بخيل؟
 ٤. كم من وقتي أضيعه في سماع اللغو؟ في وسائل التواصل، في المجالس، في التلفاز؟
 ٥. عندما أختلف مع شخص، هل أستطيع أن أقول بصدق "سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين"؟
 ٦. هل أختار أصدقائي بعناية، أم أجالس أي أحد؟
 ٧. لو كنت من أهل الكتاب الذين آمنوا بموسى ثم بمحمد، هل كنت سأصبر على أذى قومي؟
- الخلاصة النهائية
- الآيتان 54 و 55 من سورة القصص ليستا مجرد وصف لفئة مؤمنة من أهل الكتاب، بل هما:

- منهج حياة متكامل يجمع بين الصبر، والعفو، والإنفاق، والكرامة، والحلم.
- دستور أخلاقي يرفع المؤمن إلى أعلى درجات الإنسانية.
- وصفة للسعادة في الدنيا والآخرة: الصبر يضاعف الأجر، والعفو يريح النفس، والإنفاق يبارك المال، وإعراض عن اللغو يحمي الوقت، والسلام يبني العلاقات.
- نموذج للتعايش مع المخالفين بكرامة دون تنازل عن المبادئ.

تذكر دائماً: أنت مدعو لأن تكون من "أولئك" الذين يؤتون أجرهم مرتين. المفتاح: صبرك. صبرك على الطاعة، صبرك عن المعصية، صبرك على أذى الخلق. كلما زاد صبرك، زاد أجرك.

وعندما تسيء إليك الحياة، تذكر: ادفع بالتي هي أحسن. الحسنة تمحو السيئة. العفو أقوى من الانتقام.

وعندما يضيق بك الوقت، تذكر: أعرض عن اللغو. وقتك أثمن من أن تضعه في جدال عقيم أو كلام باطل.

وعندما تخشى الفقر، تذكر: أنفق مما رزقك الله. فالله هو الرزاق، وهو سيخلف عليك.

وعندما تختلف مع أحد، تذكر: "لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين". بهذا تelo و لا تنزل، تربح ولا تخسر.

فكن من أولئك الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الذين صبروا فكان لهم الأجر المضاعف ، الذين درؤوا السيئة بالحسنة فكانوا من المحسنين، الذين أنفقوا فكانوا من المفlichen، الذين أعرضوا عن اللغو فكانوا من عباد الرحمن.

تلك منزلة عالية، فاسع إليها.

المبحث العاشر

تفسير الآية 56 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الإنساني الموجه. النبي ﷺ كان يحب أن يهدي قومه، وكان حريصاً عليهم أشد الحرص. كان يبذل الجهد، وينزل القرآن، ويصبر على الأذى، ويدعو بالليل والنهار، كل ذلك من أجل أن يخرجهم من الظلمات إلى النور. لكن الله نزل بهذه الآية ليرده إلى حقيقة كونية عظيمة.

قال تعالى: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (القصص: 56)

هذه الآية هي آية تحرير القلب من أوهام التحكم في الآخرين. إنها تخاطب أعظم الخلق حباً لأمتهم، وأكثرهم حرصاً على هدايتهم، لتقول له: الهداية بيدي أنا وحدي، لا بيدك أنت ولا بيد أحد. أنت رسول، مهمتك البلاغ، أما الهداية فلي وحدي.

نزلت هذه الآية في قصة عم النبي ﷺ أبي طالب، الذي كان يحبه النبي حبا شديداً، وكان ينصره ويحميه، لكنه مات على شركه. فأنزل الله هذه الآية تثبيتاً للنبي ﷺ، وتذكيراً له بأن الهداية من عند الله وحده.

هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. قد تحب شخصاً، وتتمنى له الهداية، وتبذل الأسباب، ثم لا ترى ثمرة. قد تشعر بالإحباط، أو بالتقصير، أو بالحزن. هذه الآية تأتي لترفع عنك هذا الحمل: أنت لست مالكا للقلوب، ولست هادياً لها، أنت فقط مبلغ وموصل، والله يهدي من يشاء.

****الأفكار الرئيسية في الآية**

١. انفي قدرة النبي ﷺ على الهداية: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ".
 ٢. إثبات أن الهداية بيد الله وحده: "وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ".
 ٣. علم الله المطلق بمن يستحق الهداية: "وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ".
- **أولاً: المسامات البيانية والبلاغية في الآية**

1. "إِنَّكَ" - التوكيد بالخطاب المباشر

تأمل هذه الافتتاحية: "إِنَّكَ" حرف توكيد ونصب، والكاف خطاب للنبي ﷺ. هذا التوكيد يفيد أن ما سيأتي حقيقة لا تقبل الجدل، وأنها موجهة إلى أعظم البشر على الإطلاق.

إنها رسالة مباشرة من الله إلى نبيه: أنت يا محمد، مع كل حبك، مع كل جهدك، مع كل حرصك - لا تستطيع أن تهدي من أحببت.

2. "لَا تَهْدِي" - الفعل المضارع الدال على الاستمرار والنفي العام

"تهدي" فعل مضارع يفيد الاستمرار والحال. و "لَا" نافية. أي: ليس من شأنك، ولا من قدرتك، أن تهدي أحداً.

النفي هنا عام: لا تهدي أي شخص، حتى من أحببته. الهداية التي يقصدها الله هنا هي هداية التوفيق والإلهام، أي جعل الإيمان يدخل القلب. أما هداية الدلالة والبيان، فهي من وظيفة النبي، وقد قام بها.

3. "مَنْ أَحْبَبْتَ" - الحب الإنساني في أعلى صورته

"أَحْبَبْتَ" فعل ماضٍ، لكنه يدل على حب مستمر وعميق. النبي ﷺ كان يحب قومه، وكان يحب عمه أبا طالب حبا خاصاً، لأنه رباه ونصره وآواه.

الله يقرّ بنبيه أنه يحب، وهذا الحب ليس عيباً. لكنه يعلمه أن حبه لا يكفي لهداية من يحب. الهداية تحتاج إلى مشيئة الله.

4. "وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" - الاستدراك الأعظم

"وَلَكِنْ" أداة استدراك، تفيد أن الأمر ليس كما يظن النبي أو كما يتمنى، بل الأمر مختلف تماماً.

"اللَّهُ يَهْدِي" - الفاعل هو الله وحده، ليس النبي، ولا الملائكة، ولا الأولياء، ولا الآباء. الهداية الحقيقية بيد الله.

"مَنْ يَشَاءُ" - المشيئة الإلهية هي الفاعلة. لا أحد يستحق الهداية بذاته، بل الله يهدي من يشاء بمشيئته وحكمته.

5. "وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" - الختم بعلم الله المطلق

"هُوَ" ضمير فصل يفيد الحصر، أي: الله وحده هو الأعلم.

"أَعْلَمُ" اسم تفضيل، أي: لا أحد يعلم من يستحق الهداية مثل الله.

"بِالْمُهْتَدِينَ" من اهتدى، أي الذين كتب لهم الهداية. الله يعلم من هم أهل للهداية بفطرتهم

واستعدادهم، ومن هم ليسوا أهلاً .

هذه الجملة تريح قلب النبي والمؤمن: لا تحزن على من لم يهتد، فالله أعلم بحالهم، وهو لم يهدهم لحكمة يعلمها.

****ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة**

1. الفرق بين هداية الدلالة وهداية التوفيق

هذه الآية تؤسس لفرق عظيم:

. هداية الدلالة والبيان: هي وظيفة الرسل. أن تبيّن الطريق، وتوضح الحق، وتدعو إليه. هذه هداية قام بها النبي ﷺ على أكمل وجه.
. هداية التوفيق والإلهام: هي إدخال الإيمان إلى القلب، وجعل الإنسان يختار الحق ويلتزم به. هذه بيد الله وحده.

الرسالة: أنت مسؤول عن الأولى، وليس مسؤولاً عن الثانية. بلغ، وادع، وبيّن، واترك النتائج لله.

2. حرص النبي ﷺ على هداية قومه

الآية تشهد للنبي ﷺ بحبه العظيم لأمته. لقد كان قلبه يعتصر حزناً على من يموت على الكفر. قال تعالى: "لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (الشعراء: 3). أي: لعلك قاتل نفسك حزناً ألا يكونوا مؤمنين.

الرسالة: هذا هو شأن الأنبياء والصادقين. يحبون الخير للناس، ويتألمون لضلالهم. لكن لا ينبغي أن يصل الحزن إلى حد اليأس أو تدمير الذات.

3. الهداية بيد الله: تحرير من الوهم

كثير من الناس يظنون أنهم قادرون على هداية من يحبون بقوتهم أو بذكائهم أو بوسائلهم. هذه الآية تحررك من هذا الوهم. أنت لست إلهاً، ولست مالِكاً للقلوب.

الرسالة: لا تحمل نفسك فوق طاقتها. لا تشعر بالذنب إذا لم يهتد من تحب. أنت فعلت ما عليك، و الباقي على الله.

4. مشيئة الله وحكمته: السر وراء الهداية والضلال

الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء. وهذا ليس ظلماً، بل هو عدل وحكمة. الله يعلم من يستحق الهداية باختياره واستعداده، ومن يصر على الكفر والظلم.

الرسالة: لا تسأل لماذا هدى الله فلاناً ولم يهد فلاناً. فالله أعلم بالمهتدين. قد يكون في تأخير هداية شخص حكمة لا تعلمها.

****ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟**

الرسالة الأولى: أنت لست مسؤولاً عن هداية أحد

قد تشعر بالحزن الشديد عندما ترى أحد أحبائك بعيداً عن الله، أو تاركاً للصلاة، أو منغمساً في المعاصي. تبذل جهداً في نصحه، وتدعو له، ثم لا ترى تغييراً. تحزن، وتشعر بالإحباط، وتظن أنك مقصر.

هذه الآية تهمس في أذنك: أنت لست مسؤولاً عن هدايته. أنت مسؤول فقط عن البلاغ والنصح. الهداية بيد الله. لا تحمل نفسك ما لا تطيق.

الرسالة الثانية: حبك لا يكفي

قد تحب شخصاً حباً شديداً، وتتمنى له الخير، وتخاف عليه من النار. لكن الحب وحده لا يهدي. الله هو الذي يهدي. فلا تظن أن قوة حبك قادرة على تغيير قلبه.

الرسالة الثالثة: لا تياس من هداية أحد

قد يئس النبي ﷺ من هداية عمه أبي طالب بعد أن نزلت هذه الآية؟ لا، لم يياس، بل استمر في الدعوة، وترك النتيجة لله. أنت أيضاً لا تياس من رحمة الله. ربما يهدي الله من تحب في لحظة لا تتوقعها. لكن لا ترتبط نتيجتك بحصول الهداية.

الرسالة الرابعة: الله أعلم بالمهتدين

قد ترى شخصاً عاصياً فاسقاً، فتظن أنه لا يستحق الهداية. وقد ترى شخصاً متديناً، فتظن أنه من أهل الجنة. الآية ترد: الله أعلم بالمهتدين. قد يكون العاصي صادقاً في قلبه، وقد يكون المتدين مرأباً. لا تحكم على أحد.
***رابعة: الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيماني

١. الإيمان بأن الهداية بيد الله: هذه حقيقة يجب أن ترسخ في القلب. لا أحد يملك هداية نفسه ولا هداية غيره.

٢. الإيمان بمشيئة الله: كل شيء بمشيئته. الهداية والضلال بمشيئته، لكنها ليست ظلاماً، بل بعدله وحكمته.

٣. الإيمان بعلم الله المطلق: الله أعلم بمن يستحق الهداية، فلا تعترض على حكمه.

البعد النفسي

١. التحرر من الشعور بالذنب: كثير من الآباء والأمهات يشعرون بالذنب إذا ضل أبنائهم. هذه الآية تريحهم: أنتم لستم مسؤولين عن هدايتهم، بل عن تربيتهم ونصحهم.

٢. تخفيف الحزن على الضالين: قد يغلب الحزن قلب المؤمن عندما يرى أحبابه على ضلال. الآية تذكر أن تحزن لكن لا تياس، وأن تترك الأمر لله.

٣. التوكل على الله: بعد أن تبذل الأسباب، توكل على الله، ولا تعلق قلبك بالنتائج.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء أن الهداية من الله: لا تجعل أبنائك يظنون أنهم يهدون أنفسهم، أو أنك أنت تهديهم. بل علمهم أن الهداية توفيق من الله.

٢. عدم إلقاء اللوم على النفس: إذا ضل ابن أو قريب، لا تلوم نفسك كثيراً، ولا تلوم الآخرين. تذكر أن الهداية بيد الله.

٣. الاستمرار في النصح مع ترك النتيجة: لا تمل من نصح من تحب، لكن لا تشترط نجاح نصحك.

البعد الاجتماعي

١. تقبل الآخرين مهما كانت معتقداتهم: ليس من حقل أن تجبر أحداً على الهداية. أنت مسؤول عن البلاغ، والله يهدي من يشاء.

٢. عدم مقاطعة الضالين: لا تقطع صلة الرحم بمن ضل، بل استمر في نصحهم بالحسنى، واترك الهداية لله.

٣. بناء مجتمع متسامح: عندما يدرك الناس أن الهداية بيد الله، يقل الإكراه والتعصب، ويزداد التسامح.

البعد السياسي (في سياق الدعوة)

١. عدم استخدام القوة في الدين: "لا إكراه في الدين" (البقرة: 256) الهداية بالقلوب، لا بالسيوف.

٢. حرية الاعتقاد: لكل إنسان أن يؤمن بما يشاء، والجزاء عند الله.

٣. الدولة لا تفرض الإيمان: وظيفة الدولة توفير الأمن والعدل، وليس إجبار الناس على الهداية.
***خامساً: الدروس المستفادة من الآيات في حياتنا العملية

الدرس الأول: أنت لست هادياً، أنت مبلغ

أعد تعريف دورك في حياة من تحب. أنت لست الله، ولا مالك القلوب. دورك أن تبلغ الخير، وأن تنصح، وأن تدعو، ثم تترك النتيجة لله.

تطبيقات عملية:

- . مع أولادك: لا تقل "أنا سأجعلهم صالحين". بل قل "أنا سأربي وأعلم وأدعو، والله يهدي من يشاء".
- . مع زوجك/زوجتك: لا تتحمل مسؤولية إيمان الطرف الآخر كاملة. أنت تذكر وتنصح، والله يهدي.
- . مع أصدقائك: لا تشعر بالإحباط إذا لم يستجيبوا لدعوتك. أنت أديت الواجب.
- . في الدعوة إلى الله: لا تطلب نتائج سريعة. بلغ وادع، واترك الهداية لله.

الدرس الثاني: كيف تتعامل مع حزنك على ضال؟

قد تحب شخصاً ضالاً، ويتملكك الحزن عليه. كيف تتعامل مع هذا الحزن؟

تطبيقات عملية:

- . لا تدع الحزن يسيطر عليك: تذكر أن الهداية بيد الله. احزن بقدر، لكن لا تيأس.
- . حول حزنك إلى دعاء: ادع للضال بالهداية. الدعاء من أقوى الأسباب.
- . استمر في النصح بلطف: لا تمل، لكن لا تكن مزعجاً.
- . تذكر قصة أبي طالب: النبي ﷺ أحب عمه حباً شديداً، لكنه لم يهده الله. هذا لا ينقص من قدر النبي، ولا من حبه.
- . لا تلوم نفسك: أنت فعلت ما عليك، والباقي على الله.

الدرس الثالث: الهداية مراحل: البلاغ، ثم التوفيق

قد تظن أن الهداية تحدث دفعة واحدة. لكنها تمر بمراحل:

1. بلاغ: أن تصل المعلومة إلى الشخص.

2. فهم: أن يفهمها عقله.

3. قبول: أن يقبلها قلبه.

4. استقامة: أن يعمل بها.

أنت مسؤول عن الأولى فقط. الباقي من الله.

تطبيقات عملية:

- . لا تقل "شرحت له الدين عشر مرات ولم يؤمن". أنت مسؤول عن الشرح، وليس عن الإيمان.
- . لا تظن أن ضلال شخص يعني فشلك. ربما يكون قد فهم لكن قلبه لم يقبل بعد.
- . استمر في البلاغ بأساليب متنوعة، واترك الباقي لله.

الدرس الرابع: كيف تتعامل مع "من أحببت" الذين لم يهتدوا؟

قد يكون أقرب الناس إليك، والدك، والدتك، أخوك، زوجتك، ولدك، لا يزالون على ضلال.

تطبيقات عملية:

- . لا تقطع علاقتك بهم: البر وصلة الرحم واجبة حتى مع الضال.

- كن قدوة حسنة: ربما يهتدون بسلوكك قبل كلامك.
- ادعُ لهم في ظهر الغيب: دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجابة.
- لا تيأس من رحمة الله: قد يهديهم الله في آخر لحظة. عمر بن الخطاب أسلم في السنة السادسة من البعثة، وكان من أشد أعداء الإسلام.
- تذكر أن الله أعلم بهم: قد يكون فيهم خير لا تراه، وقد يهديهم الله بعد موتك.

الدرس الخامس: لا تحكم على أحد بأنه من أهل النار

هذه الآية تعلمك ألا تجزم على أحد بالضلال أو الهداية. فالله أعلم بالمهتدين.

تطبيقات عملية:

- لا تقل عن شخص عاصٍ "هو من أهل النار". قد يتوب قبل أن يموت.
- لا تزك نفسك أو غيرك. لا تقل "أنا من أهل الجنة قطعاً".
- لا تيأس من فاسق، فقد يكون قلبه أظهر من قلبك عند الله.
- لا تغتر بعابد، فقد يكون مرئياً أو مبتدعاً.

الدرس السادس: التوكل بعد الأخذ بالأسباب

الإيمان بأن الهداية بيد الله لا يعني ترك الأسباب. بل تأخذ بالأسباب ثم تتوكل.

تطبيقات عملية:

- خذ بالأسباب: تعلم أساليب الدعوة، واقرأ كتب التربية، وطور مهارات التواصل.
- لا تعلق قلبك بالنتائج: افعل ما عليك، ثم توكل على الله.
- إذا رأيت عدم استجابة: لا تتوقف عن الأخذ بالأسباب، لكن لا تحزن.
- اجعل الدعاء هو السلاح الأقوى: الدعاء يغير الأقدار.

الدرس السابع: كيف تطبق هذه الآية في تربية الأبناء؟

كثير من الآباء يظنون أنهم إذا ربوا أبناءهم تربية صالحة، فلا بد أن يكونوا صالحين. هذه الآية تصحح هذا الظن.

تطبيقات عملية:

- ربّ أبنائك على الدين، لكن لا تضمن نتيجتهم.
- لا تشعر بالذنب إذا ضل ابنك وأنت فعلت كل ما يجب.
- استمر في نصح ابنك حتى لو بلغ الأربعين، ولا تيأس.
- ادعُ له باستمرار، فدعاء الوالد لولده مستجاب.
- تذكر أن الله أعلم به، قد يكون في ضلاله حكمة لا تعلمها.

الدرس الثامن: التعامل مع من يلومك على ضلال من تحب

قد يلومك الناس: "أنت السبب في ضلال ابنك"، "أنت لم تنصحه بما فيه الكفاية".

تطبيقات عملية:

- لا تأخذ اللوم على محمل شخصي: تذكر أن الهداية بيد الله.
- رد بلطف: "أنا فعلت ما عليّ، والباقي على الله".
- لا تدخل في جدال عقيم مع من يلومك.
- تذكر أن الله لا يسألك عن هداية غيرك، بل عن بلاغك أنت.

الدرس التاسع: كيف تستخدم هذه الآية في الدعوة إلى الله؟

عندما تدعو شخصاً إلى الإسلام أو إلى الالتزام، قد تشعر بالضغط النفسي.

تطبيقات عملية:

- حرر نفسك من ضغط النتيجة: أنت مبلغ، لست مسؤولاً عن استجابته.
- كن لطيفاً في دعوتك: لا تستخدم الإكراه أو التهديد.
- إذا رأيت عدم استجابة: لا تحزن، ولا تكرر عليه الدعوة بطريقة مزعجة. اتركه، وادع له في الخفاء.
- تذكر قصة نوح عليه السلام: دعا قومه 950 سنة، ولم يؤمن إلا قليل. لم ييأس، ولم يحمل نفسه فوق طاقتها.

الدرس العاشر: الدعاء للضالين هو أقوى سلاح

إذا كنت لا تستطيع هداية من تحب بقوتك، فأنت تستطيع أن تدعو الله أن يهديه.

تطبيقات عملية:

- اجعل لك ورداً يومياً من الدعاء للضالين.
 - ادع لهم في السجود، فإنه أقرب ما يكون العبد إلى ربه.
 - ادع لهم في أوقات الإجابة، مثل الثلث الأخير من الليل.
 - لا تستعجل الإجابة، فقد تستجاب بعد سنوات.
 - تذكر أن الله قادر على قلب القلوب، وهو أرحم بعباده منك.
- ***سادساً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

أسأل نفسك بصدق:

- 1.كم من أحبابي أتمنى هدايتهم، وما الذي فعلته من أجله؟
 - 2.هل أشعر بالذنب لأن بعض من أحب لم يهتدوا؟ وكيف أتعامل مع هذا الشعور؟
 - 3.هل ألوم نفسي على تقصير من حولي؟ أم أتذكر أن الهداية بيد الله؟
 - 4.عندما أدعو إلى الله، هل أتوقع نتائج سريعة؟ أم أترك الأمر لله؟
 - 5.هل أحكم على الناس بأنهم من أهل الضلال أو الهداية؟ أم أترك العلم لله؟
 - 6.هل أياأس من هداية من أحب؟ أم أستمّر في الدعاء والنصح مع ترك النتيجة؟
 - 7.هل أستخدم القوة أو الإكراه في محاولة هداية الآخرين؟ أم أذكر أن "لا إكراه في الدين"؟
- الخلاصة النهائية

الآية 56 من سورة القصص ليست مجرد رد على حرص النبي ﷺ على هداية عمه، بل هي:

- تحرير للقلب من أوهام التحكم في مصائر الآخرين.
- تخفيف للحمل عن كل من يحب ويدعو ويبذل ولا يرى ثمرة.
- تذكير بحقيقة الهداية: هي بيد الله وحده، لا بيد أحد من خلقه.
- دعوة إلى التوكل بعد الأخذ بالأسباب، وترك النتائج لله.
- علاج لشعور الذنب الذي ينتاب الآباء والأمهات والدعاة عندما يضل من يحبون.

تذكر دائماً: أنت لست الله. أنت لست مالك القلوب. أنت لست هادياً للناس. أنت فقط مبلغ، ناصح، داعية. أد ما عليك، واترك الباقي لله.

قد تحب شخصاً حباً شديداً، وتبذل في دعوته جهداً عظيماً، ثم يموت على الضلال. هذا ليس ذنبك. أنت فعلت ما تستطيع، والله أعلم بالمهتدين.

قد يكون ابنك، أو والدك، أو زوجك، أو أقرب الناس إليك. لا تيأس من رحمة الله، لكن لا تحمل نفسك فوق طاقتها. ادع، وناصح، وكن قدوة حسنة، ثم توكل على الله.

فإن الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يستحق الهداية. وقد يهدي من تحب في لحظة لا تتوقعها،

وقد يؤخر هدايته لحكمة لا تعلمها، وقد لا يهديه لأنه اختار الضلال بنفسه.

في كل الأحوال، أنت بريء من ذنبه، ما دمت بلغته النصح بصدق وحب. واللّه لا يظلم مثقال ذرة.
فارفع عن نفسك حمل الهداية. واستمر في الحب والدعاء والنصح. واترك القلوب لخالقها. فهو أرحم بعباده منك، وهو أعلم بهم، وهو القادر على قلوبهم.

تلك هي وصية الله لنبيه، وهي وصيته لنا جميعاً. فاعمل بها، تراتح نفسك، ويطمئن قلبك، ويصلح حالك.

القسم الخامس

المبحث الأول

تفسير الآية 57 من سورة القصص
المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الذي يتكرر في كل زمان ومكان. بعد أن أخبر الله نبيه أنه لا يهدي من أحب، وأن الهداية بيد الله وحده، يأتي الآن رد فعل المشركين على دعوة الحق. إنهم لا يرفضون الدين لشبهة عقلية، ولا لضعف في البرهان، بل يرفضونه لأنهم يخشون على مصالحهم الدنيوية.

قال تعالى: "وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (القصص: 57)

هذه الآية هي آية فضح المتاجرة بالدين وكشف تبريرات المصلحة الزائفة. إنها تخاطب فيك أعظم ما فيك: هل دينك عندك لله أم لمصلحتك؟ هل تتبع الهدى لأنه حق، أم ترفضه لأنه قد يضرب مصالحك؟

أهل مكة قالوا: إن اتبعنا محمداً وتركنا دين آبائنا، ستغزوننا قبائل العرب وتتخطفنا من أرضنا. جعلوا الدين مرتبطاً بالأمن الاقتصادي والسياسي. فرد الله عليهم: أو لم نجعل لكم حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء؟ الأمن موجود بالفعل، وهذا الرزق من عندنا، فلماذا تربطون بين اتباع الهدى وفقدان الأمن؟

هذه الآية تحذير صارخ لكل من يحاول تطويع الدين لخدمة مصالحه، أو يرفض الحق خوفاً على منصبه أو ماله أو سلطانه.
**الأفكار الرئيسية في الآية

1. تبرير المشركين لرفض الهدى: "إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا".
 2. الرد الإلهي باستفهام توبيخي: "أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا".
 3. وصف نعمة الأمن والرزق: "يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِنْ لَدُنَّا".
 4. بيان سبب هذا الموقف: "وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".
- **أولاً: اللامات البيانية والبلاغية في الآية

1. "وَقَالُوا" - قولهم ليس عن جهل بل عن هوى

الفعل "قَالُوا" يدل على أن هذا تبريرهم الرسمي، وليس مجرد فكرة عابرة. إنهم أعلنوه بلسانهم، وناقشوه فيما بينهم، واتخذوه عذراً لرفض الدعوة.

2. "إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ" - شرط يفصح حقيقتهم

"الهُدَىٰ" هنا هو القرآن والإسلام. "مَعَكَ" أي مع محمد ﷺ. الشرط يدل على أنهم يعترفون بأن ما جاء به هو الهدى، لكنهم يرفضونه لخوفهم على مصالحهم.

هذه أعظم فضيحة: يعترفون بالحق، ثم يرفضونه لأسباب دنيوية.

3. "تَتَخَطَّفُ" - فعل مضارع مبني للمجهول

"تَتَخَطَّفُ" أي تنتزع وتختطف من أرضنا. الفعل مبني للمجهول، لأنهم لا يريدون تحديد الفاعل. كأنهم يقولون: سنغزى، وسنهاجم، وسنقتل من ديارنا.

هذا الخوف كان له ما يبرره في ظاهر الأمر، لأن العرب كانت تعيش على نظام الثأر والغارات. لكن الله يرد عليهم بأنه هو الذي جعل لهم الأمن أصلاً .

4. "أَوَلَمْ تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا" - الاستفهام التوبيخي الإنكاري

الهزمة للاستفهام، والواو للعطف. "أَوَلَمْ" تفيد التوبيخ: ألم نفعل لكم هذا؟ كيف تخافون ونحن الذي أمناكم؟

"تُمْكِن" من التمكين، أي جعلنا لهم مكانة وقوة. "حَرَمًا" هو الحرم المكي، الذي جعله الله آمناً منذ زمن إبراهيم. "آمناً" صفة مشددة، أي كثير الأمن، يأمن فيه الناس حتى الحيوان والطير.

5. "يُجَبِّىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ" - وصف النعمة الاقتصادية

"يُجَبِّىٰ" أي يجمع ويحمل إليه. "ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ" أي أصناف التجارة والثمار من كل مكان حول مكة. مكة كانت مركزاً تجارياً مهماً، يأتيها الناس من اليمن والشام والحبشة والعراق.

هذا الرد يقطع عليهم كل تبرير: الأمن موجود، والرزق موجود، فلماذا تخافون من اتباع الهدى؟

6. "رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا" - تأكيد أن الرزق من عند الله

"رَزَقًا" مفعول لأجله، أو حال. أي جباية الثمرات تكون رزقاً من عندنا. تأكيد أن الرزق بيد الله، وليس بيد القبائل الأخرى. فلو اتبعتم الهدى، فلن يسلب الله رزقكم.

7. "وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" - الجهل هو سبب هذا الموقف

ليس جهلاً ، بل الله فقط، بل جهل بحقيقة الأمن والرزق. جهل بأن الله هو الرازق، وأن اتباع الهدى لا يضيع الرزق، بل يباركه.

"أَكْثَرُهُمْ" وليس كلهم، فبعضهم يعلم لكنه يكابر.
***ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة

1. المتاجرة بالدين: أخطر آفة

أهل مكة لم يرفضوا الدين لشبهة عقلية، بل رفضوه لأنهم ظنوا أنه سيضرب مصالحهم الاقتصادية و السياسية. هذا هو جوهر المتاجرة بالدين: جعل الدين تابعاً للمصلحة، فإذا وافق المصلحة قبل، وإذا خالفها رُفض.

الرسالة: هذا المرض ليس مقصوراً على كفار قريش. بل يتسلل إلى قلوب المسلمين عندما يجعلون الدين وسيلة لجني المال أو السلطة أو السمعة.

2. الأمن والرزق من عند الله، وليس من عند البشر

الآية ترد على كل من يظن أن مصالحه بيد غيره. الأمن الذي تتمتعون به، والرزق الذي تأتيكم التجارات، هو من عند الله. فلو اتبعتم الهدى، فلن ينقص رزقكم، بل سيزيد.

الرسالة: لا تخف من اتباع الحق خوفاً على رزقك أو منصبك أو أمنك. فرازقك هو الله، وهو لا يضيع أجر من اتبعه.

3. الجهل هو أساس ربط الدين بالمصلحة

"لا يعلمون" - لو علموا حقيقة أن الله هو الرازق، وأن الدين لا يضيع الدنيا بل يصلحها، لما ترددوا. الجهل بالله، والجهل بسنن الرزق، والجهل بحقيقة الأمن، هو ما يوقع الناس في فخ ربط الدين بالمصلحة.

4. تبريرات المصلحة: واهية ومفضوحة

أهل مكة قدموا تبريرا واهيا: "نتخطف من أرضنا". والله فضح هذا التبرير بأن الأمن موجود أصلا . هذا يعلمك أن أي تبرير لرفض الحق قائم على المصلحة هو تبرير مفضوح، والله يفضحه. ****ثالثا:** كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: هل دينك لله أم لمصلحتك؟

توقف قليلا " واسأل نفسك: هل تلتزم بالدين لأنه حق، أم لأنه يوافق هواك ومصالحك؟ لو جاء أمر شرعي يخالف مصلحتك المالية، أو يخالف عادات مجتمعتك، أو يخالف رغباتك، هل ستتركه؟

الآية تفصح من يجعل الدين تابعا للمصلحة. كن صادقا مع نفسك.

الرسالة الثانية: لا تخف على رزقك من الدين

كثير من الناس يبتعدون عن الالتزام بالدين خوفاً على أرزاقهم: "لو التزمت، قد أطرده من وظيفتي"، "لو لبست الحجاب، قد أخسر عملي"، "لو تركت الربا، قد تخسر تجارتي".

الآية تهمس في أذنك: الله هو الرزاق. الأمن والرزق من عنده. لو اتبعت الهدى، فلن يضيع الله رزقك. بل يباركه.

الرسالة الثالثة: احذر من أن تكون ممن "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم"

أهل مكة قالوا "نُخْطَفُ" وكانوا يعلمون أن الحرم آمن. لكنهم اختلقوا العذر. أنت أيضاً، قد تختلق أذاراً واهية لترك الحق. تذكر أن الله يفضح الأذار الواهية.

الرسالة الرابعة: الجهل خطر عظيم

لو كانوا يعلمون، ما قالوا هذا القول. الجهل بالله، الجهل بسننه، الجهل بحقيقة الرزق، هو ما يوقع الناس في الشرك والمعاصي وترك الحق. فتعلم، وتفقه في دينك. **رابعا** : خطورة محاولة تطويع الدين في وقتنا المعاصر

هذا هو المحور الذي طلبت التركيز عليه. دعني أنقله إلى قلبك وصدرك بكل تفصيل.

أولا : صور تطويع الدين للمصالح في عصرنا

1. تطويع الدين للمصالح الاقتصادية:

- . استخدام الدين لتسويق المنتجات بطرق خادعة: "منتج حلال" مع أنه ليس كذلك.
- . استغلال مشاعر الناس الدينية لجمع التبرعات لغير مستحقيها.
- . فرض رسوم على الشعائر الدينية: "تذاكر لدخول الحرم"، "رسوم للعمرة".
- . تحويل المساجد إلى مراكز ربح وتجارة.
- . استخدام الدين لتبرير الاحتكار والربا والغش.

2. تطويع الدين للمصالح الاجتماعية:

- . استخدام الدين لتبرير العصبية القبلية أو الطائفية: "قبيلتنا هي خير أمة".
- . تحويل الدين إلى عادات وتقاليد جامدة لا تمت للوحي بصلة.
- . استخدام الدين للتفاخر بالنسب والآباء.
- . جعل الدين وسيلة للتحكم في الناس وقمع حرياتهم باسم "الأمر بالمعروف".

3. تطويع الدين للمصالح السياسية:

- . استخدام الدين لشرعنة الحكم المستبد: "أطيعوا ولي الأمر" دون ضوابط.
- . توظيف الخطاب الديني في الحملات الانتخابية لكسب الأصوات.
- . اتهام المعارضين بالكفر والزندقة لشل حركتهم.
- . تبرير انتهاك حقوق الإنسان باسم "تطبيق الشريعة".
- . تحويل الدين إلى أداة للصراع الدولي والإرهاب باسم "الجهاد".

4. تطويع الدين للمصالح النفسية والشخصية:

- استخدام الدين للتخلص من الشعور بالذنب دون توبة حقيقية: "الحمد لله أنا مسلم".
- اختيار فتاوى "الرخص" فقط لتبرير المعاصي.
- جعل الدين مجرد طقوس شكلية بلا روح.
- استخدام الدين للشهرة والظهور الإعلامي.

ثانياً: لماذا يقع الناس في تطويع الدين؟

1. اضعف الإيمان: من لا يعرف الله حق المعرفة، يسهل عليه أن يجعل الدين تابعاً لهواه.
2. الجهل بالدين: الجهل بمقاصد الشريعة وأحكامها يسمح بتحريفها.
3. حب الدنيا: التعلق بالدنيا يجعل الإنسان يبحث عن أي وسيلة لخدمة مصالحه، حتى لو كان الدين.
4. الضغط الاجتماعي: المجتمعات التي تقدر التقاليد تجعل الناس يربطون الدين بالعادات.
5. غياب القدوة الصادقة: قادة الدين أحياناً يكونون هم من يمارسون المتاجرة، فيقلدهم الناس.

ثالثاً: خطورة تطويع الدين - لماذا هو أخطر من الكفر الصريح؟

- تدمير صورة الدين: عندما يستخدم الدين لخدمة مصالح دنيوية، ينفر الناس منه، وتصور الشريعة على أنها ظلم وقمع.
- تحريف النصوص: يتم تأويل النصوص لتخدم أغراضاً شخصية، فيضيع المعنى الحقيقي للوحي.
- فقدان الثقة في العلماء: عندما يرى الناس فتاوى تخدم أصحاب السلطة، يفقدون الثقة في كل رجال الدين.
- تفكك المجتمعات: الدين الذي كان من المفترض أن يوحد، يصبح أداة للصراع والانقسام.
- الآخرة الضائعة: من يجعل الدين مطية لمصالحه، يخسر الدنيا والآخرة.

خامساً: كيف نواجه ونعالج هذه الظاهرة؟

العلاج على المستوى الفردي (نفسك أولاً)

1. إخلاص النية لله:

- قبل أي عمل ديني، اسأل نفسك: هل أفعله لله أم لمصلحة دنيوية؟
- جدد نيتك دائماً: "اللهم اجعل عملي خالصاً لوجهك الكريم".
- تذكر حديث: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى".

2. تعلم الدين من مصادره الصحيحة:

- لا تأخذ الدين من وسائل التواصل فقط. اقرأ القرآن بتدبر، وادرس السنة من أهلها.
- تعلم مقاصد الشريعة، لتعرف روح الدين وليس فقط شكله.
- احذر من الفتاوى المريبة التي تخدم أغراضاً مشبوهة.

3. مراقبة القلب:

- راقب نفسك: هل تشعر بالضيق عندما يخالف الدين هواك؟ هذا مؤشر خطر.
- تذكر الآية: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرٌ هُدًى مِّنَ اللَّهِ".
- جاهد هواك، وقدم الحق على رغباتك.

4. التوبة من أي شكل من أشكال المتاجرة بالدين:

- إن كنت قد استخدمت الدين سابقاً لتحقيق مصلحة، فتب إلى الله.
- رد الحقوق إلى أصحابها.
- غير مسارك، واجعل الدين لله وحده.

العلاج على المستوى الأسري والتربوي

1. تربية الأبناء على حب الله لا على الخوف من العادات:

- علمهم أن الدين لله، وليس للتقاليد أو المجتمع.
- لا تربط الدين بالعقاب الدنيوي فقط: "صلّ وإلا ضربتك".
- اجعل حب الله والرسول هو الدافع الأساسي.

2. القدوة الحسنة:

- كن أنت النموذج الصادق في تطبيق الدين بلا مصلحة.
- لا تستخدم الدين لتحقيق أهدافك الشخصية أمام أبنائك.
- إذا أخطأت، اعترف بخطئك وتب، ولا تبرر بالدين.

3. تعليم التفكير النقدي:

- علم أبنائك كيف يميزون بين الدين الحقيقي وتطويعات البشر.
- علمهم أن أي فتوى تخدم مصلحة شخصية مشبوهة، يجب التوقف عندها.

العلاج على المستوى الاجتماعي والمجتمعي

1. فضح ممارسات المتاجرة بالدين:

- لا تسكت عندما ترى من يستخدم الدين لخدمة مصالحه.
- واجه بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسكوت.
- استخدم الإعلام ووسائل التواصل لنشر الوعي.

2. دعم العلماء الصادقين:

- ابحث عن العلماء المستقلين الذين لا يخافون سلطاناً ولا يرجون مالا.
- اشجعهم، وانشر علمهم، وتبرع لمؤسساتهم.
- احذر من "علماء السلاطين" الذين يبيعون الدين بثمن بخس.

3. بناء مؤسسات دينية مستقلة:

- مؤسسات لا تخضع لضغوط سياسية أو اقتصادية.
- تكون مهمتها الدعوة إلى الله بصدق، وليس خدمة أي طرف.
- تعنى بالرقابة على الفتاوى، وفضح الفتاوى المريبة.

4. تعزيز ثقافة "الدين لله":

- أطلق حملات توعوية: "دينك لله لا لمصلحتك".
- استخدم وسائل التواصل لنشر الوعي بخطورة المتاجرة بالدين.
- ناقش هذه القضية في المساجد والمجالس والجامعات.

العلاج على المستوى السياسي والقانوني

1. الفصل بين الدعوة والسلطة:

- لا ينبغي أن يكون الدعاة تابعين للحكومات، حتى لا يستخدمهم الحكام لتبرير سياساتهم.
- اطالب باستقلالية المؤسسات الدينية.

2. محاسبة من يحرف الدين لخدمة السلطة:

- أي عالم أو داعية يثبت تورطه في تحريف الدين لصالح سلطة ظالمة، يجب فضحه ومحاسبته.
- دعم القوانين التي تجرم استغلال الدين في التحريض على العنف أو الكراهية.

3. تشجيع الحوار المجتمعي:

- تنظيم ندوات ومؤتمرات تناقش هذه الظاهرة بجرأة وموضوعية.

. إشراك الشباب في هذه النقاشات، لأنهم الأكثر تأثراً بهذه الظاهرة في عصر السوشيال ميديا.
سادساً: الدروس المستفادة من الآلية في حياتنا العملية

الدرس الأول: لا تبرر ترك الحق بخوف وهمي

قد تخاف من اتباع الحق في موقف معين: تخاف من رأي الناس، تخاف من خسارة وظيفة، تخاف من رد فعل عائلتك.

تطبيقات عملية:

- . قارن خوفك بحقيقة قدرة الله. الله أقوى من كل هذه المخاوف.
- . تذكر أن أهل مكة خافوا "التخطف" والله رد عليهم بأن الأمن موجود. قد يكون خوفك وهمياً.
- . استخير الله، وتوكل عليه، واتبع الحق، واترك النتيجة لله.

الدرس الثاني: احذر من أن تكون من "أكثرهم لا يعلمون"

الجهل هو سبب ربط الدين بالمصلحة. فتعلم.

تطبيقات عملية:

- . اقرأ في سير الأنبياء والصحابة، كيف فضلوا الدين على الدنيا.
- . تعلم أسماء الله وصفاته، وخاصة "الرزاق"، "الوكيل"، "الحفيظ".
- . كلما هممت بترك حق خوفاً على رزقك، تذكر: "الرزق من عند الله، واتباع الهدى يزيد الرزق".

الدرس الثالث: كيف تتعامل مع من يربط الدين بالمصلحة؟

قد تواجه من يقول: "الدين صالح لكل زمان ومكان، لكن ليس في هذا الزمان" أو "الالتزام بالدين سيخسرنا مصالحنا".

تطبيقات عملية:

- . قدم له هذه الآية كحجة: هل رزقكم وأمنكم بيد غير الله؟
- . ناقشه بهدوء: من خلق السماوات والأرض؟ من ينزل الرزق؟ أليس الله؟
- . لا تجادله بالعنف، بل بالتي هي أحسن.
- . ادع له بالهداية.

الدرس الرابع: مراجعة نواياك في الأعمال الدينية

قبل كل عمل ديني، توقف واسأل نفسك:

تطبيقات عملية:

- . الصلاة: هل أصلي لله أم لأرى الناس؟ هل أصلي لأنها واجب، أم لأني أحب الله؟
- . الصدقة: هل أتصدق لله أم لسمعة الكرم؟
- . الحجاب: هل أرتمي الحجاب لله أم لتجنب نظرات الناس؟
- . طلب العلم: هل أتعلم الدين لأعمل به، أم لأفتي وأظهر العلم؟
- . الدعوة إلى الله: هل أدعو لله أم لأكسب أتباعاً ومجداً؟

الدرس الخامس: كيف نحمي أنفسنا من المتاجرين بالدين في عصر السوشيال ميديا؟

وسائل التواصل مليئة بـ "الدعاة الجدد" الذين يستخدمون الدين للشهرة والمال.

تطبيقات عملية:

- . لا تتابع كل من يظهر: تأكد من علمه وتقواه قبل أن تثق به.
- . لا تتصدق لأي شخص عبر الإنترنت: تحقق من مصداقية الجمعيات.

- لا تشارك محتوى دينياً دون تدقيق: قد تنشر فتوى خاطئة أو فكرة ضالة.
- إذا رأيت داعية يروج لمنتج أو خدمة في سياق ديني، فتوقف واسأل: هل هذا الدين أم التجارة؟
- ابلغ عن المحتوى الديني المسيء الذي يستخدم الدين لترويج الباطل.

الدرس السادس: تطبيقات في بيئة العمل

كثير من الناس يضطرون للتعامل مع بيئة عمل قد تتعارض مع دينهم.

تطبيقات عملية:

- إذا كنت في وظيفة فيها ربا أو حرام: ابحث عن بديل، وتوكل على الله. الرزق من عنده.
- إذا طلب منك مديرك كذباً أو غشاً: رفض بلطف، وقل: "لا أستطيع أن أخسر ديني من أجل وظيفتي".
- إذا خفت على وظيفتك من الالتزام: تذكر أن الله قال: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ".
- كن قدوة في عملك: التزامك بالدين قد يكون سبباً في هداية زملائك.

الدرس السابع: التعامل مع الضغوط الاجتماعية

المجتمع قد يضغط عليك لتترك بعض المبادئ الدينية بحجة "المصلحة العامة".

تطبيقات عملية:

- لا تتبع الأغلبية إذا كانت على باطل: "وَأِنْ تَطَعُوا أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ".
- كن مستعداً لأن تكون غريباً في مجتمعك من أجل دينك.
- ابحث عن صحبة صالحة تعينك على الثبات.
- ذكر نفسك بقصة أصحاب الأخدود الذين اختاروا الدين على النار.

الدرس الثامن: كيف نعلم أبناءنا ألا يربطوا الدين بالمصلحة؟

التربية على الإخلاص تبدأ من الصغر.

تطبيقات عملية:

- لا تكافئ أبناءك على الصلاة بالمال دائماً، حتى لا يربطوا العبادة بالمكافأة المادية.
- علمهم أن الله هو الرزاق، وأنه لا ينقص رزق من أطاعه.
- قص عليهم قصص الصحابة الذين تركوا الدنيا من أجل الدين.
- علمهم أن يفعلوا الخير ولو لم يرههم أحد، لأن الله يراهم.

الدرس التاسع: التوبة من المتاجرة بالدين

إن كنت قد مارست هذا المرض في الماضي، فباب التوبة مفتوح.

تطبيقات عملية:

- ندم صادق على ما فات.
- إقلاع فوري عن أي شكل من أشكال استغلال الدين.
- رد الحقوق إلى أصحابها إن كان استغلال الدين قد أضر بأحد.
- تعويض بالعمل الصالح الخالص لله.
- تغيير المسار، واجعل دينك لله وحده من الآن فصاعداً.

الدرس العاشر: اليقين بأن اتباع الهدى يزيد الأمن والرزق، لا ينقصه

أهل مكة ظنوا أن اتباع الهدى سيؤدي إلى "التخطف". والواقع أن الإسلام بعد أن اتبعوه، أصبحوا أعظم أمة في التاريخ، وأمنهم و رزقهم تضاعف.

تطبيقات عملية:

- ثق بالله أن اتباع الحق يزيد البركة.
- انظر إلى تاريخ المسلمين: كلما تمسكوا بدينهم عزوا، وكلما تخلوا عنه ذلوا.
- لا تنسى أن النصر والرزق من عند الله، وليس من عند القوى المادية.
- ***سابعاً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل سبق أن تركت واجباً دينياً خوفاً على مصلحة دنيوية (وظيفة، مال، سمعة)؟
 ٢. هل سبق أن استخدمت الدين لتحقيق غرض شخصي (كسب إعجاب، جمع تبرعات، تبرير موقف)؟
 ٣. هل أشعر أن رزقي بيد مديري أو بيد السوق، أم بيد الله؟
 ٤. هل أتابع دعاة يشتهرون بترويج المنتجات والخدمات باسم الدين؟
 ٥. هل أستطيع أن أقول بصدق: "ديني لله، لا لمصلحتي"؟
 ٦. لو جاء أمر ديني يخالف مصلحتي المباشرة، ماذا سأفعل؟
 ٧. هل أربط بين الالتزام الديني والفقر أو ضيق الرزق؟ أم أعتقد أن الدين يزيد الرزق؟
- الخلاصة النهائية

الآية 57 من سورة القصص ليست مجرد حوار تاريخي بين الله ومشركي قريش، بل هي:

- تحذير أبدي من أخطر آفة تصيب الدين: المتاجرة به، وربطه بالمصالح الدنيوية.
- كشف لخدعة الشيطان التي يوقع بها الناس: "إن اتبعت الحق، ستخسر دنياك".
- تذكير بحقيقة الرزق والأمن: أنهما من عند الله، وليس من عند البشر أو القبائل أو الأسواق.
- دعوة إلى الإخلاص في الدين، وأن يكون الله هو المقصود بالعبادة والاتباع، لا المال ولا الجاه ولا السلطة.

تذكر دائماً: الدين ليس سلعة في السوق، ولا أداة في السياسة، ولا وسيلة للشهرة. الدين هو طريقك إلى الله، وهو نور قلبك، وهو سبب سعادتك في الدنيا والآخرة.

لا تكن ممن قالوا: "إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا". بل كن ممن قالوا: "أما به، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين".

لا تخف على رزقك من الدين. فالله هو الرزاق. ولا تخف على أمنك من الدين. فالله هو المؤمن المهيمن. ولا تخف على سلطانك من الدين. فالسلطان الحقيقي لله ولرسوله وللمؤمنين.

وإذا رأيت من يستخدم الدين لخدمة مصالحه، فاعلم أنه يتبع خطى أهل مكة، وأن الله سيفضحه كما فضحهم. ونحن نستطيع أن نكون جزءاً من هذه الفضائح بالتوعية والنصح وعدم السكوت.

اجعل دينك لله. أخلص له. لا تشتتر بآيات الله ثمناً قليلاً. وتذكر قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ" (آل عمران: 77).

فاختر: هل تريد أن يكون دينك لله، فتربح الدنيا والآخرة؟ أم تريد أن تجعله تابعا لمصلحتك، فتخسر الدنيا والآخرة؟

القرار لك. والله يعلم ما في قلبك. فاصدق مع الله، يصدقك الله..

المبحث الثاني

تفسير الآية 58 من سورة القصص

بأسلوب يخاطب وجدانك، ويكشف عن سنة الله الثابتة في هلاك الأمم البطورة، ويحذرك من مرض بطر النعمة الذي يدمر الحضارات، مع تحليل بياني وبلاغي متكامل، وتركيز خاص على سنن زوال الأمم وكيفية تجنب المصير نفسه.

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد التاريخي المهيّب. بعد أن رد الله على تبريرات أهل مكة الواهية، وخوفهم من اتباع الهدى بحجة "التخطف"، ينتقل السياق إلى مشهد أوسع: مشهد الأمم السابقة التي بطرت النعمة، وعنت عن أمر الله، فحل بها الدمار.

قال تعالى: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْصُرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۚ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ" (القصص: 58)

هذه الآية هي آية كشف سنن الله في هلاك الأمم الباغية. إنها تضعك أمام مرآة التاريخ، لتري كيف كانت الحضارات العظيمة، والمدن المزدهرة، والأمم القوية، انهارت واندثرت لأنها بطرت النعمة وكفرتها.

هذه الآية تخاطب فيك أعمق ما فيك: أن تعتبر بما حدث قبلك، وأن تعلم أن ما حل بهم يمكن أن يحل بك وبأمتك وبحضارتك إن سلكت طريقهم. إنها دعوة إلى التواضع، وشكر النعم، وعدم الاغترار بالقوة والغناء.

"بطرت معيشتها" كلمة موجزة تحمل إعصاراً من المعاني: الأشر، البطر، الكبر، الغرور، نسيان المنعم، التمرد على أمر الله. هذه هي الأمراض التي دمرت الحضارات.

والآية تنتهي بعبارة تهز الكيان: "وكنا نحن الوارثين". أي: الله يبقى ويرث الأرض ومن عليها. فكل ما تراه من حضارات ومدن وقصور، مصيرها إلى الزوال، ويبقى الله الحي القيوم. ******* الأفكار الرئيسية في الآية

١. التكثير والتهويل: "وكم" - كم من قرية أهلكنا! العدد كثير لا يحصى.
 ٢. سبب الإهلاك: "بطرت معيشتها" - بطرت النعمة، أي أشرت وبقت وكفرت.
 ٣. نتيجة الإهلاك: "فتلك مساكنهم" - ديارهم خاوية بعدهم.
 ٤. عاقبة الديار: "لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً" - هجرت واندثرت.
 ٥. المالك الحقيقي: "وكنا نحن الوارثين" - الله يرث الأرض ومن عليها.
- ***** أولاً: اللامسات البيانية والبلاغية في الآية

1. "وكم" - كم الخبرة للتكثير والتهويل

تأمل هذه الافتتاحية: "وكم" ليست للاستفهام، بل للإخبار عن كثرة عدد القرى التي أهلكها الله. إنها تفيد أن الأمر ليس استثناءً، بل هو قاعدة وسنة مطردة. كم من مدينة عامرة، وكم من حضارة زاهرة، وكم من قصر مشيد، أهلكنا أصحابها.

"وكم" تحمل في طياتها عبرة لكل من يظن أن قوته وحضارته تخلصه.

2. "أهلكنا" - الإهلاك الإلهي بأسباب متنوعة

الفعل "أهلكنا" بصيغة الجمع الدالة على العظمة. الله هو المهلك، لكن بأسباب: إما بعذاب سماوي، أو بغزو أعداء، أو بزلزال، أو بفساد اجتماعي داخلي.

"من قرية" التنكير يفيد التعظيم والتنويع: كل قرية أهلكناها كانت عظيمة في قوتها، لكنها لم تمنع الإهلاك.

3. "بطرت معيشتها" - البطر: مرض الأمم القاتل

"بطرت" من البطر، وهو الأشر والمرح في حالة النعمة، ونسيان المصدر، والتمرد على شكر المنعم. البطر هو أن تطغى النعمة على العقل فينسى الإنسان فضل الله.

"معيشتها" أي حياتها ورزقها ورفاهيتها. بطروا بما أوتوا من نعيم. قال ابن عباس: بطروا عيشهم أي كفروا نعمة الله وأشركوا به.

البطر أنواع:

- بطر الأمن: يشعرون أن أمنهم بقوتهم لا بـالله.
- بطر الغنى: يشعرون أن غناهم بذكائهم وتجارتهم لا بـالله.
- بطر السلطان: يشعرون أن عزهم بقوتهم وجنودهم لا بـالله.
- بطر الصحة: يشعرون أن صحتهم بطبهم وقوتهم لا بـالله.

4. "فَيْلَكَ مَسَاكِنُهُمْ" - الإشارة إلى الديار الخاوية

"تلك" إشارة إلى تلك القرى التي أهلكناها. وهي إشارة إلى البعيد، كأنها أمام العيان لكنها بعيدة في الزمان والمكان.

"مَسَاكِنُهُمْ" ديارهم التي كانوا يسكنونها، ويتباهون بها، ويظنون أنها خالدة.

5. "لَمْ تَسْكُنْ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا قَلِيلًا" - الهجران والاندثار

"لَمْ تَسْكُنْ" أي لم يسكنها أحد بعدهم إلا قليلاً. هناك قراءتان: "لم تسكن" بمعنى لم يسكنها أحد، أو "لم تسكن" بمعنى لم تعمر كما كانت.

"إِلَّا قَلِيلًا" هذا الاستثناء فيه دلالات:

- قد يسكنها بعض المسافرين أو العابرين.
- قد يعمرها قوم آخرون ثم تهلك.
- المعنى أن العمارة الأصلية قد زالت، ولم تعد كما كانت.

هذه العبارة ترسم مشهداً مربعاً: مدن عامرة، أسواق نابضة، قصور شاهقة، صارت خرائب يخاف المرء أن يمر بها.

6. "وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ" - الخاتمة المدوية

"كُنَّا" فعل ماضٍ دال على الثبات والاستمرار. "نَحْنُ" ضمير فصل يفيد الحصر والقصر.

"الْوَارِثِينَ" اسم فاعل من الإرث، أي الباقون بعد فناء الخلق. الله يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

هذه الجملة تعيد الأمور إلى نصابها: أنت أيها الإنسان لست صاحب الأرض، أنت مستعمر فيها. فإذا بطرت النعمة وتجبرت، أخرجك الله من داره وأورثها غيرك.

ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة - سنن الله في زوال الحضارات

السنة الأولى: البطر يسبق الدمار

أول درس: كل أمة أهلكت كانت قد بطرت نعمة الله أولاً. البطر ليس نتيجة للقوة، بل هو مرض يصيب القلوب قبل أن يصيب الأجساد. حين يشعر الناس أنهم استغنوا عن الله، وأن قوتهم من عند أنفسهم، يبدأ العد التنازلي للزوال.

تأمل: لم يهلك الله قوماً وهم في ضعفهم، بل في قوتهم وعزتهم. فرعون أغرق في قوة طغيانه. قوم هود أهلكوا بريح صرصر عاتية في قوتهم. قوم صالح أهلكوا في قوتهم. لأن القوة إذا صاحبها البطر، كانت سبباً في الهلاك.

السنة الثانية: النعمة قد تكون سبباً في الهلاك

النعمة في ذاتها ليست شراً، لكنها تصبح شراً حين تبطر وتكفر. فكل ما أوتي الإنسان من مال وجاه وصحة وقوة، إن شكر عليها زادته قرباً من الله، وإن بطر بها كانت حجة عليه.

تأمل: قريش كانت تتمتع بأمن ورزق وفير، فكان هذا الأمن والرزق سبباً في طغيانهم وكفرهم. قال تعالى: "وَلْيَأْكُلُوا مِنْهُ وَيَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ" .

السنة الثالثة: الدمار شامل للمساكن والممالك

"قَتْلِكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا" - ليس الأفراد فقط من يهلكون، بل حضارتهم ومساكنهم ومدنهم تندثر. قد تأتي حضارة أخرى فوق أنقاضهم، لكن حضارتهم هي التي تزول.

تأمل: أين قصور الفراعنة؟ أين مدائن صالح؟ أين قوم عاد؟ أين بابل؟ أين تدمر؟ بقيت آثارها عبرة لمن يعتبر.

السنة الرابعة: الله هو الوارث الحقيقي

كل من اغتر بقوته وبنى قصوراً خالدة، نسي أن الله هو الوارث. المال والسلطان والأرض كلها لله، وإلّا الإنسان مستخلف فيها مؤقتاً. فإذا نسي المستخلف أنه مستخلف، وتصرف كالمالك، عزله الله وأورثها غيره.

السنة الخامسة: الحضارات لا تموت إلا من الداخل

البطر يبدأ من الداخل: فساد أخلاقي، تفكك اجتماعي، استغلال ضعيف، ظلم، جبروت، نسيان الفضائل. ثم تأتي عوامل خارجية لتتم الهدم. فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. ***ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآلة وجدانك؟

الرسالة الأولى: لا تغتر بما أنت فيه

أنت تعيش في حضارة مادية عظيمة، وتكنولوجيا متقدمة، ورفاهية لم يعرفها الأولون. هذه الآلة تهتمس في أذنك: كل هذه قد تزول إذا بطرت النعمة وكفرتها. انظر إلى الأمم السابقة، كانت أقوى منك بمرات، فما أغنت عنهم قوتهم.

الرسالة الثانية: بطر النعمة يبدأ باللسان ثم بالقلب

البطر ليس مجرد فعل، بل حالة قلبية: تشعر أنك تستحق ما أنت فيه، وتنسى أن الله هو المان. قد تقول: "أنا تعبت وجاهدت ونجحت"، وتنسى أن الله هو الذي أمدك بالقوة والعقل والفرصة.

هذه الآلة تدعوك إلى أن تنظر إلى نعمك بعين الشكر، لا بعين الاستحقاق.

الرسالة الثالثة: مساكن الغابرين عبرة لنا

قد تمر بجوار آثار قديمة، أو تسمع عن حضارات اندثرت. الآلة تريد أن توقفك عند هذه الآثار، وتقول لك: هذه كانت مساكن قوم بطروا، فصرت أنت ترى خرابهم. فاعتبر.

الرسالة الرابعة: أنت وارث مؤقت

كل ما تملكه اليوم، سيبقى بعدك. سيارتك، بيتك، أموالك، أرضك - سيأخذها غيرك. أنت لست إلا عابر سبيل. فكيف تبطر وأنت راحل؟ وكيف تتكبر وأنت ميت؟ وكيف تكفر النعمة وأنت مسؤول؟ *رابعاً: الأبعاد المختلفة للآلة

البعد الإيماني

١. الإيمان بسنة الله في الأمم: الله لا يغير سننه. من بطر وعتا، حل به الهلاك.

٢. الإيمان بأن النعم اختبار: كل نعمة هي امتحان، فإن شكرت ازددت، وإن كفرت عوقبت.

٣. الإيمان بأن الله هو الباقي: لا يبقى إلا وجهه، فاطمئن أنك يكون بالله لا بالدنيا.

البعد النفسي

١. علاج الكبر والغرور: من يتأمل في هلاك الأمم السابقة، يدرك أنه لا شيء يدوم، فيتواضع.

٢. تعزيز الشعور بالشكر: معرفة أن البطر يؤدي إلى الهلاك، يدفع النفس إلى شكر النعم.

٣. التخفيف من التعلق بالدنيا: عندما تعلم أن القصور والمساكن تندثر، يقل تعلقك بها.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء التواضع: علمهم أن قوتهم وذكاءهم من الله، لا يبطرون بها.

٢. تعليمهم التاريخ: القصص التاريخية للأمم السابقة هي عبرة لمن اعتبر.

٣. غرس قيمة الشكر: علمهم أن يقولوا "الحمد لله" عند كل نعمة.

البعد الاجتماعي

١. تحذير المجتمعات من البطر: المجتمعات التي تستهتر بالقيم وتنسى الله، مصيرها الهلاك.

٢. الحفاظ على الموروث الحضاري: الآثار القديمة ليست للسياحة فقط، بل هي عبرة.

٣. العدالة الاجتماعية من أسباب البقاء: المجتمعات التي تظلم ضعفاءها ويبطرفيها أغنيائها، تكون عرضة للزوال.

البعد السياسي والحضاري

١. الحضارات تزول حين تبطر: أي حضارة تصل إلى قمة الرفاهية وتنسى مبادئها، تبدأ في الانهيار.

٢. القوة العسكرية وحدها لا تحمي: الأمم السابقة كانت أقوى عسكرياً، فلم ينفعها ذلك.

٣. الاستخلاف مسؤولية: من يحكم الأرض عليه أن يتذكر أنه مستخلف، وأن الله يرث الأرض ومن عليها.

خامساً : خطورة بطر النعمة وكفرها - تحليل معمق

ما هو البطر؟

البطر هو الأشر والمرح في حالة النعمة، وهو من علامات الجاهلية والطفغان. قال أبو عبيدة: البطر: شدة الفرح. وقيل: البطر: أن يبطر الإنسان بنفسه، ويتجاوز قدره. وقيل: هو الكفران وترك الشكر.

البطر درجات:

1. بطر القلب: نسيان المنعم، واعتقاد أن النعمة استحقاق.

2. بطر اللسان: التحدث بالنعمة بتبجح واستعلاء.

3. بطر الجوارح: استخدام النعمة في المعصية.

علامات البطر في الأمم

• الفجور في الخصومة: يتجادلون بالباطل ويتجاوزون الحدود.

• الأشر والبغي: يتكبرون على الناس.

• إضاعة الصلاة: ترك العبادة وشكر المنعم.

• اتباع الشهوات: الانغماس في الملذات.

• استضعاف الضعفاء: الفقراء والمساكين يهيمشون.

• الفساد الاقتصادي: الاحتكار والربا والغش.

• الفساد السياسي: الظلم والاستبداد.

كيف يكون كفر النعمة؟

كفر النعمة ليس شركاً بالله فقط، بل هو:

• استخدام النعمة في معصية الله.

• نسيان أن النعمة من الله.

• اعتقاد أن النعمة بذكائك وقوتك.

. عدم شكر الله بالقلب واللسان والجوارح.

نماذج من الأمم التي أهلكت بسبب البطر

- . قوم عاد: أوتوا قوة وتمكيناً، وبنوا القصور الشاهقة، فبطروا وعتوا، فأهلكوا بريح عقيم.
- . قوم ثمود: نحتوا الجبال بيوتاً، وكانوا أقوياء، فبطروا وعقروا الناقة، فأهلكتهم الصيحة.
- . قوم فرعون: بطروا بما أوتوا من ملك وجنود وقصور، فأغرقهم الله.
- . قوم قريش: بطروا بالأمن والرزق، وأشركوا بالله.

البطر في عصرنا - مظاهر معاصرة

- . البطر التكنولوجي: الاعتقاد أن العلم والتكنولوجيا يغنيان عن الله.
 - . البطر الاقتصادي: الغرور بالثروات، والتباهي بالرفاهية، واستغلال الفقراء.
 - . البطر السياسي: استبداد الحكام، وتغطرس الدول الكبرى.
 - . البطر الاجتماعي: التفكك الأسري، وانتشار الفاحشة، وإضاعة القيم.
 - . البطر الفكري: الإلحاد الجديد، ونسب الخلق إلى الطبيعة، وإنكار الخلق.
- سادساً** : كيف نتجنب مصير تلك الأمم والحضارات؟

العلاج على المستوى الفردي

1. إحياء شكر النعمة:

- . ابدأ يومك بـ "الحمد لله"، واختتمه به.
- . عد نعم الله عليك، واشكر عليها بلسانك وقلبك وجوارحك.
- . إذا رأيت من هو أقل منك في النعمة، فاشكر الله.

2. التواضع وعدم الغترار:

- . تذكر أن كل ما عندك من الله، وأنت لا تستحقه بذاتك.
- . إذا أعجبك شيء في نفسك، فقل: "ما شاء الله، لا قوة إلا بالله".
- . لا تتكبر على الناس، فإن الله لا يحب كل مختال فخور.

3. مراقبة النفس من البطر:

- . كلما شعرت بالفرح المفرط بنعمة، تذكر الآية: "بطرت معيشتها".
- . اسأل نفسك: هل أنا أشكر الله على هذه النعمة أم أبطرها؟
- . راقب لسانك: هل تتحدث بنعمك بتواضع أم بتبجح؟

4. استخدام النعم في طاعة الله:

- . المال: أنفقه في وجوه الخير.
- . الصحة: استخدمها في العبادة والعمل الصالح.
- . العلم: انشره لهداية الناس.
- . السلطة: احكم بالعدل.

العلاج على المستوى الأسري

1. تربية الأبناء على الشكر:

- . علمهم أن يقولوا "الحمد لله" عند الأكل والشرب واللبس.
- . لا تفرط في تدليلهم حتى لا يبطروا بالنعم.
- . علمهم قيمة التواضع، وأن النعم من الله.

2. ربطهم بتاريخ الأمم السابقة:

. اقرأ لهم قصص الأمم التي أهلكت.

- ژر معهم المتاحف والآثار، وتأملوا في عاقبة من بطر.
- ناقش معهم: لماذا زالت هذه الحضارات؟

العلاج على المستوى المجتمعي

1. محاربة ثقافة البطر:

- لا تمجد الأغنياء لمجرد غناهم.
- لا تروج لثقافة "التباهي" بالمنازل والسيارات.
- شجع الإعلام على نشر قصص التواضع والشكر.

2. إحياء الشعائر الدينية:

- الصلاة: تذكير دائم بشكر الله.
- الصدقة: تذكير بأن المال ليس ملكاً لك.
- الحج: تذكير بأن الكل متساو أمام الله.

3. العدالة الاجتماعية:

- تقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء.
- حماية حقوق الضعفاء.
- منع الاحتكار والربا.

العلاج على المستوى السياسي والحضاري

1. تذكير الحكام بأنهم مستخلفون:

- لا سلطان مطلق، بل سلطان مستمد من الله ومسؤول أمامه.
- العدل أساس بقاء الحضارات.

2. تعزيز القيم في المؤسسات:

- التعليم: يجب أن يعلم قيمة الشكر والتواضع.
- الإعلام: يجب أن يبرز نماذج التواضع لا التباهي.
- الاقتصاد: يجب أن يمنع الفساد والاستغلال.

3. الاستفادة من دروس التاريخ:

- دراسة أسباب انهيار الحضارات السابقة.
 - تحذير الأجيال القادمة من تكرار الأخطاء.
 - بناء حضارة على أساس الشكر لله والعدل بين الناس.
- **سابعاً: الدروس المستفادة من الآية في حياتنا العملية

الدرس الأول: عد نعم الله واشكر

لا تعش في غفلة عن النعم. خذ ورقة وقلم، واكتب نعم الله عليك. ستجد أنها لا تعد.

تطبيقات عملية:

- خصص 5 دقائق كل يوم لتعد نعماً جديدة.
- قل "الحمد لله" عند رؤية أي منظر جميل، وعند سماع خبر سار.
- إذا نسيت الشكر، تذكر أن من بطر أهله الله.

الدرس الثاني: لا تغتر بقوتك

قد تكون قوياً، غنياً، صحيحاً، جميلاً ، ذكياً. كل هذا من الله، وهو قادر على سلبه في لحظة.

تطبيقات عملية:

- . إذا شعرت بالإعجاب بنفسك، تذكر أن الله هو المان.
- . انظر إلى من هو دونك، لا من هو فوقك.
- . لا تستهن بضعفاء الناس، فقد يكون في ضعفهم قوة عند الله.

الدرس الثالث: استخدم النعم في طاعة الله

أعظم أنواع الشكر هو استخدام النعمة في مرضاة الله.

تطبيقات عملية:

- . إذا أوتيت مالا : تصدق، واعفُ عن المدينين، وقدم قروضاً حسنة.
- . إذا أوتيت جاهلاً: احم المظلوم، وانصر الضعيف، واحكم بالعدل.
- . إذا أوتيت علماً: علم الجاهل، وانفع الناس به.
- . إذا أوتيت قوة: اعمل بها في بناء الخير، لا في هدمه.

الدرس الرابع: تأمل في آثار الماضين

إذا سافرت إلى بلد له آثار قديمة، قف وتأمل. تخيل أن هذه القصور كانت مليئة بالحياة، وهؤلاء الناس كانوا يبطلون.

تطبيقات عملية:

- . اقرأ كتب التاريخ، وخاصة قصص الأمم السابقة.
- . إذا رأيت خراباً، تذكر الآية: "فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً".
- . استشعر أنك قد تكون مثلهم لو بطرت.

الدرس الخامس: ازرع التواضع في نفسك وأهلك

التواضع هو عكس البطر. المتواضع يشكر، والمتبطر يكفر.

تطبيقات عملية:

- . لا تتفاخر ببيتك أو سيارتك أو منصبك.
- . إذا مدحك أحد، فقل: "الله أعطاني، الفضل لله".
- . تعلم أن تجلس مع الصغار والفقراء والمساكين، وتجالسهم بكل تواضع.

الدرس السادس: احذر من "بطر العبادة"

قد يبطر الإنسان بعبادته، فيرى نفسه أفضل من غيره، وينظر إلى المخطئين بازدراء. هذا بطر أيضاً.

تطبيقات عملية:

- . إذا صليت أو صمت أو تصدقت، لا تمنَ على الله.
- . لا تنظر إلى العصاة بعين الكبر، بل ادعُ لهم.
- . تذكر أن قبول العبادة بيد الله، لا بعملك.

الدرس السابع: استعد للرحيل

أنت في هذه الدنيا عابر. كل ما تملكه سيورث لغيرك.

تطبيقات عملية:

- . لا تتعلق بالدنيا تعلق الأبدى.
- . قدّم لنفسك ما يبقى بعدك: صدقة جارية، علم ينتفع به، ولد صالح يدعو لك.
- . تذكر أن الله هو الوارث، فلا تغتر بما عندك.

الدرس الثامن: كيف نحمي مجتمعنا من البطر؟

البطر مرض مجتمعي قبل أن يكون فردياً.

تطبيقات عملية:

- شجع في مجتمعك ثقافة "الحمد لله" بدلا " من "أنا فعلت".
- ناقش ظاهرة التباهي والتفاخر بين الشباب.
- في مناسبات الأفراح، قلل من مظاهر البطر (المبالغة في الزينة، التبذير).
- دعم الإعلام الهادف الذي يظهر قيمة التواضع.

الدرس التاسع: علاج البطر في أوقات الرخاء

أخطر ما في البطر أنه يأتي في الرخاء. ففي الشدة يلجأ الناس إلى الله، وفي الرخاء ينسون.

تطبيقات عملية:

- لا تنتظر المصيبة لتشكر الله. اشكر في الرخاء.
- إذا فتح الله عليك باب رزق، تذكر الفقراء، وتذكر أن هذه النعمة اختبار.
- ارتبط بالمسجد ولو كنت غنياً، فلا يغرنك الغنى.

الدرس العاشر: اليقين بأن الدنيا زائلة

كل ما تراه من عمارة وازدهار، مصيره الزوال. ليست تشاؤماً، بل حقيقة إلهية.

تطبيقات عملية:

- لا تبني حياتك على الدنيا، ابنها على الآخرة.
- استمتع بالدنيا في حدود الحلال، ولا تجعلها أكبر همك.
- تذكر أن القبور تنتظر الجميع، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء.
- ****ثامناً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك**

اسأل نفسك بصدق:

١. هل أشكر الله على نعمه كل يوم؟ أم أني أعيش في غفلة؟
 ٢. هل أشعر أن ما عندي هو بجهدى وذكائى، أم بفضل الله؟
 ٣. هل أتحدث عن نعمى بتواضع أم بتبجح؟
 ٤. هل أستخدم نعم الله فى طاعته أم فى معصيته؟
 ٥. لو نظر إلى أبناء حضارتى بعد ألف عام، هل سيرون أننا بطرنا أم شكرنا؟
 ٦. ما الذى سيبقى منى بعد موتى؟ هل هو مجرد قبر يندثر، أم أثر طيب يبقى؟
 ٧. هل تأملت يوماً فى آثار الماضين وعبرت بما حل بهم؟
- الخلاصة النهائية

الآية 58 من سورة القصص ليست مجرد إخبار عن هلاك الأمم السابقة، بل هي:

- سنة إلهية ثابتة: كل من بطر وكفر النعمة، مصيره الزوال، مهما كانت قوته.
- تحذير للأمم والحضارات: لا تغتر بقوتك ورفاهيتك، فإن البطر يدمر من الداخل قبل أن يأتي العدو من الخارج.
- دعوة إلى شكر النعم: الشكر هو مفتاح البقاء والزيادة، والكفران هو مفتاح الزوال.
- تذكير بأن الله هو الوارث: فلا تملك من الأرض شيئاً، بل أنت مستخلف مؤقت.

. عبرة وعظة: آثار الماضين أمام عيوننا، فلماذا لا نعتبر؟

تذكر دائماً: كم من حضارة بطرت فأهلكت. كم من دولة اغترت بقوتها فاندثرت. كم من مدينة كانت عامرة فصارت خراباً.

لا تظن أنك استثناء. كل من بطر وكفر النعمة، أتبعه الله الهلاك. ليس انتقاماً، بل عدلاً. لأن النعمة أمانة، فمن خان الأمانة، نزعته منه.

انظر حولك: أين الفراعنة؟ أين البابليون؟ أين الرومان؟ أين الأندلس؟ كلها كانت حضارات عظيمة، فبطرت فزال ملكها، واندثرت مساكنها.

أنت الآن تعيش في حضارة مادية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً. لكن هذه الآلة تحذرك: لا تبطر. اشكر. تواضع. اعلم أن كل شيء من الله. استخدم نعمك في طاعته. وانصر الضعفاء. واعدل بين الناس. واذكر الله كثيراً.

فإن فعلت، بارك الله لك في نعمتك، ومد في عمر حضارتك، وجعلك عبرة لمن بعدك، لا كعبرة من قبلك.

وإن بطرت، فستكون مساكنك كما قال الله: "لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا". وسيكون الله هو الوارث.

فاخترت بين يديك. فاختر طريق الشكر، تسلم من طريق البطر. واعتبر بمن كان قبلك، لعلك تعتبر.

المبحث الثالث

تفسير الآية 59 من سورة القصص

بأسلوب يخاطب وجدانك، ويؤسس في قلبك عدل الله ورحمته، ويؤكد سنة الإنذار قبل الإهلاك، مع تحليل بياني وبلاغي متكامل، وبذات النسق العميق الذي تعودت عليه. المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الإلهي الذي يرسم حدود الرحمة قبل أن يرسم حدود العقاب. بعد أن أخبرك الله عن هلاك الأمم السابقة بسبب بطرهم وكفرهم بالنعمة، يأتي الآن توضيح للقاعدة الذهبية في تعامل الله مع خلقه: لا عذاب بلا إنذار.

قال تعالى: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ" (القصص: 59)

هذه الآية هي آية العدل الإلهي المطلق. إنها ترد على كل من يتوهم أن الله يعذب عباده بلا سبب، أو أنه يهلك القرى ظلماً. كلا، إن الله أرحم من أن يعذب بلا إنذار، وأعدل من أن يهلك بلا حجة.

تضع هذه الآية أمامك مبدئين عظيمين:

1. لا إهلاك إلا بعد بعثة رسول: الله لا يهلك قرية إلا بعد أن يرسل إليها رسولا ً يبلغها آياته.
2. لا إهلاك إلا للظالمين: الإهلاك لا يقع إلا على قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والطغيان بعد قيام الحجة.

هذه الآية تخاطب فيك عقلان: عقلك ليدرك عدل الله، وقلبك ليطمئن إلى رحمته، وضميرك ليتذكر أنك مسؤول بعد أن بلغك الحق.

إنها تريح المؤمن الذي يتساءل: لماذا يعذب الله الناس وهم لم يسمعوا بالرسول؟ وتخوف المصّر على الكفر الذي قامت عليه الحجة: لقد أرسل الله إليك رسولا ً ، فاحذر أن تكون من الظالمين الذين يستحقون الإهلاك.

***الأفكار الرئيسية في الآية

1. انفي صفة الإهلاك عن الله قبل الإنذار: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ".

2. شرط الإهلاك الأول: "حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا".

3. مهمة الرسول: "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا".

4. انفي الإهلاك عن الله بصيغة أخرى: "وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ".

5. شرط الإهلاك الثاني: "إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ".

****أولا :** اللامسات البيانية والبلاغية في الآية

1. "وَمَا كَانَ رَبُّكَ" - النفي بأسلوب النفي الدائم

تأمل هذه الافتتاحية: "وَمَا كَانَ" أسلوب يفيد نفي الصفة الثابتة والدائمة. ليس مجرد نفي للحدث في الماضي، بل نفي لكونه من صفة الله وشأنه أن يهلك القرى بلا إنذار.

"رَبُّكَ" إضافة الربوبية إلى النبي ﷺ، وفيها تشريف للنبي وتذكير بأن الله هو المربي الراعي الذي لا يظلم عباده.

2. "مُهْلِكَ الْقَرْىَ" - صيغة المبالغة في الإهلاك

"مُهْلِكَ" اسم فاعل من الإهلاك، بصيغة المبالغة. أي: ليس من شأن ربك أن يكون كثير الإهلاك للقرى بدون سبب.

"الْقَرْىَ" جمع قرية، وهي تشمل المدينة والبلدة والقرية. والمقصود بها أي تجمع بشري له حضارة وعمران.

3. "حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُولًا" - الغاية الشرطية

"حَتَّى" هنا تفيد الغاية، أي: لا يكون الإهلاك واقعاً إلا بعد أن يبلغ الغاية وهي بعثة الرسول.

"فِي أُمَمٍ" أي في وسطها وأشرفها وأعظمها. قال المفسرون: "أم القرى" هي أكبر مدينة في تلك المنطقة، يبعث فيها الرسول ليكون قريباً من الناس.

"رُسُولًا" نكرة للتعظيم، أي رسولا ً من عندنا، ليس ملكاً بل بشراً ليلبغ الناس.

4. "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا" - صفة الرسول ووظيفته

"يَتْلُو" فعل مضارع يفيد الاستمرار والتكرار. مهمة الرسول هي تلاوة الآيات، أي قراءتها وبيانها للناس.

"آيَاتِنَا" إضافة الآيات إلى الله، للتشريف والتعظيم. هذه الآيات هي الدلائل والبيانات والحجج.

5. "وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرْىَ" - التوكيد بصيغة الجمع والعظمة

"مَا كُنَّا" بصيغة الجمع الدالة على العظمة، توكيد للنفي الأول. الله يقسم بعظمته: ما كنا لنهلك القرى.

"مُهْلِكِي الْقَرْىَ" من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهو أسلوب بليغ.

6. "إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ" - الاستثناء الذي يفسر العدل

"إِلَّا" أداة استثناء. أي: ما كنا مهلكي القرى إلا في حالة واحدة: أن يكون أهلها ظالمين.

"ظَالِمُونَ" صيغة جمع، تفيد أن الظلم صفة ثابتة فيهم. الظلم هنا هو الكفر والشرك بعد قيام الحجة، وليس أي ظلم. قال قتادة: الظلم ههنا الشرك.

هذه الجملة تحسم الجدل: الله لا يعذب أحداً إلا بعد أن يرسل إليه رسولا ً، فيكفر به ويظلم نفسه، فيحق عليه العذاب.

*****ثانياً:** دلالات الآية ورسائلها العميقة

1. عدل الله المطلق: لا عذاب بلا إنذار

هذه الآية تؤسس لقاعدة إيمانية عظيمة: الرحمة تسبق العذاب. الله أرحم بعباده من أن يخلقهم ثم يعذبهم دون أن يبين لهم الطريق. فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجة.

الرسالة: إذا كنت تتساءل عن مصير من لم تبلغهم الدعوة، فاعلم أن الله عادل، لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه. أما من لم تبلغه الدعوة حقاً، فله حكم آخر يعلمه الله.

2.الرسل هم حجج الله على خلقه

الرسل ليسوا مجرد مبلغين، بل هم حجج الله البالغة. إرسال الرسول إلى قرية يعني أن الله قد قطع العذر عن أهلها. فمن آمن نجا، ومن كفر هلك.

الرسالة: قد تقوم الحجة عليك اليوم. الرسول ﷺ بعث إلى البشرية جمعاء، والقرآن بين يديك. فأنت الآن في مرحلة "بعد الإنذار". فماذا أنت فاعل؟

3.الظلم هو سبب الهلاك

الآية تحدد سبب الهلاك بدقة: الظلم. ليس الفقر، وليس الضعف، وليس قلة العدد. الظلم هو الذي يستحق العقاب.

والظلم هنا كما قال المفسرون: الشرك والكفر بعد قيام الحجة. فمن عرف الله ثم أشرك به، فقد ظلم نفسه أعظم ظلم.

الرسالة: لا تظلم نفسك بالكفر أو الشرك أو المعاصي بعد أن عرفت الحق. فإن الله قد أنذرك، فاحذر أن تكون من الظالمين.

4.سنة الله في الأمم: إنذار ثم إمهال ثم إهلاك

الآية تكشف عن سنة إلهية مطردة:

- . الإنذار: بعثة رسول يتلو الآيات.
- . الإمهال: فترة للناس ليتفكروا ويتوبوا.
- . الإهلاك: إذا أصروا على الظلم، حل بهم العذاب.

الرسالة: لا تستعجل على العصاة. الله يمهل ولا يهمل. قد يرى الإنسان ظلماً منتشراً فيظن أن الله لا يرى. ولكن إذا انتهت المهلة، جاء الإهلاك بغتة.
**ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: الله ليس ظالماً أبداً

قد يمر بخاطرك سؤال: لماذا يعذب الله الناس؟ لماذا يهلك القرى؟ هذه الآية تهمس في أذنك: الله لا يهلك إلا بعد إنذار، ولا يعذب إلا ظالماً. فلو تركت الناس بلا رسل، لكان لهم حجة يوم القيامة. لكن الله قطع الحجة فأرسل الرسل.

الرسالة الثانية: الحجة قد قامت عليك

قد تقول في نفسك: "أنا لم أر رسولا"، ولم تنزل عليّ ملك". ولكن الرسول ﷺ بعث إلى الناس كافة، والقرآن وصل إليك. فأنت الآن في زمن قامت فيه الحجة. لا تقل: "لم أعلم". فقد علمت.

الرسالة الثالثة: الظلم يبدأ من الشرك

أعظم ظلم هو أن تعرف الله ثم تعبد غيره. أو تعرف الحق ثم تتبعه هواك. أو تعرف القرآن ثم تهجره. هذه هي الظلمات التي تستحق العقاب.

الرسالة الرابعة: الرحمة تسبق العذاب

هذه الآية تريح قلبك: الله ليس عجولاً في العقاب. أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمهل لعله يتوبوا. فلا تيأس من رحمة الله، ولا تتعجل في الحكم على الآخرين.
***رابعاً: الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيمان

1.الإيمان بعدل الله: الله لا يظلم مثقال ذرة. من لم تبلغه الدعوة، له حكم آخر.

٢.الإيمان بالرسول: هم حجج الله على خلقه، والإيمان بهم واجب.

٣.الإيمان بالسنة الإلهية: سنن الله لا تتغير، فمن بطر وعتا بعد الإنذار، هلك.

البعد النفسي

١.علاج الشك في عدل الله: قد يوسوس الشيطان للإنسان بأن الله ظالم. هذه الآية ترد عليه.

٢.تعزيز الشعور بالمسؤولية: بعد أن علمت أن الحجة قد قامت عليك، تزداد مسؤوليتك تجاه دينك.

٣.تخفيف الحزن على هالك: قد ترى شخصاً يموت على الكفر، وتتساءل: لماذا لم يهده الله؟ الآية تذكر أنه مات بعد قيام الحجة، فاختار الظلم بنفسه.

البعد التربوي

١.تعليم الأبناء عدل الله: علمهم أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إنذاره.

٢.تعليمهم المسؤولية: بعد أن عرفوا الحق، أصبحوا مسؤولين أمام الله.

٣.تعليمهم عدم اليأس من العصاة: الله يمهل العصاة، فلا تتعجل في الحكم عليهم.

البعد الاجتماعي

١.ادور المجتمع في الإنذار: المجتمع المؤمن مسؤول عن إنذار من حوله قبل أن يحل بهم العذاب.

٢.عدم تبرير الظلم: الظلم هو سبب الهلاك، فلا تبرر ظلم أي حاكم باسم القدر أو مشيئة الله.

٣.بناء مجتمع قائم على العدل: العدل هو أساس بقاء المجتمعات، والظلم هو أساس زوالها.

البعد السياسي والحضاري

١.إشريعة إقامة الحجة قبل العقاب: أي حاكم يريد أن يعاقب شعباً، يجب أن يبين لهم القوانين أولاً.

٢.رفض الاستبداد: الحاكم الذي يعاقب بلا قانون ولا إنذار، هو ظالم يتبع سنن الطغاة وليس سنن الله.

٣.العلاقات الدولية: لا يجوز مهاجمة قوم أو احتلال بلدهم دون إنذار وبيان الأسباب.
***خامساً: الدروس المستفادة من الآية في حياتنا العملية

الدرس الأول: لا تيأس من رحمة الله إذا أخطأت

الآية تتحدث عن الإهلاك بعد الإنذار والظلم المستمر. أما أنت، فما دمت حياً، فباب التوبة مفتوح. ف الله يمهل ولا يهمل، ويقبل التوبة حتى يطلع قرص الشمس من مغربها.

تطبيقات عملية:

- لا تظن أن ذنبك كبير جداً بحيث لا يغفره الله. الله يغفر الذنوب جميعاً.
- بادر بالتوبة الآن قبل أن يحل العذاب.
- لا تؤجل الندم، فالمهلة قد تنتهي في أي لحظة.

الدرس الثاني: الحجة قد قامت عليك، فاختر طريقك

بما أنك تعرف أن الله أرسل رسوله وأنزل كتابه، فأنت في مرحلة "ما بعد الإنذار". لم يعد لك عذر ب الجهل.

تطبيقات عملية:

- . اسأل نفسك: لو مت اليوم، هل سأكون من الظالمين أم من المؤمنين؟
- . التزم بالصلاة، واقرأ القرآن، واتبع سنة النبي.
- . لا تقل: "سأتوب غدا"، فغدا قد لا يأتي.

الدرس الثالث: لا تتعجل في الحكم على الآخرين

قد ترى شخصا عاصيا فتقول: "هذا من أهل النار". لا تفعل. فالله قد يهديه في آخر لحظة.

تطبيقات عملية:

- . لا تصدر أحكاما على عباد الله.
- . ادع للعصاة بالهداية، ولا تيأس من رحمتهم.
- . تذكر أن الله وحده هو الذي يحكم، وهو أعلم بحالهم.

الدرس الرابع: الظلم أنواع، فاجتنبها كلها

الظلم ليس فقط الكفر. هناك ظلم النفس بالمعاصي، وظلم الآخرين بالاعتداء، وظلم المجتمع بالفساد.

تطبيقات عملية:

- . لا تظلم نفسك بترك الفرائض أو ارتكاب المحرمات.
- . لا تظلم غيرك بغضب حق، أو غيبة، أو نميمة، أو أذى.
- . لا تشارك في ظلم جماعي، كالرشوة أو الغش أو التزوير.

الدرس الخامس: كيف نتعامل مع من لم تبلفهم الدعوة؟

قد تسأل: ما حكم من لم يسمع بالإسلام أصلا ؟

تطبيقات عملية:

- . لا تتعجل بالحكم عليه. فالله عادل، ولا يعذب أحدا إلا بعد إنذار.
- . إذا كنت قادرا على تبليغه، فبلفه بالحكمة والموعظة الحسنة.
- . تذكر أن الله يقول: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا" (الإسراء: 15)

الدرس السادس: احذر من الظلم الجماعي

الأمم تهلك عندما ينتشر الظلم فيها. فلا تكن جزءا من ظلم جماعي.

تطبيقات عملية:

- . إذا كنت في مجتمع يظلم أفراد، فلا تسكت، بل انكر بلسانك أو بقلبك.
- . لا تشارك في انتخابات تخدم ظالما.
- . لا تؤيد سياسة ظالمة باسم الانتماء أو القومية.

الدرس السابع: استثمر فترة الإمهال

كل يوم تعيشه هو إمهال من الله. قد يموت قبلك من هو أصغر منك سنا. فاستثمر وقتك.

تطبيقات عملية:

- . لا تؤجل العمل الصالح. صل الآن، تب الآن، تصدق الآن.
- . املا وقتك بطاعة الله، لا تضيعه في سوشيال ميديا تافهة.
- . تعلم القرآن، واحفظه، وتدبره.

الدرس الثامن: كيف نكون من الناجين بعد الإنذار؟

الحجة قد قامت. النجاة تكون بالإيمان والعمل الصالح.

تطبيقات عملية:

- . آمن بالله ورسوله إيماناً صادقاً.
- . أقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت إن استطعت.
- . اتبع سنة النبي ﷺ في حياتك كلها.
- . توب إلى الله من كل ذنب، واستغفره دائماً.

الدرس التاسع: تذكر أن الله ليس بحاجة إلى إهلاكك

الله غني عن العالمين. هو لا يهلك القرى حباً في الإهلاك، بل بعد أن يستحقوا الإهلاك بظلمهم.

تطبيقات عملية:

- . لا تقل: "الله يريد أن يعذبني". الله يريد أن يرحمك، لكنك أنت من تختار الظلم.
- . لا تلق باللوم على الله، بل على نفسك.
- . تذكر أن الله يقول: "مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ" (النساء: 147).

الدرس العاشر: تطبيق هذه الآية في الدعوة إلى الله

عندما تدعو الناس إلى الإسلام، تذكر هذه الآية.

تطبيقات عملية:

- . لا تستعجل على المدعو. أنت مبلغ، والله هو الذي يهدي.
- . إذا لم يستجب، لا تغضب، ولا تيأس. فقد أرسل الله رسلاً إلى أقوام فكفروا.
- . اترك النتيجة لله، واعلم أن الحجة قد قامت عليه.
- **سادساً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل قامت الحجة عليّ حقاً؟ وهل أنا مؤمن بعد هذه الحجة؟
 ٢. لو مت اليوم، هل سأكون من الظالمين الذين استحقوا العذاب؟ أم من المؤمنين؟
 ٣. هل أنا ممن يظلمون أنفسهم بالمعاصي؟ وماذا سأفعل حيال ذلك؟
 ٤. هل أتعجل في الحكم على الآخرين؟ هل أعتبر نفسي أحق بالجنة من غيري؟
 ٥. هل بلغت غيري ما بلغني من الحق؟ أم أنا أناني أكتفي بنفسي؟
 ٦. إذا كانت الحجة قد قامت عليّ، فلماذا لا ألزم أكثر؟ ولماذا لا أخاف الله حق الخوف؟
 ٧. هل أشعر بظلم الله أحياناً؟ وكيف تعالج هذه الآية هذا الشعور؟
- الخلاصة النهائية

الآية 59 من سورة القصص ليست مجرد قاعدة قانونية، بل هي:

- . تأسيس لعدل الله المطلق: لا عذاب بلا إنذار، ولا إهلاك بلا حجة.
- . تذكير بوظيفة الرسل: هم حجج الله على خلقه، فلا عذر لأحد بعد بعثتهم.
- . تحذير من الظلم: الظلم هو سبب الهلاك، والله لا يهلك إلا ظالماً.
- . دعوة إلى شكر النعمة: بعد أن أرسل الله إليك الرسول وأنزل الكتاب، فعليك أن تشكر وتطيع.
- . تطهير القلب من سوء الظن بالله: الله ليس ظالماً للعبيد، بل هو أرحم الراحمين.

تذكر دائماً: أنت تعيش في زمن قامت فيه الحجة. الرسول ﷺ بعث إلى الناس كافة، والقرآن بين

يديك، والعلماء يذكرونك، والمواعظ تصل إليك. فلا تقل: "لم أعلم". فقد علمت.

وإذا كنت تعلم، فأنت مسؤول. مسؤول عن إيمانك، وعن عملك، وعن دعوتك. فإن آمنت وعملت صالحاً، فلك الجنة. وإن كفرت وظلمت، فعليك عاقبة ظلمك.

والله لا يهلكك ظلماً. إنما يهلكك بعد أن أرسل إليك الرسل، وأنزل عليك الكتب، وأقام عليك الحجة. فإن أصررت على الظلم، فما لك بعد الله من ولي ولا نصير.

فاختر اليوم. اختر الإيمان، واختر العدل، واختر الخير. فالله غني عنك، وأنت المحتاج إليه. وهو أرحم بك من نفسك، وهو أعلم بما يصلحك.

لا تكن من الظالمين الذين حقت عليهم كلمة العذاب بعد أن قامت عليهم الحجة. وكن من المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما قامت عليهم الحجة.

تلك وصية الله لك في كتابه. فاعمل بها، تنجو في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع

تفسير الآية 60 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الذي يعيد ضبط بوصلتك الإيمانية. بعد أن أخبرك الله عن سنته في إرسال الرسل قبل الإهلاك، وعن هلاك الأمم الباغية التي بطرت النعمة، يأتي الآن خطاب مباشر لك أنت. خطاب يضع الدنيا في كف والآخرة في كف، ويترك لك حرية الاختيار.

قال تعالى: "وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (القصص: 60)

هذه الآية هي آية إعادة تعريف القيمة الحقيقية للأشياء. إنها تضع أمامك ميزاناً دقيقاً تزن به كل شيء في حياتك: المال، الجاه، السلطة، المتع، الشهوات، كل ما أوتيته من شيء في هذه الدنيا.

تخاطب هذه الآية عقلك قبل قلبك: "أفلا تعقلون". إنها تدعوك إلى استخدام عقلك لتفريق بين ما هو زائل وما هو باق، بين ما هو متاع مؤقت وما هو خير أبدي.

الدنيا كلها مهما عظمت - قصورها، ذهبها، فضتها، مناصبها، نساؤها، أبنائها - ليست إلا متاع يستمتع به ثم يزول، وزينة يتباهي بها ثم تتلاشى. أما ما عند الله من النعيم المقيم، والجزاء الأوفى، والرضوان الأكبر، فهو خير وأبقى.

هذه الآية تريد أن تحررك من عبودية الدنيا. تريد أن ترفع عن كاهلك هم جمع المال والتباهي به. تريد أن تطلق سراحك من سجن المنافسة على الزخارف. تريد أن تعيد تعريف السعادة الحقيقية.

إنها آية تصلح أن تكون دستور حياة، وشعار كل مؤمن، ووصية يوصي بها نفسه كل يوم.

***الأفكار الرئيسية في الآية

1. تصغير شأن الدنيا: "وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ" - أي شيء أوتيتموه مهما عظم.
 2. وصف الدنيا بمتاع وزينة: "فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا" - ليست إلا متعاً مؤقتة وزخارف زائلة.
 3. تفضيل ما عند الله: "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ" - خير في ذاته، وأبقى في مدته.
 4. دعوة إلى استخدام العقل: "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" - ألا تعقلون فتفاضلوا بين الزائل والباقي؟
- ***أولاً: اللامسات البيانية والبلاغية في الآية

1. "وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ" - العموم والإحاطة

تأمل هذه الافتتاحية: "وَمَا" اسم موصول يفيد العموم. "أوتيتُمْ" فعل ماض مبني للمجهول. "مِّنْ شَيْءٍ" تنكير للتعميم أيضاً.

أي: أي شيء أوتيتموه، مهما كان نوعه، ومهما عظم قدره عندكم، ومهما بذلتم في جمعه. لا تستثني أية شيئاً: المال، العقار، السيارات، المناصب، الشهادات، الأبناء، الصحة، الجمال، القوة، الذكاء. كل شيء أوتيته فهو تحت هذا الحكم.

2."فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" - المتاع: الشيء المؤقت الذي يستعمل ثم يرمى

"مَتَاعٌ" من المتاع، وهو ما يتمتع به الإنسان ثم يزول. المتاع هو الشيء الذي تنتفع به فترة ثم ينتهي صلاحيته.

"الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" الحياة الدنيا مقابل الآخرة. الدنيا من الدنوّ، أي القرب، لأنها قريبة زائلة. المتاع مقيد بـ الدنيا فقط. أما الآخرة فليست متاعاً، بل هي دار قرار.

3."وَزِينَتْهَا" - الزينة: المظهر الخارجي الخادع

الزينة هي ما يتزين به الإنسان، وليس جوهر الشيء. إنها القشرة الخارجية البراقة التي تخفي حقيقة الشيء.

الدنيا كزينة العروس: جميلة في ليلة زفافها، ثم تذبل وتنتهي. كذلك الدنيا: قصورها وزينتها وفضتها وأزيائها، هي زينة تبهج النظر لحظات، ثم تزول.

4."وَمَا عِنْدَ اللَّهِ" - إضافة ما عند الله إليه

"مَا عِنْدَ اللَّهِ" أي ما أعده الله لعباده المؤمنين في الآخرة: الجنة وما فيها من نعيم، والرضوان، والقرب منه.

إضافة "عند الله" تفيد التشريف والتعظيم. ما عند الله ليس كغيره، لأنه من خالق الدنيا والآخرة.

5."خَيْرٌ وَأَبْقَى" - صفتان متكاملتان

"خَيْرٌ" في الذات والصفة. ما عند الله خير من كل شيء في الدنيا: خير لذة، خير متعة، خير نعيم، خير جزاء.

"أَبْقَى" في المدة. ما عند الله أبقي وأدوم، بل هو خالد لا يفنى. أما متاع الدنيا فيزول بعد ساعة، أو يوم، أو سنة، أو عمر، لكنه لا بد زائل.

هاتان الصفتان تجيبان على سؤالين:

- . لماذا نترك الدنيا؟ لأن ما عند الله خير.
- . كيف نترك الدنيا؟ لأن ما عند الله أبقي.

6."أَفَلَا تَعْقِلُونَ" - الاستفهام التوبيخي التحضيضي

الهمزة للاستفهام، والفاء للعطف، و"لا" نافية. "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" أي: ألا تستخدمون عقولكم لفهموا هذه الحقيقة البسيطة؟

إنه توبيخ لمن يفضل الدنيا الزائلة على الآخرة الباقية. فمن العقل أن تختار الخير والأبقي، ومن حماقة أن تختار المتاع الزائل.
***ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة

1.الدنيا متاع، والآخرة قرار

الدنيا ليست دار قرار، بل دار عبور. أنت فيها عابر سبيل، لا مستقر. كل ما فيها من متع، إن استخدمته لله فهو يتحول إلى عبادة، وإن استخدمته لنفسك فقط فهو متاع زائل.

الرسالة: لا تجعل الدنيا أكبر همك. هي مجرد مرحلة، وليست الهدف. الهدف هو ما عند الله.

2.الزينة خدعة

الدنيا تتزين لك كي تغرّك. تظهر لك بثيابها البراقة، وتخفي وراءها الجروح والندوب. من انخدع بـ الزينة، خسر الحقيقة.

الرسالة: لا تنظر إلى ظاهر الدنيا، بل انظر إلى باطنها. تحت القصر الفخم قد يكون صاحبه تقيساً، وتحت البساطة قد تكون السعادة الحقيقية.

3. الموازنة بين الدنيا والآخرة

الآية لا تأمرك بترك الدنيا بالكلية، بل تأمرك بعدم جعلها غايتك. خذ من متاعها بقدر ما يعينك على طاعة الله، واجعل قلبك معلقاً بما عند الله.

الرسالة: استمتع بالدنيا في حدود الحلال، لكن لا تتعلق بها. اجعلها مطيتك إلى الآخرة، لا هدفك النهائي.

4. العقل يهدي إلى اختيار الأفضل

استخدام العقل في الأمور الدينية ليس مذموماً. بل العقل السليم يهدي إلى أن ما عند الله خير وأبقى. فمن يختار الدنيا على الآخرة، فهو أحمق عاقله عقله.

الرسالة: فكر. استخدم عقلك. قارن بين الدنيا والآخرة. أيهما تستحق أن تبذل فيها عمرك؟

5. تحرير القلب من عبودية الدنيا

الآية تحررك من أغلال الدنيا. عندما تعلم أن كل شيء أوتيته ليس إلا متاعاً وزينة، يخف تعلقك به، وتستطيع أن تنفقه في سبيل الله دون حسرة.

الرسالة: لا تكن عبداً للدنيا. الدنيا خلقت لخدمك، لا لتستعبدك. فاستخدمها ولا تستخدمك. ***ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآية وجدانك؟

الرسالة الأولى: كل ما تملكه زائل

بيتك الذي تسكنه، سيارتك التي تفتخر بها، أموالك التي تجمعها، منصبك الذي تسعى إليه، صحتك التي تغتر بها، شبابك الذي تنبأه به. كلها متاع وزينة. كلها ستزول. فلماذا ترتبط بها؟ لماذا تبكي على فقدها؟ لماذا تظلم نفسك وغيرك من أجلها؟

الرسالة الثانية: ما عند الله خير وأبقى

جنة عرضها السماوات والأرض. نعيم لا يوصف. رضوان من الله أكبر. خلد فيها بلا موت، ولا مرض، ولا حزن، ولا فقر. هذا هو ما عند الله. فهل يعدله شيء في الدنيا؟

الرسالة الثالثة: استخدم عقلك

لست بحاجة إلى إيمان أعمى فقط. استخدم عقلك. قارن بين لذة ساعة في الدنيا ونعيم أبدي في الآخرة. قارن بين متاع يزول وثواب لا يحصى. أليست المقارنة واضحة؟ فأفلا تعقلون؟

الرسالة الرابعة: أنت مخير

الله لم يجبرك على اختيار الآخرة. ترك لك الحرية. لكنه بين لك الحقيقة. فالآن، الخيار لك: تختار المتاع الزائل أم الخير الباقي؟
**رابعاً: الأبعاد المختلفة للآية

البعد الإيماني

١. الإيمان بحقيقة الدنيا: أنها متاع وزينة، وليست دار قرار.

٢. الإيمان بحقيقة الآخرة: أنها خير وأبقى، وهي دار الخلد.

٣. الإيمان بأن العقل السليم يقود إلى الإيمان: اختيار الآخرة هو عين العقل والحكمة.

البعد النفسي

١. علاج التعلق بالدنيا: عندما تدرك أن كل شيء زائل، يخف تعلقك به، وتقل حسرتك عليه.
٢. علاج الحسد والطمع: عندما تعلم أن ما عند غيرك ليس إلا متاعاً زائلاً، يقل حسدك لهم.
٣. تعزيز الرضا: أنت راض بما قسمه الله لك، لأنك تعلم أن ما عند الله خير مما فاتك.
٤. علاج الخوف من الفقر: الرزق من عند الله، وهو أعطاك متاعاً، فلم تخاف؟

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء عدم التعلق بالدنيا: لا تربط حبهم بالأشياء المادية فقط.
٢. تعليمهم الموازنة: خذ من الدنيا ما يعينك على الآخرة، ولا تتركها بالكامل.
٣. تعليمهم قيمة ما عند الله: اجعل الجنة هدفهم الأسمى.

البعد الاجتماعي

١. محاربة ثقافة الاستهلاك: المجتمع الذي يجمع المال للتباهي فقط، هو مجتمع ضائع.
٢. تعزيز ثقافة التضامن: من يعلم أن المال متاع، يسهل عليه التصديق به.
٣. تقليل التفاوت الطبقي: عندما يدرك الأغنياء أن غناهم متاع، يخف بخلهم وكبرهم.

البعد الاقتصادي

١. العمل للدنيا بقدر الحاجة: لا تجعل جمع المال شغلك الشاغل.
٢. الاستثمار للآخرة: أنفق مالك في وجوه الخير، فهو الذي يبقى لك.
٣. مكافحة الربا والاحتكار: من عرف أن المال متاع، لا يظلم الناس لجمعه.

البعد السياسي

١. تذكير الحكام بأن السلطة متاع: منصب الحاكم ليس خالداً، فليعدل ولا يظلم.
 ٢. مقاومة الفساد: المسؤول الذي يعلم أن ما عنده خير وأبقى، لا يبيع دينه بدنياه.
 ٣. الأولويات في الحكم: وضع الآخرة نصب العينين في التشريع والسياسة.
- **خامساً: الدروس المستفادة من الآية في حياتنا العملية**

الدرس الأول: أعد تعريف "النجاح"

المجتمع يعرف النجاح بأنه جمع المال والمنصب. الآية تعيد تعريف النجاح: النجاح هو ما عند الله.

تطبيقات عملية:

- لا تقيس نجاحك بكمية أموالك، بل بتقواك.
- لا تحسد من جمع الكثير، فما جمعه إلا متاع.
- اسأل نفسك: ما الذي قدمته للآخرة؟

الدرس الثاني: متاع الدنيا - استخدمه ولا تستخدمه

الدنيا خلقت لك، لا أنت خلقت للدنيا. استخدم متاعها لتعينك على طاعة الله.

تطبيقات عملية:

- . المال: أنفقه في سبيل الله، وتصدق به، وأقرض المحتاجين.
- . الصحة: استخدمها في العبادة والعمل الصالح.
- . الشباب: استغله قبل الكبر.
- . القوة: استخدمها لنصرة الضعفاء.
- . الذكاء: استخدمه في تعلم الدين ونشره.

الدرس الثالث: زينة الدنيا - لا تنخدع بها

الزينة جميلة لكنها زائلة. لا تجعلها هدفك.

تطبيقات عملية:

- . لا تنفق مبالغ طائلة على المظهر فقط.
- . لا تنباهى بسيارتك أو بيتك أو ملابسك.
- . إذا أعجبك شيء من زينة الدنيا، فقل: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا".

الدرس الرابع: ما عند الله - اجعله هدفك

كل صلاة تصلّيها، وكل صدقة تتصدقها، وكل حسنة تعملها، هي مما عند الله. اجعل نصب عينيك.

تطبيقات عملية:

- . اقرأ أوصاف الجنة في القرآن، لتشتاق إليها.
- . تخيل نعيم الآخرة حين تصلّي أو تتصدق.
- . قل دائماً: "اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل".

الدرس الخامس: استخدم عقلك في الموازنة

الدنيا قصيرة، والآخرة طويلة. الدنيا فيها تعب، الآخرة فيها راحة. الدنيا فيها ألم، الآخرة فيها نعيم. أ لا يستحق العاقل أن يختار الآخرة؟

تطبيقات عملية:

- . خصص وقتاً للتفكير في الآخرة كل يوم.
- . قارن بين لذة عابرة ونعيم دائم.
- . إذا هممت بمعضية، فكر: هل تستحق هذه اللذة الزائلة أن تخسر بها ما عند الله؟

الدرس السادس: كيف نطبق هذه الآية في عصر المادية؟

نحن نعيش في عصر يعبد المال، ويقدر الاستهلاك، ويجعل من جمع الثروات هدفاً للحياة. كيف نواجه هذا؟

تطبيقات عملية:

- . لا تستسلم لضغط الإعلانات التي تدفعك للشراء والتباهي.
- . قلل من متابعة "المؤثرين" الذين يروجون لثقافة الاستهلاك.
- . علم أبنائك قيمة القناعة، وأن السعادة ليست في كثرة المال.
- . اختر أصدقاء يذكرونك بالآخرة، لا يجرونك إلى التنافس على الدنيا.

الدرس السابع: التعامل مع فوات الدنيا

قد يفوتك شيء كنت تتمناه: وظيفة، منصب، مال، زواج. هذه الآية تريح قلبك.

تطبيقات عملية:

- إذا فاتك شيء، فقل: "ما عند الله خير وأبقى".
- لا تحزن على ما فات، فهو كان متاعاً زائلاً.
- استعن بالله، واطلب منه ما هو خير لك.

الدرس الثامن: كيفية تنشئة جيل لا يتعلق بالدنيا

الأطفال اليوم ينشؤون في بحر من الإغراءات المادية.

تطبيقات عملية:

- اربطهم بالمسجد والقرآن منذ الصغر.
- علمهم أن السعادة ليست في الألعاب والإلكترونيات فقط.
- شجعهم على التصديق ومساعدة الآخرين.
- كن قدوة لهم في الزهد في الدنيا، لا في جمعها فقط.

الدرس التاسع: التوبة من حب الدنيا

حب الدنيا أصل كل خطيئة. فتنب إلى الله من تعلقك بالدنيا.

تطبيقات عملية:

- ابدأ يومك بتجديد النية: "اللهم اجعل الدنيا في يدي لا في قلبي".
- راقب قلبك: هل تشعر بالضيق عند فقد شيء مادي؟
- أكثر من قول: "الحمد لله على كل حال".

الدرس العاشر: الدعاء لتحقيق هذه المعاني

لا تستطيع أن تزهد في الدنيا بقوتك. اسأل الله أن يعينك.

تطبيقات عملية:

- ادع: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا".
- ادع: "اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان".
- ادع: "اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل".
- ***سادساً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. الو وضعت أمامي كل متع الدنيا، وجنة عرضها السماوات والأرض، أيهما أختار؟
٢. كم من عمري أنفقت في جمع متاع زائل؟ وكم أنفقت في طلب ما عند الله؟
٣. هل أشعر بالحسرة عندما يفوتني شيء من الدنيا؟ أم أقول "ما عند الله خير"؟
٤. هل تعلق قلبي بشيء من الدنيا يمنعني من طاعة الله؟
٥. لو مت اليوم، ماذا قدّمت لما عند الله؟

٦. هل أستخدم عقلي في تفضيل الآخرة على الدنيا، أم أتبع هوى نفسي؟

٧. كيف سأشعر عندما أرى ما عند الله يوم القيامة، وأتذكر أنني فضلت عليه متاع الدنيا؟
الخلاصة النهائية

الآية 60 من سورة القصص ليست مجرد تذكير بحقيقة الدنيا، بل هي:

- دستور حياة يعيد ترتيب أولوياتك، ويضع الآخرة في مقدمة هدفك.

- تحرير للقلب من عبودية المال والمنصب والمتعة.
- علاج نفسي للحسد والطمع والخوف من الفقر والحزن على فوات الدنيا.
- دعوة إلى استخدام العقل في أعظم قرار في حياتك: اختيار الآخرة على الدنيا.
- موازنة عادلة لا تأمر بترك الدنيا، بل بعدم جعلها غايتك.

تذكر دائماً: كل ما تراه من قصور وذهب وفضة وسيارات ونساء وأبناء، هو متاع وزينة. جميل لكنه زائل. يفنى اليوم أو غداً. أما ما عند الله من النعيم المقيم، والرضوان الأكبر، والقرب منه، فهو خير وأبقى.

لا تكن أحمق فتفضل الزائل على الباقي. استخدم عقلك. فكر. قارن. ثم اختر.

اختر أن يكون همك ما عند الله، لا ما في أيدي الناس.

اختر أن تباع الدنيا بالآخرة، لا أن تباع الآخرة بالدنيا.

اختر أن تكون من عقلاء المؤمنين الذين قالوا: "ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

فهنيئاً لمن عقل، وويل لمن فضل الدنيا على الآخرة

المبحث الخامس

تفسير الآية 61 من سورة القصص

المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد المقارن الذي يضعه الله بين عبيك. بعد أن أخبرك أن كل ما أوتيته في الدنيا هو متاع وزينة، وأن ما عند الله خير وأبقى، يأتي الآن سؤال مقارن حاسم: هل يستوي من وعد الله وعداً حسناً فهو لاقية، مع من متع في الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين؟

قال تعالى: "أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ" (القصص: 61)

هذه الآية هي آية المفاضلة والمقارنة العادلة. إنها تضع المؤمن والكافر جنباً إلى جنب، لتري الفرق الشاسع بين مصيرهما، لا في الدنيا فقط، بل في الآخرة حيث الحساب الحقيقي.

هذه الآية تخاطب فيك الشعور بالعدالة الإلهية. قد ترى في الدنيا الكافر ينعم ويتوسع في الرزق، و المؤمن يعيش في ضيق. قد تحزن لهذا المشهد، أو يتساءل قلبك: أين عدل الله؟ تأتي هذه الآية لتجيب: لا تقارن بينهما بالدنيا فقط. انظر إلى النهاية. المؤمن له وعد من الله بالجنة وهو لاقية لا محالة. أما الكافر فقد متع في الدنيا قليلاً، ثم ينتظره يوم القيامة الإحضار للعذاب.

إنها آية تريح قلب المؤمن وتطمئنه، وتخوف قلب الكافر وتوقظه. إنها آية الموازنة التي تضع كل شيء في نصابه.

***الأفكار الرئيسية في الآية

1. المؤمن: "أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ".
2. الوعد الحسن: الجنة وما فيها من نعيم مقيم.
3. لقاء الوعد: لا بد أن يتحقق، وهو يقين عند المؤمن.
4. الكافر: "كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا".
5. متاع الدنيا: زائل ومؤقت.
6. مصير الكافر: "ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ".
7. الاستفهام الإنكاري: "أَفَمَنْ" - هل يستوي هذا بهذا؟

***أولاً: اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

1. "أَفَمَنْ" - الاستفهام للتفضيل والمفاضلة

تأمل هذه الافتتاحية: "أَفَمَنْ" الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف. المعنى: هل يستوي من وعدناه وعداً حسناً مع من متعناه متاع الدنيا؟

الاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار، أي: لا يستويان أبداً، فلا تظنوا أن ما هم عليه من متاع الدنيا يساوي ما عند المؤمنين من الوعد الحسن.

2. "وَعَدْنَاهُ" - الوعد الإلهي الصادق

"وَعَدْنَاهُ" فعل ماض بصيغة الجمع الدالة على العظمة. الوعد من الله لا يتخلف، لأنه لا يخلف الميعاد. هذا وعد من رب العالمين، لا من بشر.

3. "وَعَدْنَا حَسَنًا" - الوصف بالحسن

"وَعَدْنَا" مفعول مطلق منصوب. "حَسَنًا" صفة. ما هو الوعد الحسن؟ هو الجنة والرضوان والنعيم المقيم. "حسن" لأنه حسن في ذاته، حسن في مدته، حسن في عاقبته.

4. "فَهُوَ لَاقِيهِ" - اليقين باللقاء

"فَهُوَ" الفاء للتعقيب. "لاقِيهِ" أي ملاق لذلك الوعد وراهه. المؤمن يعيش على يقين أنه سيلقى ما وعده الله. ليس شكاً، بل يقيناً.

5. "كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" - تشبيه النفى

"كَمَنْ" الكاف للتشبيه، و"من" اسم موصول. أي: هل هذا المؤمن كالذي متعناه متاع الحياة الدنيا؟ "مَتَّعْنَاهُ" تمنيع، وهو إعطاء المتعة المؤقتة. "مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" تأكيد على أن كل ما أوتي الكافر هو متاع دنيا فقط، ليس له نصيب في الآخرة.

6. "ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ" - النهاية المفزعة

"ثُمَّ" للترتيب مع التراخي، أي بعد أن يتمتع قليلاً في الدنيا.

"مِنَ الْمُحْضَرِينَ" من الذين يحضرون للحساب والعذاب. ليسوا غائبين، بل محضرون مذعنون. الإحضار للجزاء، لا للكرامة. كما قال تعالى: "وَأَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأُوْاْجِهَهُمْ" (الصافات: 22).
***ثانياً: دلالات الآية ورسائلها العميقة

1. المؤمن والكافر لا يستويان أبداً

قد يبدو في الظاهر أن الكافر ينعم والمؤمن يعاني، لكن الآية تقول: لا تنخدع بالمظاهر. هناك فرق كبير بين من له وعد من الله ومن ليس له إلا متاع الدنيا.

الرسالة: لا تحسد الكافر على ما أوتي من الدنيا. ما أوتي هو متاع زائل، وأنت لك وعد من الله بـ الجنة الباقية.

2. وعد الله حق لا شك فيه

المؤمن يعيش على يقين أن ما وعده الله سيلقاه. هذا اليقين يمنحه القوة والصبر والطمأنينة.

الرسالة: إذا شعرت بالضعف أو اليأس، تذكر وعد الله لك. هو لا يخلف الميعاد.

3. متاع الدنيا مهما عظم فهو زائل

الآية تكرر صفة "متاع" للدنيا. حتى الكافر الذي أوتي من الدنيا كل شيء، هو متاع فقط. ليس له نصيب في الآخرة.

الرسالة: لا تغرك الدنيا بزينتها. فمن أوتيتها كافراً، ليس له منها إلا متاع يوم أو يومين.

4. الإحضار للعذاب هو نهاية الكافر

"مِنَ الْمُحْضَرِينَ" تعبير مهول. يوم القيامة، يحضر الكافرون للحساب والعذاب، لا يتركون ولا يغيبون.

الرسالة: إذا رأيت كافراً يتمتع، فتذكر نهايته: الإحضار للعذاب. هذا لا يتمناه أحد.
***ثالثاً: كيف تخاطب هذه الآلية وجدانك؟

الرسالة الأولى: لا تحسد الكافر على متاع الدنيا

قد تمر بضائقة مالية، أو مشكلة صحية، أو أزمة عاطفية، وفي المقابل ترى من لا يؤمن بالله يعيش في رغد. قد يخطر ببالك: لماذا هو وأنا؟ هذه الآلية تهمس في أذنك: ما أوتيه هو متاع زائل، وأنت لك وعد من الله بالجنة. فلا تحسد، ولا تحزن.

الرسالة الثانية: يقيئك بوعده الله هو عزاءك

عندما تشتد بك الבלاء، تذكر أن الله وعده وعداً حسناً وأنت لاقية. هذا اليقين يخفف عنك ألم الدنيا، ويمنحك الصبر والقوة.

الرسالة الثالثة: لا تركز على الدنيا

قد تغرك الدنيا بزینتها، وتنسيك الآخرة. هذه الآلية توقظك: الدنيا مهما أعطتك، هي متاع فقط. لا تركز إليها، ولا تجعلها أكبر همك.

الرسالة الرابعة: نهاية الكافر مخيفة

إذا فكرت في متابعة الكفار في معاصيهم، أو تقليدهم في زينتهم، فتذكر نهايتهم: يوم القيامة من المحضرين. هل تريد أن تكون معهم؟
***رابعاً: الأبعاد المختلفة للآلية

البعد الإيماني

١. الإيمان بوعده الله: اليقين بأن الله سيفي بوعده للمؤمنين.

٢. الإيمان باليوم الآخر: حيث يلقي المؤمن وعده، ويحضر الكافر للعذاب.

٣. الإيمان بعدل الله: لا يستوي من آمن ومن كفر، وهذا هو العدل.

البعد النفسي

١. علاج الحسد: عندما ترى كافراً ينعم، تذكر أن ما عنده متاع، وأن لك وعداً من الله.

٢. تعزيز الصبر: المؤمن يصبر على ضيق الدنيا لأنه ينتظر وعد الله.

٣. تخفيف الخوف من الموت: الموت هو لقاء الوعد الحسن للمؤمن.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء عدم الحسد: علمهم ألا يحسدوا الكفار على ما أوتوا.

٢. تعليمهم الصبر: الدنيا قصيرة، والآخرة هي الباقية.

٣. تعليمهم التفكير في العاقبة: لا تنظروا إلى بداية الطريق فقط، بل إلى نهايته.

البعد الاجتماعي

١. عدم الاغترار بمل الكفار: لا تجعل غنى الكافرين سبباً في تعظيمهم أو التقرب إليهم.

٢. تعزيز الثقة في دين الله: الإسلام هو الحق مهما بدت قوة الآخرين.

البعد السياسي والحضاري

١. تذكير الحكام بأن سلطة الكفار متاع: لا تخف من قوة الكافرين، فهي زائلة.

٢. الاستعانة بالله لا بالكافرين: لا تطلب النصر من أعداء الله، بل منه وحده.
***خامساً: الدروس المستفادة من الآية في حياتنا العملية

الدرس الأول: قارن بين النهايتين لا بين البدايات

لا تنظر إلى أن الكافر يعيش في قصر والمؤمن في كوخ. انظر إلى النهاية: المؤمن في الجنة، والكافر في النار.

تطبيقات عملية:

- . إذا حسدت كافراً على ماله، تذكر نهايته في الآخرة.
- . إذا رأيت فاسقاً يتمتع، فقل: "ما عند الله خير وأبقى".
- . اقرأ أوصاف الجنة والنار يومياً لتثبت هذه المقارنة في قلبك.

الدرس الثاني: عش على وعد الله

قد تمر بأيام صعبة. تذكر أن الله وعده وعداً حسناً. هذا الوعد كافٍ ليمنحك القوة.

تطبيقات عملية:

- . اكتب وعد الله لك في ورقة وعلقها أمامك: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ".
- . إذا ضاقت بك، قل: "حسبي وعد الله".
- . صل ركعتين لله تشكره على وعده.

الدرس الثالث: لا تفرح بمتاع الدنيا

إذا أوتيت شيئاً من الدنيا، فلا تفرح فرح البطر. تذكر أنه متاع، وقد يكون اختباراً.

تطبيقات عملية:

- . إذا رزقك الله مالا ، فاشكر واعلم أنه اختبار.
- . إذا رزقك الله جاهاً، فتواضع واعلم أنه زائل.
- . إذا رزقك الله صحة، فاستخدمها في طاعته.

الدرس الرابع: كن من المحضرين للكرامة لا للعذاب

يوم القيامة، يحضر الجميع. لكن المؤمن يحضر للكرامة، والكافر يحضر للعذاب.

تطبيقات عملية:

- . اجعل هدفك أن تكون من الذين يحضرون لكرامته يوم القيامة.
- . أكثر من قول: "اللهم احشرنى في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين".
- . تذكر أن الإحضر للعذاب هو أسوأ ما يكون، فابتعد عن أسبابه.

الدرس الخامس: لا تنخدع بإمهال الله للكافر

قد يمهّل الله الكافر، ويمتعه في الدنيا، فتظن أنه مقبول عند الله. هذا خطأ.

تطبيقات عملية:

- . لا تقل: "فلان كافر ومع ذلك هو غني، إذا الدين ليس مهماً".
- . تذكر أن الله قال: "ثُمَّ نَعْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ".
- . استمر في دعوة الكافر، لعله يتوب قبل أن يحضر للعذاب.

الدرس السادس: كيف نعلم أبناءنا هذه المقارنة؟

الأطفال يتأثرون بما يرون: جارهم الكافر يعيش في بيت كبير، وهم في بيت صغير.

تطبيقات عملية:

- . اشرح لهم أن الدنيا ليست دار جزاء، وأن الآخرة هي دار الجزاء.
- . اقرأ لهم قصص الأنبياء الذين كانوا فقراء في الدنيا وأغنياء في الآخرة.
- . شجعهم على التفكير في الجنة، لا في قصور الدنيا.

الدرس السابع: تذكر الآية عند رؤية الظلم

قد ترى ظالماً كافراً ينعى، ومظلوماً مؤمناً يعانى. هذه الآية تردع قلبك.

تطبيقات عملية:

- . قل: "لا يستويان عند الله، وإن بدا غير ذلك في الدنيا".
- . لا تيأس من نصر الله، فهو آتٍ ولو بعد حين.
- . تذكر أن العاقبة للمتقين.

الدرس الثامن: استثمر وعد الله في دعوتك للآخرين

عندما تدعو غير المسلم، ذكره بهذه المقارنة.

تطبيقات عملية:

- . قل له: "أنت تتمتع في الدنيا، لكن ماذا بعد الموت؟".
- . اشرح له أن ما عند الله خير وأبقى مما هو في الدنيا.
- . ادع له بالهداية، وذكره أن الإحضار للعذاب ليس شيئاً يتمناه.

الدرس التاسع: تذكر أن الدنيا دار متاع لا دار جزاء

لا تتعب نفسك كثيراً في محاولة جعل الدنيا مثالية. هي دار متاع، ستزول.

تطبيقات عملية:

- . لا تحزن إذا فاتك شيء من الدنيا.
- . لا تظلم نفسك أو غيرك لجمع متاع الدنيا.
- . اجعل همك الوحيد هو رضا الله والجنة.

الدرس العاشر: الدعاء بالثبات على الوعد

اسأل الله أن يثبتك على الإيمان، وأن يجعلك من الذين يلقون وعده.

تطبيقات عملية:

- . ادع: "اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل".
 - . ادع: "اللهم ثبتني على دينك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني".
 - . ادع: "اللهم اجعلني من الذين وعدتهم وعداً حسناً فهم لاقوه".
- **سادساً: أسئلة تثيرها الآية في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل أشعر بالحسد عندما أرى كافراً ينعى في الدنيا؟ أم أتذكر وعده لي؟

٢. هل أعيش على يقين أنني سألقى وعد الله؟ أم أن في قلبي شكاً؟

٣. هل أفرط في التعلق بمتاع الدنيا حتى أنسى الوعد الحسن؟
٤. هل أخاف من يوم القيامة أن أكون من المحضرين للعذاب؟
٥. لو خيرت بين متاع الدنيا الفاخر والوعد الحسن، ماذا أختار؟
٦. كيف سيكون شعوري عندما أرى الكفار الذين كنت أحسدهم في الدنيا وهم يحضرون للعذاب؟
٧. هل أدعو الله أن يثبتني على الإيمان حتى ألقى وعده؟
الخلاصة النهائية

الآية 61 من سورة القصص ليست مجرد مقارنة بين مؤمن وكافر، بل هي:

- ميزان عدل إلهي يضع كل شيء في نصابه، ويرد على من يظن أن الدنيا هي دار الجزاء.
- طمأنينة لقلب المؤمن أن له وعداً من الله سيلقاه لا محالة، مهما عانى في الدنيا.
- تحذير للكافر أن متاع الدنيا مهما عظم هو زائل، ونهايته الإحضار للعذاب.
- دعوة إلى التفكير واستخدام العقل للمقارنة بين الفريقين، واختيار طريق المؤمنين.

تذكر دائماً: هناك فريقان لا ثالث لهما. فريق وعده الله وعداً حسناً فهو لاقية. وفريق متعه الله متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين.

لا تخط بينهما. لا تظن أنهما يستويان. الفرق شاسع، والمسافة بينهما كبعد السماء عن الأرض.

فاختر اليوم أي الفريقين تريد أن تكون. اختر وعد الله الحسن، تكن من الفائزين. واختر متاع الدنيا، تكن من المحضرين للعذاب.

ليس الأمر صعباً. استخدم عقلك. انظر إلى النهايات. ثم قرر.

القسم السادس

المبحث الأول

تفسير الآيتين 62 و 63 من سورة القصص
المقدمة والسياق

تأمل معي هذا المشهد الذي يغير مجرى القلوب. بعد أن قارن الله بين المؤمن الذي له وعد حسن و الكافر الذي متع في الدنيا ثم هو من المحضرين، ينتقل السياق فجأة إلى مشهد يوم القيامة نفسه. إنه انتقال من حديث عن الدنيا إلى تصوير للآخرة، من حديث عن الوعد إلى مشهد الوعيد.

قال تعالى:

"وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" (القصص: 62)

"قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ" (القصص: 63)

هاتان الآيتان هما آية البراءة والخذلان يوم القيامة. إنهما ترسمان المشهد الأكثر فظاعة في حياة المشركين: عندما يناديهم الله فيسأل عن شركائهم الذين كانوا يزعمون، فيتخلى عنهم القادة الذين اتبعوهم، ويتبرؤون منهم، ويعترفون أنهم أغووههم كما غووا هم أنفسهم.

هذا الانتقال من الآية 61 إلى الآية 62 هو انتقال من المقارنة إلى المصارعة، من الوصف إلى المشاهدة، من الإنذار إلى التنفيذ. إنه كمن يحدثك عن خطر النار، ثم فجأة يفتح لك باب جهنم فتراها بعينيك.

هاتان الآيتان تخاطبان فيك أعماق ما فيك: تخوفانك من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وتريانك حقيقة التبرؤ بين الخلق، فلا تغتر باتباعك لأحد، ولا تظن أن شفاعة أحد تنفع بغير إذن الله.

***الأفكار الرئيسية في الآيتين

الآية 62:

١. تحديد اليوم: "وَيَوْمَ" - يوم القيامة.
٢. النداء الإلهي: "يُنَادِيهِمْ" - الله ينادي المشركين.
٣. السؤال التوبيخي: "أَيْنَ شُرَكَائِي" - أين الذين جعلتموهم شركاء لي؟
٤. وصف الشركاء: "الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" - الذين كنتم تظنون وتوهمون.

الآية 63:

١. رد القادة: "قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ".
٢. اعتراف بالإغواء: "رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا".
٣. تسوية الإغواء: "أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا".
٤. البراءة التامة: "تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ".
٥. نفي العبادة: "مَا كَانُوا إِبَادًا يَعْبُدُونَ".

***أولاً : دلالة الانتقال من الآية 61 إلى الآية 62

لماذا هذا الانتقال؟

الآية 61 كانت مقارنة بين فريقين: المؤمن الذي له وعد حسن، والكافر الذي متع في الدنيا ثم هو من المحضرين. بعد هذه المقارنة، يأتي السؤال المنطقي: وماذا سيحدث لهؤلاء المحضرين يوم القيامة ؟ فجاءت الآية 62 لتصور المشهد.

دلالات الانتقال:

1. من الإنذار إلى التنفيذ: الآية 61 أُنذرت بأن الكافر من المحضرين، والآية 62 تصور لحظة الإحضار والنداء.
 2. من الغائب إلى الحاضر: الآية 61 تحدثت عن الكافر بصيغة الغائب، والآية 62 تصوره في مشهد حاضر يتكلم ويسمع.
 3. من الرجاء إلى اليأس: المؤمن كان عنده رجاء بلقاء الوعد، أما الكافر فليس له إلا اليأس من كل شيء.
 4. من الحديث عن الشركاء إلى سؤال الله عنهم: الآية 61 أشارت إلى أن الكافر متع في الدنيا، والآية 62 تسأله: أين شركاؤك الذين كانوا سبباً في متعتك؟
 5. إظهار عدل الله: الانتقال يظهر أن الله بعد أن أمهلهم في الدنيا، سيحاسبهم في الآخرة، ولن يغفل عن سؤالهم عن شركائهم.
 6. قطع الطريق على المشركين: لا يقولون يوم القيامة: ما كنا نعلم، فقد سألهم الله عن شركائهم وأقروا بوجودهم.
- ***ثانياً: للمسات البيانية والبلاغية في الآية 62

1. "وَيَوْمَ" - الإشارة إلى يوم عظيم

"وَيَوْمَ" منصوب بفعل مقدر، أي: اذكر يوم يناديهم. هذا اليوم هو يوم القيامة، وهو يوم عظيم مهول، يوم الحسرة والندامة.

2. "يُنَادِيهِمْ" - النداء الإلهي المهيّب

الفعل "يُنَادِيهِمْ" بصيغة المضارع، يفيد الاستمرار والتجدد، أو أن النداء سيحدث حتماً. النداء من الله، بصوت يسمعه الخلائق كلهم، نداء توبيخ وتقريع، لا نداء رحمة.

3. "فَيَقُولُ" - الفاء للترتيب والتعقيب

الفاء تفيد أن النداء يتبعه القول مباشرة. لا تأخير، لا مهلة. الله يناديهم ثم يقول: أين شركائي؟

4. "أَيْنَ شُرَكَائِي" - السؤال التوبيخي التهديدي

"أَيْنَ" اسم استفهام، لكنه هنا ليس لطلب مكان، بل للتوبيخ والتقريع والتهديد. كأن الله يقول: هاتوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دوني لينفعوكم اليوم.

"شُرَكَائِي" إضافة الشركاء إلى الله، وهي إضافة تهكمية. ليس لله شركاء حقيقة، لكنهم زعموا ذلك، فنسب الشركاء إليه تهكماً بهم.

5."الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" - الزعم: الظن الباطل

"تَزْعُمُونَ" من الزعم، وهو القول الذي ليس بحق، والظن الباطل. إنه اعتراف منهم بأنهم كانوا على باطل. لكنهم الآن في الآخرة، وقد انكشف الباطل.
***ثالثاً: اللمسات البيانية والبلاغية في الآية 63

1."قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ" - من هم؟

"الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ" هم قادة الكفر والضلال: الشياطين، والطغاة، والمترفون، والدعاة إلى الشر. الذين سبق عليهم قضاء الله بأنهم من أهل النار.

"حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ" أي وجب عليهم العذاب لاستحقاقهم. وهذا الوجوب بحكم الله العدل.

2."رَبَّنَا" - النداء في مقام الشدة

ينادون الله بـ "ربنا" اعترافاً بربوبيته في اللحظة التي لا ينفع فيها الاعتراف. كانوا في الدنيا يعبدون غيره، والآن ينادونه ربنا.

3."هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا" - اعتراف بالإغواء

"هَؤُلَاءِ" إشارة إلى الأتباع الذين يطلبهم الله. "أَغْوَيْنَا" أي أضللناهم ودعوناهم إلى الضلال. القادة يعترفون أنهم كانوا سبباً في ضلال أتباعهم.

4."أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا" - التسوية في الضلال

"كَمَا غَوَيْنَا" أي كما ضللنا نحن أنفسنا واخترنا الضلال. القادة لا ينفون أنفسهم من الضلال، بل يعترفون أنهم ضالون مثل أتباعهم، لكنهم زادوا بإغواء غيرهم.

هذا اعتراف بالمسؤولية: نحن ضللنا أنفسنا أولاً، ثم أضللنا الآخرين.

5."تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ" - البراءة التامة

"تَبَرَّأْنَا" أي نخلع أنفسنا منهم، ونعلن براءتنا منهم. "إِلَيْكَ" أي نتبرأ إليك يا الله، نلجأ إليك ونعلن أننا منهم برآء.

هذه هي نهاية العلاقة بين القادة والأتباع: تبرؤ تام، وخذلان كامل.

6."مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَغْبُتُونَ" - نفي العبادة عن أنفسهم

يقول القادة: ما كان هؤلاء يعبدوننا حقيقة. إنما كانوا يعبدون أهواءهم، أو يعبدون الشياطين، أو يعبدون الله بزعمهم. نحن لم نأمرهم بعبادتنا صراحة، أو أنهم لم يقصدونا بعبادتهم.

هذا تبرؤ آخر: نحن لم نكن نرضى أن يعبدونا، أو أنهم لم يعبدونا حقاً. إنه محاولة للتخلص من التبعة.

لكن الحقيقة أنهم كانوا يدعون إلى أنفسهم، ويأمرون بطاعتهم، ويرضون بالعبادة لهم. والله سيجازيهم على ذلك.

***رابعاً: دلالات الآيتين ورسائلهما العميقة

1.يوم القيامة: يوم الحسرة والفضيحة

هذا المشهد يصور فضيحة المشركين: يناديهم الله في جهار، ويسألهم عن شركائهم، فلا يجدونهم. ثم يتبرأ منهم القادة الذين اتبعوهم. إنه يوم تظهر فيه الحقائق، وتكشف الأسرار، ويتبرأ الأحباب.

الرسالة: لا تغتر بالعلاقات في الدنيا. يوم القيامة، لا ينفعك إلا عملك الصالح.

2.القادة الضالون يخونون أتباعهم

الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وهم قادة الكفر، يتبرؤون من أتباعهم في أحوج ما يكونون إليهم. ف لا يشفعون لهم، ولا يدافعون عنهم، بل يتصلون ويلقون باللوم عليهم.

الرسالة: لا تتبع قائداً يضل عن سبيل الله. فإنه يوم القيامة سيتخلى عنك، ولن ينفعك.

3.الاعتراف بالإغواء لا ينفع

القادة يعترفون بأنهم أغوا أتباعهم، لكن هذا الاعتراف لا ينفعهم، ولا ينفع أتباعهم. العبرة ليس بالا عتراف، بل بالعمل في الدنيا.

الرسالة: لا يكفي أن تعترف بخطئك يوم القيامة. تب اليوم، واعمل صالحاً.

4.كل يتحمل وزره

القادة يقولون: أغويناهم كما غوينا. أي كل منا ضل بنفسه، وكل منا سيتحمل وزره. لكن القادة يتحملون وزر أنفسهم ووزر من أضلوا، ما لم يتب أتباعهم.

الرسالة: لا تكن سبباً في ضلال أحد، فإنك تتحمل وزره.

5.التبرؤ يوم القيامة سنة إلهية

هذا المشهد يتكرر في القرآن: "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا" (البقرة: 166). كل علاقة على غير الله، تنتهي بالتبرؤ والعداوة يوم القيامة.

الرسالة: ابن علاقاتك على طاعة الله، تكن علاقات خير في الدنيا والآخرة.
**خامساً: كيف تخاطب هاتان الآيتان وجدانك؟

الرسالة الأولى: لا تغتر بالزعماء والمشاهير

اليوم، تتبع الملايين مشاهير على وسائل التواصل، وقادة فكر وسياسة، ودعاة ضلال. هؤلاء في الدنيا يغوون أتباعهم، ويمنحونهم شعوراً زائفاً بالانتماء. لكن هذه الآية تهمس في أذنك: يوم القيامة، سيتبرؤون منك، ولن ينفعوك. فلا تجعلهم بينك وبين الله.

الرسالة الثانية: لا تكن سبباً في ضلال أحد

قد تكون قائداً في محيطك: أبا، أما، معلماً، مشهوراً، كاتباً. إذا أضلت الناس، فستكون من "الذين حق عليهم القول". ستتحمل وزر نفسك ووزر من أضلت.

الرسالة الثالثة: التبرؤ يحدث حتى بين الأحاب

قد ترتبط بأشخاص في الدنيا: أصدقاء، زملاء، أحاب. إذا كانت هذه العلاقة على معصية الله، فستحول يوم القيامة إلى عداوة وتبرؤ. فاختر أصدقاءك بعناية.

الرسالة الرابعة: يوم القيامة يظهر الحق

في الدنيا، قد يظن المشركون أنهم على حق، وقد يظن أتباع الضلال أن قاداتهم سينقذونهم. لكن يوم القيامة، يظهر الحق، ويخزي المبطلون. فلا تنخدع بمظاهر القوة والكررة.
***سادساً: الأبعاد المختلفة للآيتين

البعد الإيماني

١.الإيمان بيوم القيامة: يوم ينادي الله فيه المشركين.

٢. الإيمان بأن الله سيسأل عن الشركاء: دليل على أن الشرك أعظم ذنب.

٣. الإيمان بالتبرؤ بين الخلق: لا تنفع الشفاعة إلا بإذن الله.

البعد النفسي

١. الخوف من التبعات: من يتبع قادة الضلال، يشعر بالخوف من خذلانهم له.

٢. تحرير من التبعية: الآبة تحررك من أن تكون تابعا أعمى لأحد.

٣. تعزيز المسؤولية الفردية: كل نفس بما كسبت رهينة.

البعد التربوي

١. تعليم الأبناء عدم التقليد الأعمى: لا تتبع أحدا دون تفكير.

٢. تعليمهم أن القادة الضالين خائنون: لا تثق بمن يدعو إلى معصية الله.

٣. تعليمهم أن الاعتراف بالخطأ لا ينفع بعد فوات الأوان.

البعد الاجتماعي

١. نقد ثقافة "الاتباع": المجتمعات التي تقدر القادة وتتبعهم بلا وعي، هي مجتمعات مهلكة.

٢. بناء ثقافة المسؤولية الفردية: كل شخص مسؤول عن نفسه، ولا يلقي باللوم على القادة.

البعد السياسي

١. تحذير الحكام الظالمين: يوم القيامة سيتبرأون من أتباعهم.

٢. تحذير الأتباع من الطغاة: لا تتبع طاغيا، فهو لن ينفعك يوم القيامة.

***سابعاً: الدروس المستفادة من الآيتين في حياتنا العملية

الدرس الأول: لا تتبع أحداً في معصية الله

قد يضغط عليك زميل، أو قريب، أو مشهور لتتبع طريقاً خاطئاً. تذكر أن هذا الشخص سيتبرأ منك يوم القيامة.

تطبيقات عملية:

- . إذا دعاك أحد إلى معصية، فقل: "لا، لن أتبعك، فأنت ستتخلى عني يوم القيامة".
- . اختر أصدقاءك من أهل الخير، الذين يذكرونك بالله.
- . لا تكن "تابعا" أعمى لأي شخص، مهما كانت مكانته.

الدرس الثاني: لا تكن قائد ضلال

قد تكون مؤثراً في محيطك. استخدم نفوذك في الخير، لا في الشر.

تطبيقات عملية:

- . إذا كنت معلماً، فعلم الحق.
- . إذا كنت كاتباً، فاكتب ما ينفع.
- . إذا كنت مشهوراً على وسائل التواصل، فانشر الخير.
- . تذكر: أنت مسؤول عن من يتبعك.

الدرس الثالث: تبرأ من أهل الضلال في الدنيا

لا تنتظر يوم القيامة لتتبرأ. تبرأ في الدنيا من أهل الباطل.

تطبيقات عملية:

- . لا توال أهل الضلال، ولا تناصرهم.
- . إذا كان صديقك على ضلال، فانصحه، فإن أصر، فاهجره هجراً جميلاً .
- . أعلن براءتك من الشرك وأهله.

الدرس الرابع: استعد للسؤال "أين شركائي؟"

كل إنسان سيسأل: من كان شريكك في الدنيا؟ ماذا قدمت له؟ ماذا أخذت منه؟

تطبيقات عملية:

- . اجعل شريكك في الدنيا هو الله ورسوله.
- . لا تتخذ من دون الله شركاء.
- . إذا سألك الله: أين شركائي؟ فقل: لا شريك لك، أنت وحدك.

الدرس الخامس: لا تظن أن شفاعاة أحد تنفع بغير إذن الله

الناس يرجون شفاعاة الأنبياء والأولياء. لكن الشفاعاة بإذن الله، والكافر لا شفاعاة له.

تطبيقات عملية:

- . لا تتكل على شفاعاة النبي ﷺ وأنت تترك الصلاة.
- . لا تتكل على شفاعاة الأولياء وأنت تشرك بالله.
- . اعمل لنفسك، ولا تعلق رجاءك على غير الله.

الدرس السادس: كيف نطبق هذه الآية في عصر السوشيال ميديا؟

وسائل التواصل مليئة بـ "القادة" والمشاهير الذين يغوون أتباعهم.

تطبيقات عملية:

- . لا تتابع من ينشر الفساد أو الشبهات.
- . لا تعجب أو تشارك لمحتوى ضال، فتكون شريكاً في إغواء الآخرين.
- . إذا رأيت مؤثراً يدعو إلى معصية، فانصحه، واحذر منه، ولا تكن من أتباعه.
- . تذكر: يوم القيامة، سيتبرأ منك هؤلاء المشاهير.

الدرس السابع: التوبة من إغواء الآخرين

إن كنت قد أضللت أحداً في الماضي، فباب التوبة مفتوح.

تطبيقات عملية:

- . تب إلى الله، وندم على ما فعلت.
- . حاول أن تصل إلى من أضللتهم وترشدهم إلى الحق.
- . استغفر الله دائماً، واعمل صالحاً.

الدرس الثامن: لا تلق باللوم على القادة فقط

الأتباع أيضاً مسؤولون. القادة يقولون: "أغويناهم كما غوينا". أي أن الأتباع اختاروا الضلال بأنفسهم.

تطبيقات عملية:

- . لا تلقي باللوم على الشيطان أو على أصدقاء السوء فقط.

. اعترف بأنك أنت من اخترت الضلال.
. تب من ذنبك، ولا تنتظر من أحد أن يشفع لك.

الدرس التاسع: عاقبة التبرؤ في الدنيا والآخرة

من يتبرأ من أهل الباطل في الدنيا لله، يتباهى الله به يوم القيامة.

تطبيقات عملية:

. لا تخف من مقاطعة أهل الضلال.
. لا تخف من أن تكون وحيداً في الحق.
. تذكر أن الله معك، وهو خير من يتبرأ لأجله.

الدرس العاشر: الدعاء بالنجاة من هذا المشهد

اسأل الله أن لا تكون من المحضرين، ولا من الذين يتبرؤون منهم.

تطبيقات عملية:

. ادع: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون يوم القيامة من المحضرين".
. ادع: "اللهم اجعلني من الذين وعدتهم وعداً حسناً فهم لاقوه".
. ادع: "اللهم إني أتبرأ إليك من كل شريك يدعى من دونك".
***ثامناً: أسئلة تثيرها الآيتان في نفسك

اسأل نفسك بصدق:

١. هل أتبع أحداً في معصية الله؟ وهل أتخيل تبرؤه مني يوم القيامة؟

٢. هل أنا قائد ضلال في محيطي؟ هل أضلت أحداً يوماً؟

٣. لو سألني الله: أين شركائي الذين كنت تزعم؟ ماذا سأقول؟

٤. هل أتعلم بمشاهير أو قادة لدرجة أن أطيعهم في معصية الله؟

٥. هل أستطيع أن أتبرأ من أهل الباطل في الدنيا، أم أخاف منهم؟

٦. كيف سيكون شعوري عندما أرى من اتبعتهم في الدنيا يتبرؤون مني يوم القيامة؟

٧. هل عملي الصالح كافٍ ليكون شفيعي يوم القيامة، أم أعتمد على غير الله؟
الخلاصة النهائية

الآيتان 62 و 63 من سورة القصص ليستا مجرد حوار يوم القيامة، بل هما:

. تحذير أبدي من اتباع قادة الضلال، فإنهم سيتبرؤون منك في أحوج لحظة.
. فضيحة المشركين حين يناديهم الله فيسأل عن شركائهم فلا يجدونهم.
. تبرؤ القادة من الأتباع واعترافهم بأنهم أغووه كما غووا.
. دعوة إلى الاستقلالية الفكرية وعدم التقليد الأعمى لأي إنسان.
. تذكير بأن كل نفس مسؤولة عن نفسها، ولا ينفعها نسبتها إلى قائد أو جماعة.
تذكر دائماً: هناك مشهد ينتظرك يوم القيامة. مشهد ينادي فيه الله المشركين فيقول: "أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟". فلا تجعل إجابتك خرساء، وكن مستعداً بأن تقول: "لا شريك لك، أنت وحدك لا شريك لك".
وإذا كنت قد اتبعت أحداً في ضلال، فاعلم أنه سيتبرأ منك. وإذا كنت قائد ضلال، فاعلم أنك ستحمل وزر نفسك ووزر من أضلت.
الفرصة لا تزال قائمة. تب الآن. اترك أتباع الضلال. ولا تكن من "الذين حق عليهم القول". وكن من الذين وعدهم الله وعداً حسناً فهم لاقوه.

المبحث الثاني

تفسير وتحليل الآية 64 من سورة القصص
المقدمة: مشهد القيامة الذي يرتجف له القلب

تخيل نفسك للحظة في ساحة الحشر العظيمة، يوم تُنصب الموازين، وتطوى الصحف، وتكشف السرائر . هناك، في ذاك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يقف المشركون في ذلّ وهوان، وقد أحاط بهم العذاب من كل جانب، وضافت عليهم الأرض بما رحبت، وظهرت الحقيقة المجردة التي كانوا في الدنيا يتنكرون لها.

وفي ذروة هذا المشهد المهيّب، يأتي النداء الإلهي: "وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ". إنها لحظة الحسرة المطلقة، لحظة انكشاف الغطاء، حيث يطلب من المشركين أن يستغيثوا بمن كانوا يعبدون من دون الله، ليروا بأم أعينهم عجزهم المطلق.

وهذه الآية تتمحور حول فكرة عظيمة ومرعبة في آن واحد: كشف زيف التعلق بغير الله في اللحظة التي يشتد فيها الاحتياج إليه . إنها مشهدية قرآنية باذخة في تصويرها للخذلان، حيث يتبين للجميع أن الأوثان التي عبدوها، والرموز التي عظموها، والأشخاص الذين اتكلوا عليهم، والسلطان الذي استندوا إليه، والمال الذي أعماهم - كل أولئك يتهاوى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

الأمر الأول: دلالة "وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ"

لماذا يأمرهم الله بدعاء الشركاء في هذا الوقت العصيب؟

إنه أمر يحمل في طياته أبعاداً نفسية وتربوية وإلهية عميقة. تخيل معي مشهداً: قائد جيش هزم في المعركة، يُطلب منه أن يستنجد بجنوده الذين فروا! هذا هو حال المشركين يوم القيامة.

الحكمة من هذا الأمر:

أولاً : إظهار العجز المطلق للشركاء - إن الله يريد أن يفضح بطلان شركهم أمام الخلائق كلها، في مشهد علني مهين. لو تركهم دون أمر بدعاء الشركاء، لربما ظنوا أن هناك فرصة ضئيلة للنجدة. لكن الله يأمرهم فيذعنون، ثم يخيب أملهم تماماً.

ثانياً: إتمام الحجة عليهم - لا يُعذب الله أحداً إلا بعد إقامة الحجة البالغة. هذا الأمر هو آخر حلقة في سلسلة الحجج، ليقول لهم: قد دعوتموهم في أشد لحظات حاجتكم، فهل نفعوكم؟

ثالثاً: تعذيب النفس بالحسرة - كلما دعا المشرك صنماً كان يعبده، تذكر كم ضيع من عمره في عبادة من لا يسمع ولا يبصر، فتتضاعف حسرته أضعافاً.

لماذا جاء الأمر بصيغة المبني للمجهول "وَقِيلَ"؟

هذه اللمسة البيانية تحمل سرّاً بديعاً. "قيل" - فعل مبني للمجهول لم يذكر فاعله. لماذا؟

للهيبة والتعظيم - الأمر صادر من الجبار سبحانه، لكن حذف الفاعل يُشعر بعظمة الأمر وجلاله، وكأن الأمر صدر من سلطان مطلق لا يرى، لكن قدره نافذ. إنها صيغة تزرع الرهبة في النفس.

لبيان أن الأمر واقع لا محالة - "قيل" تفيد أن هذا النداء قد تحقق ووقع، ليس احتمالاً أو توقعاً، بل هو حقيقة كونية نافذة.

للتجريد من الأسماء - حذف اسم الله تعالى هنا يحمل إشارة إلى أن المقام مقام عدل وإنفاذ للحكم، لا مقام رحمة ورأفة. إنه يوم الفصل الذي لا وساطة فيه.

حقيقة هذا الأمر: هل هو تعجيز وإهانة وإظهار للحقيقة؟

نعم، إنه كل ذلك معاً وبكثافة:

تعجيز - لأنه يطلب منهم أن يفعلوا ما يعلمون يقيناً أنهم لا يستطيعون فعله، فيفضح عجزهم وعجز

آلهتهم معاً.

إهانة - المشهد مهين للمشاركين أن يُطلب منهم التوسل إلى أحجار أو أشخاص لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

إظهار للحقيقة - هو كشف للحقيقة التي كانوا يغطونها في الدنيا بأغلفة الأوهام.

لكن هناك بعداً آخر أعمق: إنه إظهار عجز الشركاء أمام الجميع. تخيل أن ملكاً يأمر أسيراً: "استنجد بمن كنت تتوسل إليهم ليهربوا بك!" ثم يُحضر أولئك جميعاً في مشهد علني، فيقفون خاسئين لا يملكون حيلة. هذا هو المشهد.

من هم "شركاؤكم"؟ هل هم الأصنام فقط؟

لا، إنها أوسع وأعمق مما تتصور. "شركاؤكم" تشمل:

المعبودات المادية: الأصنام، الأوثان، التماثيل، الصلبان، كل ما عبد من دون الله.

الأشخاص: الأنبياء الذين غلوا فيهم، الأولياء الذين عبدوا من دون الله، الرسل الذين اتخذوا أرباباً.

المفاهيم المجردة: الشهوات التي أطاعوها، الأهواء التي قدسوها، العقول التي ألهوها.

ولكن هناك مستوى أعمق يغفل عنه كثيرون: المال الذي جعلوه غاية، الجاه الذي سعوا إليه وكأنه هو المعبود، السلطان الذي ظنوا أنه ينفعهم، المنصب الذي اتكلوا عليه، الوسائط البشرية التي اعتقدوا أنها تنجيهم. كل ما علق به القلب وتوكل عليه من دون الله فهو "شريك" بهذا المعنى.

هذه هي اللمة العبقريّة في الآية: إنها تخاطب كل إنسان على حسب ما أشرك في قلبه. فصاحب المال يتمنى لو أن ماله نجاياه، وصاحب الجاه يطلب شفاعته، وصاحب السلطان يستغيث بسلطانه. ثم يأتي الرد: كلهم خاسرون.

اللمسات البيانية والبلاغية في هذه الفقرة

لنقف معاً أمام كل لمسة:

استخدام "ادعوا" بدلا من "استغيثوا" - الدعاء يتضمن معنى العبادة والطلب والتوجه. باستخدام هذه الصيغة، يذكرهم الله أنهم كانوا يدعونهم كما يدعى الله، فيُفصح أن هؤلاء لا يستحقون أدنى مرتبة من الدعاء.

إضافة "شركاءكم" إليهم - إضافة الشركاء إليهم تذكير لهم بأنهم اختاروهم طواعية، وأن التبعية عليهم وحدهم. "شركاؤكم" أيها المشركون، أنتم من اتخذتموهم.

تقديم الأمر على الجواب - قدم الأمر بالدعاء قبل بيان النتيجة، ليخلق جواً من الترقب والتوجس، ثم يأتي الجواب صاعقاً.

الإيجاز المعجز - في كلمات معدودة رسم القرآن مشهداً كاملاً: نداء، استجابة، خذلان، عذاب، حسرة. هذا من أعجب الإعجاز البياني.

الرسائل والدروس المستفادة

الرسالة الأولى: أي تعلق بغير الله هو شرك بالمعنى الواسع. من يعلق قلبه بمنصب، أو يرهب سلطاناً، أو يأمن جانب مال، فقد اتخذ شريكاً مع الله.

الرسالة الثانية: التعلق بغير الله سراب. قد تراه من بعيد ماءً زلالاً، لكنك إذا جئت لم تجد شيئاً.

الرسالة الثالثة: لا وسيط بين العبد وربّه. كل الأبواب تغلق يوم القيامة إلا باب الله.

الرسالة الرابعة: تصحيح النية وتجديدها باستمرار. ليس المهم أن تقول "توكلت على الله"، بل المهم أن يكون توحيدك خالصاً من شوائب التعلق بالمخلوقين.

كيف تعمل الآية على تربية المسلم على التوكل على الله وحده؟

تخيل أنك كلما فكرت في الاعتماد على واسطة بشرية أو منصب أو مال، تذكرت هذا المشهد: شركاؤك يدعون فلا يستجيبون، يرون العذاب ويتمنون الهداية. هذه الصورة المربعة التي ترسمها الآية في خيالك تجعلك تعيد حساباتك.

التربية التي تقدمها الآية:

أولاً: تفرغ القلب من التعظيم للمخلوقات - عندما تعلم يقيناً أن فلاناً من الناس -مهما عظمت منزلته- لا يملك لك نفعاً يوم القيامة، يهون في عينك وتستقل عظمته.

ثانياً: تحويل التوكل من شعار إلى سلوك - التوكل ليس مجرد كلمة ترددها، إنها حالة قلبية تدفعك إلى الأخذ بالأسباب مع قطع الطمع فيها.

ثالثاً: تصحيح مسار الأمل - تجعل أملك بالله لا بغيره. تنتظر الفرج منه وحده، والرزق منه وحده، و النصر منه وحده.

رابعاً: العلاج العملي لحب الجاه والسلطان - إذا علمت أن كل منصب وكل جاه سيخذلك حين تشتد حاجتك إليه، فلن تبذل روحك في تحصيله.

الأمر الثاني: دلالة "فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ"

ماذا حدث عند دعوة الشركاء؟

هنا نصل إلى قلب المشهد المأساوي. بعد أن صدر الأمر المهيب: "ادعوا شركاءكم"، قام المشركون -في ذل وانكسار- ينادون من كانوا يعبدون:

نادى عابد اللات: يا لات! نادى عابد العزى: يا عزى! نادى عابد المسيح: يا عيسى! نادى عابد المال: يا مالي! نادى عابد الجاه: يا جاهي! نادى عابد السلطان: يا سلطاني!

ثم يصمت الجميع. لا جواب. لا حراك. لا استجابة. لا حتى التفاتة أسف أو نظرة شفقة.

"فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ" - ليس أنهم استجابوا متأخرين، ولا أنهم استجابوا جزئياً، بل لم يستجيبوا أصلاً. ولا أنهم استجابوا لبعضهم دون بعض، بل لم يستجيبوا لأحد منهم. استجابة منقطعة، وصمتاً مطبقاً، وخيبة كاملة.

****اللمسات البيانية التي تصور هذا المشهد**

استخدام "فدعوهم" بالفاء - هذه الفاء تفيد الترتيب والتعقيب السريع. وكأن المشركين بادروا فوراً إلى الدعاء حرصاً منهم على النجاة، لكن دون فائدة.

الفاء الثانية في "فلم يستجيبوا" - فاء أخرى، وهذه المرة للسببية، أي أن دعاءهم سبب في انكشاف خذلان شركائهم. هم دعوا، ونتيجة لذلك تبين لهم أنهم لا يستجيبون.

الجمع بين النفي والتأكيد - "لم يستجيبوا" صيغة نفي تفيد الاستغراق، أي لا استجابة من أي نوع، ولا من أي شريك.

إضافة "لهم" - قال "لهم" وليس "لهم" فقط، بل أتى بلام التقوية لتأكيد أن الاستجابة كانت متوقعة منهم تحديداً، فلم تحدث.

****كيف تجسد الآية خذلان الشركاء لمن تعلق بهم؟**

المشهد الذي ترسمه الآية في خيالك:

الخذلان الأعمى - هؤلاء الشركاء لا يرون المشركين، لا يسمعون نداءهم، لا يعلمون بحاجتهم، لا

يشعرون بكرههم .أي خذلان أشد من أن تكون في أشد لحظات حاجتك، ومن تنادي لا يعلم بوجودك؟
الخدلان المزدوج - ليس فقط أنهم لا يستجيبون، بل إنهم هم أنفسهم في عذاب أو في ذل .الأصنام
تلقى في النار، والعابدون يلقون معها .فخدلانهم لأنفسهم أولاً، ثم خذلانهم لعبديهم ثانياً.
الخدلان العلني - ليس خذلاناً سرياً، بل على رؤوس الأشهاد .الملائكة ترى، والأنبياء ترى، والجن والإ
نس يرون .فضيحة لا تطاق.

****معنى الاستجابة في سياق الآية**

الاستجابة في اللغة تعني الإجابة والقبول والتجاوب .لكن في هذا السياق، الاستجابة تعني:

استجابة الإغاثة - أن يمدوا يد النجدة لعبديهم.

استجابة الشفاعة - أن يشفعوا لهم لو كانوا يشفعون.

استجابة الاعتراف - أن يعترفوا بهم ولو بكلمة "نحن هنا".

كل هذه الأنواع من الاستجابة معدومة .صمت مطبق أفزع من أي رد.

****لماذا توقع المشركون نفع شركائهم؟**

هذا هو السر الأعظم في المعاناة النفسية التي يعيشها المشركون في ذلك اليوم:

لأنهم في الدنيا كانوا يعيشون وهم المنفعة .الشیطان زين لهم أن أصنامهم تنفع، وأن أربابهم تشفع،
وأن أموالهم تنجي، وأن جاههم يحميهم .عاشوا عقوداً من الزمن على هذا الوهم، حتى استقر في
أعماقهم أن لهؤلاء الشركاء قدرة على النفع والضرر.

ثم في لحظة واحدة، يتبخر هذا الوهم تماماً .إنه كمن يظل سنوات يملأ كيساً من الرمال ظناً منه
أنها ذهب، ثم يأتي يوم يفتحه فلا يجد إلا رملاً " .الصدمة النفسية لا توصف.

****أين تذهب ثقة الإنسان بغير الله عند نزول البلاء؟**

الآية تعلمك درساً عملياً في الحياة:

ثقة الإنسان بغير الله هي ثقة وهمية - تشبه ثقة الطفل بلعبته أنه تحميه .في الأوقات العادية قد
تشعر بالأمان، لكن عند نزول الخطر الحقيقي تتبدد.

البلاء يكشف معادن الآلهة المزيفة - كل من تعلق بغير الله، سيجرب مرة في حياته أنه خذل .قد
يكون ذلك عند فقدان المال، أو زوال السلطان، أو موت من كان يتكى عليه .عندها يشعر بمرارة الخذل
لان التي تحكيها الآية.

الآية تعالج الوهم قبل وقوع البلاء - هي بمثابة حقنة توعوية وقائية .تقول لك: انظر إلى نهاية
المطاف .هل تريد أن تكون مثل هؤلاء؟ إذا، لا تجعل ثقتك إلا بالله.

****دور الآية في إزالة الأوهام**

الآية تقوم بعملية جراحية دقيقة:

تكشف الأورام القلبية - كل تعلق بغير الله هو ورم في القلب .الآية تشخصه وتستأصله.

تنقل القارئ من عالم الأوهام إلى عالم الحقائق - تجعله يرى نهاية كل طريق.

تجيب عن السؤال المصيري - من الذي ينفع حقاً عند الشدة؟ الجواب: الله وحده.

الامر الثالث: دلالة "وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ"

****كيف تجسد الآية مشاهد العذاب والحسرة؟**

هنا نصل إلى الذروة. بعد أن دعوا فلم يستجاب لهم، بعد أن تبين لهم خذلان شركائهم، عندها رأوا العذاب عياناً لا غبار عليه.

ليس سمعوا عنه، ولا أخبروا به، بل رأوه رأي العين. تخيل مشهداً: تحبس في زنزانة، ثم يفتح الباب فتري النار تشتعل أمامك، تسمع صريها وزفيرها. هذا ما تعنيه "رأوا العذاب". ثم تأتي الجملة القاتلة: "لو أنهم كانوا يهتدون".

يا لها من حسرة! يا لها من ندم! يا لها من أمنية لا تتحقق!

****لماذا جاءت بصيغة المضارع "يهتدون"؟**

هذه لمسة بيانية عظيمة:

المضارع يفيد التجدد والاستمرار - أي لو أنهم كانوا مستمرين في الهداية، وليس مجرد لحظة عابرة. الهداية التي ينفع بها هي الهداية المستمرة الثابتة.

المضارع يفيد الحال - كأنه يقول: لو أن حالهم حال المهتدين. لو كانت صفاتهم صفاتهم. لو كانوا في الدنيا من أهل الهدى.

المضارع يعطي طابع الأمل المتجدد - في كلمة واحدة يعبر عن أمنية مستمرة: "يا ليتنا كنا مهتدين! يا ليتنا كنا من الذين اهتدوا!"

****تقديم "فدعوههم" على "رأوا العذاب": لماذا؟**

هذا الترتيب يحمل رسالة بالغة:

التقديم للسبب - قدم الدعاء وعدم الاستجابة على رؤية العذاب لبيان أن خذلان الشركاء كان سبباً مباشراً في اليأس الذي سبق العذاب. أي: لما خذلهم شركاؤهم، أيقنوا بالعذاب، ثم رأوه.

بناء الصورة الدرامية - المشهد يتطور: أمر، دعاء، خذلان، ثم رؤية العذاب. كبناء درامي محكم يصل به المتلقي إلى ذروة الانفعال.

إطالة أمد الحسرة - كل مرحلة تضاعف الحسرة. لو بدأ بالعذاب مباشرة لفات الكثير من درجات الألم النفسي.

****ما نوع الهداية التي تمنوها؟**

ليست مجرد هداية الطريق، بل:

هداية الإيمان - أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له. أن يعترفوا بأن ما كانوا عليه من شرك كان باطلاً.

هداية العمل الصالح - أن يعملوا بما يرضي الله. أن تكون أعمالهم خالصة لوجهه.

هداية الثبات - أن يستمروا على الهداية حتى الممات.

إنها أمنية من يعلم أن الفرصة قد فاتت، وأن الأوان قد انتهى. يقولونها وهم في غمرة العذاب: "لو كنا في الدنيا من المهتدين! لو آمنا! لو عملنا صالحاً! لو لم نشرك!"

****كيف تجعلني رؤية العذاب أعيد ترتيب أولوياتي؟**

هذا هو المقصد الأعظم. تخيل نفسك مكانهم:

تسأل نفسك: من الذي سينفعني هناك؟ المال؟ ذهب الجاه؟ زال. السلطان؟ انتهى. الأصدقاء؟ تخلوا. لأصنام؟ خذلت.

تسأل: ما الذي كنت أعبد في الدنيا؟ هل كنت أعبد الله حقاً؟ أم كنت أعبد شهواتي؟ أموالي؟ منصبتي؟

تسأل: هل ما أفعله اليوم سينفعني غداً؟ هل صلاتي خالصة؟ هل عملي صالح؟ هل توبتي نصوح؟
**هذه الأسئلة تعيد تشكيل أولوياتك بالكامل.

دعوة الآية للتأمل في من نعظم ونعتمد عليه
الآية تدعوك إلى أن تتوقف وتتأمل:

من تعظم في قلبك؟ هل تعظم الله حقاً أم تعظم فلاناً من الناس؟
من تعتمد عليه في شدتك؟ هل تلجأ إلى الله أولاً أم إلى وسائل بشرية؟
لمن تخضع وتتذل؟ هل تخضع لله وحده أم تخضع للناس طمعاً في منفعة؟
على من تتوكل في قضاء حوائجك؟ هل تتوكل على الله حقاً أم على أسباب واهية؟
**ما هو العذاب الذي رأوه؟

الآية لم تحدد نوع العذاب، والإيهام هنا مقصود:

ليكون أشد للخوف - العذاب المجهول أروع من المعلوم. كل قارئ يتخيل أفظع عذاب يمكن تصوره.
ليشمل كل أنواع العذاب - عذاب النار، عذاب الحسرة، عذاب الخزي، عذاب الندم، عذاب الفضيحة.

لماذا أصر الله ذكر رؤيتهم العذاب حتى لحظة خذلان الشركاء؟
هذا التأخير هو قمة البلاغة:

ليربط بين الخذلان والعذاب - حتى يعلم أن خذلان الشركاء هو باب العذاب. من اتخذ شريكاً مع الله فقد فتح على نفسه باب العذاب.

ليجمع عليهم الألم النفسي والجسدي - ألم الخذلان الناتج عن انكشاف حقيقة شركائهم، ثم ألم رؤية العذاب. ألم مزدوج لا يطاق.

ليزيد الحسرة - أن يشاهد العذاب وقد خذله كل من كان يرجو.

تمني المشركين في هذا الموقف

أمنيتهم الوحيدة: الهداية. ليس المال، ولا الجاه، ولا الخروج من النار. كل هذه الأمانات تبدلت إلى أمنية واحدة: لو أنهم اهتموا في الدنيا.

هذا يعلمك أن الهداية هي أثمن ما يمكن أن يملكه الإنسان. هي الكنز الذي لا يضاهيه كنز. هي النجاة في الدنيا والآخرة.

كيف تجسد الآية الحسرة على ضياع الهداية وعجز المعبودات؟

الحسرة ممثلة في "لو" - "لو" أداة تمنى، لكنها تمنى مستحيل. كلما كررتها يزداد ألمك.

الحسرة ممثلة في التمني المتأخر - التمني بعد فوات الأوان هو أقسى أنواع الحسرة.

عجز المعبودات ممثل في عدم الاستجابة - هم هناك، يرونهم، لكنهم لا يستطيعون شيئاً.

المشهد المتكامل - آلهة عاجزة، وعابدون خاسرون، ونار موقدة، وحسرة لا تنتهي.

أهم الموضوعات

الموضوع الأول: الأبعاد الإيمانية والنفسية والتربوية لمشهد خذلان المعبودات

البعد الإيماني:

هذا المشهد يرسخ الإيمان بقضايا كبرى:

- . وحدانية الله في الألوهية - لا معبود بحق إلا الله .كل من سواه باطل.
- . عدل الله - الله لا يظلم مثقال ذرة .هؤلاء اختاروا الشرك طواعية، فجازاهم بعدله.
- . صدق الوعد - ما وعد الله به من عذاب للمشركين سيتحقق لا محالة.

البعد النفسي:

الآية تصور أعماق النفس البشرية:

- . مرحلة الإنكار - كانوا في الدنيا ينكرون البعث والحساب.
- . مرحلة اليقين - عند معاينة العذاب، يتحول الإنكار إلى يقين مرير.
- . مرحلة الندم - الندم المتأخر الذي لا ينفع.
- . مرحلة الحسرة - حسرة لا توصف على ما فرطوا في جنب الله.

البعد التربوي:

كيف نربي أنفسنا وأبناءنا على هذه المعاني؟

- . تربية القلب على التوحيد الخالص - تنظيفه من شوائب التعلق بالمخلوقين.
- . تربية العقل على التفكير - التفكير في نهاية كل طريق، وفي عاقبة كل خيار.
- . تربية السلوك على الاستقامة - أن يكون العمل خالصاً لوجه الله.

الموضوع الثاني: المفاهيم التي تتحدث عنها الآية في حياتنا العملية

هذه الآية ليست مجرد قصة عن المشركين القدماء، بل هي واقع معاش في كل زمان:

مفهوم الشرك المعاصر:

الشرك ليس فقط عبادة الأصنام، بل:

- . شرك الطاعة - طاعة البشر في تحليل الحرام وتحريم الحلال.
- . شرك المحبة - محبة شيء أو شخص كمحبة الله أو أكثر.
- . شرك التواكل - التوكل على الأسباب مع قطع النظر عن المسبب.
- . شرك الخوف - خوف البشر أو الأحداث كخوف الله أو أكثر.

مفهوم التبعية الفكرية:

الآية تحارب التبعية العمياء:

- . التبعية لشخص مهما عظم - لا يصلح أن تكون تابعاً لأحد في مخالفة أمر الله.
- . التبعية لمذهب أو فكر - الفكر يوزن بميزان الشرع، لا يعظم لذاته.
- . التبعية للعادات والتقاليد - العادة لا تقديس، والتقليد لا يعبد.

مفهوم الاستقلال القيمي:

المسلم يجب أن يكون مستقلاً في قيمه:

- . قيمه مستمدة من القرآن والسنة، لا من التيارات السائدة.
- . موازينه ربانية، لا وضعية متغيرة.
- . ولاؤه لله وللمؤمنين، لا للقوى الظالمة.

الموضوع الثالث: تصوير معاينة العذاب كيقين وسنة الله

معاينة العذاب تزرع اليقين:

تأمل كيف أن الآية تقول "وأوا" - المعاينة البصرية تتحول إلى يقين قلبي. هكذا المؤمن يرى آيات الله في الكون والأنفس فيزداد يقيناً.

سنة الله في خذلان الظالمين:

كل من ظلم وتجر وتكبر، سنن الله واحدة:

- فرعون غرق وجنوده
- قارون خسف الله به الأرض
- هامان ومشاوروه هلكوا

هذه هي سنة الله: "وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا".

المسلم يقف أمام نفسه ويسأل:

هل سينفعني من اتبعتهم اليوم؟

هل يستحق هذا العمل المجرم عقوبة في الآخرة؟

أين الملائكة إذا رأيت العذاب؟

هذه الأسئلة تجعل المسلم يعيد حساباته في الدنيا قبل أن يفوت الأوان.

الموضوع الرابع: المفاهيم المؤسسة للبناء والتنمية

التوحيد أساس البناء الحضاري:

- أي حضارة تبنى على غير أساس التوحيد هي حضارة وهمية.
- المجتمعات التي تشرك مع الله غيره في الحكم والتشريع لا تستقر.

الاستقلال في القرار:

- القرار التنموي يجب أن يكون مستقلاً ، لا تابعاً لقوى خارجية.
- من يتعلق بغيره في قضاء حاجاته يخضع لإرادته.
- الاستقلال يبدأ من العقل والقلب: أن تستقل في تفكيرك وقيمك.

العمل المؤسسي على أساس الحق:

- المؤسسات التي تبنى على الحق تدوم وتثمر.
- البناء على باطل يؤدي إلى "رؤية العذاب" أي الفشل والدمار.

التخطيط المستقبلي:

الآية تدعوك أن تنظر إلى المستقبل:

- ماذا سيحدث بعد عشرين سنة؟
- ما عاقبة قراري اليوم؟
- هل ما أبنيه اليوم سيحميني أم يهلكني؟

بناء الشخصية المسلمة:

- العقلية النقدية - نقد الأفكار والمواقف قبل الانقياد لها.
- اليقين - اليقين بأن الله مع المؤمنين ناصرهم.
- الاعتبار بالخاتمة - التفكير في النهاية قبل البداية.

- تحمل المسؤولية - أنت مسؤول عن اختياراتك، لا تلومن غيرك.
- التوازن - بين الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته.

هذه الآية تشكل درعاً واقعياً للمسلم من الانحراف العقائدي، وتدفعه نحو العمل الصالح المثمر.

الموضوع الخامس: التوجيهات الربانية العملية

ما ندعو إليه:

1. توحيد الله وإخلاص العبادة له - لا شريك له في ملكه، ولا شريك له في عبادتك.
2. تصحيح النية - كل عمل لا يُراد به وجه الله فهو هباء منثور.
3. التوكل على الله - توكل العاجز القوي: عاجز بقوته، قوي بالله.
4. مراجعة الحسابات - جلسة مع النفس يومياً: لمن أبيع ديني؟ ولمن أذل قلبي؟
5. قطع الأمل بالمخلوقين - لا تعلق رجاءك ببشر مهما عظم، كلهم فانون.
6. الاستعداد للمساءلة - اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، ولا آخرتك كأنك تموت غداً.

ما نتعلمه:

- الأسباب لا تضر ولا تنفع بذاتها - النافع والضار هو الله وحده.
- لا تتخذ من دون الله وليجة - لا تجعل قلبك معلقاً بأحد سوى الله.
- الندم المتأخر لا ينفع - فرصة التوبة في الدنيا، فانتهازها.
- الحسرة في الآخرة لا تجدي - فلتكن حسرتك اليوم على ما فرطت.

كيف نطبقها:

- في أزماتك: اجعل الله هو ملاذك الأول والأخير.
- في أعمالك: اجعل النية خالصة لله، والوسائل مباحة، والغاية مرضية.
- في علاقاتك: لا تجعل حبك لأحد يبلغ حد الشرك، ولا خوفك من أحد يبلغ حد العبادة.
- في تربية أبنائك: علمهم أن الله هو المعطي المانع النافع الضار، وكل الأسباب بيديه.

الموضوع السادس: أهمية أسلوب الحوار والنقاش في التربية

لماذا الحوار؟

الحوار أداة تربوية فاعلة لأنها:

- تخاطب العقل قبل العاطفة.
- تترك أثراً أعمق من الإملاء والتلقين.
- تجعل المتعلم مشاركاً لا متلقياً فقط.

كيف وظفت الآية الحوار؟

الآية صورت حواراً تخيلياً أو واقعياً:

- "قيل ادعوا شركاءكم" - أمر حوار.
- "فدعوه" - استجابة حوارية.
- "فلم يستجيبوا لهم" - صمت حوارى معبر.
- "ورأوا العذاب" - نتيجة الحوار.

هذا حوار ثلاثي الأطراف: الأمر (الله)، المأمور (المشركون)، المدعوون (الشركاء).

دور الحوار في التربية:

1. بناء الثقة - الحوار يبني جسوراً من الثقة بين المربي والمتربي.
2. إثارة التفكير - الأسئلة الحوارية تثير العقل وتشغله.
3. الإقناع - الحوار يؤدي إلى قناعة داخلية، والقناعة تدوم.

- 4.تربية على القناعة - المتعلم يصل إلى النتيجة بنفسه فيقتنع.
5.تفنيد الشبهات - الحوار يسمح بعرض الشبهات ومناقشتها.

كيف نستفيد من هذا الأسلوب:

- . مع أبنائنا: نتحاور معهم، لا نأمرهم فقط.
- . في الدعوة: نناقش المخالفين بالتي هي أحسن.
- . في التعليم: نثير الأسئلة وندع الطلاب يبحثون عن الإجابات.
- . في التوجيه: نستخدم القصص القرآنية الحوارية.

المشهد النهائي الذي يرسخ التوحيد:

الآية تنتهي بمشهد مأساوي يرسخ في النفس:

- . صورة عجز الأصنام
- . صورة حسرة المشركين
- . صورة العذاب المعاین
- . صورة الندم المتأخر

كل هذه الصور تتراكم في الوجدان لتكون رادعاً عن الشرك ودافعاً إلى التوحيد.
**الخاتمة: وقفة مع النفس

أخي الحبيب، أختي الحبيبة،

تأمل هذه الآية كما لو كنت أنت من سيقف في ذلك الموقف الرهيب. تخيل نفسك وقد نودي بك:
"ادع شركاءك". من ستطلب؟ لمن ستتوسل؟ من ترجو أن ينجيك؟

إن كنت تعلق رجاءك اليوم على شخص أو منصب أو مال أو جاه، فتأكد: كل هؤلاء سيخذلونك. لن ينفذك إلا ما قدمته لله خالصاً لوجهه.

هذه الآية ليست مجرد كلمات تتلى، إنها:

- . مرآة تنظر فيها إلى قلبك: هل هو سليم من التعلق بغير الله؟
- . بوصلة توجهك: إلى من تتجه في شدتك ورخائك؟
- . صفة توقظك: من الغفلة التي نام فيها كثيرون.

اغتنم الفرصة اليوم، قبل أن تقول "لو أنني كنت اهتديت" وأنت تشاهد العذاب. اليوم الفرصة قائمة، و الباب مفتوح، والله يقبل التوبة.

اجعل همك: تطهير قلبك من الشرك الأكبر والأصغر والخفي.

اجعل شعارك: "إياك نعبد وإياك نستعين".

واختتم حياتك على التوحيد، تفز برضوان الله وجناته.

المبحث الثالث

تفسير وتحليل الآيتين 65 و66 من سورة القصص

المقدمة: مشهد السؤال المهيّب الذي ترتجف له القلوب

بعد أن انتهى المشهد السابق -مشهد خذلان الشركاء ودعائهم إياهم فلا يستجيبون لهم ورؤيتهم العذاب وتمنيهم الهداية- يأتي مشهد جديد، أشد وأعظم وأكثر إيلاماً. إنه مشهد مناجاة الله جل جلا له للمشركين مباشرة، دون وسيط، دون شريك، دون آلهة مزيفة.

تأمل معي هذا التحول المذهل في المشهدية القرآنية:

في الآية السابقة (64) كان الخطاب موجهاً من الله بصيغة المبني للمجهول "قيل ادعوا شركاءكم"،

وكان المقام مقام إهانة وتعجيز، فيُطلب منهم أن يلتفتوا إلى آلهتهم الباطلة. أما هنا، في الآية 65، ينتقل الخطاب إلى أعلى درجات المواجهة المباشرة، حيث يتولى الله سبحانه نفسه نداءهم وسؤالهم: "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ".

إنه مشهد الحساب الأكبر. مشهد يقف فيه الخالق -تبارك وتعالى- أمام خلقه، في ساحة الحشر، وترفع الأصوات، وتخشع الأبصار، وتنقطع الحيل، ويواجه المجرمون بسؤال واحد، سؤال يختصر حياتهم كلها، سؤال يحسم أمرهم: "ماذا أجبتكم المرسلين؟"

ثم تأتي الآية 66 لترسم لوحة الصمت المطبق، والحيرة التامة، والذهول الكامل: "فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ".

لا جواب عندهم. لا حجة. لا عذر. لا حتى سؤال يسأله لغيرهم أو لأنفسهم. إنه الصمت الذي يملأ السمع، والحيرة التي تعمي البصائر، والعذاب النفسي الأليم الذي لا يوصف.

هاتان الآيتان تتمحوران حول فكرة عظمية: مواجهة الحقيقة المجردة يوم القيامة حين يسأل الله العبد عن أعظم استحقاق في حياته: كيف استجاب للرسول؟ وماذا كان موقفه من دعوة التوحيد؟ وهي تكشف أن كل شيء سيسقط يومئذ إلا ما قدمه العبد في جوابه عن هذه الرسالة. المال يسقط، الجاه يسقط، السلطان يسقط، الأصدقاء يتخلون، الأصنام تخذل، ويبقى سؤال واحد: ماذا أجبتكم المرسلين؟

****الآية الأولى (65): "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ"**

أولا : دلالات النداء الإلهي المباشر

تأمل معي كلمة "يُنَادِيهِمْ". لم يقل "يقول لهم"، بل "يناديهم". النداء له خصوصيته:

النداء من بعد - النداء يكون عادة من بعيد، وهذا يخلق جواً من الهيبة والرهبّة. المشركون يقفون في ساحة الحشر، ثم يأتيهم النداء من العلي الأعلى، من الله الجبار المتكبر. إنه نداء يزلزل القلوب.

النداء العلني - النداء ليس سرا، بل هو على رؤوس الأشهاد. جميع الخلائق تسمع: الملائكة، الأنبياء، المؤمنون، الكفار، الجن، الإنس. إنها فضيحة كبرى للمجرمين.

النداء المتضمن التوبيخ - كل نداء في القرآن للمجرمين يحمل في طياته لونا من ألوان التوبيخ و التهديد. "يناديهم" كمن ينادي من غفل وانصرف، فيقول: أين أنتم؟ ما الذي أجبتكم؟

لماذا خص الله نفسه بالنداء المباشر هنا؟

في الآية السابقة كان الأمر "قيل" - صيغة مبني للمجهول. هنا الفاعل معلن: الله هو الذي ينادي. لماذا هذا التحول؟

لأن مقام المساءلة لا يقبل الوساطة - يوم القيامة، تسقط كل الوسائط. لا شفاعة إلا بإذنه، ولا واسطة تنفع. إنه الله وحده الذي يسأل، والعبد وحده الذي يجيب.

لإتمام الحجة القاطعة - لو كان النداء عن طريق ملك أو رسول لقالوا: هذا ملك يخبرنا عن الله. لكن حين يتولى الله بنفسه النداء، تنقطع كل حجة، ويسد كل منفذ للاعتذار.

لإظهار كمال العدل - العادل هو الذي يتولى مساءلة من ظلم بنفسه. الله هو المظلوم في حق عبادته، إذ أشرك به غيره، فمن باب أولى أن يتولى هو المساءلة.

لتحقيق أقصى درجات الخزي والفضيحة - أن يسمع المجرم صوت الله مباشرة وهو يسأله، في ذاك الموقف المهيّب، ثم لا يملك جواباً، هذا من أشد ألوان العذاب النفسي.

تحليل "ماذا أجبتكم المرسلين"

هذا السؤال هو قمة البلاغة القرآنية. لنقف أمام كل كلمة:

"ماذا" - استفهام يتضمن معنى التقرير والتوبيخ والتعظيم. إنه سؤال يستفسر عن الجواب، لكنه في

الوقت نفسه يقرر أن الجواب إما موجود أو مفقود. والواقع أنه مفقود.

"أَجَبْتُمْ" - الفعل ماضٍ، والخطاب للمشرّكين. الإجابة هنا بمعنى الرد على دعوة الرسل. والماضي يدل على أن هذا الأمر قد وقع وانتهى. إنها حقيقة تاريخية لا يمكن تغييرها. لقد أجبتهم في الدنيا إما بالإيمان أو بالكفر، وإما بالطاعة أو بالمعصية. الآن جاء وقت عرض الإجابة لا وقت تغييرها.

"الْمُرْسَلِينَ" - جاء بصيغة الجمع، ليشمل جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم. فكل أمة سُئلت عن جوابها لرسولها. والمشرّكون الذين كَذَّبُوا رسولهم محمداً صلى الله عليه وسلم هم في عداد من كَذَّبُوا جميع الرسل، لأن دعوة التوحيد واحدة.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

تقديم الظرف "يَوْمَ" على الفعل - قال "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ" وليس "ويناديهم يوم". تقديم "يوم" يدل على عظمة ذلك اليوم واهتمام القصة به. إنه يوم ليس كالأيام.

الفاء في "فَيَقُولُ" - فاء التعقيب، تفيد الترتيب السريع. كأن النداء يتبعه القول مباشرة دون مهلة. لا وقت للاستعداد، لا وقت للتفكير. الموقف مفاجئ وصادم.

الاستفهام التقريري - "ماذا أجبتهم" ليس استفهاماً عن جهل، بل استفهام تقرير يهدف إلى توبيخهم وإقامة الحجة عليهم.

الإيجاز المذهل - في خمس كلمات فقط (ماذا أجبتهم المرسلين) لخص الله قصة الحياة كلها. كل ما فعله الإنسان في الدنيا يُختصر في جوابه عن هذه الرسالة.

ما المقصود بـ "إجابة المرسلين"؟

الإجابة ليست مجرد قول باللسان، بل هي:

إجابة القلب - التصديق والإيمان بما جاء به الرسل.

إجابة اللسان - النطق بالشهادة والإقرار.

إجابة الجوارح - العمل بما أمرت به الرسل.

إجابة المنهج - اتباع سبيل الرسل في الحياة.

فمن آمن بالله وصدق رسله وعمل صالحاً، فهذا هو "أجاب المرسلين". ومن كَذَّب وعاند واستكبر، فهذا "لم يجب المرسلين" بل أجابهم بالكذب والعصيان.

لماذا خُصت إجابة الرسل بالسؤال دون غيرها؟

لأن إجابة الرسل هي أصل الدين وأساسه:

- الرسل هم حملة رسالة التوحيد.
- إجابتهم تعني إجابة الله نفسه، لأنهم مبلغون عنه.
- الإيمان بالرسول هو الفارق بين الجنة والنار.
- كل الأعمال تقبل أو تُرد بحسب متابعة الرسل.

لذلك، يوم القيامة، كل شيء يُطوى، وكل ملف يُغلق، ويبقى سؤال واحد: ماذا فعلتم برسلي؟ ماذا أجبتموهم؟

العلاقة بين هذه الآية والآية السابقة (64)

تأمل كيف تتناسق الآيتان:

الآية 64: خذلان الشركاء - المشرّكون دعوا آلهم فلم يستجيبوا لهم.

الآية 65: سؤال الله المباشر - الله يناديهم فيسألهم عن إجابتهم للرسول.

هذا الترتيب يحمل رسالة بليغة:

أنتم تركتم عبادة الله وأجبتكم الشركاء، واليوم خذلكم الشركاء، فماذا أجبتكم المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم؟

المشركون في الدنيا انشغلوا بإجابة غير الله: أجابوا الشيطان، أجابوا هواهم، أجابوا زعماءهم، أجابوا آبائهم. لكنهم لم يجيبوا الرسول. واليوم يسألهم الله عن أعظم إجابة تركوا: إجابة الرسول.

الرسائل والتوجيهات الإيمانية

الرسالة الأولى: الحياة كلها امتحان في إجابة الرسول - كل لحظة تعيشها، كل خيار تتخذه، هو في الحقيقة جواب على سؤال: هل ستتبع الرسول أم ستتبع غيرهم؟

الرسالة الثانية: لا مناص من السؤال - سيسألك الله يوم القيامة، لا مفر من ذلك. فاستعد للسؤال بجواب صحيح.

الرسالة الثالثة: الجواب لا يتغير بعد الموت - ما أجبتك في الدنيا هو ما ستعرضه يوم القيامة. لا تظن أنك ستغير جوابك هناك. اليوم هو يوم الإجابة، وغداً يوم العرض.

الرسالة الرابعة: إجابة الرسول هي الطريق الوحيد للنجاة - من أجب الرسول نجا، ومن لم يجب هلك. لا طريق ثالث.

كيف تعمل الآية على تربية المسلم على أهمية اتباع الرسول؟

هذه الآية تجعل المسلم يعيش حالة من المراقبة الذاتية المستمرة:

كل صباح يسأل نفسه: كيف سأجيب الله اليوم عن سؤاله؟ هل أجبتك بالأمس؟ هل أنا اليوم على طريق الرسول؟

كل قرار يتخذه يتذكر: هل هذا القرار هو إجابة للرسول أم إجابة للشيطان والهوى؟

كل علاقة يقيمها يسأل: هل هذه العلاقة تجعلني أقرب إلى إجابة الرسول أم أبعد؟

الآية تحول حياة المسلم إلى استعداد دائم ليوم السؤال، فتجعله يعيش متلبساً بدينه، حريصاً على طاعته، متجنباً معصيته.

**الآية الثانية (66): "فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ"

أولاً : معنى "عَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ"

هذه العبارة تحمل في طياتها مشهداً مرعباً من مشاهد يوم القيامة. "عميت" من العمى، وهو فقدان البصر. لكن العمى هنا مجازي:

عميت عليهم الأنباء - أي: خفيت عليهم الأخبار والأحداث والحجج. اختلط عليهم الأمر، فلم يعرفوا ما يقولون، ولم يهتدوا إلى جواب.

تأمل الصورة: يقف المشركون في أرض المحشر، وقد سمعوا النداء الإلهي: "ماذا أجبتكم المرسلين؟" فيبدأون في البحث في أذهانهم عن جواب، عن حجة، عن عذر، عن أي شيء يقولونه. لكنهم لا يجدون. عقولهم تاهت، وأبصارهم كلت، وأفكارهم تشوشت. وكأن الأخبار التي يعرفونها في الدنيا قد أطفئ نورها، فلم يعودوا يدرون ما يقولون.

لماذا خصت الآية "الأنباء" بالعمى؟

"الأنباء" جمع نبأ، والخبر العظيم. وفي هذا اليوم، كل الأنباء عن الدنيا التي كانت تشغلهم - أنباء المال، الجاه، السلطان، الأنساب، المفاخر - كلها عميت وضلت وتاهت. لم يعد لهم نبأ يفيدهم، ولا خبر

ينفعهم. إنهم في حيرة تامة من أمرهم.

معنى "فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ"

هذه الجملة هي ذروة الصورة المأساوية. "لا يتساءلون" أي: لا يسأل بعضهم بعضاً. لماذا؟

لأنهم عرفوا أن لا فائدة من السؤال - كلهم في نفس الورطة. لا أحد عنده جواب. يسأل زيد عمراً، فيقول عمر: لا أدري. يسأل عمرو بكراً، فيقول بكر: لا أدري. فينقطع التساؤل لأن الكل جاهل، والكل حائر، والكل مذهول.

لأنهم اشتغلوا بأنفسهم - كل امرئ يومئذ شأن يغنيه. شغلتهم رؤية العذاب وخوف النار عن سؤال غيرهم.

لأن الخزي والفضيحة منعهم - الحياء والخزي يمنعان السؤال. كيف يسأل أحدهم صاحبه وكلاهما مذنب؟ كيف يتساءلون وقد انكشفت أسرارهم وفضحتهم الملائكة؟

لأن الدهشة والحيرة بلغت ذروتها - عندما يصاب الإنسان بصدمة كبرى، يتوقف عقله عن العمل. لا يسأل، لا يفكر، لا يتكلم. هذه هي حالهم.

اللمسات البيانية والبلاغية

الفاء في "فَعَمِيَتْ" - فاء السببية، تفيد أن سبب عمى الأنبياء عنهم هو سؤال الله لهم وعدم قدرتهم على الجواب. أي: لما سألهم الله فلم يجدوا جواباً، عميت عليهم الأنبياء.

تعبير "عَمِيَتْ" - نسب العمى إلى الأنبياء وليس إليهم. هذا من بدیع البلاغة. وكأن الأخبار نفسها هي التي عميت وtaht عنهم، وكأنها كانت تنير لهم الطريق في الدنيا، فأطفا نورها يوم القيامة.

"الأنبياء" بصيغة الجمع - ليؤكد أن جميع الأخبار والحجج والأدلة قد تاهت، ليس خبراً واحداً.

"يَوْمَئِذٍ" - الإشارة إلى يوم القيامة بأداة التنبيه "إِذْ" تدل على عظمته وتميزه عن سائر الأيام.

الجملة الحالية "فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ" - جملة حالية تصور حالتهم بعد عمى الأنبياء. أي: قد عميت عليهم الأنبياء وهم في حالة انقطاع التساؤل بينهم.

ما معنى أنهم لا يتساءلون؟ أليس في آيات أخرى أنهم يتساءلون؟

هذا سؤال دقيق. في القرآن آيات أخرى تصف أهل النار بأنهم يتساءلون: "وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ" (الصفات 27، والطور 25). كيف نوفق بينهما؟

الفرق في التوقيت:

• آية القصص تتحدث عن لحظة السؤال الأولى حين يسألهم الله عن إجابة الرسل. في هذه اللحظة ، هم في حالة صدمة وحيرة ودهشة، فلا يتساءلون فيما بينهم.
• الآيات الأخرى تتحدث عن مرحلة لاحقة، بعد أن يستقر بهم المقام في النار، أو في أرض المحشر بعد انتهاء الحساب، فيبدأون بتلاومهم وتساؤلهم.

إذن، الآية تصف حالة الذهول الأولى بعد سماع السؤال الإلهي مباشرة. إنها لحظة الانفجار النفسي، لحظة الصدمة التي تصمت الألسنة وتحير العقول.

كيف تجسد الآية الحسرة والعجز والندم؟

تأمل هذا المشهد من خلال عينيك:

الندم المتأخر - يتمنى المشركون لو أنهم يستطيعون أن يقولوا شيئاً، أي شيء. لكنهم لا يستطيعون. يتمنون لو أن أحداً يسألهم ليجيبوا، لكنهم يعلمون أن أي جواب لن ينفع.

العجز المطلق - عجزوا عن الإجابة على سؤال واحد. سؤال اختصر حياتهم كلها. لو كانوا في الدنيا يعلمون أنهم سيسألون هذا السؤال، لجهزوا له جواباً. لكنهم لم يفعلوا.

الحيرة التامة - حائرون: ماذا يقولون؟ يكذبون؟ الله يعلم أنهم كاذبون. يعترفون؟ الاعتراف يوجب العذاب. فيتوقفون عند لا جواب ولا اعتراف.

الصمت المطبق - لا كلمة، لا حرف، لا همس. صمت ثقيل يملأ المكان. صمت أشد من العذاب بالنار.

لماذا أقر الله ذكر هذا المشهد بعد مشهد خذلان الشركاء؟

هذا الترتيب يحمل حكمة بالغة:

تصعيد درامي - أولاً: خذلان الشركاء (الأصنام والأموال والجاه). ثانياً: سؤال الله المباشر. ثالثاً: الحيرة والصمت. كل مشهد أشد من الذي قبله.

إظهار أن الخذلان الأكبر هو خذلان النفس - خذلان الأصنام أمر، لكن خذلان النفس حين تعجز عن الكلام والجواب هو أعظم الخذلان.

تأكيد أنه لا ملجأ من الله إلا إليه - بعد أن خذلهم شركاؤهم، وبعد أن سألهم الله فلم يجدوا جواباً، يتبين لهم أنه لا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه.

أهم المواضع

الموضوع الأول: الأبعاد الإيمانية والنفسية والتربوية لمشهد السؤال الإلهي

البعد الإيماني

هذه الآيات ترسخ عقائد عظيمة:

عقيدة البعث والحساب - يوم القيامة حق، والمساءلة حق، والجواب حق. من أنكر هذا في الدنيا سيراه بعينه يوم القيامة.

عقيدة الرسالة - الرسل حق، وما جاءوا به حق، وإجابتهم هي الطريق الوحيد للنجاة. من شك في هذا في الدنيا، سيتيقن منه يوم القيامة حين لا ينفع اليقين.

عقيدة عدل الله - الله لا يسأل العبد إلا عما كلفه به. سألهم عن إجابة الرسل لأن الرسل أتتهم بالبينات والهدى. فمن أطاع نجا، ومن عصى هلك.

عقيدة العلم الإلهي - الله يعلم إجاباتهم قبل أن يسألهم، لكنه يسألهم إقامة للحجة وإظهاراً للخزي.

البعد النفسي

الآيات ترسم خريطة نفسية دقيقة للمجرم في ذلك اليوم:

مرحلة الصدمة - سماع النداء الإلهي المفاجئ يسبب صدمة نفسية عنيفة. كل أوهام الدنيا تنهار.

مرحلة التفتيش - يبحث المشرك في ذاكرته عن أي جواب، أي عذر، أي حجة. لكنه لا يجد.

مرحلة الحيرة - يشعر بالحيرة الكاملة. لا يدري ماذا يفعل. عقله مشلول.

مرحلة العجز - يعترف بعجزه. لا يستطيع الكلام. لسانه ينطبق.

مرحلة الصمت - صمت الألم، صمت الندم، صمت الخزي، صمت العجز.

هذه المراحل هي نموذج مصغر لعذاب النفس قبل عذاب الجسد.

البعد التربوي

كيف نربي أنفسنا وأبنائنا على هذه المعاني؟

تربية اللسان - علمهم أن اللسان سيُسأل عما نطق به. هل كان يذكر الله أم يلغو؟ هل كان ينطق بالحق أم بالباطل؟

تربية العقل - علمهم أن يعقلوا دينهم، ليكون عندهم جواب إذا سئلوا عن نبيهم وعن دينهم.

تربية المواجهة - دربهم على مواجهة الأسئلة المصيرية: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

تربية الصدق - علمهم أن الصدق هو طريق النجاة. الكذابون سيفتضحون يوم القيامة.
2/الموضوع الثاني: المفاهيم التي تتحدث عنها الآيات في حياتنا العملية

مفهوم المسؤولية الفردية

الآيات تؤكد أن كل إنسان مسؤول عن نفسه:

- لن يسأل الله عنك غيرك.
- لن ينفعك أهلك ومالك وولدك.
- جوابك أنت وحدك، وخطيئتك أنت وحدك.

هذا المفهوم يحرر الإنسان من التبعية العمياء لأحد، ويجعله يقف على قدميه.

مفهوم الاستعداد للمساءلة

الآيات تدعو الإنسان إلى أن يعيش حياته كلها كاستعداد ليوم المساءلة:

- كل عمل تسجله، فكأنك تجهز جواباً.
- كل كلمة تقولها، فكأنك تكتب في صحيفتك.
- كل خطوة تخطوها، فكأنك ترسم مستقبلك هناك.

مفهوم أن الدنيا دار عمل لا دار جزاء

في الدنيا: تسأل الناس، وتجيهم، وتتحاور، وتتناقش. في الآخرة: لا تساؤل ينفع، ولا جواب يغير شيئاً. الدنيا هي فرصة الإجابة، والآخرة هي وقت العرض.

مفهوم أن الجواب الصحيح هو ما كان متبعاً للرسول

ليس الجواب ما يرضي الناس، ولا ما يوافق الهوى، ولا ما تفرضه العادات. الجواب الصحيح هو ما جاء به الرسول: التوحيد، والعبادة لله وحده، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم.
3/الموضوع الثالث: تصوير معاينة العذاب كيقين وسنة الله

معاينة العذاب في هذه الآيات

في الآية 65، العذاب ليس ناراً فقط، بل عذاب السؤال:

عذاب المواجهة - أن تقف بين يدي الله وهو يسألك، وهذا أعظم عذاب.

عذاب الفضيحة - أن يسمع الخلائق كلهم سؤالك وعجزك عن الجواب.

عذاب الحيرة - أن تشعر بالحيرة التامة، لا تعرف ماذا تقول.

عذاب الصمت - أن يخونك لسانك في أحوج لحظاتك إليه.

سنة الله في إقامة الحجة

الله لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه الحجة:

- أرسل الرسول.

- أنزل الكتب.
- بين الهدى من الضلال.
- ثم سألهم يوم القيامة: ماذا أجبتكم المرسلين؟

هذه سنة الله في عدله ورحمته.

كيف تجعل هذه الآيات المسلم يعيد ترتيب أولوياته؟

كلما خطر ببالك أن تتبع غير سبيل الرسل، تذكر: سيسألك الله عن إجابتك لهم. كلما راودتك نفسك أن تترك فريضة أو ترتكب معصية، تذكر: هذا الجواب ستجيب به أمام الله. كلما تعلق قلبك بشخص أو مال أو منصب، تذكر: يوم السؤال لا ينفع إلا جوابك عن الرسل.

4/الموضوع الرابع: المفاهيم المؤسسة للبناء والتنمية

مفهوم الاستقلال القيمي عن غير الرسل

لا قيمة لأي فكر أو منهج أو نظام لا ينبثق من منهج الرسل. الرسل هم المعلمون، والمرشدون، و القادة الحقيقيون للبشرية. من اتبع غيرهم فقد ضل.

مفهوم أن العمل المؤسسي يجب أن يكون على منهج الرسل

أي مؤسسة -اقتصادية، سياسية، تعليمية، اجتماعية- إن لم تكن مؤسسة على ما جاء به الرسل من عدل وإحسان وتوحيد، فمصيرها الفشل والدمار. لأنها بنيت على باطل، والباطل زائل.

مفهوم التخطيط المستقبلي بناءً على نهاية الطريق

المفكر والمخطط الحقيقي هو من ينظر إلى النهاية. يوم القيامة هو نهاية كل طريق. فمن خطط طريقه ليوصل إلى جواب يرضي الله، فقد أفلح. ومن خطط ليصل إلى مال أو جاه فقط، فسيصطدم بحائط السؤال.

بناء الشخصية المسلمة على الاستعداد للسؤال

الشخصية المسلمة هي شخصية:

- واعية تعلم أنها ستسأل.
 - صادقة لأن الكذب سينكشف.
 - مستقيمة لأن الاعوجاج سيفضح.
 - متعلمة لأن الجهل ليس عذراً بعد إرسال الرسل.
 - عاملة لأن العمل هو الجواب الحقيقي.
- 5/الموضوع الخامس: التوجيهات الربانية العملية

ما ندعو إليه

1. أن نجيب الرسل بالإيمان والعمل - لا يكفي أن تقول "آمنت"، بل يجب أن تثبت إيمانك بطاعة الله واتباع سنة نبيه.
2. أن نستعد ليوم السؤال - اجعل لنفسك ورداً يومياً تتذكر فيه أنك ستقف بين يدي الله وتجيب عن كل صغيرة وكبيرة.
3. أن ننقي قلوبنا من التعلق بغير الله - لا تعلق رجاءك بأحد سوى الله، فهم لا يملكون لك جواباً يوم القيامة.
4. أن نعلم أبناءنا أن الجواب الحقيقي هو اتباع الرسل - لا تبني تربية أبنائك على المجاملة أو المصلحة أو التقليد الأعمى، بل على أساس دين الله.

ما نتعلمه

- السؤال آتٍ لا محالة - فلتكن إجابتك جاهزة.
- لا عذر يوم القيامة - الأعذار كلها تسقط هناك.
- الحيرة والذهول مصير من لم يجهز جواباً - لا تكن منهم.

• الصمت أشد عذاباً من النار - لأن النار عذاب جسدي، والصمت عذاب نفسي وروحي.

كيف نطبقها في حياتنا

- في كل صباح - اسأل نفسك: لو سألني الله اليوم عن إجابتي للرسول، ماذا أقول؟
 - قبل كل قرار - هل هذا القرار هو إجابة للرسول أم للشيطان؟
 - في كل علاقة - هل هذه العلاقة تقربني من الله أم تبعدني؟
 - في كل عمل - هل هذا العمل يرضي الله أم يغضبه؟
- 6/الموضوع السادس: أهمية أسلوب الحوار والنقاش في التربية

كيف وظفت الآيات الحوار؟

الآية 65 صورت حواراً مباشراً بين الله والمشركون:

- جهة الحوار الأولى - الله يناديهم.
- جهة الحوار الثانية - المشركون يسألون.
- النتيجة - صمتهم وحيرتهم (الآية 66).

هذا حوار قرآني من طرف واحد ظاهراً، لكنه يحمل في طياته حواراً داخلياً في نفوس المشركون: ماذا سأقول؟ كيف سأجيب؟ أأعترف؟ أم أكذب؟ هذا الحوار الداخلي هو ما توقف الآية 66: "فعصيت عليهم الأنبياء" أي انقطع حوارهم الداخلي أيضاً.

دور الحوار في التربية

هذه الآيات تقدم نموذجاً تربوياً فريداً:

الحوار يثير التفكير - سؤال الله للمشركون يثير في ذهن القارئ سؤالاً مماثلاً: ماذا كنت سأجيب لو كنت مكانهم؟

الحوار يكشف الحقائق - من خلال هذا السؤال الإلهي، ينكشف للمشركون (ولنا نحن القراء) حقيقة أن لا جواب لديهم.

الحوار يؤدي إلى القناعة - عندما يصل القارئ بنفسه إلى أنه لا جواب له لو سئل هذا السؤال دون أن يعد جواباً، فإنه يقتنع بضرورة الاستعداد.

كيف نستفيد من هذا الأسلوب؟

- مع أبنائنا: اسألهم أسئلة تثير تفكيرهم: "لو سألك الله يوم القيامة عن صلاتك، ماذا ستقول؟"
- في أنفسنا: حاور نفسك كل يوم: "ماذا أعددت ليوم السؤال؟"
- في الدعوة: استخدم أسلوب الحوار الهادئ الذي يصل بالشخص إلى قناعاته بنفسه.

المشهد النهائي الذي يرسخ التوحيد

الآيتان ترسمان مشهداً ختامياً يرتسم في الذاكرة:

- صورة السؤال - الله ينادي.
- صورة الحيرة - المشركون حائرون.
- صورة الصمت - لا جواب، لا تساؤل.
- صورة الخزي - فضيحة مدوية.

هذه الصورة تبقى عالقة في النفس، تدفع المؤمن إلى أن يجهز جوابه قبل أن يحين وقت السؤال.
**الخاتمة: وقفة مع النفس

أخي الحبيب، أختي الحبيبة،

تأمل معي هذا المشهد المرعب:

أنت واقف في أرض المحشر. الحرارة شديدة. الشمس دانية من الرؤوس. العرق يبلغ الأذقان. الكرب عظيم. ثم تسمع نداءً يجلجل في أرجاء الموقف: صوت الجبار جل جلاله ينادي: "ماذا أجبتكم المرسلين؟"

تتوقف أنفاسك. يخفق قلبك. ترتجف فرائصك. تبحث في ذاكرتك: ماذا قلت للرسل حين جاؤوك؟ ماذا فعلت بدعوتهم؟ كيف استقبلت كلمة التوحيد؟

تتذكر أيام الدنيا... كيف كنت منهمكاً في جمع المال... كيف كنت ساعياً وراء الجاه... كيف كنت تتبع شهواتك... كيف كنت تسمع الآذان فلا تجيب... كيف كنت تقرأ القرآن فلا تعمل به... كيف كنت تعرف الحق وتتبعه هواك...

وتريد أن تجيب... لكن لسانك ينطبق... وعقلك يتوه... ولا تجد كلمة واحدة تنطق بها... تنظر يمنة ويسرة... تريد أن تسأل أحداً... لكنك ترى الكل في نفس الحال... لا أحد يتكلم... لا أحد يسأل... صمت مخيف... حيرة قاتلة... ثم يقال: هؤلاء الذين كانوا في الدنيا لا يبالون بسؤال الله... اليوم لا جواب لهم...

ثم تسمع: اذهبوا بهم إلى النار...

أما أن لك أن تستعد اليوم؟

أما أن لك أن تجهز جوابك؟

الجواب جاهز: "أما بالله وبما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأبساط..." لكن هذا الجواب لا ينفع إلا إذا كان صادقاً من القلب، مصداقاً بالعمل، ثابتاً حتى الممات.

فاجعل شعارك اليوم: "اللهم إني أجبتُ رسلك بالإيمان بك، واتباع نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، والعمل بشرعك، حتى ألقاك وأنت راض عني".

المبحث الرابع

تفسير وتحليل الآية 67 من سورة القصص

المقدمة: باب الأمل المفتوح في وجه العاصي

بعد أن رسمت الآيات السابقة مشاهد القيامة المروعة - مشهد خذلان الشركاء، ومشهد السؤال الإلهي المرعب "ماذا أجبتكم المرسلين؟"، ومشهد الحيرة والصمت المطبق - يأتي الآن تحول درامي مذهل. فجأة، وبينما كانت النار تزفر والمجرمون ينتظرون العذاب، يفتح باب، لا باب خروج من الموقف، بل باب أمل يتسع للدنيا بأكملها.

إنها آية تستثني، آية تفرق، آية تبشر. بعد أن رأينا مصير من أشرك وكفر وعصى، نرى الآن مصير من اختار طريقاً آخر: "فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَعِيَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ".

هذه الآية هي بمثابة النبأ السار الذي يقذف في قلب المشهد القيامي المهيّب، لتقول للعاصي: لا تيأس. وللمذنب: لا تقنط. وللمفطر: لا تحزن. الباب لا يزال مفتوحاً. لكنه ليس باباً لكل أحد، إنه باب للتائبين، باب للمؤمنين، باب للعاملين الصالحين.

تتمحور هذه الآية حول فكرة عظمى: الفلاح الحقيقي مرهون بثلاثية متكاملة: التوبة النصوح، والإيمان الصادق، والعمل الصالح. وهي تخرج الإنسان من دائرة الخذلان والخزي إلى دائرة الكرامة والفلاح. إنها تقدم وصفة النجاة الوحيدة في مواجهة أهوال يوم القيامة.

تأمل معي هذا السياق البديع: الآية 64: خذلان الشركاء. الآية 65: سؤال الله للمشركين. الآية 66: حيرتهم وصمتهم. ثم تأتي الآية 67: "فَأَمَّا مَنْ تَابَ..." كأنها تقول: هذا كان حال الفريق الخاسر، وأما الفريق الرابع فحاله كذا وكذا. إنها مقابلة بين فريقين، ونهاية طريقين، ومصيرين لا ثالث لهما.

أولاً: دلالة "فَأَمَّا" - أداة التفصيل والانتقال

تبدأ الآية بـ "فَأَمَّا"، وهذه الأداة تحمل في طياتها بلاغة عالية:

"الفاء" للتفريع - تفيد أن هذا الكلام مترتب على ما سبقه. أي: بعد أن رأيت حال المجرمين الذين لم يتوبوا ولم يؤمنوا، فإليك حال من تاب وآمن.

"أما" للتفصيل - هي أداة تدل على أن الكلام سيُفصل، وتقسّم الأمور إلى أقسام. فكأن الله يقول: الناس فريقان: فريق خاسر (الآيات السابقة)، وفريق رابح (هذه الآية).

هذه اللفتة تربوية بامتياز: إنها تدعو القارئ إلى أن يُصنف نفسه، وأي الفريقين يختار. لا مكان للوسطى، لا منطقة رمادية. إما هذا وإما ذاك.
ثانياً : تحليل أركان النجاة الثلاثة

الركن الأول: "تاب" - التوبة: الانقلاب العظيم

التوبة ليست مجرد كلمة تقال، إنها ثورة داخلية، انقلاب كامل على الماضي، هدم لصنم الذنب وإعادة بناء لصروح الطاعة.

دلالات التوبة في الآية:

الرجوع إلى الله - التوبة لغة: الرجوع. فالتائب هو الراجع إلى ربه بعد أن كان بعيداً. إنه يعترف بخطيئته، ويندم عليها، ويعزم على ألا يعود.

محو السابق - التوبة الصادقة تمحو ما قبلها. فكأن التائب يولد من جديد. قال صلى الله عليه وسلم: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".

الاستعداد للمستقبل - التوبة ليست حنيئاً إلى الماضي، بل هي بناء للمستقبل على أسس جديدة.

لماذا بدأ الله بالتوبة قبل الإيمان؟

هذا الترتيب دقيق جداً. قدم التوبة على الإيمان لأن:

- التوبة تمهد القلب للإيمان. القلب المليء بالذنوب والغفوة لا يستوعب نور الإيمان إلا بعد تطهيره بالتوبة.
- كثير من المخاطبين بهذه الآية كانوا مشركين، فالتوبة بالنسبة لهم تعني ترك الشرك أولاً، ثم الدخول في الإيمان.
- التوبة تشمل ترك المعاصي الصغرى والكبرى، والإيمان هو الدخول في العقيدة الصحيحة.

الركن الثاني: "وآمن" - الإيمان: اليقين الذي يحرك الجوارح

الإيمان هنا ليس مجرد تصديق بالقلب، بل هو:

الإيمان بالله وحده - لا شريك له، ولا ند له، ولا صاحبة ولا ولد.

الإيمان بالرسول - تصديقهم واتباعهم، وهذا ما سئل عنه المشركون في الآية السابقة: "ماذا أجبتهم المرسلين".

الإيمان باليوم الآخر - والاستعداد له بالأعمال.

الإيمان بالقدر خيره وشره - التسليم لأمر الله.

لماذا جاء الإيمان بعد التوبة؟

لأن التوبة تهئ الأرض، والإيمان يبني عليها. من تاب من الشرك ثم آمن، فقد بنى بيته على أساس متين. ومن آمن دون توبة صادقة من الذنوب السابقة، كان إيمانه ناقصاً أو متزعزعاً.

الركن الثالث: "وَعَمَلٌ صَالِحٌ" - العمل الصالح: ترجمة الإيمان إلى واقع

العمل الصالح هو البرهان العملي على صدق التوبة والإيمان. فالإيمان بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وكجسد

بلا روح.

ما هو العمل الصالح؟

- . الفرائض - الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، بر الوالدين، صلة الرحم.
- . النوافل - ما يتقرب به العبد إلى الله من تطوعات.
- . ترك المنكرات - فترك السيئات عمل صالح في ذاته.
- . إصلاح ذات البين - ونفع الناس بكل وسيلة.

لماذا خص العمل الصالح بالذكر بعد الإيمان؟

لأن الإيمان هو الأصل، والعمل فرعه. فلا يتقبل عمل بدون إيمان، والإيمان بلا عمل لا ينفع. كما قال تعالى: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا" (الفرقان. 70)

اللمسة البلاغية في "صَالِحًا"

جاءت "صَالِحًا" نكرة في سياق الإثبات، وهذا يفيد:

- . التعميم - أي أي عمل صالح، قليلا ً كان أو كثيرا ً، كبيرا ً أو صغيرا ً.
 - . التنوع - ليشمل كل أنواع الخير: عبادة، معاملة، خلق، كلمة طيبة، خطوة إلى المسجد، إمطة أذى عن الطريق.
- ثالثا ً:** دلالة "عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ"

معنى "عَسَى" في القرآن

"عَسَى" من الله تعالى ليست كـ "عسى" من البشر. "عسى" من البشر تفيد الترجي والتمني وعدم الجزم . أما "عسى" من الله فهي:

- . تحقيق وعد - إنها بمعنى "سوف" و"لا بد أن". قال المفسرون: "عسى" من الله واجبة. أي: إنه يكون من المفلحين لا محالة.
- . ترغيب وتحبيب - استخدام صيغة "عسى" بدلا ً من "سيكون" فيها تلمظ وترغيب، كأن الله يحدث العبد عن فضله ورحمته بأسلوب مشوق.
- . إظهار الفضل - لو قال "سيكون من المفلحين" لكان خبرا ً جازما ً، لكن قال "عسى" ليبين أن هذا الفلاح بفضل ورحمته، ليس استحقاقا ً واجبا ً.

معنى "المفْلِحِينَ"

الفلاح أصل اللغة من "الفلاح" وهو الشق والقطع. الفلاح هو:

- . النجاح والظفر بالمطلوب - من فلاح الفلاح إذا نجح في زراعته.
- . البقاء والدوام - قيل: أفلح إذا بقي ودام.
- . الفوز بالجنة والنجاة من النار - هذا هو الفلاح الأكبر في القرآن.

صفات المفلحين في القرآن:

- . "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (المؤمنون 1) - الفلاح للمؤمنين.
- . "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا" (الشمس 9) - الفلاح لمن زكى نفسه.
- . "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَابَ" (هذه الآية -) الفلاح لمن تاب وأمن وعمل صالحا ً.

اللمسة في "مِنَ الْمُفْلِحِينَ"

قال "من المفلحين" وليس "مفلحا ً". هذا يفيد:

- . الدخول في زمرة المفلحين - ليس فلاحا ً فرديا ً وحيدا ً، بل هو واحد من جماعة المفلحين الذين وعدهم الله بالجنة.
- . التكريم بالانتساب - كأن الفلاح صفة جماعية لأهل الإيمان، وهذا الانتساب شرف عظيم.

. الشمول - أنه يكون منهم في الدنيا والآخرة، في السراء والضراء، في القبر والمحشر.
**رابعاً: اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

الإيجاز المعجز - جمعت الآية في كلمات قليلة أصول النجاة كلها: التوبة) ترك المنهي عنه، والإيمان
(أصل العقيدة)، والعمل الصالح) فعل المأمور (ثلاث كلمات، ثلاث دعائم، ثلاث مراحل.

التردد المنطقي - التوبة أولاً : تطهير للماضي. الإيمان ثانياً: بناء للحاضر. العمل ثالثاً: استمرار
للمستقبل. هذا تسلسل طبيعي لأي إصلاح حقيقي.

المقابلة مع ما سبق - الآيات السابقة تتحدث عن "شركاء" و"دعاء" و"عذاب". هذه الآية تتحدث عن
"توبة" و"إيمان" و"فلاح". مقابلة بديعة بين فريقين.

أسلوب الترغيب بعد التهيب - بعد مشاهد القيامة المرعبة، يأتي أسلوب الترغيب المشوق. هذا من
أبلغ أساليب القرآن في التربية: الخوف والرجاء معاً.

الانتفات من الخطاب إلى الغيبة - في الآيات السابقة كان الخطاب مباشراً للمشركون) يناديهم، يقول
لهم (هنا انتقل إلى الغيبة "من تاب". هذا الانتفات يفيد:

. التعميم - الخطاب لكل من يتصف بهذه الصفات، في أي زمان ومكان.
. التكريم - المؤمن يذكر بصفاته لا بذاته، فالصفة هي التي تبقى.
**خامساً: الرسائل والدروس والتوجيهات

الرسائل الأساسية

الرسالة الأولى: باب التوبة مفتوح حتى قيام الساعة - لا يغلق الباب إلا إذا رأوا العذاب. فما دمت
في الدنيا، فأنت في مهلة للتوبة.

الرسالة الثانية: الفلاح ليس حظاً ولا صدفة - الفلاح له أسباب واضحة: توبة، إيمان، عمل صالح. من
أخذ بها أفلح، ومن تركها خاب.

الرسالة الثالثة: لا فلاح بدون العمل - الإيمان وحده لا يكفي، ولا التوبة وحدها تكفي، بل لابد من
العمل الصالح الذي يصدق الإيمان ويحقق التوبة.

الرسالة الرابعة: الفلاح حقيقي وحاضر - "يكون من المفلحين" أي سيحقق الفلاح في الدنيا والآخرة .
في الدنيا: طمأنينة قلب وتوفيق، وفي الآخرة: جنة ونجاة.

التوجيهات العملية

. لا تيأس من ذنوبك مهما كثرت - التوبة تمحوها، والله يغفر الذنوب جميعاً.
. لا تكنفراً بالإيمان الظاهر - بل اجعله يقيناً في القلب يحرك الجوارح.
. لا تؤجل العمل الصالح - كل نفس تخرج قد تكون الأخيرة.
. اجعل الفلاح هدفاً الأسمى - كل خططك الدنيوية يجب أن تكون في خدمة هذا الهدف.
1/الموضوع الأول: الأبعاد الإيمانية والنفسية والتربوية للآية

البعد الإيماني

ترسخ الآية عقائد عظيمة:

عقيدة التوبة - الله يقبل توبة عباده، بل يحب التوابين. هذا من كرمه ورحمته.

عقيدة الإيمان والعمل - الإيمان لا ينفصل عن العمل. من آمن بقلبه ولم يعمل بجوارحه فإيمانه
ناقص.

عقيدة الجزاء - الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . التائب المؤمن العامل الصالح سينال الفلاح لا
محالة.

عقيدة الرجاء - لا يقنط العبد من رحمة الله، مهما عظمت ذنوبه. هذا الباب مفتوح.

البعد النفسي

الآية تتعامل مع أعمق المشاعر النفسية:

علاج اليأس - كثير من الناس يحسون بأن ذنوبهم أكبر من المغفرة، فتأتي الآية لتقول: تب، فإن الله يغفر.

علاج الكسل - بعض الناس يؤمنون لكنهم لا يعملون، فتأتي الآية لتقول: الإيمان بلا عمل لا يكفي.

علاج الرياء - العمل الصالح يشترط فيه الإخلاص، فمن عمل لغير الله فقد خسر.

علاج التردد - الآية تحفز على البدء فوراً: تب اليوم، آمن الآن، اعمل صالحاً قبل فوات الأوان.

البعد التربوي

كيف نربي أنفسنا وأبناءنا على هذه الآية؟

. نربي على المبادرة بالتوبة - لا تؤخر توبتك إلى الغد، فالموت يأتي بغتة.
. نربي على الصدق في الإيمان - الإيمان ليس مجرد كلمات، بل حقيقة في القلب تظهر على الجوارح.

. نربي على حب العمل الصالح - نجعل العمل الصالح عادة يومية، وليس حدثاً استثنائياً.
. نربي على الأمل في الله - لا نجعل الخوف يصل إلى اليأس، ولا الرجاء يصل إلى الأمن من مكر الله.

2/الموضوع الثاني: المفاهيم التي نتحدث عنها الآية في حياتنا العملية

مفهوم التوبة كأسلوب حياة

التوبة ليست حدثاً لمرة واحدة، بل هي:

. حالة دائمة - استغفار في الصباح والمساء، وندم على الذنب كلما وقع.
. مراجعة مستمرة - محاسبة النفس يومياً: أين أخطأت؟ كيف أتوب؟
. تغيير جذري - التوبة الحقيقية تغير السلوك، لا مجرد كلمات.

مفهوم الإيمان الحي

الإيمان في هذه الآية ليس إيماناً جامداً، بل:

. إيمان يدفع للعمل - كالشجرة التي تثمر.
. إيمان ينمو ويزيد - بالطاعة والعبادة.
. إيمان يواجه التحديات - يثبت عند الشدائد.

مفهوم العمل الصالح كاستثمار

العمل الصالح هو استثمار حقيقي:

. رأس المال - العمر والصحة والوقت.
. الاستثمار - كل عمل صالح يضاعف عشرًا إلى سبعمائة ضعف.
. الأرباح - الجنة والنجاة من النار.
. الخسارة - تعطيل العمل الصالح أو العمل السيء.

مفهوم الفلاح كهدف وجودي

الفلاح هو الهدف الحقيقي من الحياة:

. ليس المال، ولا الجاه، ولا السلطان.

- الفلاح هو رضا الله والجنة.
 - كل شيء في الدنيا وسيلة لهذا الهدف.
- 3/الموضوع الثالث: تصوير الآية لمقارنة المصيرين

الآية ترسم لوحة مقارنة بين فريقين:

فريق الخاسرين) الآيات 64- (66)

- خذلان الشركاء.
- سؤال الله فحيرة.
- عمى الأنباء وصمت.
- عذاب ونار وحسرة.

فريق المفلحين) الآية (67)

- توبة وإيمان وعمل.
- فلاح وفوز ونجاة.
- كرامة وقرب من الله.
- جنة ونعيم مقيم.

هذه المقارنة تجعل القارئ يختار بوعي: أي الفريقين يريد؟ إنها تقدم خياراً واضحاً: الطريق واضح، و النتيجة معلومة، فالاختيار لك.

كيف تدفع الآية إلى مراجعة الخيارات؟

كل إنسان يقف أمام هذه الآية يتساءل:

- هل تبت من ذنوبي حقاً؟
- هل إيماني صادق حقيقي؟
- هل أعمل صالحاً ينجيني يوم القيامة؟

إنها دعوة مفتوحة لمراجعة الحياة بأكملها.

4/الموضوع الرابع: المفاهيم المؤسسة للبناء والتنمية

مفهوم الاستقامة المستدامة

الآية تقدم نموذجاً للبناء الحضاري القائم على:

- التوبة - تصحيح الأخطاء الماضية في أي مشروع أو مجتمع.
- الإيمان - وجود رؤية وقيم ثابتة لا تتزعزع.
- العمل الصالح - التنفيذ العملي على أرض الواقع.

أي مجتمع يريد النهضة يحتاج إلى هذه الثلاثة: مراجعة أخطائه) توبة(، واعتماد قيم صحيحة) إيمان(، وتنفيذ عملي) عمل صالح(.

مفهوم نبذ الفساد وإصلاح المؤسسات

التوبة تعني إصلاح الخلل في المجتمعات:

- توبة الأفراد من الفساد.
- توبة المؤسسات من سوء الإدارة.
- توبة الحكام من الظلم.

ثم الإيمان بالقيم العادلة، ثم العمل الصالح الذي يبنى ويعمر.

مفهوم التخطيط للفلاح لا للخسارة

الآية تعلمنا أن نخطط حياتنا على أساس الفلاح:

- اختيار المشاريع التي تنفع الناس.
- توجيه الاستثمارات إلى ما يرضي الله.
- بناء علاقات اجتماعية على أساس البر والتقوى.

بناء الشخصية المسلمة المتوازنة

الشخصية التي تربيها هذه الآية:

- تائب - لا تصر على الخطأ، وتعترف بضعفها.
- مؤمنة - ثابتة على العقيدة، واثقة بالله.
- عاملة - لا تتكل على الأماني، بل تبذل الجهد.
- مفلحة - تعرف أن النجاح الحقيقي عند الله.
- 5/الموضوع الخامس: التوجيهات الربانية العملية

ما ندعو إليه

1. التوبة الفورية - لا تؤخر التوبة أبداً، فالموت لا ينتظر.
2. الإيمان الصادق - جدد إيمانك كل يوم بتذكر الله وطاعته.
3. العمل الصالح المستمر - اجعل لك ورداً يومياً من الطاعات، صلاة، صدقة، ذكر، قراءة قرآن.
4. اليقين بالفلاح - لا تشك في رحمة الله، وتأكد أن الله سيكرمك إذا صدقت في توبتك وإيمانك وعملك.

ما نتعلمه

- الندم المتأخر لا ينفع - تب اليوم قبل أن تقول "يا ليتني قدمت".
- الفلاح مرهون بالجهد - ليس أمنيات، بل عمل حقيقي.
- رحمة الله واسعة - تغفر الذنوب كلها، حتى الكبائر.
- العمل الصالح هو الباقي - المال يذهب، والجاه يزول، والعمل يبقى.

كيف نطبقها في حياتنا

في كل صباح - قل: اللهم إني تبت إليك من ذنوبي، وآمنت بك، وسأعمل صالحاً اليوم.

قبل النوم - حاسب نفسك: ماذا عملت اليوم؟ أين قصرت؟ تب واستغفر.

عند المعصية - لا تيأس، بل تب فوراً، فالتوبة تمحو الذنب.

عند النعمة - اشكر الله، وازدد من العمل الصالح.

6/الموضوع السادس: الأسلوب التربوي في الآية - ليس حواراً بل نموذجاً عملياً

هنا نصل إلى الموضوع المطلوب بشكل خاص. الآية 67 لا تستخدم أسلوب الحوار المباشر كما في الآيات السابقة (نداء، سؤال، جواب)، بل تستخدم أسلوباً تربوياً آخر هو أسلوب النموذج العملي والمقارنة الواضحة.

ما هو الأسلوب التربوي المستنبط من الآية؟

أولاً: أسلوب التفصيل والمقارنة

الآية بدأت بـ "فأما" التي تفيد التفصيل. وهذا أسلوب تربوي قائم على:

- توضيح الخيارات - لا يترك المتعلم في حيرة، بل يعرض عليه الخيارات بوضوح.
- بيان النتائج - كل خيار له نتيجة واضحة: هذا خسر، وهذا ربح.
- تحفيز الاختيار - عندما يرى الإنسان الخيارين والنتيجتين، يختار بوعي.

التطبيق التربوي: عند تربية الأبناء، لا تكتف بمنعهم من شيء، بل اشرح لهم لماذا، وما البديل، وما نتيجة كل خيار.

ثانياً: أسلوب ربط الأسباب بالمسببات

الآية تقدم معادلة واضحة:

السبب) توبة + إيمان + عمل صالح (← المسبب) فلاح).

هذا الأسلوب التربوي يعلم:

- . أن الحياة تقوم على السنن - ليس عبثاً، ولا صدفة.
- . أن النجاح له قوانين - من اتبعها نجح، من خالفها فشل.
- . تحمل المسؤولية - أنت من تختار الأسباب، وأنت من تتحمل النتائج.

التطبيق التربوي: علم أبنائك أن النجاح الدراسي يأتي بالاجتهاد، والنجاح الدنيوي يأتي بالعمل، والنجاح الأخروي يأتي بالتوبة والإيمان والعمل الصالح.

ثالثاً: أسلوب الترغيب بعد الترهيب

الآية جاءت بعد مشاهد مرعبة) خذلان، سؤال، حيرة، صمت .(وهذا الأسلوب التربوي يحقق:

- . التوازن النفسي - لا خوف يصل إلى اليأس، ولا رجاء يصل إلى الأمن.
- . التحفيز الإيجابي - بعد تخويف المخالف، ترغيب المطيع.
- . بيان أن الله رحيم - مع شدة العقاب، تبقى رحمته واسعة.

التطبيق التربوي: في تربية الأبناء، لا تكن دائماً زاجراً، بل كن أحياناً مبشراً. خوف ثم أرح، وأنذر ثم بشر.

رابعاً: أسلوب التدرج المنطقي

الآية قدمت ثلاث خطوات مرتبة: توبة، ثم إيمان، ثم عمل صالح. وهذا يعلم:

- . أهمية الترتيب - لا يمكن بناء بيت بدون أساس. التوبة تهيب القلب، ثم الإيمان يبنيه، ثم العمل الصالح يزينه.
- . الواقعية في التربية - التغيير لا يحدث دفعة واحدة، بل خطوات متدرجة.
- . معالجة جذور المشكلة - لا تبدأ بالعمل الصالح قبل تصحيح الاعتقاد والتوبة من الذنوب.

التطبيق التربوي: عندما تريد تغيير سلوك سيء عند ابنك، لا تطلب منه فجأة أن يصبح مثالياً، بل ابدأ بمرحلة التوبة الاعتراف بالخطأ والندم، ثم مرحلة الإيمان تذكره بالله ومراقبته، ثم مرحلة العمل الصالح استبدال السلوك السيء بسلوك جيد.

خامساً: أسلوب الإيجاز مع العمق

الآية قصيرة جداً لكنها شاملة. وهذا يعلم:

- . التركيز على الجوهر - لا تشتت المتعلم بتفاصيل ثانوية، بل ركز على الأصول.
- . سهولة الحفظ والتذكر - القاعدة التربوية: ما يختصر يسهل حفظه وتطبيقه.
- . الإيحاء بالكثرة من القلة - كلمات قليلة تحمل معاني لا تنتهي.

التطبيق التربوي: في تعليم الأطفال، استخدم عبارات قصيرة جامعة. "تب، آمن، اعمل صالحاً" أسهل من شرح مطول عن التوبة والإيمان والعمل.

سادساً: أسلوب تحويل النظر من الماضي إلى المستقبل

الآية لم تذكر ذنوب التائب السابقة، بل تحدثت عن وضعه الجديد. وهذا يعلم:

- عدم تثبيط الهمّة بالماضي - الماضي انتهى بالتوبة، فلا تعيده.
- التركيز على الحاضر والمستقبل - ماذا ستفعل الآن؟ كيف ستبني نفسك؟
- إعطاء فرصة ثانية - التربية الناجحة تعطي فرصاً متعددة للتصحيح.

التطبيق التربوي: إذا أخطأ ابنك ثم تاب واعتذر، لا تظل تذكره بخطيئته، بل تعامل معه كشخص جديد.

سابعاً: أسلوب البشارة المشروطة

"فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ" - بشارة لكن بشرط. وهذا يعلم:

- الأمل بلا غرور - توقع الخير لكن لا تأمن مكر الله.
- الجمع بين العمل والرجاء - اعمل كأنك تموت غداً، وارجح كأنك تعيش أبداً.
- التربية على التواضع - لا تقل "أنا مفلح" بيقين، بل "عسى" التي تدل على رجاء ورحمة.

التطبيق التربوي: علم أبنائك ألا يتكبروا بعبادتهم، بل يقولوا "عسى الله أن يتقبل منا".

ثامناً: أسلوب القدوة والمثال

الآية لم تخاطب مباشرة بل قدمت نموذجاً من تاب وآمن. (وهذا يعلم:

- التعلم بالمثال - الناس تتعلم أكثر مما ترى مما تسمع.
- تجريد المعلومة من الشخصية - الحديث عن "من" المجهولة يجعل الكلام عاماً لكل من تنطبق عليه الصفات.
- توسيع دائرة الأمل - ليس أنت فقط، بل كل من يفعل مثل ما تفعل.

التطبيق التربوي: استخدم القصص والنماذج في التربية. حدثهم عن التائبين والصالحين ليكونوا قدوة.

خلاصة الأسلوب التربوي في الآية

الآية 67 من سورة القصص تقدم نموذجاً متكاملًا " للأسلوب التربوي القرآني القائم على:

الأسلوب التطبيق في الآية
التفصيل والمقارنة فأما من تاب...
ربط الأسباب بالمسببات تاب وآمن وعمل → فلاح
الترغيب بعد التهيب بعد مشاهد العذاب → بشارة الفلاح
التدرج المنطقي توبة → إيمان → عمل
الإيجاز مع العمق ثلاث كلمات جامعة
تحويل النظر إلى المستقبل ينسى الماضي بالتوبة
البشارة المشروطة "عسى أن يكون"
القدوة والمثال "من تاب" عام لكل أحد

هذه الأساليب مجتمعة تجعل الآية أداة تربوية فعالة، تخاطب العقل والقلب معاً، وتدفع إلى التغيير الإيجابي دون إكراه أو عنف، بل عبر الإقناع والتحفيز ووضوح الرؤية.

الخاتمة: وقفة مع النفس

أخي الحبيب، أختي الحبيبة،

بعد أن سارت بنا الآيات في مشاهد القيامة المهيبة، وبعد أن رأينا خذلان الشركاء، وسمعنا السؤال الإلهي المرعب، وشاهدنا حيرة المجرمين وصمتهم المطبق، تأتي هذه الآية كقطرة ماء على ظمأ، وكضيء في عتمة، وكفتح بعد غلق.

إنها تقول لك: أنت لست منهم. ليس عليك أن تكون من أولئك الذين خذلتهم آلهتهم. ليس عليك أن تكون ممن يسألهم الله فلا يجدون جواباً. ليس عليك أن تكون ممن يعصى عليهم الأنبياء فيصمتون.

أنت يمكنك أن تكون من الفريق الآخر. الفريق الذي تاب، وآمن، وعمل صالحاً، ثم يكون من المفلحين. اغتتم هذه الفرصة. الفرصة لا تزال قائمة. باب التوبة مفتوح. باب الإيمان مفتوح. باب العمل الصالح مفتوح. فلا تغلقه بيدك.

تب اليوم - من كل ذنب، صغيراً كان أو كبيراً، سرياً كان أو علنياً. تب توبة نصوحاً، توبة تغسل قلبك وتجعله كيباض الثوب الجديد.

آمن اليوم - بقلبك، بصدق، بلا شك ولا ريب. آمن بالله وحده، وبرسله، وبالיום الآخر. اجعل إيمانك يقيناً لا يتزعزع.

اعمل صالحاً اليوم - صلاة الفجر، صدقة ولو بقليل، كلمة طيبة، إمطة أذى، زيارة مريض، مساعدة محتاج. لا تحقرن من العمل الصالح شيئاً.

وسترى - بإذن الله - أنك ستكون من المفلحين. فلاح في الدنيا: طمأنينة قلب، وتوفيق في العمل، وبركة في الرزق، وسعادة في العيش. وفلاح في الآخرة: جنة عرضها السماوات والأرض، ورضوان من الله أكبر.

المبحث الخامس

تفسير وتحليل الآيتين 68 و 69 من سورة القصص

المقدمة: مشهد السيادة المطلقة لله في الخلق والاختيار

بعد أن رسمت الآيات السابقة مشاهد القيامة المروعة، وبعد أن فتحت باب الأمل للتائبين المؤمنين العاملين الصالحين، تأتي الآن آيتان تعيدان البوصلة إلى الأصل، إلى المصدر، إلى الحقيقة الكبرى التي إن غفل عنها الإنسان ضل وإن تذكرها اهتدى. إنها آيات تثبت سيادة الله المطلقة في هذا الكون، وتؤكد حقيقة مركزية: الله وحده هو الخالق، الله وحده هو المختار، الله وحده هو العالم بالسر والعن.

تأمل معي هذا السياق البديع: الآية 67 تحدثت عن الفلاح لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. والآن، وكأن سائلاً يسأل: ومن أي شيء تتوب؟ وعلى من نؤمن؟ وبأي شريعة نعمل؟ فتأتي الآية 68 لترد: كل شيء راجع إلى مشيئة الله واختياره. هو الذي خلق كل شيء، وهو الذي اختار للعباد ما يصلحهم. فليس لأحد أن يعترض على اختياره، ولا أن يشرع معه، ولا أن يخير نفسه دون الله.

ثم تأتي الآية 69 لتكشف أن هذا الرب الخالق المختار هو أيضاً العليم بما تخفيه الصدور، فلا يخفى عليه شيء من نيات المشركين وأسرارهم وتديبرهم. إنه عالم الغيب والشهادة، فكيف يشركون به من لا يعلم شيئاً؟

هاتان الآيتان تتمحوران حول فكرة عظيمة: إثبات كمال الربوبية لله وحده في الخلق والاختيار والعلم، وبيان بطلان شرك المشركين الذين جعلوا له شركاء في الاختيار أو في العبادة. إنهما تضعان حجر الأساس للتوحيد: الله هو الخالق، فلا معبود سواه. الله هو المختار، فلا شريك له في الحكم. الله هو العالم بالغيب، فلا أحد يعلم ما في الصدور غيره.

لنقف الآن طويلاً أمام هاتين الآيتين، لنستخرج من كل كلمة فيهما درراً وكنوزاً.

أولاً: الآية 68 - "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ"

دلالة "وَرَبُّكَ" - الإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

افتتحت الآية بـ "وربك" مضافاً إلى النبي محمد ﷺ. هذه الإضافة تحمل لمسة تربوية عاطفية عميقة:

تكریم النبي ﷺ - إضافة الرب إلى النبي تشريف له، وكأن الله يقول: يا محمد، ربك الذي ربك ونصرك وأيدك هو الذي يفعل هذا.

طمأنة قلب النبي - كان النبي ﷺ يتألم من شرك قومه وتكذيبهم، فجاءت الآية لتطمئنه: ربك يخلق ما يشاء ويختار، فلا تحزن على اختياراتهم الباطلة.

تذكير المشركين - يا أيها المشركون، هذا الرب الذي تشركون به هو رب محمد، وهو ربكم أيضاً، فكيف تعبدون غيره؟

اللمسة البلاغية: تقديم "ربك" على الفعل "يخلق" يفيد الحصر والقصر، أي: ربك وحده هو الذي يخلق ويختار، لا أنتم ولا آلهتكم.

معنى "يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ" - الخلق المطلق

الخلق هنا ليس مجرد إيجاد من عدم، بل يشمل:

الخلق التكويني - خلق السماوات والأرض، والجبال والبحار، والكواكب والمجرات، والملائكة والجن والإنس، وكل ما في الكون. كل هذا بقدرته ومشيئته.

الخلق التقديري - تقدير الأقدار، ما كان وما سيكون. فالله يخلق الأحداث والأزمنة والأماكن بحسب مشيئته.

ما دلالة "مَا يَشَاءُ"؟

"ما يشاء" تفيد أن الخلق ليس عشوائياً، بل بمشيئة إلهية مطلقة. يشاء الله شيئاً فيكون. لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه. هذا اللفظ يقطع الطريق على أي اعتراض أو استفسار: الله يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

معنى "وَيَخْتَارُ" - الاختيار الإلهي المطلق

الاختيار هو انتقاء شيء من بين أشياء. والله سبحانه مختار على الإطلاق:

اختيار الرسل - الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. اختار محمداً ﷺ من بين سائر البشر ليكون خاتم النبيين.

اختيار الأزمنة والأمكنة - اختار رمضان من بين الشهور، واختار مكة من بين البقاع، واختار ليلة القدر من بين الليالي.

اختيار الشرائع والعبادات - اختار الصلاة والصيام والحج والزكاة كعبادات، واختار تفاصيلها وكيفيةاتها.

اختيار العباد لرحمته - "الله يختص برحمته من يشاء" (آل عمران: 74) فالله يختار من يشاء للهداية والإيمان.

لماذا قدم الخلق على الاختيار؟

هذا الترتيب منطقي بديع: الخلق أولاً، ثم الاختيار. لأنه لا يمكن لشيء أن يختار شيئاً إلا إذا كان موجوداً. فالله خلق ثم اختار. والمشركون عكسوا الأمر: اختاروا آلهة من دون الله مما لم يخلقوا شيئاً. فتقدم الآية لتقرر أن الخلق والاختيار كلاهما لله وحده.

تحليل "مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ"

هذه الجملة هي القاصمة لظهر الشرك. "الخيرة" بمعنى الاختيار، أي: ليس لهم حق الاختيار البتة.

نفي الاختيار عن البشر - لا يملك البشر لأنفسهم خيرة، ولا لأنبيائهم خيرة، ولا لآلهتهم خيرة. الأمر كله لله.

الرد على المشركين - كان المشركون يختارون لأنفسهم آلهة، ويختارون لأنفسهم عادات وتقاليد تخالف شرع الله، ويختارون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله. فأتت الآية لترد: ما كان لكم الخيرة. أنتم لا تملكون الاختيار لأنفسكم، فكيف تختارون لربكم شركاء؟

الرد على القدرية - ومن يزعمون أن للإنسان خيرة مستقلة عن مشيئة الله، ترد الآية: ما كان لهم

الخيرة. الخيرة لله وحده، والإنسان يختار ضمن مشيئة الله وإرادته.

اللمسة البلاغية: "ما كان" تفيد النفي الماضي والمستقبل. أي: لم تكن لهم الخيرة في الماضي، ولا ستكون لهم في المستقبل. النفي مطلق شامل.

سبحان الله وتعالى عما يشركون

هذه التسبيحة والتنزيه ختام الآية:

"سُبْحَانَ اللَّهِ" - تنزيه لله عن كل سوء، وعن كل شرك، وعن كل ما لا يليق بجلاله. الله منزّه أن يكون له شريك في الخلق أو الاختيار أو العبادة.

"وَتَعَالَى" - علو في الذات، وعلو في القدر، وعلو في القهر. تعالى عن أن يحيط به شركهم، أو أن يضره كفرهم، أو أن ينفعه إيمانهم.

"عَمَّا يُشْرِكُونَ" - من الأصنام والأوثان والملائكة والأنبياء والصالحين والأموال والجاه والسلطان. كل ما أشركوه مع الله فهو منزّه عنه، متعال عليه، غني عنه.

اللمسة البلاغية: جمع في الختام بين التسبيح (والتعالي) علو، وأضاف "عما يشركون" ليبين سبب التنزيه والتعالي: شركهم الباطل.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية 68

تقديم الخالقية على الاختيار - إشارة إلى أن من لا يخلق لا يختار.

الإضافة في "ربك" - تشريف للنبي وتذكير للمشركين.

نفي الخيرة عنهم بجملة اسمية مؤكدة - "ما كان لهم الخيرة" جملة اسمية تفيد الثبات والدوام.

الفاء المحذوفة - التقدير: "فسبحان الله" أي بعد أن ثبت أن الله يخلق ويختار ولا خيرة لأحد، فسبحوه وتعالوا عن شركهم.

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة - "وربك" خطاب للنبي، ثم "يشركون" غيبة عن المشركين، ثم "سبحان الله" إخبار. هذا الالتفات يخلق حركة وحيوية في النص.

الرسائل والدروس من الآية 68

الرسالة الأولى: التوحيد الخالص - لا خالق إلا الله، لا مختار إلا الله، لا معبود سواه.

الرسالة الثانية: الرد على الاستكبار البشري - الإنسان ليس له الخيرة على نفسه، فكيف يتكبر ويتجبر؟

الرسالة الثالثة: التسليم لله - من آمن بهذه الآية سلم لله في كل شيء: في خلقه، في اختياره، في شرعه، في قدره.

الرسالة الرابعة: بطلان الشرك - إذا كان الله يخلق ويختار فلماذا تشركون به من لا يخلق ولا يختار؟
**ثانياً: الآية 69 - "وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ"

دلالة "وَرَبُّكَ" - تكرار الإضافة للتأكيد

كرر الله الإضافة "وربك" ليزداد تشريف النبي وطمأنته، ولتزداد الحجة على المشركين. أي: هذا الرب الذي يخلق ويختار هو نفسه الذي يعلم السر والعلن.

معنى "يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ"

"تَكُنُّ" من الكن، وهو الإخفاء والستر. "الصدور" هي موضع الأسرار والخواطر والنيات.

علم الله بالسرائر - الله يعلم ما تخفيه صدورهم من كفر ونفاق وحقد وحسد وتدبير مكاييد للرسول والمؤمنين.

علم الله بالنيات - حتى ما لم يفعله المشركون بعد، ولكن أضمّرت صدورهم، الله يعلمه.

علم الله بالخواطر - كل ما يمر في خاطر الإنسان من شك أو يقين، من إرادة خير أو شر، الله يعلمه.

لماذا خص الصدور؟

الصدر هو وعاء القلب، والقلب هو موضع الإيمان والكفر، والحب والبغض، والنية والإرادة. فالله يعلم ما تكنه الصدور، أي ما تخفيه القلوب من أسرار.

معنى "وَمَا يُعْلِنُونَ"

الإعلان هو الإظهار والجهر به.

علم الله بالظواهر - كل ما يظهره المشركون من أقوال وأفعال، من عبادة الأصنام، من عداوة النبي، من سخرية واستهزاء، الله يعلمه.

علم الله بالجهر - لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا سر ولا علن، لا خفي ولا جلي.

لماذا جمع بين إكنان الصدور وإعلان الأقوال؟

لإثبات علم الله المحيط بكل شيء: بما تخفيه القلوب (وهو أشد خفاء وبما تظهره الجوارح) وهو ظاهر. (فإذا كان يعلم الخفي، فالظاهر من باب أولى).

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية 69

استعارة "تكن" - الكن هو السر، كأن الصدور أوعية تخفي ما فيها. هذه استعارة بليغة.

الجمع بين المتضادين - "تكن" إخفاء، و"يعلمون" إظهار. الجمع بينهما يفيد الشمول والاستيعاب.

تخصيص الصدور - لم يقل "ما تكن أنفسهم" بل "صدورهم" لأن الصدر هو موضع الأسرار والخواطر.

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب - "صدورهم" غيبة، "يعلمون" خطاب (ضمير الجماعة للمشركين). (هذا الالتفات يخلق تفاعلاً).

الإيجاز - في كلمات قليلة جمع الله علم السر والعلن، علم الظاهر والباطن، علم الخفي والجلي.

العلاقة بين الآيتين 68 و 69

الآية 68 أثبتت أن الله يخلق ويختار. الآية 69 أثبتت أن الله يعلم السر والعلن. وهما معاً يقرران:

- . إذا كان الله هو الخالق المختار، فلا يجوز أن يُشرك معه أحد.
- . إذا كان الله يعلم السر والعلن، فكيف يشركون به من لا يعلم شيئاً؟

هذا تكامل في الحجة، وتشديد في الرد على المشركين.

اهم المواضع

1/الموضوع الأول: الأبعاد الإيمانية والنفسية والتربوية للآيتين

البعد الإيماني

إثبات كمال الربوبية - الله خالق، مختار، عليم. هذه الصفات تثبت أنه الإله الحق.

إثبات بطلان الشرك - من لا يخلق ولا يختار ولا يعلم السر والعلن كيف يكون إلهاً؟

إثبات القدر الإلهي - الله يخلق ما يشاء ويختار، فكل شيء بقدر ومشئته.
إثبات علم الله المحيط - لا تخفى عليه خافية، وهذا يوجب مراقبته في السر والعلن.
البعد النفسي

علاج التكبر والاستكبار - من يعلم أن الله هو المختار لا هو، يتواضع.
علاج الوسواس والخوف - من يعلم أن الله يعلم ما في صدره، يطمئن بأن الله يعرف نيته الحسنة.
علاج الرباء - من يعلم أن الله يعلم السر والعلن، يخلص العمل له.
علاج الحيرة والقلق - من يعلم أن الله يخلق ما يشاء ويختار، يسلم لقضائه ويرتاح.
البعد التربوي

تربية التسليم لله - تعليم الأبناء أن الله هو الخالق المختار، فلا يعترضون على قدره.
تربية مراقبة الله - تعليم الأبناء أن الله يعلم ما في صدورهم، فيستحيون من الله في السر كما في العلن.
تربية التواضع - لا خيرة لأحد، فكل شيء بتقدير الله، فلا يتكبر أحد على أحد.

تربية الإخلاص - الله يعلم النية، فأخلص العمل لله.
2/الموضوع الثاني: المفاهيم التي تتحدث عنها الآيات في حياتنا العملية

مفهوم الخلق والاختيار الإلهي

في حياتنا العملية، هذا المفهوم يعني:

- . أن الله هو الذي خلقنا، فله حق العبادة وحده.
- . أن الله هو الذي اختار لنا الدين، فلا نتبع أهواءنا.
- . أن الله هو الذي اختار لنا ما ينفعنا، فلا نعترض على قدره.

مفهوم نفي الخيرة عن البشر

هذا المفهوم يحرر الإنسان من:

- . التسلط البشري - لا أحد يملك أن يخيّرني بين طاعة الله ومعصيته.
- . العقد النفسية - لست أنا المختار لنفسي، فما أصابني لم يكن ليخطئني.
- . الندم على الماضي - ما اخترته لنفسي باختياري ضمن مشيئة الله، فالندم لا يفيد.

مفهوم علم الله بالسر والعلن

في العمل والحياة:

- . مراقبة الله - في السراء والضراء، في الخفاء والعلن.
- . الإخلاص في العمل - لا تراء الناس، فالله يعلم نيتك.
- . الأمانة - لا تخن من أئمتك، فالله يعلم خائنة الأعين.

مفهوم التنزيه والتعالي

- . الله منزّه عن كل نقص - فلا تشبهه بخلقه.
 - . الله متعال عن شرك المشركين - فلا يضرك كفرهم.
- 3/الموضوع الثالث: تصوير الآيات لمشهد الربوبية الكاملة

الآيتان ترسمان لوحة لله سبحانه:

الرب الخالق - يخلق ما يشاء، لا معقب لحكمه.
الرب المختار - يختار ما يشاء، لا اعتراض على اختياره.
الرب العليم - يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية.
الرب المنزه - سبحانه وتعالى عما يشركون.

هذه الصورة تجعل المؤمن يعظم ربه، ويخشاه حق خشيته، ويرجوه حق رجائه.

كيف تغير الآيات نظرة الإنسان للعالم؟

. من كان يرى نفسه مختاراً مطلقاً - يصبح يرى نفسه عبداً مسيراً في أصل وجوده، مخيراً في أفعاله.

. من كان يرى آلهته تنفعه - يرى أن الله وحده هو النافع الضار.
. من كان يخاف من الناس - يخاف من الله الذي يعلم سره وعنه.
4/الموضوع الرابع: المفاهيم المؤسسة للبناء والتنمية

مفهوم الاستقلال عن غير الله في الاختيار

أي مجتمع يبني نهضته يجب أن يدرك:

. لا خيرة لأحد فوق شرع الله - فالقوانين البشرية لا تشرع ما يخالف دين الله.
. السيادة لله وحده - لا لحاكم، ولا لبرلمان، ولا لأيديولوجيا.
. الاستقلال القيمي - لا تبعية للغرب أو الشرق في تشريع القيم.

مفهوم المراقبة الذاتية في التنمية

. المجتمع الذي يعلم أن الله يعلم السر والعلن - مجتمع أمين، لا فساد فيه، ولا غش، ولا رشوة.
. التنمية الحقيقية تبدأ من إصلاح القلوب - الله يعلم ما تكن الصدور، فإذا صلت الصدور صلح المجتمع.
. الشفافية - لا تخفوا أسراراً سيئة، فالله يعلمها.

مفهوم الرد على التبعية الفكرية

. "ما كان لهم الخيرة" - لا لأتباع الغرب الذين يختارون لأنفسهم ما يخالف دينهم.
. "سبحان الله وتعالى عما يشركون" - تنزيه لله عن أفكارهم الباطلة.

بناء الشخصية المسلمة

الشخصية التي تربيها هاتان الآيتان:

. مسلمة لقضاء الله - راضية بقدره.
. مراقبة لله - تستحي من الله في السر.
. مخلصه لله - لا تشرك به أحداً.
. متيقنة من علم الله - فتطمئن وتستقر.
5/الموضوع الخامس: التوجيهات الربانية العملية

ما ندعو إليه

1. توحيد الله في خالقيته - اعتقد أن الله وحده الخالق.
2. توحيد الله في اختياره - سلم لاختيار الله لك وللناس، ولا تعترض.
3. توحيد الله في علمه - راقب الله في شرك وعملك.
4. تنزيه الله - سبح الله عما يصفه الجاهلون.

ما نتعلمه

- لا معبود بحق إلا الله - فمن دعا غيره فقد أشرك.
- لا مشيئة لمخلوق دون مشيئة الخالق - فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
- لا خيرة لأحد - فمن ظن أنه يملك خيرة مطلقة فقد كفر.
- الله يعلم السر والعلن - فليحذر كل من يخفي معصية.

كيف نطبقها

- في السر - استحضر علم الله قبل كل فعل خفي.
- في العلن - استحضر علم الله قبل كل قول وفعل ظاهر.
- عند المصيبة - قل: الله خلق ما يشاء واختار، فله الحمد.
- عند النعمة - قل: الله خلقها واختارها لي، فله الشكر.
- عند الاعتراض على قدر الله - تذكر "ما كان لهم الخيرة".
- 6/الموضوع السادس: الأسلوب التربوي في الآيتين
- الأسلوب التربوي الأول: أسلوب تقرير الحقائق المطلقة

الآيتان لا تحاوران، ولا تناقشان، ولا تتركان مجالا ً للجدل .إنها تقرر حقائق مطلقة:

- "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ" - هذا خبر لا يقبل النقاش .إنه حقيقة كونية.
- "مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ" - نفى قاطع لا مجال فيه للاستثناء.
- "سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" - تنزيه مطلق.
- "وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنْ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ" - حقيقة علمية مطلقة.

القيمة التربوية لهذا الأسلوب:

- يقطع الطريق على الشكوك - لا يترك مجالا ً للتأويل أو التشكيك.
- يبني اليقين في النفس - عندما تتكرر الحقائق المطلقة بصيغ قاطعة، يستقر اليقين.
- يعطي الثقة للمؤمن - يعرف أن ما يؤمن به حق لا مرية فيه.
- يربك المخالف - عندما يواجه بحقائق لا تقبل الجدل، ينكشف عجزه.

التطبيق التربوي: في تربية الأبناء، استخدم أسلوب تقرير الحقائق المطلقة في الأمور القطعية) وجوب الصلاة، حرمة الزنا، وجود الله، علم الله (وليس في الأمور الاجتهادية.

الأسلوب التربوي الثاني: أسلوب ربط الصفات بالأفعال

الآية لم تقل فقط "الله خالق" بل قالت "يخلق ما يشاء". ولم تقل "الله مختار" بل قالت "يختار". ولم تقل "الله عليم" بل قالت "يعلم ما تكن الصدور وما يعلنون".

القيمة التربوية:

- الصفة المجردة لا تؤثر كالفعل المشاهد - "يخلق ما يشاء" تصور الحركة والإرادة المستمرة.
- الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار - الله لم يخلق ثم توقف، بل لا يزال يخلق ويختار ويعلم.
- ترسخ صورة الرب الفاعل المدبر - لا إله سواك جامد، بل إله حي فعال.

التطبيق التربوي: عند تعليم الأطفال صفات الله، اربطها بأفعال: الله يخلق، الله يرزق، الله يحيي، الله يميت .لا تقل فقط "الله خالق".

الأسلوب التربوي الثالث: أسلوب النفي بعد الإثبات

الآية أثبتت لله الخلق والاختيار، ثم نفت الخيرة عن المشركين: "ما كان لهم الخيرة". هذا الأسلوب يجمع بين الترغيب والترهيب: إثبات لله يوجب الإيمان، ونفي عنهم يوجب التواضع.

القيمة التربوية:

- يوازن بين حق الله وحق العبد - الله له الخلق والاختيار، والعبد عليه الطاعة والتسليم.
- يزيل الأوهام - كثير من الناس يظن أن له الخيرة المطلقة، فالآية تنفي ذلك.
- يدفع إلى التواضع - إذا لم تكن لك الخيرة، فلا تتكبر.

التطبيق التربوي: في التربية، أثبت حق الله ثم انف ما ليس للعبد. مثلاً: "الله يخلقك ويرزقك، فليس لك أن تعصيه".

الأسلوب التربوي الرابع: أسلوب التسبيح والتعالي كخاتمة

أنهى الآية الأولى بالتسبيح والتنزيه: "سبحان الله وتعالى عما يشركون". هذا الأسلوب يحقق:

- تحويل الحجة إلى عبادة - بعد الاستدلال، يأتي التسبيح.
- تربية القلب على التعظيم - ليس فقط عقلاً، بل قلباً ولساناً.
- تنزيه الله في المشاعر - يشعر المؤمن بعظمة الله فينزهه.

التطبيق التربوي: بعد تعليم الطفل حقيقة دينية، دربه على التسبيح والتحميد. مثلاً: "بعد أن تعلم أن الله خالق، قل: سبحان الله".

الأسلوب التربوي الخامس: أسلوب الانتقال من العام إلى الخاص

في الآية 68: "يخلق ما يشاء ويختار" (عام)، ثم "ما كان لهم الخيرة" (خاص بالبشر). (ثم في الآية 69: "يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون") خاص بالمشركون في سياق الآية، لكنه عام في المعنى.)

القيمة التربوية:

- التدرج في التعليم - من الكلي إلى الجزئي أسهل للفهم.
- تطبيق القاعدة على الواقع - بعد القاعدة العامة، نطبقها على المخاطبين.
- إشراك المتعلم - يشعر أن الكلام موجه إليه شخصياً.

التطبيق التربوي: ابدأ بالقاعدة العامة، ثم طبقها على حالة المتعلم. مثلاً: "الله يعلم كل شيء، فهو يعلم ما تفكر فيه الآن".

الأسلوب التربوي السادس: أسلوب تكرار الإضافة للتأكيد العاطفي

كرر الله "ورك" في الآيتين) ورك يخلق...ورك يعلم. (هذا التكرار يحمل رسالة عاطفية:

- تأكيد العناية بالنبي - يا محمد، ربك الذي رباك.
- تأكيد العناية بالمؤمن - كل مؤمن يقرأ "رك" يشعر بأن الله ربه.
- خلق الألفة والمحبة - تكرار "رك" يخلق في النفس محبة الله.

التطبيق التربوي: كرر مناداة الأبناء بأسمائهم المحبة، وكرر ذكر "رك" و"ربنا" لترسيخ المحبة.

الأسلوب التربوي السابع: أسلوب الإشارة إلى ما هو خفي ومعلن

جمعت الآية 69 بين ما تكن الصدور (خفي) وما يعلنون (ظاهر). (هذا الأسلوب:

- يربي على مراقبة الله في السر - لأن الله يعلم الخفي.
- يربي على مراقبة الله في العلن - لأن الله يعلم الظاهر.
- يسد جميع منافذ التفلت - لا يمكن لأحد أن يقول "أنا أطيع الله في العلن فقط".

التطبيق التربوي: علم الأبناء أن الله يراهم في السر قبل العلن، فيخلوا في غرفتهم كما يخلوا في المسجد.

الأسلوب التربوي الثامن: أسلوب إبطال الشرك بإثبات الكمال

هذا أسلوب قرآني فريد: لم يقل "لا تشركوا" مباشرة، بل أثبت كمال الله في الخلق والاختيار والعلم، فبطل الشرك تلقائياً. لأن الشرك يستند إلى نقص في المعبودات. فلما ثبت كمال الله، ثبت نقص غيره، فبطل عبادته.

القيمة التربوية:

- الإقناع بالفطرة - لا يحتاج إلى جدل، فقط اعرض الحق يتبعه العقل.
- بناء الإيمان على أسس إيجابية - ليس فقط "لا إله" بل "إلا الله".
- تربية العقل على الاستدلال - إذا كان الله كاملاً، فغيره ناقص، فلا يستحق العبادة.

التطبيق التربوي: عند الرد على الشبهات، لا تكتفِ بنفي الباطل، بل أثبت الحق. اشرح جمال الإسلام قبل أن ترد على هجوم أعدائه.

الأسلوب التربوي التاسع: أسلوب الجمع بين الخبر والإنشاء

الآية 68: "وربك يخلق" خبر، "ما كان لهم الخيرة" خبر، "سبحان الله" إنشاء طلبي - أمر بالتسبيح. (الجمع بين الخبر) إخبار (والإنشاء) طلب (يحقق):

- المعلومة ثم التفاعل - تعرف الحقيقة ثم تستجيب لها.
- انتقال من العقل إلى القلب - الخبر يغذي العقل، والتسبيح يحرك القلب.
- التربية المتكاملة - تربية العقل والروح معاً.

التطبيق التربوي: لا تكتفِ بإعطاء المعلومة، بل اطلب رد فعل. بعد أن تعلم الطفل أن الله خالق، قل له: قل سبحان الله.

الأسلوب التربوي العاشر: أسلوب الاستعلاء الإلهي دون إذلال للمؤمن

الآيات تظهر عظمة الله وجبروته) يخلق، يختار، لا خيرة لهم، سبحانه وتعالى، لكنها لم تذلل المؤمنين، بل رفعتهم بإضافته إلى الرب) ربك. (هذا الأسلوب:

- يعطي المؤمن كرامة - أنت عبد لرب عظيم، هذا شرف لا مذلة.
- يوازن بين الخوف والرجاء - تخاف من جبروت الله وترجو رحمته.
- يقي من اليأس - حتى في أشد مشاهد الجبروت، هناك "ربك" التي تخلق الألفة.

التطبيق التربوي: عند تربية الأبناء، وازن بين إظهار عظمة الله) لتخوفهم من المعصية (وبين إظهار رحمته وقربه) لترغوبهم للطاعة).

خلاصة الأسلوب التربوي في الآيتين

الأسلوب تجلياته في الآيتين
تقرير الحقائق المطلقة يخلق، يختار، لا خيرة لهم، يعلم
ربط الصفات بالأفعال يخلق ما يشاء، يعلم ما تكن
النفي بعد الإثبات أثبت الخلق والاختيار، ثم نفي الخيرة عنهم
التسبيح والتعالي خاتمة سبحان الله وتعالى
الانتقال من العام إلى الخاص من "يخلق ما يشاء" إلى "ما كان لهم الخيرة"
تكرار الإضافة "ربك" مرتين
جمع الخفي والظاهر تكن الصدور + يعلنون
إبطال الشرك بإثبات الكمال لم يقل لا تشرك، بل أثبت كمال الله فبطل الشرك
الجمع بين الخبر والإنشاء خبر + أمر بالتسبيح
الاستعلاء مع الكرامة "ربك" تكرم المؤمن مع إظهار الجبروت

هذه الأساليب مجتمعة تجعل الآيتين 68 و 69 من أقوى الآيات التربوية في القرآن، لأنها تبني العقيدة في النفس بناءً متيناً، لا عن طريق الجدال العقيم، بل عن طريق عرض الحقائق المطلقة بأسلوب يجمع بين العقل والقلب، بين الخبر والتفاعل، بين التعظيم والكرامة.
الخاتمة: وقفة مع النفس

أخي الحبيب، أختي الحبيبة،

بعد أن قرأت هذه الآيات وتأملت، توقف لحظة واسأل نفسك:

من تختار؟ أنتختار أن تشرك بالله من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون؟ أم تختار أن توحده الله الخالق

المختار العليم؟

من تخضع له؟ أتخضع لاختياراتك أنت وأهواؤك، فتختار لنفسك ما يخالف شرع الله؟ أم تخضع لاختيار الله الذي لا يختار إلا ما فيه الخير لك؟

من تراقب؟ أراقب الناس في علك فقط، وتخفي في شرك ما لا يرضي الله؟ أم تراقب الله الذي يعلم ما تكن صدورك وما تعلن؟

اعلم أن الله هو ربك. ربك الذي خلقك، ربك الذي رزقك، ربك الذي هداك، ربك الذي يختار لك الخير. فلن تتركه؟ ولن تشرك به؟

سبحان الله وتعالى عما يشركون - نزه ربك عما يفعله المشركون من شرك، وتعال بنفسك عن أن تتبع سبيلهم.

الله يعلم ما تكن صدورك - فليكن ما تكنه من إيمان وتقوى، لا ما تكنه من نفاق وشرك.

اجعل هاتين الآيتين شعار حياتك: الله يخلق ما يشاء ويختار، فلا تعترض على قدره، ولا تشرع من عندك. الله يعلم شرك وعلتك، فلا تخفه بالمعصية، ولا تظهر ما يغضبه.

المبحث السادس

تفسير وتحليل الآية 70 من سورة القصص

المقدمة: ذروة التوحيد وخاتمة المشهد

بعد أن سارت بنا الآيات في رحلة مهيبة - بدءاً من مشهد خذلان الشركاء يوم القيامة، ثم السؤال الإلهي المربع "ماذا أجبتكم المرسلين؟"، ثم حيرتهم وصمتهم، ثم فتح باب الأمل للتائبين، ثم تأكيد سيادة الله في الخلق والاختيار والعلم - تأتي الآن هذه الآية العظيمة لتكون تاجاً على كل ما سبق، وقبة التوحيد التي تجمع الأركان كلها.

إنها الآية التي تجمع أصول الإيمان في جملة واحدة وجيزة، تبدأ باسم الله، وتنفي كل إله سواه، وتثبت له الحمد في الدنيا والآخرة، وتقر بحكمه المطلق، وتختتم بالوعيد والرجاء: "وإليه ترجعون". إنها بمثابة خلاصة السورة كلها، بل خلاصة الدين كله.

تأمل معي جمال السياق: الآية 67 بشرت التائبين المؤمنين العاملين بالفلاح. والآية 68 أثبتت أن الله يخلق ويختار ولا خيرة لأحد. والآية 69 أثبتت أن الله يعلم السر والعلن. ثم تأتي الآية 70 لتقول: هذا الرب الخالق المختار العليم - من هو؟ إنه الله لا إله إلا هو. ليس كما تزعمون من آلهة لا تخلق ولا تختار ولا تعلم.

هذه الآية تتمحور حول فكرة عظمى: تقرير الألوهية لله وحده، وإثبات أن كل نعمة وكل حمد وكل حكم وكل مرجع إليه سبحانه. إنها تدق المسمار الأخير في نعش الشرك، وتؤسس مملكة التوحيد في القلب والعقل والسلوك.

لنقف الآن طويلاً أمام هذه الآية المباركة، لنستخرج من كل كلمة فيها نوراً وهدى. أولاً: دلالة "وَهُوَ اللَّهُ" - الإخبار عن الذات الإلهية

افتتحت الآية بـ "وَهُوَ اللَّهُ". هذه الكلمات الأربع تحمل أعظم خبر يمكن أن يخبر به:

"هُوَ" - ضمير الغائب المنفصل، يفيد الحصر والتوكيد. كأنه يقول: هو وحده، ليس غيره. هذا الضمير يعيد الأذهان إلى ما سبق من صفات: هو الذي يخلق ويختار، هو الذي يعلم السر والعلن، هو الذي يغفر للتائبين، هو الذي يعذب المشركين.

"اللَّهُ" - اسم الذات العلية الجامع لصفات الكمال كلها. لم يقل "هو الرب" لأن الربوبية قد يقر بها المشركون، لكن الألوهية هي ما كانوا ينكرون. فالله هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده.

لماذا جاء الضمير "هو" قبل اسم الجلالة؟

لتأكيد الانفراد والحصر. فلو قال "الله لا إله إلا هو" لكان المعنى صحيحاً، لكنه قال "هو الله"

ليقرر أولاً ً أن هذا الموصوف بالصفات السابقة - الخلق والاختيار والعلم - هو الله نفسه. إنه رابط بين صفات الربوبية السابقة واسم الألوهية.

اللمسة البلاغية: جملة "وهو الله" جملة اسمية تفيد الثبات والدوام. أي: هو الله أزلاً ً وأبداً، لم يزل ولا يزال.

ثانياً: دلالة "إنا إلهٌ إلهٌ هو" - نفي وإثبات

هذه هي كلمة التوحيد العظمى، قوام الإسلام، وأصل الإيمان. وهي تتكون من جزأين:

النفي: "إنا إلهٌ" - نفي عام شامل لكل معبود سوى الله. ينفي الأصنام، الأوثان، الأشخاص، الأنبياء، الملائكة، الأموال، الجاه، السلطان، الشهوات، الأهواء. لا معبود بحق في الوجود إلا الله.

الإثبات: "إلهٌ هو" - إثبات الألوهية لله وحده، بعد أن نفى عن كل ما سواه. وهذا هو معنى "لا إله إلا الله": لا معبود بحق إلا الله.

لماذا كرر التوحيد هنا بعد الآيات السابقة؟

لأن الآيات السابقة أثبتت صفات الربوبية (الخلق والاختيار والعلم). وهنا ينتقل إلى صفة الألوهية (العبادة). والمشركون كانوا يقرون بالربوبية لكنهم يشركون في الألوهية. فالآية تقول: الذي خلق واختار وعلم - هو وحده المستحق للعبادة. لا تنفعكم ربوبيته إن لم تعبدوه وحده.

اللمسات البلاغية في "لا إله إلا هو":

- الحصر والقصر - تقديم النفي على الإثبات يفيد حصر الألوهية في الله وحده.
- الإيجاز المعجز - أربع كلمات جمعت أعظم معاني التوحيد.
- التأكيد بالضمير - "إله هو" وليس "إله" لتأكيد أن المستحق للعبادة هو هذا الموصوف بـ الصفات السابقة.

ثالثاً: دلالة "لهُ الحمدُ في الأولى والآخرة" - حمد مطلق شامل

بعد أن أثبت الألوهية، أثبت أن كل حمد له في الدارين. الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، وهو أعم من الشكر. والحمد لله لأنه:

أولاً ً: الحمد في الدنيا (الأولى) - يحمده المؤمنون في الدنيا على نعمه الظاهرة والباطنة: نعمة الإيمان، نعمة الصحة، نعمة الرزق، نعمة الهداية. بل إن الكافر يحمده أحياناً على نعمه، لكن المؤمن يخصه بالحمد كله.

ثانياً: الحمد في الآخرة (الآخرة) - في الآخرة، يحمده أهل الجنة حين يرون نعيمها، ويحمده أهل النار - لكن حمدهم لا ينفعهم - حين يرون عدله. والملائكة تحمده، والأنبياء تحمده، وكل الخلائق تحمده.

لماذا خص الأولى والآخرة بالذكر؟

لأن الحمد لله في كل زمان ومكان، لكن تخصيص الدارين يدل على أن حمده شامل لكل الوجود: دنيا وآخرة، سراء وضراء، غنى وفقر، صحة ومرض. فما من لحظة إلا وله فيها حمد.

اللمسات البلاغية:

- تقديم الجار والمجرور "له" - يفيد الحصر والقصر: الحمد له وحده لا لغيره.
- التعريف في "الحمد" - الحمد كله، بجميع أنواعه، على جميع النعم، في جميع الأوقات.
- ذكر الدارين - ليشمل كل زمان ومكان.

رابعاً: دلالة "ولهُ الحكمُ" - الحكم المطلق

الحكم هنا يشمل:

الحكم الكوني القدري - كل ما يحدث في الكون بإرادته ومشئته. لا يتحرك شيء إلا بأمره، ولا يسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تكون خلية إلا بتقديره.

الحكم الشرعي التشريعي - هو الذي يشرع الدين، ويحل ويحرم، ويأمر وينهى. ليس لأحد أن يحكم معه، ولا أن يشرع من عنده.

الحكم الجزائي يوم القيامة - هو الذي يحكم بين عباده يوم الدين، فيدخل من يشاء الجنة برحمته، ومن يشاء النار بعدله.

لماذا أعاد "له" مرة أخرى؟

تأكيداً للحصر. ففي الجملة السابقة قال "له الحمد"، وهنا قال "وله الحكم". كأنه يقول: الحمد له وحده، والحكم له وحده. لا شريك له في الحمد، ولا شريك له في الحكم.

اللمسات البلاغية:

· الفاء في "وله" محذوفة - التقدير: فله الحكم، أي بعد أن ثبت أنه الله لا إله إلا هو، فله الحكم.
· التعريف في "الحكم" - كل الحكم، بأنواعه الثلاثة (كوني، شرعي، جزائي).

خامساً: دلالة "وإليه ترجعون" - المرجع والمآب

هذه الجملة الختامية تحمل:

الوعيد للمشركون - سترجعون إليه في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم. من أشرك عذبه، ومن وحده غفر له.

الرجاء للمؤمنين - إليه ترجعون، إلى رحمة الله وفضله وجنته. فاستبشروا.

التذكير للمقصرين - مهما أخرتم التوبة، فمصيركم إليه، فلا تؤجلوا.

لماذا قال "ترجعون" بصيغة المبني للمعلوم؟

في الآيات السابقة (66) قال "لا يتساءلون" بصيغة المبني للمعلوم. هنا قال "ترجعون" أيضاً للمعلوم. هذا يدل على أن الرجوع إلى الله أمر واقع لا محالة. ولو قال "ترجعون" بصيغة المجهول لفات هذا المعنى.

اللمسات البلاغية:

· تقديم الجار والمجرور "إليه" - يفيد الحصر: إليه وحده ترجعون، لا إلى غيره.
· الفعل المضارع "ترجعون" - يفيد التجدد والاستمرار. كل واحد يرجع في وقته، ثم يرجعون جميعاً.
· الإسناد إلى ضمير الجماعة - الخطاب عام لكل إنسان: أنتم جميعاً إليه ترجعون.

اللمسات البيانية والبلاغية العامة في الآية

التدرج المنطقي:

1. إخبار عن الذات: "وهو الله"
2. نفي وإثبات للألوهية: "لا إله إلا هو"
3. إثبات الحمد له في الدارين
4. إثبات الحكم له وحده
5. إثبات المرجع إليه يوم القيامة

هذا تسلسل طبيعي: من الاسم إلى الصفة إلى الفعل إلى الغاية.

الإيجاز المذهل - جمعت الآية في 14 كلمة (بالعد) أصول العقيدة كلها: الألوهية، التوحيد، الحمد، الحكم، المعاد.

التكرار المحكم - كرر "له" مرتين (له الحمد، وله الحكم) للتأكيد على أن كل شيء له وحده.

الانتقال من الإخبار إلى الخطاب - بدأ الآية إخباراً (وهو الله) ثم ختمها بخطاب (ترجعون). هذا الانتقال يحرك المشاعر ويجعل القارئ يشعر بأن الكلام موجه إليه شخصياً.

الجناس والفواصل القرآنية - فواصل الآية (هُوَ، الآخرة، تَرْجَعُونَ) متناسقة موسيقياً، تترك أثراً في النفس.

****العلاقة بين الآية 70 وما سبقها من آيات (64-69)**

هذه الآية هي خاتمة طبيعية للمشهد كله:

- الآيات 64-66: مشاهد القيامة - خذلان الشركاء، سؤال الله، حيرتهم. → الخاتمة: إليه ترجعون.
- الآية 67: بشارة التائبين المفلحين. → الخاتمة: له الحمد في الأولى والآخرة.
- الآية 68: إثبات أن الله يخلق ويختار. → الخاتمة: وهو الله لا إله إلا هو.
- الآية 69: إثبات أن الله يعلم السر والعلن. → الخاتمة: وله الحكم.
- الآية 70: تجمع كل هذا في قمة التوحيد.

كأن الآية 70 تقول: هذا الذي رأيتموه في الآيات السابقة من خذلان وسؤال وحيرة وعذاب، وهذا الذي سمعتموه من بشارة للتائبين، وهذا الذي علمتموه من خلق واختيار وعلم - كله عن الله الواحد الأحد، فاعبدوه وحده، واحمدوه، وأسلموا لحكمه، واستعدوا للرجوع إليه. الموضوع الأول: الأبعاد الإيمانية والنفسية والتربوية للآية

البعد الإيماني

الآية ترسخ عقائد عظيمة:

- عقيدة التوحيد الخالص - لا إله إلا الله، نفي وإثبات. هذا أصل الأصول.
- عقيدة الحمد لله - كل نعمة في الدنيا والآخرة من الله، فالحمد له وحده.
- عقيدة الحكم لله - لا حكم لأحد مع حكم الله، لا في الكون، ولا في الشرع، ولا في الجزاء.
- عقيدة الرجوع إلى الله - اليوم عمل ولا حساب، غداً حساب ولا عمل.
- عقيدة الأسماء والصفات - اسم الله وصفاته (الألوهية، الحمد، الحكم) كلها ثابتة له.

البعد النفسي

الآية تعالج أمراض النفس:

- علاج الشرك - من يقرأ "لا إله إلا هو" يخرج الشرك من قلبه.
- علاج الكبر - من يعلم أن له الحكم، يتواضع.
- علاج النسيان - من يعلم أنه إليه يرجع، يتذكر دائماً.
- علاج الجزع والهلع - من يعلم أن له الحمد في الأولى والآخرة، يصبر على البلاء.
- علاج حب الدنيا - من يعلم أن الآخرة هي دار القرار، تزهد نفسه في الدنيا.

البعد التربوي

كيف نربي أنفسنا وأبنائنا على هذه الآية؟

- تربية النطق بالتوحيد - اجعل "لا إله إلا الله" ورداً يومياً في الصباح والمساء.
- تربية الحمد - علمهم حمد الله على كل نعمة، وعلى كل حال، سرّاً وعلناً.
- تربية التسليم للحكم - لا تعترض على قدر الله، ولا على شرع الله.
- تربية الاستعداد للرجوع - عش كل يوم كأنه آخر يوم.

الموضوع الثاني: المفاهيم التي نتحدث عنها الآية في حياتنا العملية

مفهوم الألوهية الحصرية

في حياتنا العملية، هذا يعني:

- لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق - لأن الطاعة عبادة، والعبادة لله وحده.
- لا نخاف أحداً كخوف الله - لأن الخوف عبادة.
- لا نرجو أحداً كرجاء الله - لأن الرجاء عبادة.

مفهوم الحمد الشامل

- احمد الله في السراء - حتى لا تطغى.
- احمد الله في الضراء - حتى لا تيأس.
- احمد الله في الدنيا - عيشاً مع الله.
- ستحمده في الآخرة - حين ترى ما أعد لك.

مفهوم الحكم الإلهي

- في السياسة - لا تشريع إلا لله.
- في الاقتصاد - لا ربا ولا حرام.
- في الأسرة - الطاعة لله وللرسول ولأولي الأمر بالمعروف.
- في القضاء - تحاكم بشرع الله.

مفهوم الرجوع إلى الله

- الموت قريب - فاستعد.
- الحساب عادل - فاصدق.
- الجزاء دائم - فاختر لنفسك الخير.

الموضوع الثالث: تصوير الآية لمشهد التوحيد الكامل

الآية ترسم لوحة متكاملة لله سبحانه:

- اله وحيد - لا إله إلا هو.
- محمود في الدارين - يحمده أهل السماوات والأرض.
- حاكم مطلق - لا معقب لحكمه.
- مرجع كل شيء - إليه ترجعون.

هذه الصورة تجعل المؤمن يقف بخشوع، ويعيش في حلاوة الإيمان.

كيف تغير الآية نظرة الإنسان للحياة؟

- من نظرة مادية - إلى نظرة إيمانية.
- من التعلق بالمخلوقين - إلى التعلق بالخالق.
- من الانهماك في الدنيا - إلى الاستعداد للآخرة.
- من اتباع الأهواء - إلى التسليم للحق.

الموضوع الرابع: المفاهيم المؤسسة للبناء والتنمية

مفهوم السيادة لله وحده

أي مجتمع يبني نهضته على هذه الآلية:

- سيادته لله - لا لشخص، ولا لحزب، ولا لأيديولوجيا.
- تشريعه من الله - يستمد قوانينه من شرع الله.
- حكمه بالعدل الإلهي - لا ظلم ولا جور.

مفهوم الحمد كتقافة مجتمعية

مجتمع يحمد الله:

- يشكر على النعم - فيزداد شكرًا.
- يصبر على البلاء - فيزداد أجرًا.
- يعمر الأرض بطاعة الله - فيبارك له في عمرانه.

مفهوم المرجعية الإلهية في التنمية

- التنمية المستدامة - التي تراعي شرع الله.
- التوازن بين الدنيا والآخرة - لا إفراط ولا تفريط.
- المسؤولية أمام الله - في كل عمل وقرار.

بناء الشخصية المسلمة بهذه الآلية

الشخصية التي تربيها هذه الآلية:

- موحدة - قلبها معلق بالله.
 - شاكرة - لسانها رطب بحمد الله.
 - مسلمة - جوارحها منقادة لحكم الله.
 - مستعدة - عاشت للقاء الله.
- الموضوع الخامس: التوجيهات الربانية العملية

ما ندعو إليه

1. تحقيق لا إله إلا الله - في القلب واللسان والجوارح.
2. ملازمة الحمد - في كل حال، على كل نعمة، وعند كل بلاء.
3. التسليم لحكم الله - في قدره وشرعه، رضيت أم أبيت.
4. الاستعداد للرجوع إلى الله - بالتوبة والعمل الصالح.

ما نتعلمه

- الله واحد لا شريك له - فافرغ عبادتك له وحده.
- الحمد لله في كل شيء - فاحمده على السراء والضراء.
- الحكم لله وحده - فلا تحكم بغير حكمه.
- الرجوع إلى الله حق - فلا تغفل عن الاستعداد.

كيف نطبقها

- كل صباح ومساء - قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.
- عند كل نعمة - قل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
- عند كل شدة - قل: الحمد لله على كل حال.
- قبل كل قرار - هل هذا القرار يوافق حكم الله؟
- قبل النوم - حاسب نفسك كأنك ترجع إلى الله غداً.

الموضوع السادس: الأسلوب التربوي في الآلية .

الأسلوب التربوي الأول: أسلوب التأسيس بالأصول

الآية بدأت بتأسيس الأصل الأول: "وَهُوَ اللَّهُ" - من هو الذي نتحدث عنه؟ هذا هو الأصل. قبل أن تأمر أو تنهى، عرّف بنفسه. هذا أسلوب تربوي أصيل: التربية تقوم على تعريف المرّبي أولاً .

القيمة التربوية:

- يبني الثقة قبل الطاعة - إذا عرفت من رباك، أطعت بسهولة.
- يزرع المحبة قبل الخشية - معرفة الله تؤدي إلى محبته.
- يجعل الأوامر محبة - لأنها صادرة من محبوب.

التطبيق التربوي: قبل أن تطلب من ابنك شيئاً، عرّفه بمن يأمره. قل له: الله الذي خلقك يقول لك... ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك...

الأسلوب التربوي الثاني: أسلوب النفي والإثبات

"لا إله إلا هو" - هذا الأسلوب يقوم على:

- نفي الباطل أولاً - لتنظيف الأرض من الشوائب.
- إثبات الحق ثانياً - لبناء الجديد على أساس نقى.

القيمة التربوية:

- يمنع الخلط بين الحق والباطل.
- يهدم الأوهام قبل بناء اليقين.
- يوضح أن الحق واحد لا يتعدد.

التطبيق التربوي: عند تعليم الطفل الصواب، ابدأ بتحديد الخطأ ونفيه، ثم أثبت الصواب. مثلاً: "لا تكذب، بل اصدق".

الأسلوب التربوي الثالث: أسلوب التوسع بعد الإيجاز

الآية بدأت بإيجاز شديد (لا إله إلا هو) ثم وسعت: له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعون. هذا الأسلوب:

- يبدأ بالجوهر - التوحيد هو الجوهر.
- ثم يفصل - ليرى المتعلم آثار هذا التوحيد وتفاصيله.

القيمة التربوية:

- لا يشوش على المتعلم بكثرة التفاصيل قبل إتقان الأصل.
- يعطي أساساً متيناً ثم يبني عليه.
- يحفظ الأهم فالهم.

التطبيق التربوي: علم الطفل أولاً "لا إله إلا الله"، ثم اشرح له معناها تدريجياً: معنى الحمد، معنى الحكم، معنى الرجوع.

الأسلوب التربوي الرابع: أسلوب الربط بين الدنيا والآخرة

"لهُ الحَمْدُ في الأولى والآخرة" - يربط بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة في حكم واحد. هذا الأسلوب:

- يكسر حصر الهم بالدنيا - يذكر بالآخرة.
- يعطي معنى للدنيا - أنها مقدمة للآخرة.
- يجعل العبد يعيش للدارين - يعمل لدنياه وآخريته.

القيمة التربوية:

- يحمي من الإفراط في حب الدنيا.
- يحمي من التفريط في العمل للآخرة.
- يحقق التوازن النفسي والسلوكي.

التطبيق التربوي: في التربية، اربط بين العمل وأجره في الدنيا والآخرة. قل لابنك: من يذاكر ينجح في الدنيا ويكتب له الأجر في الآخرة.

الأسلوب التربوي الخامس: أسلوب التكرار للتأكيد

كررت الآية "له" مرتين: "له الحمد" و "له الحكم". هذا التكرار:

- يؤكد الحصر - له وحده، لا شريك.
- يضرب في النفس - التكرار يرسخ المعنى.
- يخلق إيقاعاً موسيقياً - يسهل الحفظ والتذكر.

القيمة التربوية:

- التكرار في التربية ضروري للتثبيت.
- مع تغيير الصيغة (الحمد، الحكم) يزيل الملل.
- يعطي شعوراً بالأهمية.

التطبيق التربوي: كرر القيم المهمة بألفاظ مختلفة. قل: الصدق ينجيك، والكذب يرديك، والصدق زينة ، والكذب خزي.

الأسلوب التربوي السادس: أسلوب الانتقال من الخبر إلى الخطاب

بدأت الآية بصيغة الخبر (وهو الله لا إله إلا هو) ثم انتقلت إلى الخطاب المباشر (وإليه ترجعون). هذا الالتفات:

- يشعر المخاطب بأن الكلام له - يوقظه من الغفلة.
- يحول المعلومة إلى مسؤولية شخصية - ليس خيراً فقط، بل أنت المعني.
- يخلق تفاعلاً عاطفياً - يشعر بالرهبة حين يسمع "ترجعون".

القيمة التربوية:

- الانتقال من التعليم إلى التطبيق - عرفت الحق، فأنت مسؤول.
- توجيه الكلام للشخص يزيد تأثيره.
- يمنع المتعلم من البقاء في منطقة المشاهدة السلبية.

التطبيق التربوي: بعد أن تشرح حكماً، وجه الخطاب للطفل: "وأنت يا فلان، هل تطبق هذا؟"

الأسلوب التربوي السابع: أسلوب الجمع بين الرجاء والوعيد في جملة واحدة

"وإليه ترجعون" - هذه الجملة تحمل للمؤمن رجاء (إليه ترجعون إلى رحمته) وللمذنب وعيداً (إليه ترجعون للحساب والعقاب). هذا الأسلوب:

- يحقق التوازن بين الخوف والرجاء - لا ييأس ولا يأمن.
- يجعل الآية صالحة لكل الناس - كل يقرأها حسب حاله.
- يدفع إلى العمل - خوفاً ورجاءاً معاً.

القيمة التربوية:

- التربية لا تكون بخوف فقط ولا برجاء فقط.

- الخوف يمنع من المعصية، والرجاء يدفع إلى الطاعة.
- الجمع بينهما ينتج شخصية متزنة.

التطبيق التربوي: في التربية، خوف من العقوبة مع بشرى بالثواب. قل: من يذاكر ينجح ويكافأ، ومن لا يذاكر يرسب ويعاقب.

الأسلوب التربوي الثامن: أسلوب تقديم ما هو أهم

في الآلية، قدم التوحيد (لا إله إلا هو) ثم الحمد ثم الحكم ثم الرجوع. هذا الترتيب:

- التوحيد أولاً - لأنه الأصل، وهو الغاية من الخلق.
- الحمد ثانياً - ثمرة التوحيد وشكر المنعم.
- الحكم ثالثاً - تنفيذ شرع الله بعد الإيمان به.
- الرجوع رابعاً - التذكير بالمعاد كدافع للعمل.

القيمة التربوية:

- تعليم الأولويات في التربية: العقيدة أولاً، ثم العبادات، ثم المعاملات، ثم التذكير بالآخرة.
- لا تقدم شيئاً على ما هو أهم منه.
- بناء هرمي متين.

التطبيق التربوي: في تربية الأبناء، ابدأ بتعليم العقيدة، ثم الصلاة، ثم الأخلاق، ثم تذكيرهم بالآخرة باستمرار.

الأسلوب التربوي التاسع: أسلوب الإحاطة الشاملة

الآلية جمعت كل شيء: جمعت الألوهية (لا إله إلا هو)، وجمعت الزمان (الأولى والآخرة)، وجمعت أنواع الحكم (كوني وشرعي وجزائي)، وجمعت كل المخلوقات (ترجعون خطاب عام). هذا الأسلوب:

- يعطي المتعلم شعوراً بأن الدين يحيط بكل شيء - ليس مجرد شعائر.
- يجعل الآلية مرجعاً شاملاً - تصلح لكل زمان ومكان.
- يربي العقل على التفكير الشمولي - لا تجزئي.

القيمة التربوية:

- التربية الشاملة لا تهتم بجانب دون جانب.
- الدين يحيط بكل مناحي الحياة.
- المسلم لا ينظر إلى الأمور نظرة مجزأة.

التطبيق التربوي: لا تربى على الصلاة فقط، بل على التوحيد والحمد والتسليم لحكم الله والاستعداد للقائه.

الأسلوب التربوي العاشر: أسلوب التثبيت بذكر العاقبة

ختمت الآلية بذكر الرجوع إلى الله. وهذا التذكير بالعاقبة هو أسلوب تربوي عظيم:

- يذكر الغافل - بأن له نهاية يرجع فيها إلى ربه.
- يوقظ المقصر - بأن الوقت يمر والرجوع قريب.
- يطمئن المؤمن - بأن لقاء الله قريب.

القيمة التربوية:

- ذكر العاقبة يزين الطاعة ويقبح المعصية.
- يحفز على الاستمرار في العمل الصالح.
- يمنع التسويف والتأجيل.

التطبيق التربوي: في كل توجيه، اذكر العاقبة. قل: "من يصلح وطنه، يعيش في أمان ويرضى عنه ربه".

خلاصة الأسلوب التربوي في الآية 70

الأسلوب التربوي تجلياته في الآية
التأسيس بالأصول "وهو الله" - تعريف المربّ أولاً
النفي والإثبات "لا إله إلا هو" - هدم الباطل وبناء الحق
التوسع بعد الإيجاز من التوحيد إلى الحمد فالحكم فالرجوع
الربط بين الدنيا والآخرة "في الأولى والآخرة"
التكرار للتأكيد "له" مرتين
الانتقال من الخبر إلى الخطاب من "وهو الله" إلى "ترجعون"
الجمع بين الرجاء والوعيد "ترجعون" تحمل المعنيين
تقديم الأهم فالأهم توحيد → حمد → حكم → رجوع
الإحاطة الشاملة شملت كل شيء
التثبيت بذكر العاقبة "وإليه ترجعون" في الختام

هذه الأساليب مجتمعة تجعل الآية 70 من سورة القصص من أعظم الآيات التربوية في القرآن، لأنها تبني التوحيد في النفس بناءً متكاملًا، يبدأ بالتعريف بالله، ثم نفي الشرك، ثم شكره وحمده، ثم التسليم لحكمه، ثم الاستعداد للقائه. إنها دورة تربوية كاملة في آية واحدة.
الخاتمة: وقفة مع النفس

أخي الحبيب، أختي الحبيبة،

بعد أن سارت بنا الرحلة عبر هذه الآيات العظيمة، من مشاهد القيامة المرعبة إلى بشارة التائبين، من إثبات الخلق والاختيار والعلم إلى هذه الذروة - آية التوحيد العظمى - أقف معك الآن لنسأل أنفسنا معاً:

هل حقاً "لا إله إلا الله" في قلبي؟ أم أن قلبي معلق بغيره؟

هل الحمد لله في الأولى والآخرة على لساني؟ أم أنني أحمد غير الله حين ينعم علي؟

هل حكم الله هو الذي أحكم به نفسي وأهلي ومجتمعي؟ أم أنني أحكم بغير حكم الله؟

هل أعيش كأني إليه ترجعون؟ أم أنني غافل كأن الموت لغيري؟

إنها لحظة مصارحة مع النفس. هذه الآية ليست للتلاوة فقط، بل للمحاسبة. احاسب نفسك بها كل يوم:

- في الصباح - قل: لا إله إلا الله، وأخلص النية لله في يومك.
- في كل نعمة - قل: الحمد لله، ولا تنس شكر المنعم.
- في كل قرار - هل هو بحكم الله؟ فإن لم يكن، فاتركه.
- في كل ليلة - قل: اللهم إني إليك راجع، فاغفر لي ما قدمت وأخرت.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، لك الحمد في الأولى والآخرة، ولك الحكم، وإليك أرجع. اللهم توفني مسلماً وألحقني بالصالحين. واجعل هذه الآية نوراً في قلبي، وعملاً في جوارحي، وشفيعاً لي يوم ألقاك.

المبحث السابع

تفسير وتحليل الآيات 71 و 72 و 73 من سورة القصص

المقدمة: مشهد النعمة العظمى التي نغفل عنها

بعد أن ختمت الآية السابقة (70) بقمة التوحيد - "وهو الله لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعون" - يأتي الآن مشهد جديد مختلف تماماً في سياق السورة. إنه مشهد تأملي، مشهد تفكيري، مشهد استفهامي يوجه أنظار البشر إلى آية من أعظم آيات الله في أنفسهم وحياتهم اليومية: تعاقب الليل والنهار.

تأمل معي هذا الانتقال البديع: بعد أن تحدث القرآن عن مشاهد القيامة المهيبة، وعن خذلان الشركاء، وعن سؤال الله للمشركين، وعن التوبة والفلاح، وعن توحيد الله في الخلق والاختيار والعلم، ثم في الألوهية والحمد والحكم والمعاد - يأتي الآن ليقول: انظروا حولكم! هذه النعم التي تعيشون فيها كل يوم، هذا الليل وهذا النهار، أليس دليلاً على وحدانية الله وقدرته ورحمته؟

إنها دعوة صريحة للعقل. ليست مجرد أخبار عن غيب، بل مشاهد ملموسة يعيشها الإنسان كل يوم. الليل يغشاها، والنهار يشرق عليه. لكن كم من الناس يتفكر في هذه النعمة؟ كم من الناس يسأل نفسه: ماذا لو أن الليل دائم؟ أو أن النهار دائم؟ من الذي يأتي بالصباح بعد الليل؟ ومن الذي يأتي بالمساء بعد النهار؟

هذه الآيات الثلاث تتمحور حول فكرة عظيمة: التفكير في آيات الله الكونية يقود إلى الإيمان بالله الواحد القادر الرحيم، ويقطع الطريق على الشرك والغفلة. إنها تعلم المسلم أن ينظر إلى الطبيعة بعين البصيرة، لا بعين العادة والغفلة. الليل والنهار ليسا مجرد ظواهر طبيعية، بل آيات إلهية، ونعم عظيمة، وشواهد على قدرة الله ورحمته.

لنقف الآن طويلاً أمام هذه الآيات الثلاث، لنستخرج من كل كلمة فيها عبرة وتذكرة.
أولاً: الآية 71 - "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا"

دلالة "قل" - أمر النبي بالتحدي والاستفهام

تبدأ الآية بـ "قل". هذه الكلمة الصغيرة تحمل دلالات عظيمة:

توجيه للنبي ﷺ - أمر إلهي للنبي أن يقول هذا القول للمشركين. فيه تثبيت لقلبه، وتكليف له بتبليغ هذه الحجة.

صيغة التحدي - "قل" تدل على موقف المتكلم القوي الواثق من حجته. النبي يؤمر أن يقول هذا للمشركين، كمن يقول: هيا، فكروا معي.

تحويل الانتباه - "قل" تأتي في القرآن عادة لتلفت انتباه السامع إلى أن ما سيأتي بعدها مهم للغاية.

لماذا خوطب النبي مباشرة؟

لأن المشركين كانوا لا يسمعون من الله مباشرة، فالرسول هو الوسيط. وفيه تشریف له، وتكليف له بتبليغ هذه الحجة العقلية.

معنى "أَرَأَيْتُمْ" - أداة الاستفهام التفكيري

"أَرَأَيْتُمْ" من الرؤية القلبية، بمعنى: أخبروني، أروني بعقولكم، فكروا معي. هذه الأداة تحمل:

الاستفهام للتفكير - ليس استفهاماً عن جهل، بل استفهام لتأمل وتدبر.

طلب الجواب - كأنه يقول: فكروا ثم أجيبوني.

إثارة العقل - إنها أداة تنبيه للعقل ليبدأ في التفكير.

اللمسة البلاغية: "أَرَأَيْتُمْ" تفيد أن الجواب سيأتي من عقولهم هم، لا أن يلقنوه. إنه حوار عقلي.

معنى "إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا"

"إن" الشرطية - تفيد الفرض والتقدير، أي: افترضوا هذا السيناريو، تخيلوه.

"جعل الله" - الفعل المسند إلى الله وحده. لا أحد يستطيع أن يجعل الليل سرمداً إلا الله.

"عليكم" - الليل يغطيكم، يغشاكم، يحيط بكم من كل جانب. كأنه عباءة سوداء تغطي السماء.

"الليل" - ظلام الليل، سكونه، برودته، نومه.

"سرمدًا" - دائماً أبدياً لا ينقطع .سرمدًا بمعنى دائم مستمر لا نهاية له.

تصوير المشهد:

تخيل معي: الليل لا ينتهي .الشمس لا تشرق .الظلام دائم 24 ساعة ظلام .أسبوع ظلام .شهر ظلام . سنة ظلام .الأبد كله ظلام .كيف ستكون الحياة؟

تحليل "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" في هذا السياق

"مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بُضِيَاءٌ" - هذا هو الجواب الذي ينتظره الاستفهام.

نفي الإله - "من إله" نفي لأي إله مزعوم.

إثبات العجز - "غير الله" أي سوى الله، كل من تدعون من دونه عاجزون.

الاستفهام الإنكاري - "أَفَلَا تَسْمَعُونَ" توبيخ لهم على عدم سماعهم للحق.

اللمسة البلاغية: قدم الضياء على النفي؟ لم يقل "يَأْتِيكُمْ بُضِيَاءٌ" فقط، بل قال "يَأْتِيكُمْ بُضِيَاءٌ" بعد نفي وجود إله .أي: لا إله يستطيع أن يأتي بالضياء إلا الله.

معنى "أَفَلَا تَسْمَعُونَ"

السمع هنا بمعنى التدبر والوعي، ليس مجرد إدراك الأصوات.

توبيخ على عدم السماع - أنتم تسمعون هذه الحجة بآذانكم لكن قلوبكم لا تعي.

دعوة للسماع العقلي - اسمعوا بقلوبكم، تفكروا.

الفاء في "أَفَلَا" - تفيد الترتب على ما سبق .أي: بعد هذه الحجة الواضحة، أفلا تسمعون؟ ثانياً: الآية 72 - "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا"

المقابلة بين الآيتين

الآية 71 : الليل سرمدًا - ظلام دائم.

الآية 72 : النهار سرمدًا - ضياء دائم.

هي مقابلة بديعة بين النقيضين: ظلام دائم أو ضياء دائم .كلاهما مستحيل العيش فيه.

دلالة "سَرْمَدًا" في النهار

سرمدًا أي دائماً أبدياً لا ينقطع .نهار لا يتبعه ليل .شمس لا تغرب .نور لا يسود.

تصوير المشهد:

تخيل: النهار لا ينتهي .الشمس دائماً في السماء .لا ظلام، لا نوم هائن، لا راحة، لا برودة الليل .حرارة دائمة، ضياء دائم، إرهاق لا ينتهي.

تحليل "مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بُلْبُلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ"

هنا الفرق عن الآية السابقة .في الليل قال "بُضِيَاءٌ" نور، وفي النهار قال "بُلْبُلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ" .لماذا؟

لأن حاجة الإنسان في الليل إلى الضياء، وفي النهار إلى الظلام والسكون .كلاهما ضروري للحياة.

"تَسْكُنُونَ فِيهِ" - السكون هو الراحة والهدوء .الليل جعل للسكون والراحة والنوم .فيه تهدأ الحركة، وتستريح النفوس، وتنام الأجساد.

لماذا خص السكون بالليل؟

لأن النهار جعل للحركة والعمل والكدح. أما الليل فجعل للسكون والراحة. هذه نعمة عظيمة يغفل عنها كثيرون.

معنى "أَفَلَا تُبْصِرُونَ"

في الآية السابقة قال "أَفَلَا تَسْمَعُونَ"، وهنا قال "أَفَلَا تُبْصِرُونَ". لماذا هذا الاختلاف؟

السمع للآية الأولى - لأن الحديث عن الليل والظلام، والظلام يدرك بالسمع أكثر؟ أو لأن السمع أعم من البصر في الظلام؟ أو لاختلاف الفواصل؟

البصر للآية الثانية - لأن الحديث عن النهار والضياء، والضياء يدرك بالبصر. فكل حجة تناسب الحاسة التي تدركها.

اللمسة البلاغية: التدرج من السمع إلى البصر. السمع يسبق البصر في الإدراك، أو تنويع في الخطاب ليصل إلى كل الحواس.

ثالثاً: الآية 73 - "وَمَنْ رَحِمْتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"

دلالة "وَمَنْ رَحِمْتِهِ"

هذه الجملة هي روح الآية. الليل والنهار ليسا مجرد ظواهر فيزيائية، بل هما من رحمة الله بعباده.

"من" للتبعية - أي: بعض رحمته الواسعة، فكم له من رحمة أخرى.

"رحمته" - إضافة الرحمة إلى الله تفيد التعظيم. رحمة الله واسعة لا تنتهي.

لماذا نسب الليل والنهار إلى الرحمة؟

لأن الإنسان في حاجة ماسة إليهما. فلو فقد أحدهما لهلك. فمجيئهما على هذا النحو المنتظم هو من رحمة الله.

تحليل "جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"

"جعل" - خلق وصير. فيه إشارة إلى أن الليل والنهار مخلوقان بإرادة الله، ليسا أزليين.

"لكم" - اللام للاختصاص، أي: لأجلكم، لمصلحتكم، لخدمتكم. هذا تأكيد على أن الكون مسخر للإنسان من رحمة الله به.

"الليل والنهار" - جمع بينهما بعد تفصيل كل منهما في الآيتين السابقتين. الآن يجمع ليذكر الغرض منهما.

معنى "لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ"

هذا هو الغرض من الليل والنهار:

الليل: "لِتَسْكُنُوا فِيهِ" - جعل الليل للسكون والراحة. لتستريح أجسادكم، وتهدأ أعصابكم، وتناموا فتستعدوا ليوم جديد.

النهار: "وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ" - جعل النهار للعمل والسعي وابتغاء الرزق من فضل الله.

لماذا قال "من فضله" وليس "من رزقك"؟

"الفضل" أعم من الرزق. فالفضل يشمل الرزق، والعلم، والصحة، وكل خير. فالإنسان في النهار يبتغي من فضل الله: يعمل لرزقه، ويتعلم، ويبني، وينمي.

دلالة "ولعلكم تشكرون"

هذه هي الغاية النهائية من الليل والنهار: أن تشكروا الله.

"لعل" - تفيد الترجي والتحفيز. ليس أمراً جازماً، بل دعوة لطيفة للشكر.

"تشكرون" - الشكر هو الاعتراف بالنعمة والثناء عليها وصرفها في طاعة المنعم.

العلاقة بين الآيات الثلاث:

. الآية 71 : تأمل لو فقدتم الضياء (الليل الدائم).

. الآية 72 : تأمل لو فقدتم السكون (النهار الدائم).

. الآية 73 : الآن تعلموا أن هذا النظام المتوازن من رحمة الله، فاشكروه.

المسامات البيانية والبلاغية في الآيات الثلاث

التكرار مع التنويع - كرر "قل رأيتم" مرتين، لكن غير الموضوع (ليل/نهار). (التكرار للتأكيد، والتنويع لعدم الملل).

المقابلة بين الضياء والسكون - في الليل تحتاج ضياء، وفي النهار تحتاج سكوناً للراحة. كل آية ركزت على الحاجة المفقودة.

الاستفهام التحضيضي - "أفلا تسمعون" و"أفلا تبصرون" تحضيض على استعمال الحواس والعقل.

الإيجاز المعجز - في آيات قصيرة صور القرآن سيناريوهين كاملين، ثم خلاص إلى الغاية.

التدرج من الشرط إلى النتيجة - "إن جعل... من إله..." ثم الخاتمة بالشكر.

الجناس - بين "تسمعون" و"تبصرون" جناس غير تام.

الفواصل القرآنية - يأتىكم بضياء، تسمعون (تسكنون فيه، تبصرون) (فضله، تشكرون) (متناسقة موسيقياً).

الموضوع الأول: الأبعاد الإيمانية والنفسية والتربوية للآيات

البعد الإيماني

هذه الآيات ترسخ عقائد:

عقيدة أن الله هو النافع الضار - لا أحد يجلب الضياء أو الظلام سواه.

عقيدة أن الله رحيم بعباده - الليل والنهار من رحمته.

عقيدة التسخير - الكون مسخر للإنسان من رحمة الله.

عقيدة الشكر - النعم تستوجب الشكر.

البعد النفسي

الآيات تعالج أمراضاً نفسية:

علاج الغفلة - التذكير بنعمة الليل والنهار يخرج من الغفلة.

علاج الكفران - يذكر بأن النعم من الله، لا من الطبيعة.

علاج القلق - من يتذكر أن الله جعل الليل للسكون يهدأ.

علاج الكسل - من يتذكر أن النهار لابتغاء الفضل ينشط.

البعد التربوي

كيف نربي أنفسنا وأبناءنا على هذه الآيات؟

- . تربية التفكير - تعليم النظر في الآيات الكونية.
- . تربية الشكر - شكر الله على الليل والنهار.
- . تربية التوازن - بين السكون في الليل والعمل في النهار.
- . تربية التوحيد - لا أحد يجلب هذه النعم إلا الله.

الموضوع الثاني: اهمية التفكير والتفكير في القرآن
لماذا أمر القرآن بالتفكير؟

التفكير هو عمل العقل في المعلوم للوصول إلى مجهول . إنه عبادة عظيمة، بل هو أساس الإيمان.

أولاً : التفكير طريق معرفة الله - الآيات الكونية (الليل والنهار، السماء والأرض، الجبال والبحار (كلها تدل على الخالق . فمن تفكر فيها عرف الله .

ثانياً: التفكير يولد اليقين - الإيمان بالغيب يحتاج إلى دليل . والتفكير في الآيات الكونية يعطي هذا الدليل.

ثالثاً: التفكير علاج الغفلة - أكثر الناس يعيشون على عادة الأشياء، فلا يتفكرون . والقرآن يوقظهم بالاستفهامات.

رابعاً: التفكير يقود إلى الشكر - عندما تعلم أن الليل والنهار من رحمة الله، تشكره.

كيف نربي هذه الآيات الشخصية المفكرة؟

لنحلل الأدوات التربوية التي تستخدمها الآيات لتربية العقل:

الأداة الأولى: أسلوب السيناريو الافتراضي (لو)

"إن جعل الله عليكم الليل سرمداً" - هذا سيناريو افتراضي . العقل يحب أن يجرب الاحتمالات . عندما تطلب من إنسان أن يتخيل عالماً بلا ضياء، أو بلا ظلام، فإن عقله يبدأ في العمل . إنها طريقة تربوية عظيمة: تعليم بالتصوير والتخيل.

القيمة التربوية: الطفل عندما تتخيل معه سيناريو) ماذا لو اختفت الشمس؟ (يبدأ عقله في التساؤل و البحث . هذا ينمي الخيال العلمي والعقل الناقد.

الأداة الثانية: أسلوب الاستفهام التحفيزي

"أرايتم"، "أفلا تسمعون"، "أفلا تبصرون" - الاستفهام يفتح العقل، بينما الخبر يغلقه . الخبر يعطي معلومة، والاستفهام يثير التساؤل . القرآن يستخدم الاستفهام بكثافة لتربية العقل.

القيمة التربوية: بدلاً من أن تقول للطفل "الله خلق الليل والنهار"، أسأله: "من خلق الليل والنهار؟" أو "ماذا لو كان النهار دائماً؟" . السؤال ينشط العقل.

الأداة الثالثة: أسلوب ربط الحواس بالتفكير

"تسمعون" - "تبصرون" . القرآن يربط التفكير بالحواس . العقل يعمل بالمدخلات الحسية . فإذا استخدمت السمع والبصر في التفكير، وصلت إلى الإيمان.

القيمة التربوية: لا تربي العقل وحده، بل رب الحواس . علم ابنه أن ينظر ببصيرة، ويسمع بتدبر.

الأداة الرابعة: أسلوب الانتقال من المشاهدة إلى الاستنتاج

الآية تبدأ بسيناريو) إن جعل الله الليل سرمداً (ثم تسأل) من إله يأتيكم بضياء (ثم تستنتج) أفلا

تسمعون (ثم تصل إلى الغاية) لعلكم تشكرون. (هذا تسلسل منطقي: مشاهدة → تفكير → استنتاج → عمل).

القيمة التربوية: علم أبنائك خطوات التفكير المنطقي: لاحظ، تساءل، استنتج، طبق.

الأداة الخامسة: أسلوب قلب المعتاد إلى مشكلة

الليل والنهار أمر معتاد. البشر لا يفكرون فيه. القرآن يقلب المعتاد إلى مشكلة: تخيلوا لو اختفى أحدهما. بهذه الطريقة يحول العادي إلى مثير للتفكير.

القيمة التربوية: في التربية، اطرح أسئلة عن الأمور العادية. لماذا السماء زرقاء؟ لماذا نشرب الماء؟ لماذا ننام؟ هذه الأسئلة تنمي الفضول المعرفي.

الأداة السادسة: أسلوب ربط النعمة بالرحمة

"ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار" - يربط النعمة المادية (الليل والنهار (بصفة معنوية) الرحمة. (هذا يربي العقل على أن يرى وراء المادة معنى.

القيمة التربوية: لا تعلم الطفل الظواهر الفيزيائية فقط، بل علمه البعد الإيماني والقيمي لها.

كيف تربي الآيات الشخصية المتأمل؟

التأمل أعمق من التفكير. التفكير في الأسباب، والتأمل في المعاني والدلالات.

التأمل في النعم - "جعل لكم الليل والنهار" تأمل في النعمة، وكيف أنت محتاج إليها.

التأمل في القدرة - من يستطيع أن يجعل الليل سرمدا؟ الله وحده. تأمل في قدرته.

التأمل في الحكمة - لماذا جعل الليل للسكون والنهار للعمل؟ تأمل في حكمة الله.

التأمل في الرحمة - لماذا نسب الليل والنهار إلى الرحمة؟ تأمل في رحمته.

الفرق بين التفكير والتأمل في القرآن

التفكير التأمل

عمل العقل في المعلوم عمل القلب والعقل معاً

يؤدي إلى معرفة الله يؤدي إلى محبة الله

يبحث في الأسباب يبحث في المعاني

أكثر منهجية أكثر روحانية

في الآيات الكونية والشرعية في الآيات الكونية والشرعية والنعم

القرآن يربي شخصية متكاملة: مفكرة) بالعقل (ومتأمل) بالقلب. (هذه الآيات تجمع بين التفكير (السيناريو الافتراضي، الاستفهام، الاستنتاج (والتأمل) النعمة، الرحمة، الشكر).

نماذج من القرآن في تحفيز التفكير

القرآن مليء بدعوات التفكير:

6) "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها" (ق6)

7) "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" (الذاريات21)

8) "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار" (آل عمران190)

9) "وهنا في سورة القصص: "قل رأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا!.."

خصائص التفكير القرآني:

1. تفكير مبني على المشاهدة - ليس خيالا " فارغاً، بل ينطلق من الواقع.

2. تفكير هادف - يقود إلى الإيمان والعمل.

3. تفكر شامل - في النفس والآفاق.
4. تفكر مستمر - ليس حدثاً لمرة واحدة.

كيف نبني الشخصية المسلمة المفكرة بهذه الآيات؟

أولاً: في البيت - علم أبناءك أن يسألوا "ماذا لو؟" دربهم على السيناريوهات الافتراضية. ا طرح عليهم أسئلة عن الظواهر الطبيعية: ماذا لو لم ينزل المطر؟ ماذا لو كانت الأرض مسطحة؟ ماذا لو كان النهار دائماً؟

ثانياً: في المدرسة - اجعل منهج العلوم مرتبطاً بالإيمان. عندما تدرس تعاقب الليل والنهار، اربطه بهذه الآيات. علم الطالب أن ينظر إلى الظاهرة الفيزيائية ثم يسأل: من خلقها؟ لماذا خلقها؟ ما الحكمة؟

ثالثاً: في المسجد - في الدروس والمحاضرات، استخدم أسلوب الاستفهام والسيناريوهات. لا تلقن فقط، بل احاور العقول.

رابعاً: في النفس - اجعل لنفسك ورداً يومياً من التفكير. تأمل في خلق الله، في نعمه، في آياته. اجلس ولو دقائق تنظر إلى السماء، أو إلى الليل والنهار، وتسأل نفسك: ماذا لو؟

ثمرات التفكير التي تربّيها هذه الآيات

1. اليقين في الله - عندما تتفكر في أن لا أحد يأتي بالضيء أو الظلام إلا الله، يزداد يقينك.
2. الشكر لله - عندما تعلم أن هذه النعم من رحمته، تشكره.
3. التوكل على الله - عندما تعلم أنه المسير لهذا الكون، تتوكل عليه.
4. الصبر والرجاء - الليل يعقبه النهار، والضيء يعقبه الفرج.
5. النشاط والعمل - النهار لا يتغاء الفضل، فلا كسل.
6. الراحة والطمأنينة - الليل للسكون، فلا سهر ضار.

الموضوع الثالث: تصوير الآيات لمشهد النعمة والتوازن الإلهي

الآيات ترسم لوحة متكاملة:

- لوحة الليل الأبدي - ظلام دائم، قلق، إرهاق، حيرة، فزع. لا عمل، لا حياة، لا ضياء.
- لوحة النهار الأبدي - ضياء دائم، حر دائم، إرهاق دائم، لا نوم، لا راحة، لا سكون.
- لوحة التوازن الرحمائي - ليل للراحة، نهار للعمل. هذا هو نظام الله العادل الرحيم.
- هذه الصورة تجعل المؤمن يشعر بقيمة النعمة التي كان يغفل عنها.

كيف تغير الآيات نظرة الإنسان للطبيعة؟

- من النظرة المادية - الليل والنهار ظواهر فيزيائية فقط.
- إلى النظرة الإيمانية - الليل والنهار آيات إلهية ونعم عظيمة.
- من الغفلة - أمر عادي لا يستحق التفكير.
- إلى التفكير - كل يوم أتأمل في هذه النعمة وأشكر عليها.

الموضوع الرابع: المفاهيم المؤسسة للبناء والتنمية

مفهوم الموازنة بين الراحة والعمل

الآية تعلم المجتمع أن يخطط لموازنة بين:

- الليل: راحة وسكون - وقت لإعادة شحن الطاقة.
- النهار: عمل وإنتاج - وقت للبناء والتنمية.

أي مجتمع يخل بهذا التوازن ينهار: إما مجتمع كسول لا يعمل، أو مجتمع لا ينام فيهلك.

مفهوم أن التنمية الحقيقية من فضل الله

"لتبتغوا من فضله" - العمل والكد وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى فضل الله وتوفيقه. فالمجتمع الذي يعمل لكنه لا يتوكل على الله، قد يحرم من البركة.

مفهوم الاستدامة في التفكير

الآيات تدعو إلى تفكير مستمر، ليس حدثاً لمرة واحدة. المجتمع الذي يفكر ويخطط لمستقبله هو الذي ينجو من الكوارث) مثل سيناريو الليل الدائم أو النهار الدائم).

بناء الشخصية المسلمة بهذه الآيات

الشخصية التي تربيتها هذه الآيات:

. مفكرة - لا تعيش على العادة، بل تتساءل وتتأمل.

. شاكرة - تعرف النعمة فتشكر عليها.

. متزنة - توازن بين العمل والراحة، بين الدنيا والآخرة.

. متوكل - تعمل وتسعى، لكنها ترجو فضل الله.

الموضوع الخامس: التوجيهات الربانية العملية

ما ندعو إليه

1. التفكير في آيات الله - اجعل التفكير عبادة يومية.

2. شكر الله على نعمه الظاهرة - الليل والنهار من أعظم النعم.

3. استغلال الليل والنهار - الليل للراحة والعبادة، والنهار للعمل والسعي.

4. تعليم الأبناء التفكير - دربهم على طرح الأسئلة الافتراضية.

ما نتعلمه

. النعمة لا تعرف إلا بفقدانها - تخيل فقدتها لتشكر عليها.

. التوازن سنة إلهية - في الكون وفي الحياة.

. العمل والراحة كلاهما عبادة - إذا صلحت النية.

. الشكر طريق زيادة النعم - "لئن شكرتم لأزيدنكم".

كيف نطبقها

. عند غروب الشمس - تذكر نعمة الليل للسكون، واحمد الله.

. عند شروق الشمس - تذكر نعمة النهار لابتغاء الفضل، واشكر الله.

. عند الأرق - تذكر نعمة النوم، وقدرها.

. عند الكسل - تذكر نعمة النهار للعمل، فأنشط.

. مع الأبناء - اسألهم: ماذا لو كان النهار دائماً؟ ماذا لو كان الليل دائماً؟ ودربهم على التفكير.

الموضوع السادس: الأسلوب التربوي في الآيات.

الأسلوب التربوي الأول: أسلوب السيناريو الافتراضي

الآيات تقدم سيناريوهين) ليل سرمد، نهار سرمد. (هذا الأسلوب:

. ينشط الخيال - العقل يعمل بقوة عندما يواجه سيناريو غير عادي.

. يكسر الروتين الفكري - يخرج من منطقة الأمان الفكري.

. يوصل إلى الحقيقة بالطريقة العكسية - بفقدان النعمة تعرف قيمتها.

التطبيق التربوي: درب أبناءك على أسئلة "ماذا لو" في كل مجال. ماذا لو انقطعت الكهرباء أبداً؟ ماذا لو اختفت المياه؟ هذا ينمي التفكير الاستباقي والتخطيط.

الأسلوب التربوي الثاني: أسلوب الاستفهام البيداغوجي

الآيات لم تقدم إجابات جاهزة، بل طرحت أسئلة "أرايتم"، "أفلا تسمعون"، "أفلا تبصرون". هذا الأسلوب:

- يجعل المتعلم مشاركاً - ليس متلقياً سلبياً.
- يحترم العقل - يترك له مساحة للتفكير.
- يولد القناعة الذاتية - عندما يصل إلى الجواب بنفسه.

التطبيق التربوي: بدلاً من إعطاء الأبناء حلولاً جاهزة، أسألهم أسئلة تدفعهم للتفكير. "ماذا تعتقد؟ لماذا حدث ذلك؟ كيف يمكن حله؟"

الأسلوب التربوي الثالث: أسلوب ربط الحواس بالتفكير

"تسمعون" (ليل)، "تبصرون" (لنهار). (يربط بين الحاسة المناسبة والتفكير المناسب. هذا الأسلوب:

- يستخدم الحواس كمداخل للعقل - التعلم متعدد الحواس أقوى.
- يعلم أن كل حاسة لها مجالها - لا تطلب من العين ما تطلبه من الأذن.

التطبيق التربوي: في التعليم، استخدم أكثر من حاسة. اشرح بالكلام، واعرض بالصورة، ودع المتعلم يلمس ويجرب.

الأسلوب التربوي الرابع: أسلوب التكرار مع التغير

كرر الآية مرتين (ليل/نهار) (لكن بتغير في اللفظ) ضياء/سكون (وفي الحاسة) سمع/بصر. (هذا الأسلوب:

- يثبت المعلومة بالتكرار - التكرار ضروري في التربية.
- يمنع الملل بالتنوع - التكرار الممل يقتل التعلم.

التطبيق التربوي: كرر القيم المهمة لكن بأمثلة وقصص مختلفة. لا تكرر نفس المعلومة بنفس الطريقة.

الأسلوب التربوي الخامس: أسلوب الانتقال من الشرط إلى النتيجة

"إن جعل... من إله..." - بناء منطقي: إذا تحقق الشرط، فالنتيجة كذا. هذا الأسلوب:

- يعلم التفكير السببي - الأسباب والمسببات.
- يبني مهارة الاستدلال - من المقدمات إلى النتائج.

التطبيق التربوي: علم الأبناء بناء الجمل الشرطية في التفكير. "إذا فعلت كذا، فسيحدث كذا". هذا ينمي التفكير المنطقي.

الأسلوب التربوي السادس: أسلوب ربط النعمة بالرحمة

"ومن رحمته جعل لكم" - يربط الظاهرة الطبيعية بصفة إلهية (الرحمة). (هذا الأسلوب:

- يعطي بعداً روحانياً للمادة - لا يدرس الكون كآلة جامدة.
 - يولد الحب لله - عندما ترى رحمته في كل شيء حولك.
- التطبيق التربوي: في تدريس العلوم، اربط الظواهر بآيات القرآن وبصفات الله. هذا يبني شخصية متكاملة لا منفصلة.

الأسلوب التربوي السابع: أسلوب تحديد الغاية

"لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" - يحدد الغايات من الظواهر. هذا الأسلوب:

- يعلم أن لكل شيء هدفاً - لا عبث في الكون.
 - يحول المعرفة إلى سلوك - تعرف الغاية فتعمل بها.
- التطبيق التربوي: عند تعليم أي شيء، اذكر الهدف منه. لماذا نتعلم هذا؟ لماذا نفعله؟ هذا يزيد الدافعية.

الأسلوب التربوي الثامن: أسلوب ختم الآية بالشكر
"ولعلكم تشكرون" - الغاية النهائية هي الشكر. هذا الأسلوب:
· يحول التفكير إلى عبادة - لا تفكر عبثاً، بل ليؤدي إلى الشكر.
· يغلق الحلقة التربوية - بدأ بتفكير، وأنهى بعمل (الشكر).
التطبيق التربوي: كل درس تربوي يجب أن ينتهي بخطوة عملية. لا تترك المتعلم في منطقة المعرفة فقط، بل ادفعه للعمل.

خلاصة الأسلوب التربوي في الآيات
الأسلوب التربوي تجلياته في الآيات
السيناريو الافتراضي "إن جعل الله عليكم الليل سرمداً"
الاستفهام البيداغوجي "أرايتم، أفلا تسمعون، أفلا تبصرون"
ربط الحواس بالتفكير السمع للبصيرة، البصر للنهار
التكرار مع التغير آيتان متماثلتان مع اختلاف
الانتقال من الشرط إلى النتيجة "إن جعل... من إله..."
ربط النعمة بالرحمة "ومن رحمته جعل لكم"
تحديد الغاية "لتسكنوا، لتبتغوا، لعلكم تشكرون"
ختم الآية بالشكر "ولعلكم تشكرون"
هذه الأساليب مجتمعة تجعل الآيات 71 - 73 نموذجاً متكاملًا للتربية القرآنية القائمة على تنشيط العقل، وتحفيز التفكير، وربط المعرفة بالعبادة، وتوجيه السلوك إلى الشكر.
الخاتمة: وقفة مع النفس
أخي الحبيب، أختي الحبيبة،
ها أنت تعيش الآن في هذا اليوم. الليل يغشاك ثم ينجلي، والنهار يشرق ثم يغرب. هل تذكرت اليوم أن هذه من رحمة الله؟ هل تفكرت: ماذا لو أن الليل دائم؟ أو النهار دائم؟

خذ نفساً عميقاً، وانظر حولك:
· انظر إلى الظلام - لو بقي إلى الأبد، لضعت.
· انظر إلى الضوء - لو بقي إلى الأبد، لهلك.
· انظر إلى نومك - نعمة تنسى حتى تمرض.
· انظر إلى عملك - نعمة تنسى حتى تعطل.
ثم انظر إلى السماء وقل: الحمد لله الذي جعل الليل والنهار آيتين، ولم يجعلهما سرمدين. الحمد لله الذي جعل الليل سكناً والنهار نشراً. الحمد لله على نعمة التوازن، نعمة الحياة، نعمة الإيمان.
واسأل نفسك: هل أنا من الذين يتفكرون؟ أم من الذين قال الله عنهم: "وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ" (يوسف: 105) ؟

المبحث السابع

تقف الآية 74 من سورة القصص كمنازة تهز الوجدان، لتوقظ الغافل وتثبت المؤمن، وهي قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}.
إليك هذا الإبحار في أعماقها، لنجيب على تساؤلاتك بروحانية وفكر متزن:
أولاً: أسرار البيان والنداء (دلالات الاستفهام والتكرار)
1. تكرار النداء بين الآية 65 والآية 74:

قد تتساءل: لماذا أعاد الله ذكر هذا المشهد؟ في الآية 65 كان السياق يتحدث عن موقفهم من الرسل (ماذا أجبتهم المرسلين)، أما في الآية 74 فالسياق يتحدث عن جوهر العقيدة وفساد المنهج (أين شركائي).

* التكرار هنا ليس مجرد إعادة، بل هو إحاطة: الله يحاصر منطقهم الباطل من كل جهة. المرة الأولى للتوبيخ على "سوء الأدب مع الرسل"، والثانية للتوبيخ على "فساد القصد والتعلق بغير الله". إنه تكرار يورث في القلب "الهيبة"، ويؤكد أن هذا اليوم حق لا مفر منه.

2. دلالة الاستفهام (أين شركائي؟):
هذا استفهام "تقريعي" و"تعجيزي". الله لا يسأل ليعلم، بل يسأل ليفضح عجز هذه الأصنام والأنداد. تخيل المشهد: صمت رهيب، والكل واقف، ويأتي السؤال الذي يزلزل الكيان... أين الذين كنتم تظنون أنهم سينفَعونكم؟

3. الفرق بين نداء الرحمة ونداء التوبيخ:

* نداء المؤمنين: هو نداء القرب، نداء "يا عبادي"، فيه مسحة من الحنان والأمان، كأن الله يضمهم إلى كنف بره.

* نداء المشركين (في الآية): هو نداء من "بعد" إهانة لهم، نداء ينزع منهم كل قيمة. هو نداء "الحساب" الذي يقطر منه الهوان، حيث يُخاطبون بما كانوا يدعون، ليُفْضَح ادعائهم.

4. المشهد الذي تصوره الآية:

تصور الآية مشهد "الإفلاس العظيم". إنسان وقف أمام الحقيقة المطلقة، وقد انقطعت به الأسباب، وتلاشت الأوهام التي كان يستند إليها في الدنيا (مال، جاه، رؤساء، أصنام). هو مشهد "العري النفسي" و الضياع التام.

ثانياً: حقيقة "الشركاء" والزعم الباطل

1. المقصود بالشركاء:

ليسوا فقط أصناماً من حجر، بل هم كل ما "اشترك" في قلبك مع الله؛ خوفك من مديرك أكثر من خوفك من الله، اعتمادك على ذكائك وتجاهلك لفضل الله، تعظيمك للقوانين البشرية فوق شرع الله. كل هؤلاء هم "الشركاء" الذين سيُسأل المرء عنهم.

2. لماذا وصفه بـ "الزعم":

كلمة "تزعمون" تمحو في لحظة واحدة كل عظمة كانت لتلك الأنداد. الزعم هو القول الذي لا حقيقة له.

* كيف يمحو العظمة؟ عندما يصف الله تعلقهم بغيره بأنه "زعم"، فإنه يقول لهم: "كل تضحياتكم، وبذلكم، وتعظيمكم لتلك القوى في الدنيا كان سراباً". هذا الوصف يحول الجبال التي كانوا يستندون إليها إلى "هباء منثور".

ثالثاً: العيش بقلب معلق بالله (التوازن بين الأسباب والمسبب)

تعلمنا الآية أن نكون "موحدين في القصد، فاعلين في السبب".

* القلب المتبئل: الآية تدعوك لتفريغ قلبك من "تأليه" السبب. ابن حياتك، واعمل، واجتهد، لكن بقلب يهمس دائماً: "يا رب، هذه الأسباب بيدك، إن أذنت نفعت وإن لم تأذن لم تضر".

* مفهوم الاتزان: الشخص المتزن هو الذي يجمع بين "جوارح تعمل" و"قلب يتوكل". هو لا يترك العمل (لأن الله أمره به)، لكنه لا ينهار إذا فشل السبب (لأنه معلق بمسبب الأسباب).

رابعاً: المفاهيم النفسية والتربوية والتحرر من الخوف

* التحرر من الخوف: عندما تدرك أن كل من تخشاهم هم "زعم" لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، يسقط صنم "الخوف من الخلق" من قلبك. تصبح حراً، لا يقيّدك إلا مرضاة الله.

* بناء التوازن النفسي: القلق النفسي منشؤه "تعدد الآلهة" في حياة الإنسان (إرضاء الناس، السعي وراء المادة، الخوف من المستقبل). الآية توحد جهة "القصد"، فإذا توحد القصد استقر النفس.

* المفهوم التربوي: تربي الآية فينا "عزة النفس". المؤمن لا ينحني لغير الله، لأن كل انحناء لغيره هو انحناء لـ "زعم" باطل سيفضحه الله يوم القيامة.

خامساً: رسائل وتوجيهات ربانية لكل مسلم

* رسالة اليقظة: يا عبدي، لا تجعل في قلبك "مقدساً" سوى الله. كل ما تراه اليوم عظيماً في الدنيا سيتصاغر ويختفي غداً، فاجعل تعلقك بالحي الذي لا يموت.

* رسالة المراجعة: راجع "قائمة شركائك" الآن قبل أن تسأل عنها غداً. هل تعتمد على مالك؟ على منصبك؟ على قبيلتك؟ استبدلها فوراً بـ "حسبي الله ونعم الوكيل".

* رسالة الأمل: إذا كان الله هو المنادي، فكُن ممن يستحق "نداء الكرامة" لا "نداء التوبيخ"، وذلك بإخلاص العمل والقلب له وحده.

أخي المسلم..

تخيل نفسك الآن في ذلك الموقف، النداء يملأ الأركان، والخلائق صامتة.. فماذا أعددت لذلك السؤال؟ اجعل من هذه الآية بوصلة لقلبك، تحررك من قيود التعلق الخاطئ، وتملأ روحك بالطمأنينة، لتعيش ملكاً في الدنيا بعبوديتك لله وحده، وملكاً في الآخرة بجواره سبحانه.

إليك استكمال هذا الإبحار الوجداني في أعماق الآية (74) من سورة القصص، لنصل إلى ذروة المعنى الذي يبني الإنسان من داخله ويجعله يتفاعل مع ربه بقلب حاضر:

سادساً: التحول من "تبه الأسباب" إلى "يقين المسبب" (التطبيق العملي)

كيف تتحول من خلال هذه الآية إلى شخصية متزنة؟ السر يكمن في "فك الارتباط النفسي" بالنتائج. * في عملك: عندما تبذل قصارى جهدك ثم توضع العراقيل في طريقك، تذكر "أين شركائي". إذا كان قلبك معلقاً بالمدير أو الواسطة، ستنهار نفسياً. أما إذا كان معلقاً بالمسبب، فستقول: "لقد فعلت ما

أمرتني به من الأسباب، والأمر الآن لك". هذا هو اليقين والحق الذي يمنع الانكسار أمام تقلبات الحياة.

* في أزماتك: الآية تنادي فيك: "لا تطلب الغوث من سراب". الشخص المتزن لا ينكر الأسباب (الدواء، المال، السعي)، لكنه يراها أدوات لا أرباباً. هذا الفهم يفرغ النفس من "القلق الوجودي" ويملؤها بـ السكينة.

سابعاً: دور الآية في تحرير الإنسان من "التعلق الخاطئ"

التعلق بغير الله هو "عبودية مغلفة". فالتعلق الزائد بالأشخاص أو المظاهر يجعلك رهينة لرضاهم أو بقائهم.

* التحرر الفكري: الآية تكسر الأصنام الذهنية. تحررك من فكرة أن "فلاناً" هو من يملك رزقك، أو أن "الشهادة الفلانية" هي وحدها سر نجاحك.

* بناء الهوية: الآية تبني هويتك كـ "عبد لله" فقط. والعبودية لله هي "قمة الحرية"، لأنك بها تتحرر

من مليارات "الشركاء والمزاعم" التي تستنزف طاقة البشر اليوم.

ثامناً: الدروس والرسائل الربانية) نداء لك أنت)

تخيل أن الله يخاطب وجدانك الآن بهذه الرسائل:

* رسالة "الحقيقة العارية": كل ما تراه الآن من بهرج وقوة هو "زعم" مؤقت. الحقيقة الوحيدة المستمرة هي علاقتك بالمنادي سبحانه. فاجعل هذه العلاقة هي الأقوى في حياتك.

* توجيه "الاستغناء بالله": عش في الدنيا وكأنك ترى مشهد الحساب. إذا عرضت عليك معصية من أجل "شريك" (مصلحة أو شخص)، أسأل نفسك: هل سيقف معي هذا الشريك عندما ينادي الله "أين شركائي"؟

* رسالة "الفرار إلى الله": الآية تدفعك للهرب من الخلق إلى الخالق. "ففروا إلى الله". الفرار إليه هو أمان الوحيد من خيبة الأمل في الأسباب الموهومة.

خلاصة المشهد الوجداني:

الآية (74) ليست مجرد إخبار عن غيب، بل هي عملية جراحية للقلب؛ تستأصل منه أورام التعلق بغير الله، وتزرع فيه نبض اليقين. هي دعوة لتكون إنساناً "ربانياً"؛ يقدر الله في باطنه، ويعمر الأرض بظاهره، لا يضره من ضل إذا اهتدى، ولا يهزه من تكبر إذا عرف كبرياء ربه.

يا من تقرأ هذه الآية بقلبك:

اجعل منها حارساً لبيتك، ومنظفاً لخفايا صدرك. كن مع الله بصدق، ولن يتركك وحيداً في ذلك اليوم الذي تضل فيه الأوهام وتتلاشى فيه المزاعم، ويبقى فقط "وجه ربك ذو الجلال والإكرام". بهذا الفهم، تصبح أنت المشارك والمفاعل، لا مجرد قارئ، بل "حي" بالقرآن، مستعداً للقاء الله بقلب سليم، مبرأ من كل زعم باطل.

ننتقل الآن إلى المحطة التالية في هذا المشهد المهيّب، حيث تتصاعد الأحداث في الآية 75 من سورة القصص: {وَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.}

إليك هذا التحليل الذي يخاطب وجدانك وعقلك، ليكمل صورة "اليوم الحق" في ذهنك:

أولاً: أسرار البيان ودلالة "النزع" والشهادة

1. دلالة "ونزعنا":

تأمل كلمة "نزعنا"؛ النزع في اللغة هو جذب الشيء بقوة وصعوبة. هذا يوحي بأن المشهد ليس مجرد حضور، بل هو استخلاص دقيق. الله ينتزع "الشهيد" وهو النبي أو الرسول أو الحجة (من وسط الأمة ليوقف في مواجعتها).

* الرسالة الوجدانية: النزع هنا يشير إلى "التمييز"؛ حيث يفصل بين الحق وأهله، والباطل وحزبه، فلا مجال للمدارة أو الاختباء في الزحام.

2. من هو "الشهيد"؟

هو الرسول الذي بلغهم، أو القدوة الذي أقام الحجة عليهم. وجود الشهيد في هذا المقام هو قمة "العدل الإلهي" وقمة "التوبيخ" أيضاً. فكأن الله يقول للمكذب: "هذا الذي كان بينكم، من جنسكم، يدعوكم ليل نهار.. ها هو يقف الآن ليشهد على عنادكم".

3. التحدي الإلهي) هاتوا برهانكم):

بعد أن سألهم في الآية السابقة "أين شركائي"، ينتقل هنا من سؤال "الآين" إلى سؤال "الكيف" و المنطق: "أحضروا أدلتكم، هاتوا حجتكم التي جعلتكم تشركون بالله". هو سؤال يطبق على الأنفاس، لأن الباطل لا برهان له أصلاً.

ثانياً: لحظة الحقيقة) فعلموا أن الحق لله)

1. حقيقة العلم الاضطراري:

في الدنيا، قد يجادل الإنسان ويغالط نفسه، لكن في هذه اللحظة يتحول الظن والوهم إلى "علم يقيني". كلمة {فَعَلِمُوا} تدل على وقوع الحقيقة في قلوبهم وقوعاً لا يمكن دفعه.

* كيف يمحو هذا الوصف عظمة الدنيا؟ عندما يكشف المرء أن كل "الحقائق" التي كان يقدرها (القوة، المال، الجاه) كانت سراباً، وأن "الحق" الوحيد والصمدي هو الله، تسقط كل الأصنام النفسية التي بناها طوال حياته.

2. "وضلّ عنهم ما كانوا يفترون":

"ضلّ" أي ضاع وغاب. تخيل شخصاً يغرق ويبعث عن طوق نجاة كان يظن أنه معه، فإذا به يكتشف أنه قبض الريح. هذا هو حال المشرك مع أوهامه؛ تتركه في أصعب لحظة، وتتخلى عنه الأكاذيب التي اختلقها.

ثالثاً: المفاهيم النفسية والتربوية) بناء التوازن النفسي)

1. التحرر من "عقيلة القطيع":

الآية تقول لك: "ونزعنا من كل أمة شهيداً". هذا يعني أنك ستحاسب وحدك، ولن ينفعك الانتماء لـ "أمة" أو "جماعة" ضالة. هذا يحرر الإنسان من الخوف من مخالفة الناس في الحق، ويبني في النفس الاستقلال القلبي المعلق بالله وحده.

2. تحويل الصراع الداخلي إلى يقين:

أغلب القلق النفسي يأتي من "الافتراء" الأوهام التي نقنع بها أنفسنا. (الآية تدعوك لتصفية "افتراءاتك" الآن. اسأل نفسك: "هل ما أستند إليه اليوم هو حق حقيقي أم افتراء سيضل عني غدا؟". هذا السؤال يبني شخصية مستقيمة ومتزنة، لا تعيش في الأوهام.

رابعا: كيف نعيش بالآية) العمل بالأسباب والتوكل على المسبب)
تعلمنا الآية أن "البرهان" هو العملة الوحيدة المقبولة عند الله.

* العمل للدنيا: اعمل وابن ونجح، ولكن اجعل عملك قائما على "برهان" من الحق. لا تغش، لا تظلم، لا تتبع هوى النفس؛ لأن كل عمل بلا برهان حق هو "افتراء" سيتلاشى.

* اليقين والحق: عندما تمتزج هذه المعاني بقلبك، ستجد نفسك تعمل بجد) كسب (ولكن عينك على "الشهيد" الذي سيشهد عليك، وعلى "الحق" الذي يملكه الله. هذا يجعلك شخصا لا يبيع دينه بعرض من الدنيا، ممثلا بالسكينة.

خامسا: الرسائل والتوجيهات الربانية لكل مسلم

* رسالة "الاستعداد للشهادة": تذكر أن هناك "شهيدا" يراقب عملك (الرسول بسنته، والملائكة، وحتى جوارحك). (اجعل مشهد الشهادة هذا دافعا للإحسان لا للخوف المظلم).

* رسالة "تصفية العلاقات": كل ما يفتعل في قلبك من تعلقات خاطئة) خوف من فقر، طمع في بشر (هو "افتراء" سيضل عنك. طهر قلبك منها الآن لتسكن في "جوار الله" في الدنيا قبل الآخرة.

* رسالة "التوازن": الشخص الذي يفهم أن "الحق لله" لا ينكسر لفقد ولا يطفئ لموجد. هو متزن، لأن بوصلته ثابتة نحو المال النهائي.

أخي المسلم..

هذه الآية ليست مجرد وصف ليوم القيامة، إنها دستور حياة. هي تناديك: "لا تكن مع الضائعين الذين ستضل عنهم أو هامهم، بل كن مع أهل البرهان، الذين استمسكوا بالحق، فعاشوا في الدنيا مطمئنين، ووقفوا في الآخرة شامخين".

تخيل لو أنك اليوم تملك "برهانا" من الصدق والإخلاص، كيف سيكون شعورك حين يقال "هاتوا برهانكم؟" عندها فقط ستشعر أنك في كنف الله، بعيدا عن زيف الزاعمين.

المبحث الثامن

نستكمل هذا الإبحار الوجداني في الشطر الأخير من المشهد الذي ترسمه الآية (75)، لنستخرج منها "إكسير الحياة" الذي يحيي القلوب ويحرر العقول:

سادسا: التحليل الوجداني لقوله (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ)
هذا ليس علما نظريا، بل هو "لحظة الانكشاف العظيم".

* هدم الكبرياء الزائف: في الدنيا، يظن الإنسان أنه يملك حقا في رزقه، أو حقا في سلطانه، أو حقا في معاندة القدر. لكن في هذه اللحظة، يسقط حرف "اللام" من كل يد، فلا يبقى ملك ولا ملك إلا لله.

* السكينة في التسليم: حين تشعر في حياتك اليومية أن "الحق لله"، فإنك تستريح من عناء الخصومة مع الخلق. إذا ظلمت، تعلم أن الحق لله وسيعود؛ وإذا تعسرت أمورك، تعلم أن الحق في التصريف لله وحده. هذا اليقين يحولك إلى شخص ممتلئ بالحق، لا تذله حاجة ولا يطغيه استغناء.

سابعا: أثر "وضلال المفريات" على البناء النفسي (التحرر من الزيف)

تأمل قوله: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}. الضلال هنا يعني الضياع المطلق في وقت الاحتياج المطلق.

* تحرير الوعي: الآية تشترط وعيك بضرورة التمييز بين "الحقيقة" و"الأمية". الكثير منا يعيش بأمال كاذبة (سأنجو بمالي، سأنجو بفلان). هذه الآية تعمل كـ "مشرط جراح" لتخليصك من هذه "المفتريات" النفسية قبل أن تضل عنك هناك.

* بناء الصدق الداخلي: عندما تدرك أن كل ما تفتريه على نفسك من مبررات للخطأ سيغيب عنك، تبدأ في بناء "شخصية متصالحة مع الحقيقة". الشخص المتزن هو الذي لا يكذب على نفسه، لأنه يعلم أن كذبه سيتركه وحيدا أمام الحقيقة الإلهية.

ثامنا: كيف نتحول إلى "أشخاص ربانيين" (المفاهيم التربوية والعملية)
الآية (75) هي دعوة لصناعة "الإنسان الشاهد":

* كن شهيدا على نفسك: قبل أن يُنزع الشهيد من أمتك، كن أنت الشهيد على جوارحك وقلبك. راقب خواطرك: هل هي لله أم لـ. "افتراء" زائل؟

* التوازن بين الأسباب والمسبب: الآية لا تدعوك لتترك الدنيا، بل لتترك "افتراءات الدنيا". العمل سبب، والذكاء سبب، والمال سبب، لكن الحق هو الله. المتزن هو من يمسك السبب بيده (ليعمر الأَرْض) ويحمل اليقين بقلبه (ليتصل بالسماء).

* الخروج من سجن "التعلق الخاطئ": عندما تشعر بضيق أو خوف، تذكر أن كل ما تخشاه هو "مفتري" سيضل ويغيب. هذا المعنى يبني فيك قوة نفسية هائلة تجعلك تواجه جبال الصعاب بقلب راسخ كالجبل، طامعا فقط في "جوار الله".

تاسعا: الرسالة الربانية الأخيرة (العيش في كنف الله)

يا من تشعر بالوحشة أو الغربة في تمسكك بالحق.. تخيل نداء الله لك يوم القيامة ليس نداء

توبيخ، بل نداء إكرام لأنك كنت مع "الشهيد" في الدنيا، ولم تتبع "المفتريات".
* التوجيه العملي: اجعل برهانك جاهزاً في كل لحظة. برهان الصدق، برهان الإخلاص، برهان الخدمة لخلق الله ابتغاء وجهه.

* اليقين: عندما تعيش بهذا المفهوم، يتحول القلق من المستقبل إلى "شوق للقاء صاحب الحق".
خاتمة المشهد:

الآية (74) نزع الأوهام (أين شركائي)، والآية (75) أثبتت الحقيقة (الحق لله). بينهما، يُبنى الإنسان المؤمن كبناء مرصوص؛ لا تهزه ريح، ولا تغريه لمعة سراب، يعيش في الدنيا بجسده، لكن قلبه هناك.. عند من له الحق وحده.

اجعل هذا المشهد يمر أمام عينيك في كل قرار تتخذه، لتكون من الذين قال الله فيهم: {فَتَبَّتَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}.

المقطع الأخير من سورة القصص

القسم الأول

المبحث الأول

تفسير الآية 76 من سورة القصص: رحلة في أعماق النفس البشرية

مقدمة: لماذا هذه الآية؟

تخيل معي أنك تقف أمام كنز لا تحصي مفاتيحه، يعجز عن حملها أقوياء الرجال. ثم فجأة، يتحول هذا الكنز إلى لعنة تصيب صاحبه بالعمى والبغى، ليُخسف الله به الأرض. هذه ليست حكاية خيالية، بل قصة قارون التي يرويها القرآن لتعلمنا درساً خالداً عن أخطر أمراض النفس البشرية: الاغترار بالمال والقوة.

أهداف الآية ومقاصدها

تأتي هذه الآية لتحقيق أهدافاً عظيمة:

- تصحيح البوصلة: إعادة تعريف القيمة الحقيقية للإنسان بعيداً عن المال والمنصب
- كشف الوهم: فضح فكرة أن الثراء دليل على رضا الله أو الفضل
- بناء المناعة: تحصين النفس ضد سموم الغنى والسلطان
- تأسيس العدل: إرساء مبدأ المسؤولية المجتمعية تجاه النعم
- ***الأمر الأول: "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى"

دلالة افتتاح القصة بهذا الأسلوب

انتهه جيداً! لو قال الله "إن قارون كان غنياً" أو "إن قارون كان ملكاً"، لفاتك السر العظيم. لكنه قال "من قوم موسى"! إنها صاعقة في وجه كل من يظن أن الانتساب إلى الصالحين يحميه من الضلال. تخيل أن تكون من أتباع أعظم نبي، وتشرب من معين رسالته، ثم تنقلب على كل شيء! هذا الأسلوب يضرب أروع مثال على أن الهداية ليست ميراثاً، وأن النسب الحقيقي هو نسب الإيمان والعمل الصالح.

من هو قارون؟

قارون هو ابن عم موسى عليه السلام، من بني إسرائيل، أوتي من المال ما جعله أسطورة في عصره. لكنه أصبح أيقونة القرآن للطغيان بالمال.

اللمسات البيانية والبلاغية

تأمل معي: قال "كان من قوم موسى" ولم يقل "من بني إسرائيل" فقط. إنها إشارة إلى أن قارون عاصر النبوة ورأى المعجزات، وكان في بيئة إيمانية صالحة. هذا يزيد الطين بلة! فكلما كان المنبت صالحاً، كان الانحراف أشنع وأعظم جرمًا.

لماذا ذكر الله أنه من قوم موسى؟

هنا تكمن المفارقة العظمى: قارون من قوم موسى لكنه بغى عليهم! إنها تذكير أبدي بأن:

- القرب من الأنبياء لا يكفي إذا خلت القلوب من التقوى
- الفضل في الدين لا يمنع الطغيان عندما تستبد بالمرء شهوة المال
- النسب الحقيقي ليس دماً ولا قرابة، بل إيماناً وقلباً سليماً

المفهوم العميق: قرابة الإيمان مقابل الانتماء الظاهري

تأمل هذا المشهد: أخوان في النسب، أحدهما نبي والآخر طاغية! إنها رسالة أن الرحم الحقيقي هو رحم العقيدة. كم من أناس يفخرون بانتمائهم إلى بيئات صالحة، بينما هم أبعد الناس عنها روحاً وسلوكاً!

لماذا التركيز على كونه من قوم موسى؟

لأنه دليل قاطع أن البغي لا يختص بالكفار. المسلم قد يطغى إذا استحوذ عليه المال وختل نفسه من التقوى. إنها ضربة موجعة لكل من يظن أن مجرد الانتماء إلى الإسلام كافٍ للنجاة.

الرسائل النفسية والتربوية من هذه العبارة

- لا ترهن نفسك بماضيك: ماضيك الصالح لا يؤمن مستقبلك إذا فرطت في الحاضر
- الخطر الأكبر يأتي من الداخل: قارون كان أخطر على قوم موسى من فرعون
- التقوى هي الحارس الأمين: بدونها، أي فضل ديني يتحول إلى سلاح ضد صاحبه
- **الأمر الثاني: "فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ"

ماذا تعني "بغى"؟

البغي ليس مجرد ظلم، إنه طغيان متجاوز كل الحدود. إنه عندما يتحول الإنسان من مخلوق ضعيف إلى إله صغير يتجبر على عباد الله. البغي هو أن تنسى أنك كنت لا شيء فجعل الله لك كل شيء، ثم تتصرف كأنك خالق هذا كله!

دلالة البغي وخطورته

البغي أخطر من الكفر في بعض مظاهره، لأنه يفسد الأرض ويفسد العباد. قارون لم يكتف بالبعد عن الله، بل تعدى إلى البغي على عباد الله. وهذه هي القاعدة الذهبية: من بغى على الناس، فقد أعلن الحرب على الله.

اللمسات البيانية

تأمل كيف جاء الفعل "بغى" مطلقاً غير مقيد؟ لم يقل "بغى في المال" أو "بغى في السلطة"، بل بغى عليهم في كل شيء: في الدماء، في الأعراض، في الأموال، في الكرامات. إنه طوفان من الظلم لا يحيط به حصر.

كيف يكون المال سبباً في البغي؟

المال ليس شراً في ذاته، لكنه كالنار إن أحسن استخدامها أنارت، وإن أساءت أحرقت. قارون نظر إلى المال على أنه ثمرة علمه وذكائه، فقال "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي" (القصص: 78). هذا هو السر: عندما تنسب النعمة لنفسك، تبدأ رحلة البغي.

هل البغي فقط بأخذ الحقوق؟

لا، البغي أوسع من ذلك بكثير. إنه:

- استغلال المال للتكبر على الضعفاء
- تحريف الحقائق لتبرير الظلم
- نسبة النعم للذات لا للمنعم الحقيقي
- التنكيل بمن يخالفك بحجة أنك الأقوى
- حرمان الناس من حقوقهم معنوياً قبل مادياً

ما هو البغي الحقيقي؟

البغي الحقيقي هو أن تسلب الله حقه من قلبك، ثم تسلب الناس حقوقهم بيدك. إنه عندما تتحول النعمة إلى نقمة، والغنى إلى فقر روحي، والقوة إلى ضعف أخلاقي.

***الأمر الثالث: "وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ"

معنى الآية ودلالاتها

تأمل هذا المشعر البليغ: "أَتَيْنَاهُ" وليس "امتلك" أو "جمع". إنها تذكير بأن كل شيء من عند الله. ثم يصف الكنوز بأن مفاتيحها ثقيلة على الجماعة القوية. تخيل! المفاتيح وحدها يعجز عن حملها إلا أقوى الرجال، فكيف بالكنوز نفسها؟

اللمسات البيانية والبلاغية

هنا إعجاز بياني لا يُمل:

1. تقديم وصف المفاتيح على ذكر الكنوز: لترسيخ عظم الأمر في النفس أولاً ٭
2. "لَتَنُوءَ" فعل يعبر عن المشقة والتعب والعناء
3. "العُصْبَةُ" الجماعة من عشرة إلى أربعين رجلاً ٭
4. "أولي القوة" تأكيد بعد تأكيد على أنهم أقوياء

دلالة وصف ثقل المفاتيح قبل الإشارة إلى الكنوز

إنها حكمة بالغة: لو أخبرك الله مباشرة بضخامة الكنز، ربما لم تستوعب. لكنه يقول لك: انظر إلى المفاتيح وحدها! إنها ثقيلة على جماعة من الأقوياء. هذا التصوير يجعل عقلك يرسم صورة هائلة للكنز، ثم يسأل نفسه: ما بال هذا الرجل الذي يملك كل هذا؟

كيف تربط بين حجم النعمة ومسؤولية حفظها؟

كلما كبرت النعمة، عظمت المسؤولية. قارون لم يُسأل عن امتلاكه للمال، بل عن استخدامه لهذا المال. إنها قاعدة ذهبية في الإسلام: لكل نعمة شكر، ولكل شكر اختبار، ولكل اختبار نجاة أو هلاك.

المبالغة في وصف الكنوز لتوضيح عظم الفتنة

هذا الأسلوب القرآني يضرب في أعماق النفس. عندما تعلم أن رجلاً ٭ أقوياء يعجزون عن حمل المفاتيح، تدرك أن المال هنا ليس مجرد نقود، بل فتنة عظيمة يمكن أن تقلب الموازين. قارون لم يملك مالا ٭، بل امتلك إغراءً وامتحاناً.

ثقل المفاتيح بالنسبة لقدرة البشر

إنها رسالة أن هناك أشياء في الحياة تفوق قدرة البشر على حملها، ليس جسدياً فقط، بل معنويًا. مفاتيح قارون ثقيلة، لكن الأثقل منها أمانة المال عندما يحملها من لا يستحقها.

الدرس التربوي في "آتَيْنَاهُ"

هذا الفعل يرسخ حقيقة أن المال لله، والإنسان مستخلف فيه. قارون نسي أنه مجرد خازن مؤقت، فتصرف كأنه المالك الأبدي. ونسي أن الله هو المعطي المانع، الرافع الخافض.

دلالة "العُصْبَةُ أُولِي الْقُوَّة"

تصوير بلاغي يصل إلى لب الموضوع: إذا كانت المفاتيح وحدها بهذا الثقل على أقوياء الرجال، فكيف بالكنوز؟ وكيف بمن يحملها في قلبه دون أن تنقلبه؟

الغرور والاعتزاز في حال القوة العسكرية والوفرة المالية

هنا نقطة التحول الخطيرة: الوفرة المالية والعسكرية تولد شعوراً زائفاً بالاستغناء. يقول الله في سورة العلق: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى". هذا هو السر: عندما يشبع الإنسان ماديًا، يبدأ بالتجرد روحيًا. الاستغناء المادي يقود إلى الطغيان، والطغيان يقود إلى الهلاك.

علاقة قصة قارون بقصة فرعون

عجبا! فرعون قال: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" وقارون قال: "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي". كلاهما جمع القوة و المال، وكلاهما أثر الاستكبار على الاستكانة، فكان المصير واحداً: فرعون غرق، وقارون خسف به الأرض. درس: القوة بلا إيمان مدمرة، والمال بلا تقوى هالك. ***الأمر الرابع: "إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ"

أهمية النصيحة والنهي عن المنكر

هذا مشهد بديع: قوم قارون، وهم ليسوا أنبياء، حاولوا إنقاذه من نفسه. لم يتركوه في غيه، بل نصحوه بلطف وحكمة. إنها دعوة صريحة إلى أن النصيحة واجبة، حتى مع من بلغ من الغنى ما بلغ.

ما المقصود بالفرح الذي نهى عنه قومه؟

ليس كل فرح مدموماً. فالفرح بنعمة الله مشروع، والسرور بعطائه مطلوب. لكن المحرم هو الفرح الذي يصحبه:

- البطر والأشر: أي التكبر على الناس
- النسيان للآخرة: أن تصبح النعمة حجاباً عن الله
- نسبة الفضل للنفس: أن تنسى أن كل شيء من الله
- الغفلة عن الشكر: أن تستغرق في النعمة وتنسى المنعم

الفرح المدموم هو الفرح الذي يخرج صاحبه عن حد الاتزان، فيجعله يظن أنه ملك الدنيا وما فيها، ثم ينسى أنه راحل عنها.

اهم المواضيع

1/الموضوع الأول: خطورة الاغترار بالقوة والإعجاب بالنفس والمال

دور المال في تعميق الأزمة

عندما يمتلك الإنسان المال والقوة، يقع في فخ خطر: يظن أن قدراته الشخصية هي سبب نجاحه. هذا الظلم يجعله يسيء التقدير تماماً، فلا يخطط للمستقبل، ولا يسمع للناصحين، ولا يرى العواقب.

التاريخ مليء بالأمثلة

تأمل قصة أبي جهل في غزوة بدر. كان في حالة نشوة وسكر بالقوة، فظن أن جيشه الذي يزيد على الألف لا يمكن أن يهزم أمام ثلاثمائة من المسلمين. نصحه أبو سفيان بالعودة، لكنه أصر على المواصله. النتيجة؟ قتله الله على يد غلامين صغيرين. هذا هو سكر القوة: أن ترى نفسك أكبر مما أنت، فلا ترى غيرك، ثم تتفاجأ بالهلاك.

الدروس المستفادة

- القوة تغري صاحبها بالاستعلاء، والاستعلاء يقود إلى الغفلة، والغفلة تؤدي إلى الهلاك
 - لا تظن أن ما معك من مال أو جاه يحميك من عذاب الله
 - الناصحون ليسوا أعداءك، هم مرأتك الحقيقية
- 2/الموضوع الثاني: أهمية ضبط الانفعالات

كيف يصيب الناس "نشوة" المنصب أو المال؟

إنها حالة نفسية خطيرة تشبه السكر تماماً. الإنسان الطبيعي يتحول فجأة إلى شخص آخر: صوته يعلو، كلامه يجف، نظراته تتغير، تعامله مع الناس يتحول. هذه هي نشوة القوة، وهي أخطر ما يمكن أن يصيب الإنسان.

الإسلام يربي المسلمين على ضبط هذه الآفة

لاحظ كيف قال الله: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْقَرْحِينَ" ولم يقل "لا يحب الأغنياء". لأن المشكلة ليست في المال، بل في الانفعال الخاطي تجاه المال. بعضهم تصيبه نشوة النصر، فيخرج عن طوره. وبعضهم تصيبه نشوة الفلاح، فينسى أصله. الإسلام يريد منا أن نبقي في حالة اتزان دائم، سواء أعطينا أم منعنا، أغنياء أم فقراء.

مفهوم "الفرح المدموم"

هو الفرح الذي يدفع صاحبه للغرور، فيجعله يظن أنه فوق الجميع. هذا الفرح يخرج الإنسان عن جادة الصواب، فلا ينظر للآخرين، ولا يستعمل النعمة في مكانها الصحيح، بل يستعملها في التعالي

والتباهي والتفاخر، حتى يتفاجأ بالهلاك فجأة.
3/الموضوع الثالث: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

استشعار خطر الاغترار

يجب أن يعيش المسلم في كل لحظة سؤالاً " واحداً: هل أنا أنسب نجاحي لله أم لنفسي؟ لو كنت تنسبه لنفسك، فقد وقعت في فتنة الاغترار. لأن التباهي وعدم الشكر هو اعتداء على سلطان الله.

اختبار النفس يومياً

اسأل نفسك بصدق:

- عندما يرزقك الله مالا ، هل تصاب بالكبر مثل قارون؟
- عندما يرزقك الله منصباً، هل تزداد تواضعاً أم تزداد غلظة؟
- عندما يرزقك الله صحة، هل تستخدمها في طاعته أم في معصيته؟

انظر في مفاتيح حياتك

وقتك، صحتك، مالك، علمك، أهلك... كل هذه مفاتيح كنوز بين يديك. السؤال: كيف تستخدمها؟

- هل تستخدمها في الإحسان كما أحسن الله إليك؟
- هل تساهم أموالك في خدمة المجتمع؟
- هل تعتبر بما حل بغيرك؟

ما تعلمنا إياه الآية من قيم ومبادئ

- القيم الحقيقية: هي قيم الإيمان والعمل الصالح والتقوى
- القيم الزائفة: هي قيم المال والجاه والقوة الظاهرية
- الدرس الأهم: لا تستعلي على الآخرين بحجة أنك أغنى أو أقوى

كيف ترد على من يفتخر بماله أو منصبه؟

بنفس أسلوب قوم قارون: "لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين". لا تتركه في غيه، ذكره بالله، ذكره بعاقبة المتكبرين، ذكره بقارون الذي خسف الله به الأرض.
4/الموضوع الرابع: أهم الدروس والتوجيهات من الآية

أولاً : التواضع ومساعدة الآخرين

المال الحقيقي هو ما ينفع الناس، لا ما يخزن في الصناديق. قارون بخل، فخسف الله به. ولو أنفق ، لشكره الله وزاده.

ثانياً: عظمة النعمة وفتنتها

الآية تصف الكنوز بأنها ثقيلة على الجماعة القوية. هذه إشارة إلى أن النعمة العظيمة تحمل فتنة عظيمة. قارون لم يعاقب على كثرة ماله، بل على سوء استخدامه: كفر بالمنعم، وتجبر على الناس.

ثالثاً: المال وسيلة وليس غاية

عندما يصبح المال هو الهدف، يتحول الإنسان إلى آلهة صغيرة تعبد نفسها. وعندما يصبح وسيلة، يصبح جنة في الدنيا والآخرة.

5/الموضوع الخامس: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

"إن الله لا يحب الفرحين" - هدف الحياة

هذه العبارة تغرس في النفوس أهمية السعي إلى محبة الله. اجعل هدفك في الحياة أن تكون ممن يحبهم الله، لا أن تكون ممن يملكون أكبر الأموال.

ضبط مشاعر الفرح

ليس معناه ألا نفرح أبداً، بل معناه ألا نسمح للفرح بأن يتحكم فينا. أن نبقي عقلاء حتى في لحظات الانتصار. هذه هي العظمة الحقيقية.

مفهوم الملكية: "آتِيْنَاهُ"

عندما تدرك أن كل شيء "أوتيهِ" وليس "امتلكته" بنفسك، تتغير نظرتك للحياة. أنت مجرد مستخلف ، والمستخلف مسؤول أمام من استخلفه.

التواضع أمام النعمة

كلما كثرت نعم الله عليك، كلما ازدادت تواضعاً. لأنك تعلم أنها ليست بجهدك، بل برحمة ربك.

التخلص من الطمع

قارون طمع في أن يخلد في ملكه، فخسر ملكه ودينياه وآخريته. الطمع يفقد الإنسان كل شيء.

الدروس العملية في حياتنا اليومية

- عندما تأتيك النعمة، قل: "آتَانِيَ اللهُ" وليس "أنا اجتهدت"
- عندما تشعر بالفرح، لا تدعه يخرجك عن حدودك
- عندما ترى من يفتخر بماله، ذكره بقارون
- لا تظن أن المال يحميك من عذاب الله

دور مفاهيم الآية في بناء الحضارة

المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:

- تسوده العدالة لأن الأغنياء لا يستعلون على الفقراء
 - ينمو فيه الاقتصاد لأن المال يتحرك لا يكتنز
 - تزدهر فيه العلاقات لأن المال لا يفسد القلوب
 - يبني على أساس متين لأن الجميع يعلم أنهم مستخلفون مؤقتون
- 6/الموضوع السادس: دور الآية في بناء التصور والذهن والعاطفة والنفس المتزنة

بناء التصور: نظرة المال والنعمة

الآية تغرس في الذهن أن الرزق من الله، وليس مجرد ذكاء أو قدرة شخصية. عندما تنسب النجاح لله، تبقى متواضعاً. وعندما تنسبه لنفسك، تبدأ رحلة السقوط.

خطورة الاغترار: القصة تحذر من عواقب الطغيان

قصة قارون تبني في الذهن تصوراً حذراً من عواقب الطغيان. كلما أردت أن تظلم، تذكر قارون. كلما أردت أن تتكبر، تذكر كيف خسف الله به.

بناء الذهن: التفكير في العواقب

الآية تجعلك تفكر: المال وسيلة لا غاية. وعندما تفكر بهذا الشكل، تتغير قراراتك: لا تستثمر في الحرام، لا تظلم أحداً لأجله، لا تجعله يفسد علاقاتك.

بناء العاطفة: النهي عن الفرح المبطر

المشاعر الوجدانية تحتاج إلى ضبط. الآية تعلمك الرضا والقناعة بدلاً من الفرح المبطر. أن تكون راضياً بما أعطاك الله، لا متباهياً به على الآخرين.

بناء النفس المتزنة: التواضع والاعتدال

السلوك النهائي هو التواضع والاعتدال والشكر والإنفاق. هذه هي الصفات التي تبني نفساً متزنة لا تعرف التطرف لا في الفرح ولا في الحزن.

الآية قاعدة ذهنية ذهبية

هذه الآية هي قاعدة ذهنية لمنع "سكر المال" وحماية النفس من الطغيان. احفظها في عقلك وقلبك، وستحميك من أكبر فتنة في الحياة.
7/الموضوع السابع: الآفاق التربوية والنفسية والفكرية

ترسم لنا الآية نموذجاً للنفسية المتغورة

الآية ترسم صورة مرعبة للإنسان الذي يغتر بماله:

- نفسياً: يعاني من اضطراب الشخصية النرجسية، يظن نفسه فوق الجميع
- سلوكياً: يتكبر، يظلم، يبخل، يرفض النصيحة
- فكرياً: يعتقد أن المال ثمرة علمه وجهده، وينسى فضل الله

التحذير من البطر

البطر هو كفران النعمة، وهو أخطر ما يمكن أن يصيب الإنسان. عندما تبطر، تنسى أنك كنت فقيراً، وتنسى أن المال أمانة، وتنسى أن الله قادر على أن يسلبك إياه في لحظة.

الكبر الناشئ عن النعمة الدينية

أخطر أنواع الكبر هو الذي ينشأ عن النعمة الدينية نفسها، عندما يظن الإنسان أن تقواه أو علمه أو نسبه إلى الصالحين يشفع له. قارون كان من قوم موسى، ومع ذلك خسف الله به. هذه رسالة أن لا أحد محصن، مهما بلغ منزله.

الأبعاد التربوية

- تربية النفس على المراقبة: أن تعلم أن الله يراك في كل لحظة
- تربية اللسان على الشكر: أن تقول "الحمد لله" عند كل نعمة
- تربية اليد على العطاء: أن تنفق مما رزقك الله
- تربية العين على الاعتبار: أن تنظر إلى من هو أقل منك

الأبعاد النفسية

- علاج مرض العُجب: العُجب أن تعجب بنفسك، ولهذا تبين الإيه أن ذلك هو بداية الهلاك فاحذر من هذا السلوك بشكر الله ونسبه النعم إلى الله
- علاج مرض الكبر: الكبر أن تظن أنك أفضل من غيرك فندعوا للتواضع مبينه ان النجاه انما تكون لمن لا يريدون علوا في الارض ولا فساد
- علاج مرض البخل: البخل أن تمنع الخير عن الناس ولهذا فإن الإيه تدعونا الى البذل والعطاء
- علاج مرض الطمع: الطمع أن تريد المزيد دائماً ولهذا تغرس في النفس القناعة بما عند الله

الأبعاد الفكرية

- تصحيح مفهوم النعمة: النعمة اختبار، لا تكريم
 - تصحيح مفهوم القوة: القوة الحقيقية في التقوى، لا في المال والجاه
 - تصحيح مفهوم النجاح: النجاح الحقيقي في رضا الله، لا في جمع المال
 - تصحيح مفهوم الملكية: أنت مستخلف، لا مالك حقيقي
- ***الدروس المستفادة والرسائل العملية

كيف نطبق الآية في حياتنا اليوم؟

1. عندما تأتيك نعمة: قل "اللهم بارك لي فيها ولا تبتليني بها"

2. عندما تشعر بالفرح: لا تدعه يخرجك عن حدودك، وتذكر أن الفرح المذموم هو الذي يجعلك تنسى الله
3. عندما ترى من هو أغنى منك: لا تحسده، وتذكر أن المال فتنة
4. عندما تنفق: تذكر أنك مستخلف، والله سيسألك عما استخلفك فيه
5. عندما تظلم: تذكر قارون، وتذكر أن الله يُملِي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

الخلاصة: رسالة الآية لك شخصياً

أنت أيها الإنسان... لست مالكا حقيقيا لأي شيء. ما معك من مال أو جاه أو صحة أو قوة، هو أمانة بين يديك. إن أحسنت استخدامها، شكرك الله وأثابك. وإن أسأت، خسف الله بك الأرض كما خسف بقارون.

لا تغتر بقوتك، فالله أقوى منك.
لا تغتر بمالك، فالله أغنى منك.
لا تغتر بعلمك، فالله أعلم منك.
لا تغتر بنسبك، فالله هو الذي رفعك.

وتذكر دائماً: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" ليس لأنهم فرحوا، بل لأن فرحهم أعماهم عن الله، وأعماهم عن الناس، وأعماهم عن أنفسهم.

فكن أنت مختلفاً. كن من الذين إذا أعطوا شكروا، وإذا منعوا صبروا، وإذا قدروا غفروا. كن من الذين يعيشون هذه الآية في كل لحظة من حياتهم، فتكون حياتهم جنة في الدنيا قبل الآخرة

المبحث الثاني.

تفسير الآية 77 من سورة القصص: ميثاق التوازن الرباني

مقدمة: لماذا هذه الآية بعد التي سبقتها؟

لقد سمعنا بالأمس نصيحة قوم قارون له: "لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين". لكن قارون لم يسمع . وهنا يأتي السؤال الأهم: ماذا كان يجب على قارون أن يفعل بدلا " من البغي والفرح المذموم؟

هذه الآية تحمل الإجابة .إنها الوصفة الربانية الكاملة لمن أوتي مالا " أو جاهاً أو قوة .لو اتبعها قارون، لكان من الفائزين .لكنه رفضها، فكان من الخاسرين .وهي اليوم أمامك لتقرر: أي الطريقين ستسلك؟

أهداف الآية ومقاصدها

هذه الآية ليست مجرد نصائح أخلاقية، بل ميثاق رباني متكامل يهدف إلى:

- بناء الإنسان المتوازن: الذي يعيش للآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا
 - تحويل المال من فتنة إلى نعمة: باستخدامه في طاعة الله والإحسان إلى خلقه
 - تأسيس مفهوم الوسطية: بين الإفراط في الدنيا والتفريط فيها
 - إقامة العدل الاجتماعي: من خلال رد الجميل للمجتمع كما أحسن الله للفرد
 - حماية المجتمع من الفساد: بقطع دابر المفسدين
- الأمر الأول: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ"

دلالة افتتاح الآية بهذا الأسلوب

لاحظ معي: لم يقل الله "اعمل للآخرة"، بل قال "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ"! كلمة "آتاك" تحمل إشارة خفية: كل ما تملك هو عطاء من الله، ليس من عندك .فكيف تستخدم هذا العطاء؟ ابحث به عن الدار الآخرة.

"وَابْتَغِ" تعني اطلب واجتهد واستمر في الطلب .إنها ليست مهمة لمرة واحدة، بل منهج حياة مستمر . كل يوم، كل لحظة، تسأل نفسك: كيف أحول هذه النعمة إلى رصيد في الآخرة؟

اللمسة البلاغية "فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ"

هذا التركيب يضرب عميقاً في النفس .يقول السعدي: "قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال". تأمل! الأموال ليست مجرد نقود، بل هي وسائل للآخرة، جسر يعبر بك إلى الجنة . من منحك إياها ينتظر منك أن تستثمرها في طاعته.

التوجيهات العملية

- . لا تجعل المال حجاباً بينك وبين الله: بل اجعله وسيلة للتقرب إليه
- . أنفق في سبيل الله: فما تنفقه اليوم هو ما تجده غداً عند الله
- . لا تقتصر على نيل الشهوات: بل ارفع بصرك إلى ما هو أعلى وأبقى

الأمر الثاني: "وَلَا تَنْسَ تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا"

معنى هذه العبارة ودلالاتها

هنا يكمن سر الوسطية الإسلامية .يقول السعدي: "لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك ولا يضر بآخرتك".

تأمل دقة هذا التوجيه! الإسلام لا يدعو إلى الرهينة ولا إلى الانشغال الكامل بالدنيا .بل هو طريق الوسط، الذي يعطي لكل ذي حق حقه.

اللمسات البيانية والبلاغية

تأمل كيف جاء النهي بـ "لا تنس"! النسيان هو غياب الشيء عن الذهن .كأن الله يقول: لا تغفل عن دنياك تماماً بحيث تنساها . لكن لا تجعلها هدفك الأكبر .إنها وصية بالتوازن الدقيق.

العلاقة بين هذا الأمر وما قبله

السر العظيم: الآية تبدأ بطلب الآخرة (الأهم)، ثم تذكر الدنيا (المهم). (إنها ترتيب الأولويات: الآخرة غايتك، والدنيا وسيلتك .لا تخلط بين الغاية والوسيلة، لكن لا تهمل الوسيلة أيضاً).

تفسير "النصيب" عند المفسرين

للمفسرين في هذه العبارة قولان متكاملان:

القول الأول (ابن كثير): النصيب هو ما أباح الله من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناجح . فربك عليك حق، ولنفسك عليك حق، ولأهلك عليك حق .هذا فهم يقر بالحاجات الإنسانية المشروعة.

القول الثاني (ابن عباس ومجاهد): النصيب هو أن تعمل في دنياك لآخرتك .إنها دعوة لتحويل الحياة كلها إلى عبادة، بأن تجعل سعيك في الدنيا وسيلة للآخرة.

لماذا جمع الله بين الأمرين في آية واحدة؟

لأن التطرف آفة .طرف يقول: الدنيا كل شيء، والآخر يقول: الدنيا لا شيء .والله يأمرك أن تجعل الدنيا جسراً لا غاية .تأخذ منها ما يعينك على طاعته، ولا تنشغل بها عن ذكره .هذا هو ميزان الإسلام الذهبي.

الدروس التربوية

- . لا تظن أن الزهد هو ترك الدنيا بالكلية: الزهد الحقيقي هو أن تملك الدنيا ولا تملكك
- . لا تهمل صحتك وقوتك وشبابك وغناك: استخدمها في طلب الآخرة
- . اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك
- الأمر الثالث: "وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ"

دلالة هذه العبارة

هنا قمة الإحسان: أن تعامل الناس كما عاملك الله. يقول ابن كثير: "أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك". هل تذكر عندما كنت فقيراً فرزقك الله؟ عندما كنت ضعيفاً فقواك؟ عندما كنت ضالاً فهداك؟ رد الجميل لله بأن تحسن إلى عباده.

اللمسات البيانية والبلاغية

تأمل التشبيه: "كما أحسن الله إليك". لم يقل "أحسن"، بل جعله مماثلاً "لإحسان الله! هل يمكن أن يصل إحسانك إلى إحسان الله؟ لا. لكنها دعوة إلى بذل الوسع، وأن تجعل إحسان الله إليك مقياساً لإحسانك إلى الناس.

علاقة الإحسان بالنعم

كل نعمة تلقاها من الله هي قرض يجب أن ترده بإحسان إلى خلقه. الله أعطاك مالا ً لتنفق، أعطاك جاهاً لتقضي حاجات الناس، أعطاك علماً لتعلم. إذا حبست النعمة، حبست البركة.

كيف نحسن كما أحسن الله إلينا؟

- بالإنفاق: تصدق، وصل رحمك، وأطعم الجائع.
- بالعفو: اغفر لمن ظلمك، كما عفا الله عنك.
- بالمساعدة: كن عوناً لمن يحتاج، كما كان الله عوناً لك.
- بالتوجيه: أرشد الضال، وعلم الجاهل، كما علمك الله.

الدروس التربوية

- الإحسان إلى الناس هو شكر عملي للنعم.
- من لم يشكر الناس لم يشكر الله.
- أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.
- الأمر الرابع: "وَلَا تَبْغِ الْقَسَادَ فِي الْأَرْضِ"

معنى الفساد ودلالاته

الفساد أوسع من الظلم. إنه كل ما يخرج عن نظام الله في الأرض، بتعطيل المصالح، وإفساد القلوب، ونشر الشرور. يقول السعدي: الفساد يكون بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم.

خطورة الفساد

الفساد ليس فقط إفساد الأموال، بل إفساد النفوس أيضاً. عندما تستخدم نعم الله في معصيته، هذا فساد. عندما تتكبر على الناس وتظلمهم، هذا فساد. عندما تشغل نفسك بالنعم وتنسى المنعم، هذا فساد.

لماذا حذرت الآية من الفساد تحديداً؟

لأن الفساد هو نقيض الإحسان. الإحسان يبني، والفساد يهدم. والإحسان يصلح، والفساد يخرّب. والإحسان يجلب البركة، والفساد يجلب اللعنة. بعد أن أمرك الله بالإحسان، نهاك عن ضده.

علاقة البغي والفساد

قارون بدأ بـ "بغى عليهم" (الآية 76)، وانتهى بـ "الفساد في الأرض". البغي هو بداية الطريق، و الفساد هو النهاية. من بغى على الناس، أفسد الأرض. ومن أفسد الأرض، أحل عليها غضب الله.

إن الله لا يحب المفسدين

ليست مجرد كلمات، بل وعيد شديد. "لا يحب" هنا بمعنى يعاقب ويعذب. تأمل: قارون جمع المال، ثم بغى، ثم أفسد، فلم يحبه الله، فخسف به الأرض. من خسر محبة الله، خسر كل شيء.

الدروس التربوية

- . لا تظن أن الفساد يقتصر على الكفار: المسلم قد يفسد إذا استبدت به الشهوات
- . المال سلاح ذو حدين: إن استخدمته في الإحسان بنيت، وإن استخدمته في الفساد دمرت
- . من أحب المال لأجله، أفسد. ومن أحبه لله، أصلح

أهم المواضع

الموضوع الأول: التوازن بين الدنيا والآخرة - منهج الحياة الإسلامي

الوسطية في الإسلام

هذه الآية ترسم المنهج المتكامل للحياة. يقول أهل العلم: الإسلام وسط في العمل للدنيا والآخرة، فكل منهما عبادة لله ضمن شروط معينة.

المذاهب الأخرى إما أن تفرق في الدنيا) كالغرب الذي جعل معبوده المال والقوة)، أو تهرب من الدنيا (كالرهبان الذين يعذبون الجسد). (أما الإسلام فيقول: "رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً".

كيف نطبق التوازن في حياتنا؟

- . في المال: اكسبه من حلال، وأنفقه في طاعة الله، ولا تمنع نفسك الحلال
- . في الوقت: اجعل للعبادة نصيباً، وللعمل نصيباً، وللراحة نصيباً، وللأهل نصيباً
- . في القوة: استخدمها في نصره الحق، وحماية الضعفاء، لا في التكبر والظلم
- . في الصحة: اشكر الله عليها باستخدامها في طاعته، لا في معصيته

الدروس المستفادة

- . الدنيا ليست مذمومة بذاتها، لكن الانشغال بها عن الآخرة هو المذموم
- . من عاش للدنيا فقط، خسر الدنيا والآخرة. ومن عاش للآخرة فقط (رهبانية)، خسر الدنيا وقد يخسر الآخرة
- . المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، إذا استخدم قوته في طاعة الله

الموضوع الثاني: معنى "نصيبيك من الدنيا" - بين الإباحة والإسراف

ما هو النصيب المشروع؟

النصيب المشروع هو الاستمتاع بالحلال دون إسراف ولا بطر. يمكنك أن تأكل وتشرب وتلبس وتسكن وتتزوج، كل ذلك في حدود الشرع. (الممنوع هو الإسراف) (التجاوز في الكمية) (والخيلاء) (التجاوز في الكيفية).

الفرق بين الأخذ بالدنيا والاعتزاز بها

- . الأخذ بالدنيا: أن تستخدمها وسيلة للآخرة، فتأخذ منها ما تحتاج دون أن تشغلك
- . الاعتزاز بالدنيا: أن تجعلها هدفك الأوحى، فتتشغل بها عن الله وعن الآخرة

كيف تحدد نصيبك من الدنيا؟

اسأل نفسك: هل هذا الشيء يقربني إلى الله أم يبعدني؟ هل يستنزف وقتي ومالي وجهدي في غير طاعة الله؟ هل يجعلني أنسى الفقراء والمحتاجين؟ إذا كان الجواب نعم، فاتركه. وإذا كان لا، فخذه باعتدال.

الدروس التربوية

- . لا تحرم نفسك الحلال، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً
- . الحلال يكفيك، والحرام لا يغنيك
- . من قنع بما قسم الله له، استقرت نفسه. ومن طمع، تعبت نفسه

الموضوع الثالث: الإحسان إلى الناس - رد الجميل لله

الإحسان أنواع

إحسان بالمال: بالصدقة، والزكاة، والهدية، وقضاء الدين، وإطعام الطعام.
إحسان بالجاء: بالشفاعة الحسنة، والنصيحة، والدعاء.
إحسان بالعلم: بالتعليم، والتوجيه، والإصلاح بين الناس.
إحسان بالجسد: بالعون في الحاجات، والخدمة، والزيارة.
إحسان باللسان: بالكلمة الطيبة، والمدح الجميل، والدعاء الصالح.
إحسان بالقلب: بالحسد لهم الخير، والتمني لهم ما تتمنى لنفسك.

الإحسان كما أحسن الله إليك

هل تذكر كيف كان الله معك قبل أن يرزقك هذا المال؟ هل تذكر كيف فتح لك أبواب الرزق؟ هل تذكر كيف نجاك من كربات؟ هذا الإحسان الإلهي يجب أن يكون مقياساً لإحسانك.

الدروس التربوية

- . من لا يشكر الناس لا يشكر الله
- . أحسن إلى الناس، يحسن الله إليك
- . ما نقص مال من صدقة، بل زاده الله بركة

الموضوع الرابع: النهي عن الفساد - حماية المجتمع من الطغيان

الفساد أشكاله

فساد في المال: بالبخل والكنز والربا والغش والاحتكار.
فساد في السلطة: بالظلم والجبروت والتكبر واستغلال النفوذ.
فساد في النفس: بالكبر والعجب والرياء وحب الظهور.
فساد في المجتمع: بإفساد ذات البين، ونشر الفاحشة، والعدوان على الحقوق.

خطورة الفساد على المجتمع

الفساد يدمر المجتمع من الداخل. قارون كان في قوم موسى، فبغى ثم أفسد، فحسف الله به. لكن الضرر لم يقتصر عليه، بل تعدى إلى قومه الذين تأثروا بفتنته. المفسد يجر المجتمع كله إلى الهاوية.

لماذا لا يحب الله المفسدين؟

لأن المفسدين يعطلون سنن الله في الأرض، ويحرمون الناس من حقوقهم، وينشرون الشر والظلم. و الله الذي خلق الأرض للصالح والعمران، لا يحب من يفسدها ويهدمها.

الدروس التربوية

- . لا تكن مفسداً ولو كنت تملك المال والجاء
- . الإفساد يبدأ صغيراً ثم يكبر، فاحذر بداياته
- . كل نعمة لا تشكر عليها تتحول إلى فتنة تفضي إلى الفساد

الموضوع الخامس: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

اختبار نفسك يومياً

اسأل نفسك بصدق:

- . عندما أرزق بمال، هل أستخدمه في طاعة الله أم في معصيته؟
- . هل أتذكر الفقراء والمحتاجين عند إنفاقي، أم أنفق على نفسي فقط؟
- . هل أشكر الله على نعمه، أم أنسب الفضل لنفسي وذكائي؟
- . هل أتواضع مع الناس، أم أتطاول عليهم بحجة أنني أغنى أو أقوى؟
- . هل أفسد في الأرض، أم أصلح فيها؟

التطبيق العملي للموازنة

في مالك: خصص جزءاً لله (زكاة وصدقة)، وجزءاً لنفسك وأهلك) حاجات أساسية)، وجزءاً للمستقبل (ادخار مشروع. (لا تكن بخيلاً ولا مسرفاً).

في وقتك: خصص جزءاً للعبادة (صلاة وذكر وقرآن)، وجزءاً للعمل (كسب حلال)، وجزءاً للراحة (حق نفسك)، وجزءاً للأهل (حق أهلك).

في قوتك: استخدمها في نصره الضعفاء، وإغاثة الملهوفين، وإصلاح ذات البين. لا تستخدمها في التكبر والظلم.

ما تعلمنا إياه الآية من قيم ومبادئ

- . قيمة التوازن: لا إفراط ولا تفريط
- . قيمة الشكر: رد الجميل لله بالإحسان إلى خلقه
- . قيمة المسؤولية: المال أمانة، وأنت مستخلف فيه
- . قيمة الإصلاح: كن مصلحاً لا مفسداً
- . قيمة الأخوة: أحسن إلى الناس، يحسن الله إليك

الموضوع السادس: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

بناء الإنسان المتوازن

هذه الآية تبني إنساناً متكاملًا " لا تطغى عليه الدنيا ولا ينصرف عن الآخرة. إنسان يملك المال ولا يملكه المال، يستخدم القوة ولا تستخدمه القوة، يعيش في الدنيا بجسده، وقلبه معلق بالآخرة.

بناء المجتمع المتماسك

عندما يطبق أفراد المجتمع هذه الآية، يتحول المجتمع إلى جسد واحد، يتكافل أفراد، ويتعاونون على البر والتقوى. الأغنياء يحسنون إلى الفقراء، والأقوياء يحمون الضعفاء، والعلماء يعلمون الجاهلين.

بناء الحضارة الإسلامية

هذه الآية هي أساس الحضارة الإسلامية التي قامت على التوازن بين الروح والمادة، بين الدنيا والآخرة، بين الفرد والمجتمع. حضارة بنيت على الإحسان والعدل، ونهضت بالعلم والعمل، وانتشرت برحمة والسماحة.

القيم الحقيقية مقابل القيم الزائفة

القيم الحقيقية التي نتحدث عنها الآية:

- . التوازن
- . الشكر
- . الإحسان
- . الإصلاح
- . المسؤولية

القيم الزائفة التي تحاربها الآية:

- . التطرف) في الدنيا أو في الدين)
- . البطر والكبر
- . الإفساد والتدمير
- . الأنانية والفردية
- . الغرور والاستعلاء

الموضوع السابع: الأبعاد التربوية والنفسية والفكرية)

البعد التربوي: تربية النفس على الوسطية

الآية تربيك على ألا تكون عبداً للدنيا ولا راهباً في الدنيا. تريد منك أن تكون إنساناً متزناً، يعطي كل ذي حق حقه. هذه تربية تحتاج إلى مجاهدة، لأن النفس تميل إلى التطرف: إما إلى الإغراق في الدنيا، وإما إلى الإغراق في الزهد. والآية تضعك على الصراط المستقيم بينهما.

البعد النفسي: علاج أمراض النفس

هذه الآية تعالج أمراضاً نفسية خطيرة:

- مرض الطمع: حين تطلب الدنيا فقط
- مرض اليأس: حين تترك الدنيا بالكلية
- مرض الأنانية: حين تنسى الناس في نعمك
- مرض الكبر: حين تظن أن نعمك بجهدك وذكائك
- مرض البخل: حين تمنع الخير عن الناس

البعد الفكري: تصحيح المفاهيم

الآية تصحح مفاهيم خاطئة:

- الدنيا ليست مذمومة بذاتها، بل المذموم هو الانشغال بها عن الله
- المال ليس شراً في ذاته، بل الشر في كيفية استخدامه
- الزهد ليس ترك الدنيا، بل ترك ما يشغلك عن الله فيها
- القوة ليست عيباً، بل العيب في استخدامها في الظلم

بناء التصور الذهني الصحيح

الآية تبني في ذهنك تصوراً متكاملًا:

- الدنيا مزرعة الآخرة: كل ما تفعله فيها تحصده هناك
- النعم اختبارات: الله يعطيك ليختبر كيف تشكر
- المال وسيلة: استخدمه للوصول إلى الله، لا تجعله غاية تلهيك عنه
- الإحسان إلى الناس هو شكر الله: من شكر الله، أحسن إلى خلقه

بناء العاطفة المتزنة

الآية تربى عاطفتك على التوازن:

- لا تفرح فرح بطر، بل فرح شكر
- لا تحزن حزن يأس، بل حزن توبة
- لا تبغض الدنيا، بل ابغض ما فيها من معصية
- لا تحب المال حب عبادة، بل حب وسيلة

بناء النفس المتزنة

النتيجة النهائية: نفس متزنة لا تعرف التطرف، تأخذ من الدنيا ما يعينها على الآخرة، وتترك من الدنيا ما يشغلها عنها. نفس تشكر في السراء، وتصبر في الضراء، وتعديل في الحكم، وتحسن في الفعل.

الموضوع الثامن: الدروس المستفادة والرسائل العملية

الرسائل النفسية

- الدنيا ليست عدوتك، عدوك هو الشيطان وهواك
- لا تكره الدنيا، بل أحسن استخدامها للوصول إلى الله
- لا تغتر بالدنيا، فهي زائلة، وما عند الله باق

. لا تَبَاس من الدنيا، ففيها من الخيرات ما يعينك على طاعة الله

الرسائل التربوية

- . رب نفسك على التوازن: بين الدنيا والآخرة، بين العبادة والعمل، بين الحقوق والواجبات
- . علم أولادك الوسطية: لا تفرط فيهم بالتدليل، ولا تقسو عليهم بالحرمان
- . كن قدوة في التوازن: يشاهدونك تأخذ من الدنيا بالمعروف، وتتركها لله بالاحترام

الرسائل العملية

- . في مالك: زكاة، صدقة، إنفاق على الأهل، ادخار للمستقبل
- . في وقتك: عبادة، عمل، راحة، أصدقاء، أسرة
- . في قوتك: نصرة الضعفاء، إغاثة الملهوفين، إصلاح المجتمع
- . في علمك: تعليم الجاهلين، توجيه الضالين، إصلاح المفسدين

كيف نعيش هذه الآية اليوم؟

- . كل صباح: خطط ليومك بين العبادة والعمل والراحة
- . كل رزق: قل "الحمد لله"، وخصص جزءاً منه لله وللمحتاجين
- . كل قوة: استخدمها في الخير، لا في الشر
- . كل علم: انشره لمن يحتاجه، ولا تحتكره
- . كل منصب: استخدمه لخدمة الناس، لا لخدمة نفسك

الخلاصة: رسالة الآية لك شخصياً

أنت أيها الإنسان... هذه الآية هي دستور حياتك. اقرأها وتدبرها كل يوم:

"وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ"

اجعل الآخرة غايتك، والدنيا وسيلتك. كل ما تملكه من مال وجاه وقوة وصحة، استخدمه في طاعة الله.

"وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا"

لا تنس أن الدين يطلب منك ترك الدنيا بالكلية. خذ منها حظك بالحلال، واستمتع بما أحل الله لك، دون إسراف ولا بطر.

"وَأُحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ"

رد الجميل لله بأن تحسن إلى خلقه. تصدق، اعف، ساعد، وجه، علم، أصلح. كن سبباً في سعادة غيرك، كما كان الله سبباً في سعادتك.

"وَلَا تَبْغِ الْقِسَادَ فِي الْأَرْضِ"

لا تستخدم نعم الله في معصيته. لا تتكبر، لا تظلم، لا تفسد. تذكر أن الله لا يحب المفسدين، وأن عاقبتهم وخيمة.

تذكر قارون: كان من قوم موسى، أوتي من الكنوز ما لا يقدر عليه أقوياء الرجال. لكنه ترك هذه الوصايا، فبغى ثم أفسد، فخسف الله به الأرض.

وأنت أمامك الخيار: إما أن تتبع وصايا الله فتكون من الفائزين، وإما أن تتجاهلها فتكون من الخاسرين.

فاختر لنفسك اليوم، قبل أن يأتي يوم لا خيار فيه.

المبحث الثالث

تفسير الآية 78 من سورة القصص: لحظة الحقيقة عندما يواجه الغرور سنن الله

مقدمة: المشهد الذي لا يُنسى

تخيل معي أنك واقف أمام رجل يحمل مفاتيح كنوز يعجز عن حملها أقوياء الرجال. تنظر إليه فتجد

عينيه تلمعان غرورا، وصدره منتفخا عجا، ولسانه يقطر تكبرا. تقول له بلطف الناصح الأمين: "لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين... ابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة... أحسن كما أحسن الله إليك... ولا تبغ الفساد في الأرض".

فيجيبك... كيف يجيبك؟ ليس بتواضع، ولا بخشوع، بل بصاعقة جهنمية تزلزل الأرض من تحت أقدامه: "إتما أوتيته على علم عندي".

هنا تتوقف. هنا ينبغي أن ترتجف. لأن هذه الكلمات ليست مجرد رد، بل هي إعلان حرب على الله، وتحدي لسنن الكون، وشهادة موت على صاحبها.

ثم تأتي الصدمة الثانية: يسأله الله سؤالا استنكاريا يفتح نوافذ العقل والقلب على مصراعيها: "أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا؟"

إنها لحظة الحقيقة. لحظة يواجه فيها الإنسان سنن الله الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل. لكن قارون أغمض عينيه، فخشفت به الأرض. والآية اليوم أمامك لتفتح عينيك، قبل أن تخسف بك الأرض. أهداف الآية ومقاصدها

هذه الآية قبلة فكرية وروحية تهدف إلى:

- فضح وهم الاعتماد على الذات: كشف السرطان الفكري الذي يجعل الإنسان ينسب النعمة لعلمه وقوته
- ترسيخ منهج التفكير السنني: تعليم المسلم كيف ينظر إلى التاريخ كسلسلة من السنن الإلهية الثابتة
- بناء الوعي التاريخي: ربط الحاضر بالماضي، لاستخلاص الدروس والعبر
- تحطيم أوهام الاستثناء: إزالة الاعتقاد الوهمي بأن "هذه المرة مختلفة" أو "أنا لست كمن قبلي"
- إعداد النفس لمواجهة الأزمات: بالتسلح بمعرفة السنن والقدرة على إنزالها على الواقع

الأمر الأول: "قال إتما أوتيته على علم عندي"

دلالة افتتاح الرد بهذا الأسلوب

تأمل العبارة جيدا. لم يقل قارون "أنا اجتهدت"، بل قال "على علم عندي"! كلمة "عندي" تحمل مركزية الأناء، وتحصر العلم في ذاته. إنه يقول: أنا أعلم، أنا أذكر، أنا أدري بطرق جمع المال من أي ناصح. هذا هو ذروة الغرور: أن تظن أن علمك القاصر هو سبب كل نجاحك.

اللمسات البيانية والبلاغية

"إتما" للحصر والقصر. كأنه يقول: لا أحد ولا شيء شاركني في هذا الإيتاء. لا الله، ولا الناس، ولا الظروف. أنا وحدي.

"أوتيته" - مع أنه يقول إنه أوتيه بعلمه، إلا أن اللفظ نفسه يشهد عليه! فكلمة "أوتي" تعني أن هناك معطيا، لكنه في غروره يتجاهل هذا المعطي. إنها تناقض لفظي يكشف عمى قلبه.

"على علم عندي" - العلم هنا مضاف إليه، مما يشير إلى أنه علم خاص، علم حصري، علم لا يشاركه فيه أحد. هذا هو سرطان الكبر: أن تحتكر الحقيقة لنفسك.

ما هو "العلم" الذي ادعاه قارون؟

تعددت أقوال المفسرين، وكلها تصب في نفس النهر:

- علم الكيمياء: زعم أنه يعرف أسرار صناعة الذهب والفضة
- علم التجارة: أنه عبقرى في البيع والشراء والربح
- علم التوراة: زعم أن علمه بالتوراة هو ما أكسبه المال
- علم التدبير: أنه أحسن تدبير ماله واستثماره

لكن الأهم ليس ما هو هذا العلم، بل ما يفعله هذا الزعم في النفس. إنه يحول الإنسان من عبد شاكر إلى إله صغير يحسب نفسه غنيا عن الله.

لماذا كانت هذه الجملة قمة الطغيان؟

لأن قارون واجه نعمة الله بالجحود، ونصح الناصحين بالردود، وآثر الدنيا على الآخرة، ثم نسب كل شيء إلى نفسه. إنها معصية رباعية الأبعاد، جعلته أهلاً "لأن تخسف به الأرض.

الرسائل النفسية والتربوية

- . أخطر ما يهدد الإنسان ليس الفقر، بل الغنى الذي ينسيه ربه .
- . عندما تنسب النجاح لنفسك، تبدأ رحلة السقوط .
- . اعلم أن بين يديك "علماً" محدوداً، والله عنده علم كل شيء .
- . كلما زاد علمك، ازداد تواضعاً، ولا تكن كقارون .

الأمر الثاني: "أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا"

دلالة الاستفهام الاستنكاري

هذا الاستفهام ليس سؤالاً "عن مجهول، بل توبيخ وتقريع. إنه يقال لقارون ولكل من يغتر بقوته وماله: ألم تسمع؟ ألم تقرأ؟ ألم تر؟ ألم تعتبر؟ إنه هجوم على الجهل المتعمد، على غرض البصر عن سنن الله في التاريخ.

"أَوَلَمْ يَعْلَمْ" - العلم الذي يتجاهله الغافلون

الفعل "يعلم" هنا يدل على علم اليقين الذي ينبغي أن يتحول إلى سلوك. قارون يعلم، لكن علمه ميت لا يحركه. وهذا هو الفرق بين المؤمن والغافل: المؤمن علمه يغير حياته، والغافل علمه حجة عليه لا له.

"أَهْلَكَ" - سنة الهلاك

لفظ "أَهْلَكَ" يحمل معنى الإمامة بعد إدراك العذاب. إنها نهاية مأساوية لمن طغى وبغى. والتعبير بالماضي "أَهْلَكَ" يدل على سنية الحدث، أي أنه سنة ثابتة تتكرر. لم يقل "سيهلك" بل "أهلك" ليخبرك أن هذه ليست نظرية، بل واقع تاريخي شهدته البشرية مراراً.

"من قبله" - السابقة التاريخية

هذه العبارة تقول: أنت لست الأول، ولن تكون الأخير. قبلك قرون وأمم طغت فهلكت. التاريخ يعيد نفسه، وسنن الله لا تتغير. فلماذا تظن أنك ستنجو؟

"من القرون" - معنى القرون

القرن هو الأمة من الناس يعيشون في زمن واحد. وتعبير "القرون" يدل على التعدد والتنوع. ليس أمة واحدة، بل أُمم كثيرة: عاد، ثمود، فرعون، قوم لوط، وغيرهم. كلهم شاركوا في الطغيان، واشتركوا في الهلاك.

"مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً" - سنة القوة لا تنفع

تأمل هذا التحدي: أشد قوة من قارون. قارون كان قوياً بماله ورجاله، لكن من قبله كان أشد منه قوة. ومع ذلك، لم تنفعهم قوتهم. فكيف يظن قارون أن قوته تنفعه؟ إنها تحطيم لوهم "القوة تحمي". القوة بدون تقوى لا تحمي، بل تهلك.

"وَأَكْثَرُ جَمْعًا" - سنة المال لا ينفع

أكثر جمعاً للمال من قارون. تخيل! كنوز قارون التي تعجز مفاتيحها عن حملها جماعة من الأقوياء، كان غير قبله أكثر جمعاً منها. وأين هم الآن؟ ذهبوا أدراج الرياح. المال لا يخلد، ولا يقي من عذاب الله.

اللمسات البيانية في المقارنة

لاحظ الترتيب: بدأ بالقوة ثم بالجمع) المال .(لأن القوة هي أداة البغي الأولى، والمال هو وقودها. ثم جاءت المقارنة بـ "أشد" و "أكثر"، أي تفوق في الصفتين. ومع هذا التفوق، هلكوا. فهلاك قارون إذاً أخرى وأولى إن لم يرتدع.

الدعوة إلى التفكير والتأمل

هنا المطلوب: تأمل حال الأمم السابقة. ليس مجرد قراءة تاريخ، بل تفاعلاً معه، واستخلاصاً للدروس، وتحويلاً "للعبر إلى سلوك". الآية تفتح أمامك متحفاً بشرياً هائلاً: أمم كانت أقوى منك، أغنى منك، أكثر جمعاً منك. أين هم؟ هل بقي لهم أثر؟ هل نفعهم ما جمعوا؟

نهاية أهل البطر: سنة ثابتة

أهل البطر هم الذين طغوا وتكبروا واستكبروا عن عبادة الله. والآية تؤكد أن نهايتهم واحدة: الهلاك. لا يستثنى أحد. البطر لا يحمي منه مال ولا جاه ولا قوة. إنه سم قاتل، تأثيره مؤكد، ونتيجته محتومة.

اللمسات البلاغية في الاستفهام

الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ. كأن الله يقول: أي عقل هذا الذي لا يتعظ؟ أي قلب هذا الذي لا يخشع؟ أي بصر هذا الذي لا يرى؟ إنه توبيخ يزلزل النفس، ويجعلها تراجع نفسها: كيف غفلت عن هذه السنن الثابتة؟
الأمر الثالث: "وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ"

معنى الآية ودلالاتها

هذه الجملة تحتل معنيين متكاملين، وكلاهما مرعب:

المعنى الأول (الجمهور): أنهم يهلكون ولا يسألون، أي يعاجلون بالعذاب دون استجواب، لأن الله عليم بهم وبذنوبهم. إنها إشارة إلى سرعة العقاب عند طغيان الظلم.

المعنى الثاني (بعض السلف): أنهم يسألون سؤال توبيخ وتقريع، وليس سؤال استعلام. والمعنى: لا يسأل أحد عن ذنوبهم إلا هم، أي أن كل مجرم منفرد بذنبه، لا يشاركه فيه غيره.

لماذا لا يسألون؟

لأن علم الله محيط بهم، ولأن العدل الإلهي يقتضي معاجلتهم بالعقاب إذا تmadوا. ولأنهم لا يستحقون أن يسألوا، فقد بلغوا من الإجرام مبلغاً لا يحتاج معه إلى استجواب.

اللمسة البيانية "المُجْرِمُونَ"

وصفهم بـ "المجرمين" وليس "الكفار" أو "الظالمين". الإجرام هو قطعه للطاعة وقطعه للحق. إنها صفة جامعة لكل سيئاتهم. وهم معروفون بإجرامهم، فلا حاجة إلى سؤال.

الدلالة التربوية

- لا تظن أن لك حصانة: العقاب يأتي بغتة، وأنت لا تدري.
- لا تؤخر التوبة: ربما لا تسأل، بل تعاقب فوراً.
- كن مستعداً للسؤال: فمن يسأل في الآخرة يسأل سؤالاً شديداً.
- لا تتكل على شفاعاة أحد: كل مجرم يتحمل ذنبه وحده.

اهم المواضيع

الموضوع الأول: المنهج السنني في الإسلام - رؤية متكاملة

ما هي السنن الإلهية؟

السنن الإلهية هي القوانين الثابتة التي يسير بها الله الكون والحياة. لا تتغير، لا تتبدل، لا تستثنى منها أحد. مثل:

- . سنة الإمهال ثم الإهلاك: الله يمهل ولا يهمل
- . سنة الاستخلاف والإعمار: من أصلح استخلف، ومن أفسد استبدل
- . سنة النصر للمتقين: العاقبة للمتقين
- . سنة الهلاك للطاغين: كل طاغٍ مصيره الهلاك

لماذا يجب على المسلم أن يتعامل مع السنن؟

لأن من يعرف السنن، يعرف كيف يتحرك. يتوقع النتائج، ويخطط للمستقبل، ويتجنب المزالق. أما من يجهل السنن، فهو كمن يسير في متاهة بلا خريطة. يصطدم بالجدران، وينتهي إلى الهاوية.

كيف نفهم السنن؟

فهم السنن يحتاج إلى:

- . دراسة التاريخ بعين الاعتبار، لا بعين التسلية
 - . قراءة القرآن بتدبر، ففيه قصص الأولين
 - . النظر في الواقع ببصيرة، لربط الماضي بالحاضر
 - . التواضع لله، فالسنن لا تستثنى أحداً
- الموضوع الثاني: التعامل مع السنن واستيعابها - مواجهة الأزمات والتحديات

كيف تستوعب السنن في أعماقك؟

استيعاب السنن يعني تحويلها من معلومات في الرأس إلى قناعات في القلب وسلوك في الجوارح:

- . أولاً: العلم - أن تعرف السنن
- . ثانياً: اليقين - أن توقن ببنائها
- . ثالثاً: التوقع - أن تتوقع النتائج بناء عليها
- . رابعاً: العمل - أن تعدل سلوكك وفقها

مواجهة الأزمات بالمنهج السنني

عندما تنزل أزمة (مالية، سياسية، اجتماعية، نفسية)، اسأل نفسك:

- . ما هي سنة الله في مثل هذه الحالة؟
- . هل هذه الأزمة نتيجة لانتهاك سنة من السنن؟
- . كيف يمكن العودة إلى السنن لمعالجة الأزمة؟

مثال: إذا أصاب المجتمع فساد اقتصادي، فسنة الله أن يسلط عليهم ظملاً أو غلاءً. العلاج: التوبة و العودة إلى العدل، وليس تضخيم الفساد بمزيد من الظلم.

القدرة على احتواء الآثار

معرفة السنن تساعدك على:

- . توقع الأزمات قبل وقوعها
- . التخفيف من آثارها إذا وقعت
- . الخروج منها بأقل الخسائر
- . تحويلها إلى فرص للتعلم والنمو

الحد من الآثار - كيف؟

- . لا تجعل الأزمة تضاعف بسبب غفلتك: إذا كنت تعلم أن سنة الهلاك تأتي بعد البغي، فلماذا تبغي؟
- . بادئ بالعلاج من 源头: اقطع دابر البغي والفساد

. استعن بالله والتوبة: فالله يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
الموضوع الثالث: معرفة السنن وحسن إنزالها على الواقع

ماذا يعني "إنزال السنن على الواقع"؟

أن تقرأ الواقع بعين السنن، فتري:

- . من أين جاءت هذه المشكلة؟
- . إلى أين تتجه؟
- . ما هو مصيرها إذا استمرت على هذا المنوال؟

إنها مهارة استشرافية تجعلك ترى النتائج قبل وقوعها، وتتصرف بناء عليها.

كيف تتدرب على هذا؟

. اقرأ قصص القرآن كأنها تحدث الآن: فرعون، قارون، عاد، ثمود - أين هم اليوم؟ ومن يشبههم اليوم؟

- . طبق الأحكام على الواقع: من يبغى اليوم؟ من يفسد؟ ما هي سنن الله فيهم؟
- . لا تنخدع بالمظاهر: القوة والمال لا يغيران السنن
- . كن موضوعياً: لا تجامل، ولا تخف، السنن فوق الجميع

ترميم آثار انتهاك السنن

إذا انتهكت سنة من السنن، وحدث ضرر، كيف نرمم الآثار؟

- . الاعتراف بالخطأ أولاً : لا تبرر، لا تنكر
 - . التوبة الصادقة إلى الله
 - . إصلاح ما يمكن إصلاحه من الفساد
 - . الاستعداد للمستقبل بعدم تكرار الانتهاك
- الموضوع الرابع: تجنب مصير الآخرين - الوقاية خير من العلاج

لماذا يكرر البشر أخطاء من قبلهم؟

لأنهم يظنون أنهم استثناء، وأن السنن لا تشملهم. هذا هو وهم الخلود ووهم الحصانة. قارون قال: "إنما أوتيته على علم عندي" - ظن أن علمه سيحميه. وهلك. فرعون قال: "أنا ربكم الأعلى" - ظن أن قوته ستحميه. وغرق.

كيف تتجنب هذا المصير؟

- . تواضع لله، واعترف بأن كل نعمة منه
- . انظر إلى من هو فوقك في النعمة لشكر، وإلى من هو تحتك في البلاء لتصبر
- . تعلم من تاريخ الغابرين، ولا تظن أنك أحسن منهم
- . أصلح نفسك قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون

الدروس من هلاك الأمم السابقة

- . لا تظن أن القوة تحمي: الأشد قوة هلكوا
 - . لا تظن أن المال ينفع: الأكثر جمعاً هلكوا
 - . لا تظن أن العلم يكفي: صاحب "العلم عندي" هلك
 - . لا تظن أن النسب يحمي: قارون من قوم موسى وهلك
 - . لا تظن أن الزمن تغير: السنن ثابتة، والله لا يتغير
- الموضوع الخامس: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

اختبار نفسك يومياً

. عندما تنجح: هل تقول "بفضل الله" أم "بذكائي"؟

- عندما تملك: هل تتذكر أن من قبلك كان أشد قوة وأكثر جمعا فهلكوا؟
- عندما تسمع عن هلاك أمم: هل تعتبر، أم تمر عليك القصة مرور الكرام؟
- عندما تنصح: هل تذكر قارون، أم تظن أن النصيحة لنفسك لا تحتاجها؟

التطبيق العملي للتفكير والتأمل

- خصص وقتاً أسبوعياً لقراءة قصص الأمم السابقة
- اسأل نفسك: من يشبه قارون اليوم؟ من يشبه فرعون اليوم؟
- انظر في مجتمعك: هل ترى بطراً؟ هل ترى بغياً؟ ما هي سنة الله فيهم؟
- خطط لحياتك على أساس السنن: لا تبغ، لا تفسد، توقع العقاب إن انتهكت

ما تعلمنا إياه الآية من قيم ومبادئ

- قيمة التواضع: لا تنسب النعمة لنفسك
- قيمة الاعتبار: تعلم من تاريخ من قبلك
- قيمة اليقين: سنن الله ثابتة لا تتغير
- قيمة الاستشراف: انظر إلى النتائج قبل أن تخطو
- قيمة التوبة: أصلح قبل أن يفت الأوان
- الموضوع السادس: الأبعاد التربوية والنفسية والفكرية
- البعد التربوي: تربية المسلم على التفكير السنني

الآية تربيك على ألا تنظر إلى الأمور نظرة سطحية. لا تنظر إلى قوة قارون وماله، بل انظر إلى سنن الله التي أهلكت من هو أقوى منه. هذا تفكير استراتيجي يربيك على الصبر والبصيرة وعدم الانخداع بالمظاهر.

البعد النفسي: علاج الغرور والعجب

الآية تعالج مرضاً نفسياً خطيراً هو العجب بالعلم والقوة. تخيل أن شخصاً يظن أن علمه هو سبب نجاحه، وأن قوته ستحميه. هذا وهم عظيم يصيب أصحاب النعم. العلاج: تذكر من كان أشد منك قوة وأكثر جمعا، وأين هم الآن؟

البعد الفكري: تصحيح مفهوم النعمة

الآية تصحح مفهوماً خاطئاً: أن النعمة دليل على الرضا، أو أنها مستحقة بجهدك. النعمة اختبار، قد تكون استدراجاً وإملاءً. فاحذر أن تنظر إليها على أنها تكريم، فتغتر وتهلك.

بناء التصور الذهني: التاريخ مفتاح المستقبل

الآية تبني في ذهنك تصوراً بأن التاريخ يعيد نفسه. ليس تكراراً حرفياً، بل تكراراً سننياً. من طغى هلك، ومن تواضع نجا. هذا التصور يجعلك تستشرف المستقبل، وتتجنب أخطاء الماضي.

بناء العاطفة: الخوف المشوب بالرجاء

الآية تثير في قلبك خوفاً مقدساً من سنن الله، لكنه خوف يدفع إلى العمل، لا إلى اليأس. تخاف أن تكون كقارون، فتراجع نفسك. وتعلم أن الله رحيم، فتبادر إلى التوبة.

بناء النفس المتزنة: بين التواضع والطمأنينة

النفس التي تستوعب هذه الآية تصبح متزنة:

- متواضعة لا تغتر بعلمها أو مالها
- طمأنينة لأنها تعلم أن سنن الله معها إذا أطاعت
- يقظة لا تغفل عن العبر
- فاعلة تعمل لتغيير ما بنفسها
- الموضوع السابع: الدروس المستفادة والرسائل العملية

الرسائل النفسية

- . لا تغتر بعلمك، فكم من عالم هلك بجهله
- . لا تغتر بقوتك، فكم من قوي صرعه ضعيف
- . لا تغتر بمالك، فكم من غني أصبح فقيراً في لحظة
- . لا تغتر بجمعك، فالموت يأتي بغتة
- . انظر إلى من كان قبلك، تعلم، ثم اعمل

الرسائل التربوية

- . علم أولادك التاريخ، لكن ليس كقصص للتسلية، بل كدروس للاعتبار
- . ربهم على التواضع، وعلمهم أن كل نعمة من الله
- . دربهم على التفكير السني: ما سبب هذه الظاهرة؟ وما نتيجتها المتوقعة؟
- . اجعل قصص القرآن حية في تربيتهم، ليس مجرد حكايات

الرسائل العملية

- . في نجاحك: قل "الحمد لله"، ولا تقل "أنا فعلت"
- . في مالك: تذكر أن من قبلك كان أكثر جمعا فهلك
- . في قوتك: تذكر أن من قبلك كان أشد قوة فهلك
- . في علمك: تذكر أن من قبلك كان أعلم فهلك
- . في نسبك: تذكر أن قارون من قوم موسى فهلك

كيف نعيش هذه الآية اليوم؟

- . كل صباح: اقرأ قصة قارون، وتذكر أن العلم والمال والقوة لا تنفع بدون تقوى
 - . كل نجاح: لا تنسبه لنفسك، بل اشكر الله وتواضع
 - . كل نعمة: تذكر أنها اختبار، وقد تكون استدراجاً
 - . كل سماع عن هلاك أمة: اسأل: ما هي سنن الله التي أوصلتهم إلى هذا؟
 - . كل أزمة: حلها بالمنهج السني، وابحث عن العلاج في الرجوع إلى الله
- الخلاصة: رسالة الآية لك شخصياً

أنت أيها الإنسان... هذه الآية هي جرس إنذار يدوي في أعماقك. لا تتجاوزها كأنها مجرد قصة قديمة. قارون كان من قوم موسى، أوتي كنوزاً عظيمة، وكان له علم زعم أنه به أوتي كل هذا. لكن الله سأل: أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا؟

وهذا السؤال موجه إليك أنت أيضاً:

- . هل تعلم أن من قبلك كان أشد قوة منك؟
- . هل تعلم أن من قبلك كان أكثر جمعا منك؟
- . هل تعلم أنهم هلكوا جميعاً؟
- . هل تعلم أن سنن الله لا تتغير؟
- . فلماذا تظن أنك ستنجو؟!

إذا كنت تنسب نجاحك لنفسك، فأنت قارون.
إذا كنت تغتر بقوتك، فأنت قارون.
إذا كنت تظن أن مالك سيحميك، فأنت قارون.
إذا كنت تسمع القصص ولا تعثر، فأنت قارون.

لكن باب التوبة مفتوح. ارجع إلى الله قبل أن تخسف بك الأرض. تواضع، واشكر، وتذكر أن كل شيء من الله. وانظر إلى من كان قبلك، وتعلم، ثم امض في حياتك وقلبك عامر بالتقوى، وعقلك متصل بسنن الله، وروحك متطلعة إلى الآخرة.

فإن لم تفعل، فاستعد لمصير قارون: خسف، واندثار، وندم لا ينفذ

القسم الثاني
المبحث الأول

تفسير الآيتين 79 و 80 من سورة القصص: مشهد الخروج العظيم بين النظرة السطحية والنظرة العميقة

مقدمة: لحظة خروج قارون - المشهد الذي قسم الناس إلى فريقين

تخيل معي هذا المشهد الذي يخطف الأبصار ويزلزل النفوس:

خرج قارون على قومه في زينته. ليس في ثياب عادية، ولا في موكب متواضع، بل في استعراض هائل للمال والجمال والقوة. الخيول المسرجة، والعبيد المصطفون، والثياب الموشاة، والرياحين المنثورة، والأبخرة العطرة. كل شيء في هذا الموكب يصم العيون ويبهج النفوس ويخلب الألباب.

انقسم الناس أمام هذا المشهد إلى فريقين، كما تنقسم البشرية دائماً:

• فريق يريد الحياة الدنيا فقط، فنظروا إلى قارون فقالوا بحسرة وتمني: "يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ".
• وفريق أوتي العلم، فنظروا إلى نفس المشهد فقالوا بحكمة ويقين: "وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا".

هنا تتوقف. هنا ينبغي أن تسأل نفسك: أي الفريقين أنا؟ مع من يقف قلبي؟ مع من ينحاز عقلي؟ مع من تتعاطف روحاني؟

هاتان الآيتان ليستا مجرد رواية لحدث وقع، بل هما مرآة الحقيقة، واختبارك الصادق، وبوصلتك التي تحدد اتجاه قلبك في زمن اختلطت فيه القيم، وضاعت فيه المعايير، وأصبح "الحظ العظيم" يقياس بالمال والزينة، وأصبح صاحب القصر والسيارة الفارهة هو "المحظوظ" في نظر الكثيرين. أهداف الآيتين ومقاصدهما

هاتان الآيتان تحملان قبلة تصحيحية للمفاهيم، تهدف إلى:

• كشف زيف المعايير الدنيوية: بيان أن ما يراه الناس "حظاً عظيماً" قد يكون نقمة ووبالا.
• تصنيف الناس إلى فئتين: من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، لتعرف أي الفئتين تنتمي إليها.
• إرساء مبدأ الأجر الأخروي: التأكيد أن ثواب الله خير وأبقى من كل زينة الدنيا.
• تربية النفس على الصبر: بيان أن الوصول إلى هذه الفناعة يحتاج إلى صبر عظيم.
• تحطيم صناعة "الأحلام الزائفة": تحرير الإنسان من عقدة "ليت لي مثل ما عنده" الأمر الأول: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ"

دلالة الخروج بهذا الأسلوب

تأمل الفعل "خَرَجَ"! لم يقل "جلس في بيته" أو "استقبل في قصره". خرج متعرّضاً للناس، مستعرضاً زينته، متحدياً بهم. إنه خروج استفزازي، يهدف إلى إثارة الحسد والإعجاب، وإشعار الآخرين بالفقر والضعف. هذا هو سلوك المترفين على مر العصور: يخرجون زينتهم ليذكروا الناس بفقرهم.

"عَلَى قَوْمِهِ" - من هم قومه؟

"قومه" هم بني إسرائيل، قوم موسى عليه السلام. لكن المفارقة: هو يخرج عليهم متكبراً، مع أنهم قومه وناسه. كأنه يقول: انظروا إليّ، أنا منكم لكني فوقكم. هذا هو الكبر الذي يقطع أوصال المجتمع.

"في زِينَتِهِ" - ما هي هذه الزينة؟

اختلف المفسرون في تفاصيل زينة قارون، وكلها تصب في روعة باهرة:

• قيل: خرج على بغال بيض عليها الأرجوان (الحرير الأحمر).
• قيل: عليه ثياب الأرجوان، وعليه التيجان، ومعه أربعة آلاف فارس.
• قيل: خرج في سبعين ألفاً عليهم الثياب الحسان.
• قيل: خرج متزيناً هو وأصحابه، وكلما رأوه أطرقوا أعظاماً له.

لكن المهم ليس التفاصيل، بل ما تثيره هذه الزينة في النفوس. إنها استعراض قوة، وتفاخر بالنعمة،

وتذكير للآخرين بأنهم أقل شأنًا.

اللمسات البيانية والبلاغية

"زِينَتِهِ" - (الإضافة إلى ضميره) هاء الغائب (تدل على أن هذه الزينة خاصة به، وأنه يتباهى بها، وأنها جزء من هويته في نظره. إنه يقول: أنا وقارون وهذه زِينَتِي).

التعريف بـ "الزينة" - معرفة بالألف واللام تفيد الاستغراق، أي كل ما يمكن أن يكون زينة: ثياب، مراكب، حلي، خدم، حشم، كل شيء. لم يترك شيئًا مما يفتخر به الناس إلا أخرجه.

دلالة هذا المشهد على نفسية قارون

هذا الخروج يكشف عن أمراض نفسية خطيرة:

- مرض الاستعلاء: يريد أن يشعر الناس بأنه فوقهم
- مرض الرياء: لا يكتفي بما عنده حتى يراه الناس
- مرض الحسد العكسي: يريد أن يحسده الناس، لأنه يجد لذته في حسدهم له
- مرض النقص المقنع: المتكبر في الحقيقة يشعر بالنقص في داخله، فيعوضه بالظهور بمظهر العظمة

الرسائل النفسية والتربوية

- لا تخرج زينتك استفزازًا للآخرين، فإن الله لا يحب كل مختال فخور
 - اعلم أن الزينة الحقيقية هي زينة التقوى، وليس زينة الثياب والمراكب
 - الخروج المتعرض علامة على مرض نفسي، فتعالج قبل أن تهلك
 - أنت لست بحاجة إلى إثبات نفسك للناس، فالله يعلم ما في نفسك
- الأمر الثاني: "قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"

من هم "الذين يريدون الحياة الدنيا"؟

هذه هي الفئة الأولى، وهم الذين قصرت رغبتهم على الدنيا، وانحصر أملهم فيها، ونسوا الآخرة أو تناسوها. ليسوا بالضرورة كفارًا، بل قد يكونون من بني إسرائيل، أو من ضعاف الإيمان. إنهم المنخدعون بالمظاهر، الذين يقيسون النجاح بما يرونه بأعينهم، لا بما ينتظرونه عند الله.

"يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ"

تأمل كلمة "يَا لَيْتَ"! إنها أداة تمنّ وحسرة. ليست تمنياً عادياً، بل حسرة تعذيبية تنبع من الشعور بالحرمان. إنهم يقولون: يا ليتنا مكانه! يا ليت لنا ما له! إنهم يعيشون في وهم أن حظ قارون هو الحظ العظيم الحقيقي.

"مِثْلَ مَا أُوتِيَ" - لم يقولوا "مثل ما يملك"، بل "أوتي"! اعترفوا بأنه أوتي، أي أن هناك معطياً هو الله. لكنهم مع هذا الاعتراف، فاتهم الحكمة من الإيتاء. إنها تناقض مأساوي: يعترفون بالله لكنهم يحسدون من أوتي!

"إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"

هذه هي القنبلة: نظرتهم إلى "الحظ العظيم". عندهم الحظ العظيم هو المال والزينة. لم ينظروا إلى دينه، ولا إلى أخلاقه، ولا إلى عاقبته. نظروا إلى الظاهر فقط. هذا هو الفهم السطحي للنجاح.

ما هو "الحظ العظيم" في نظرهم؟

الحظ العظيم عندهم هو:

- كثرة المال
- فخامة الزينة
- الجاه والسلطان
- التمتع بالشهوات

. المكانة الاجتماعية

وكل هذه زائلة، وكلها فتنة، وكلها حساب عليها.

النظرة السطحية مقابل النظرة العميقة

هنا يبرز الصراع الأبدي بين:

. النظرة السطحية: تنظر إلى ما يراه الناس، تبهتها الأضواء، يغويها المال، يخدعها الجاه
. النظرة العميقة: تنظر إلى ما وراء الأضواء، ترى الحقائق لا المظاهر، تقيس بالأجل لا بالعاجل

أهل النظرة السطحية قالوا: "إنه ل ذو حظ عظيم". وأهل النظرة العميقة سيردون عليهم في الآية التالية.

لماذا حُرِم هؤلاء من الرؤية الصحيحة؟

لأنهم يريدون الحياة الدنيا فقط. من يريد شيئاً، ينظر إليه وحده، ويقيس به كل شيء، ويصبح عنده المعيار الوحيد. فأرادوا الدنيا، فعميت أعينهم عن عيوبها، وأصبحوا لا يرون إلا زينتها.

اللمسات البيانية والبلاغية

جملة "يا لَيْتَ" - التمني هنا للحسرة والتحسر، وليس للرجاء. إنهم متحسرون على ما فاتهم، وليس لديهم أمل حقيقي في الحصول على مثل ما أوتي قارون.

"لذو حَظٍّ عَظيمٍ" - اللام للمبالغة، و"ذو" للصفة، و"عظيم" للمبالغة أيضاً. ثلاث مؤكدات في جملة واحدة: القسم المعنوي، والصفة، والوصف بالمبالغة. كلها لترسيخ اعتقادهم الخاطئ بأن هذا هو الحظ العظيم.

الدلالات التربوية والنفسية

. احذر أن تكون ممن يريدون الدنيا فقط، فحينها ستحسد كل من أوتي زينة
. لا تقيس الناس بمالهم، فكم من غني شقي، وكم من فقير سعيد
. لا تتمنَ ما عند غيرك، فإنك لا تدري ما فيه من بلاء
. اعلم أن الحظ العظيم الحقيقي هو حظ الآخرة، لا حظ الدنيا
الأمر الثالث: "وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ يَا وَيْلَكُمْ تَوَابَ اللَّهُ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا"

من هم "الذين أوتوا العلم"؟

هذه هي الفئة الثانية، وهم أهل البصيرة، الذين وهبهم الله علماً ينفع، وفهماً يهدي، ونوراً يكشف به عن حقيقة الأمور. ليسوا بالضرورة أنبياء، بل علماء ربانيون، وحكماء مؤمنون، وقادة فكريون يبصرون ما لا يبصره غيرهم.

"أوتوا العلم" - أي علم؟

ليس علماً مجرداً، بل علم البصيرة، علم العواقب، علم المقاييس الصحيحة، علم التفريق بين الحقيقي والزائف. هو العلم الذي:

. يعرف به صاحبه قيمة الدنيا
. يدرك به حقيقة الآخرة
. يزن به الأمور بميزان الله
. لا ينخدع بالمظاهر

"يَا وَيْلَكُمْ" - ماذا تعني؟

"يا ويلكم" هي صيغة تحذير وتوبيخ، وفيها شفقة وحب. كأنهم يقولون: أيها المغفلون، احذروا! ارجعوا إلى رشدكم! ما هذا الذي تقولونه؟! إنها صيحة تنبيه من أهل البصيرة إلى أهل الغفلة.

"ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ"

هنا الإعلان الرسمي عن المقياس الحقيقي:

- . ثواب الله هو الأجر والكرامة والجنة
- . خير مما أوتي قارون، بل خير من كل زينة الدنيا مجتمعة
- . خير لأنها دائمة، بينما زينة الدنيا فانية
- . خير لأنها نقية، بينما زينة الدنيا مشوبة بالشوائب
- . خير لأنها بلا حساب، بينما زينة الدنيا عليها حساب عسير

"لَمَنْ آمَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا"

هنا شرط الحصول على هذا الثواب:

- . الإيمان: التصديق بالله ورسله واليوم الآخر
- . العمل الصالح: تطبيق هذا الإيمان على أرض الواقع

ليس كل من يريد الثواب يحصل عليه، بل من آمن وعمل صالحاً. فأهل الدنيا قد لا يملكون هذا الشرط، ولهذا خرموا من الخير الحقيقي.

اللمسات البيانية والبلاغية

"أوتوا العلم" - مقابل "يريدون الحياة الدنيا". فئة أوتيت ففهمت، وفئة أرادت فضلت.

"يَا وَيْلَكُمْ" - أسلوب التحذير القوي، فيه صدمة لمن قالوا إن قارون ذو حظ عظيم.

"ثَوَابُ اللَّهِ" - الإضافة إلى الله تدل على العظمة والبركة، ثواب من لا يضيع عنده شيء.

"خَيْرٌ" - اسم تفضيل، يعني أن ثواب الله خير من كل شيء، بما في ذلك ما أوتي قارون.

القيم والمبادئ في هذه العبارة

- . قيمة البصيرة: أن ترى ما لا يراه الآخرون
 - . قيمة النصيحة: أن تحذر غيرك مما هم فيه
 - . قيمة الأجر الأخروي: هو المقياس الحقيقي للنجاح
 - . قيمة الإيمان والعمل: هما الطريق إلى الخير الحقيقي
- الأمر الرابع: "وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ"

معنى الآية ودلالاتها

هذه الجملة تحتل معنيين، وكلاهما مهم:

المعنى الأول: لا يلقي هذه الموعظة والحكمة - أي لا يتعظ بها، ولا يعمل بها، ولا يصل إلى هذه المنزلة - إلا الصابرون. يعني أن الذين قالوا "ثواب الله خير" هم صابرون. وهذه إشارة إلى أن الصبر هو مفتاح البصيرة.

المعنى الثاني: لا يلقي الجنة أو ثواب الله - أي لا يدخل الجنة ولا ينال الثواب - إلا الصابرون . يعني أن الجنة تحتاج إلى صبر، وأن الطريق إليها طويل وشاق، لا يسلكه إلا الصابرون.

من هم الصابرون؟

الصابرون هم الذين:

- . صبروا على طاعة الله، فلم يملوا ولم يفتروا
- . صبروا عن معصية الله، فلم يندعوا بزينة الدنيا
- . صبروا على أقدار الله، فلم يتسخطوا حين خرموا

• صبروا عن حسد أهل الدنيا، فلم يقولوا "يا ليت لنا مثل ما أوتي فلان"

لماذا خُص الصابرون بهذا؟

لأن الدنيا زخرف وفتنة، ومقاومة هذه الفتنة تحتاج إلى صبر عظيم:

- صبر على الحرمان المؤقت) في الدنيا (مقابل النعيم الدائم) في الآخرة)
- صبر على نظرات الناس الساخرة حين يرونك أقل منهم مالا
- صبر على وساوس النفس التي تهمس: "خذ حظك من الدنيا"
- صبر على شهوات النفس التي تريد أن تنغمس في الزينة

السمات البيانية

"ثا يُلقاها" - الفعل مبني للمجهول، يعني هذه الخصلة أو هذه الجنة أو هذه الحكمة لا يعطاها أحد إلا الصابرون. إنها هدية خاصة للصابرين.

"إلا الصابرون" - الحصر هنا قصر موصوف على صفة، يعني أن الصبر هو الشرط الوحيد تقريباً للوصول إلى هذه المنزلة.

"الصابرون" - جمع، والجمع هنا للمبالغة، أي أن الصبر يحتاج إلى جماعة من الصفات: صبر على الطاعة، صبر عن المعصية، صبر على البلاء، صبر عن الحسد.

الدلالات التربوية والنفسية

- الصبر ليس مجرد احتمال، بل هو سلاح المؤمن
- من أراد البصيرة، فعليه بالصبر
- من أراد الجنة، فعليه بالصبر
- من أراد أن لا يحسد أهل الدنيا، فعليه بالصبر
- الصبر مفتاح كل خير، وباب كل فضيلة

اهم المواضيع

الموضوع الأول: النظرة السطحية والنظرة العميقة - صراع المعايير

ملامح النظرة السطحية

أصحاب النظرة السطحية هم الذين:

- يقيسون النجاح بالمادة: من يملك أكثر هو أنجح
- ينظرون إلى الظاهر: يرون الزينة ولا يرون ما وراءها
- يحسدون أهل الدنيا: يتمنون ما عند غيرهم
- يجهلون العواقب: لا يفكرون في الحساب والعقاب
- ينخدعون بالمظاهر: يعتقدون أن من أوتي مالا فقد أوتي خيراً

ملامح النظرة العميقة

أصحاب النظرة العميقة هم الذين:

- يقيسون النجاح بالآخرة: من فاز بالجنة هو الناجح الحقيقي
- ينظرون إلى البواطن: يرون الحقائق لا المظاهر
- لا يحسدون أهل الدنيا: يعلمون أن ما عندهم فتنة
- يفكرون في العواقب: يعلمون أن الحساب قادم
- لا ينخدعون بالمظاهر: يعلمون أن كثرة المال لا تدل على رضا الله

لماذا تختلف النظرة؟

لأن الإنسان يحكم بما عنده. من كان عنده علم الدنيا فقط، حكم بالظواهر الدنيوية. ومن كان عنده علم البصيرة، حكم بالحقائق الإلهية. العلم هو الذي يصنع النظرة.

الدروس المستفادة

- . لا تحكم على الناس بمالهم، فرب فقير أغنى عند الله
 - . لا تغتر بزينة الدنيا، فهي زائلة وفتنة
 - . اطلب العلم النافع الذي يبصرك بالحقائق
 - . درب نفسك على النظرة العميقة، تتجنب خداع المظاهر
- الموضوع الثاني: "الحظ العظيم" - بين المفهوم الدنيوي والمفهوم الإيماني

مفهوم الحظ العظيم عند أهل الدنيا

عندهم هو:

- . المال الكثير
- . الزينة الفاخرة
- . المنصب الرفيع
- . القوة الغاشمة
- . الشهرة الواسعة

وهذه كلها أوهام، لأنها:

- . زائلة لا تبقى
- . مشغلة عن الله
- . محاسب عليها
- . قد تكون سبباً في الهلاك

مفهوم الحظ العظيم عند المؤمن

عند المؤمن هو:

- . الإيمان بالله
- . العمل الصالح
- . الثواب الأخروي
- . القناعة والرضا
- . محبة الله ورسوله

وهذا هو الحظ الحقيقي، لأنه:

- . دائم لا يزول
- . يقرب إلى الله
- . لا حساب عليه بل ثواب
- . سبب في النجاة

كيف نغير مفهومنا للحظ العظيم؟

- . أعد تعريف النجاح في حياتك
- . اجعل الآخرة هي هدفك الأكبر
- . لا تحسد أحداً على شيء دنيوي
- . تذكر أن كثرة المال قد تكون استدراجاً
- . انظر إلى من هو أعلى منك في الدين، وإلى من هو أدنى منك في الدنيا

الدروس التربوية

- . رب نفسك على أن الحظ العظيم هو حظ الآخرة
- . علم أولادك ألا يحسدوا أهل الدنيا
- . اجعل قدوتك هم الصالحين، وليس الأغنياء

. لا تزن الناس بمالهم، بل بدينهم وأخلاقهم
الموضوع الثالث: ثواب الله - الخير الحقيقي

ما هو ثواب الله؟

ثواب الله هو كل ما أعده الله لأوليائه:

- . الجنة وما فيها من نعيم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
- . الرضوان الأكبر وهو أفضل من الجنة
- . النظر إلى وجه الله الكريم
- . الأمن من الخوف والحزن
- . الخلود في النعيم

لماذا هو خير من كل شيء؟

لأنه:

- . دائم، بينما الدنيا فانية
- . نقي، بينما الدنيا مشوبة بالآلام
- . كافٍ، بينما الدنيا لا تشبع
- . بلا حساب، بينما الدنيا عليها حساب
- . بلا زوال، بينما الدنيا تزول

كيف ننال ثواب الله؟

بالطريق الذي ذكره الله:

- . الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر
- . العمل الصالح، وهو كل ما يرضي الله
- . الصبر على ذلك، لأن الطريق طويل

الدروس التربوية

- . اجعل همك الآخرة، تفلت لك الدنيا
 - . لا تبيع الآخرة بالدنيا، فإنها صفقة خاسرة
 - . اعلم أن ما عند الله خير وأبقى
 - . لا تغتر بزينة الدنيا، فهي سراب
- الموضوع الرابع: الصبر - المفتاح العظيم

معنى الصبر في هذا السياق

الصبر هنا له وجوه متعددة:

- . صبر على الحرمان: أن تحرم من زينة الدنيا ولا تحسد من أوتيها
- . صبر على العبادة: أن تواصل الطاعة ولا تمل
- . صبر عن المعصية: أن تترك شهوات الدنيا
- . صبر على الأذى: أن تتأذى من نظرات الناس ولا ترد

لماذا لا يلقي هذه المنزلة إلا الصابرون؟

لأن الطريق إلى البصيرة يحتاج إلى:

- . صبر عن التسرع: لا تحكم على الأمور بسرعة
- . صبر عن الهوى: لا تتبع هواك في تقييم الناس
- . صبر عن الحسد: لا تحسد من أوتي زينة الدنيا
- . صبر على الفهم: العلم يحتاج إلى صبر على التعلم

والطريق إلى الجنة يحتاج إلى:

- صبر على طاعة الله في السر والعلن
- صبر عن معصية الله عند وجود الداعي
- صبر على أقدار الله المؤلمة

ثمرات الصبر

- البصيرة: يبصر الحقائق
- النجاة: ينجو من الحسد والطمع
- الثواب: ينال الجنة
- الرضا: يرضى بقضاء الله
- القوة: يقوى على مواجهة الفتن

الدروس التربوية

- درب نفسك على الصبر، فهو مفتاح كل خير
- لا تستعجل النتائج، فالصبر له ثماره
- تذكر أن الصبر صعب لكن ثمرته حلوة
- استعن بالله على الصبر، فهو الموفق
- الموضوع الخامس: كيف نعيش هاتين الآيتين في حياتنا العملية؟

اختبار نفسك يومياً

- عندما ترى غنياً متباهياً: ما هو شعورك؟ هل تقول "يا ليت لي مثل ما أوتي" أم تقول "ثواب الله خير"؟
- عندما تحسد أحداً: هل تراجع نفسك وتذكر أن الحظ العظيم هو عند الله؟
- عندما تشتهي زينة الدنيا: هل تصبر وتذكر أن ما عند الله خير وأبقى؟
- عندما يقارنك الناس بغيرك: هل تثبت على مبادئك أم تتزعزع؟

التطبيق العملي للنظرة العميقة

- أعد ترتيب أولوياتك: الآخرة أولاً ، ثم الدنيا
- غير معايير نجاحك: لا تقس النجاح بالمال، بل بالإيمان والعمل الصالح
- تعلم الصبر: اصبر على الحرمان، اصبر على العبادة، اصبر عن المعصية
- تذكر دائماً: ثواب الله خير، وهو وحده الباقي

ما تعلمنا إياه الآيتان من قيم ومبادئ

- قيمة البصيرة: أن ترى ما وراء المظاهر
- قيمة الصبر: الطريق إلى كل خير
- قيمة الأجر الأخروي: هو المقياس الحقيقي
- قيمة عدم الحسد: فلا تحسد أهل الدنيا
- قيمة النصيحة: أن تنبه الغافلين
- الموضوع السادس: الأبعاد التربوية والنفسية والفكرية

البعد التربوي: تربية المسلم على الصبر والبصيرة

هاتان الآيتان تربيانه على:

- ألا يحسد أهل الدنيا، لأنهم قد يكونون في فتنة
- أن يصبر على الحرمان، لأن ما عند الله خير
- أن يزن الأمور بميزان الله، لا بميزان الناس
- أن يكون من أهل البصيرة، لا من أهل السطحية

البعد النفسي: علاج الحسد والطمع

الآيتان تعالجان مرضاً نفسياً خطيراً هو الحسد:

- . الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
- . الحسد يحرق صاحبه قبل أن يحرق محسوده
- . الحسد يمنع صاحبه من التلذذ بنعم الله عليه
- . الحسد يجعله يعيش في حسرة دائمة

العلاج: أن تتذكر أن ثواب الله خير، وأن ما عند الناس زائل، وأن الصبر هو المفتاح.

البعد الفكري: تصحيح مفهوم النجاح

الآيتان تصححان مفهوماً خاطئاً عن النجاح:

- . النجاح ليس كثرة المال، بل كثرة الإيمان
- . النجاح ليس مكانة عند الناس، بل مكانة عند الله
- . النجاح ليس التمتع بالدنيا، بل الفوز بالآخرة
- . النجاح ليس أن يقال عنك "ذو حظ عظيم"، بل أن يقال عنك "رحمه الله وأدخله جنته"

بناء التصور الذهني: هناك دائماً فئتان

الآيتان تبنيان في ذهنك تصوراً بأن الناس دائماً فئتان:

- . فئة تنظر إلى الظاهر فتحسد
- . وفئة تنظر إلى الباطن فتصبر

عليك أن تختار أي الفئتين تريد أن تكون.

بناء العاطفة: القناعة والرضا

الآيتان تزرعان في قلبك عاطفة القناعة والرضا:

- . القناعة بما قسم الله لك
- . الرضا بما آتاك الله
- . عدم التطلع إلى ما عند غيرك
- . اليقين بأن ما عند الله خير

بناء النفس المتزنة: بين الرغبة في الدنيا والرغبة في الآخرة

النفس التي تستوعب هاتين الآيتين تصبح متزنة:

- . تعمل للدنيا لكن لا تنسى الآخرة
 - . تتمتع بالحلال لكن لا تبطر
 - . ترى زينة الدنيا لكن لا تغتر
 - . تحسد أحياناً لكن تراجع نفسها بالصبر
- الموضوع السابع: الدروس المستفادة والرسائل العملية

الرسائل النفسية

- . لا تحسد أحداً، فرب محسود أشد عذاباً من الحاسد
- . لا تغتر بزينة الدنيا، فتحت الزينة ديدان
- . لا تقيس الناس بمالهم، فكم من غني تعيس وكم من فقير سعيد
- . لا تتمنّ ما عند غيرك، فإنك لا تدري ما فيه من بلاء
- . تذكر أن ثواب الله خير، فاطلبه ولا تلهك عنه الدنيا

الرسائل التربوية

- رب أولادك على القناعة، لا على الطمع في زينة الناس
- علمهم ألا يحسدوا أحداً، وأن الحسد يحرق القلب
- ربهم على الصبر، فهو مفتاح الجنة
- اجعل قدوتهم الصالحين، لا الأغنياء والمشاهير
- علمهم أن النجاح الحقيقي هو الفوز بالجنة، لا جمع المال

الرسائل العملية

- عندما ترى غنياً متباهياً، قل في نفسك: "ثواب الله خير"
- عندما تحسد، تذكر أن الحسد يأكل الحسنات
- عندما تشتت، تذكر أن الصبر مفتاح الجنة
- عندما تقارن نفسك بغيرك، قارن في الدين لا في المال
- عندما تخطط لحياتك، اجعل الآخرة هدفك الأكبر

كيف نعيش هاتين الآيتين اليوم؟

- كل يوم: اقرأ هاتين الآيتين وتدبرهما
- كل نظرة إلى زينة الدنيا: ذكر نفسك بأن ثواب الله خير
- كل شعور بالحسد: استغفر الله واصبر
- كل مقارنة مع الأغنياء: انظر إلى من هو أفقر منك جسدياً، وإلى من هو أبقى منك روحياً
- كل صباح: جدد نيتك بأن تكون من الصابرين
- الخلاصة: رسالة الآيتين لك شخصياً

أنت أيها الإنسان...أنت الآن أمام مشهد قارون وهو يخرج في زينته. الناس حولك ينقسمون إلى فئتين:

فئة تقول: "يا ليت لي مثل ما أوتي فلان، إنه ل ذو حظ عظيم". تنظر إلى السيارة الفارهة، إلى القصر الشاهق، إلى الغياب البراقة، إلى الحسابات البنكية الضخمة، فتحسد، وتتمنى، وتأنى، وتحسّر.

وفئة تقول: "ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً". تنظر إلى نفس المشهد فتري ما وراء الأضواء: فتنة، حساب، سؤال، ربما عذاب. فتصبر، وترضى، وتشكر، وتعمل للآخرة.

أي الفئتين أنت؟

إن كنت من الفئة الأولى، فاعلم أنك في خطر. الحسد سيأكل حسناتك، والطمع سيشغل قلبك، والدنيا ستسرق آخرتك. وستبقى طول عمرك تقول "يا ليت" و"يا ليت"، ولن تنتهي حياتك إلا بحسرة.

وإن كنت من الفئة الثانية، فأبشر. أنت من الذين أوتوا العلم، الذين نظروا إلى الحقائق لا إلى المظاهر، الذين صبروا فاستحقوا الثواب العظيم. اصبر قليلاً، فإن الجنة تنتظرك، وثواب الله خير وأبقى.

تذكر: قارون خرج في زينته ثم خسف به. الذي قالوا "يا ليت لنا مثله" لم يبق لهم شيء، والذي قالوا "ثواب الله خير" فازوا بالدنيا والآخرة.

فاختر لنفسك اليوم: أي الفريقين تريد أن تكون؟

المبحث الثاني

تفسير الآية 81 من سورة القصص: لحظة الخسف - عندما ينتهي الغرور إلى صمت القبور

مقدمة: المشهد الأخير - من القمة إلى القاع في لحظة

تخيل معي هذا المشهد الذي لا يُنسى:

قارون يخرج في زينته، تتمايل به الخيول، وتتطاير أمامه الرياحين، والناس ينظرون إليه بإعجاب أو حسد. بعضهم يتمنى لو كان مكانه، وبعضهم يذكرهم الله بأن ثوابه خير. ولكن قارون في غيه سكران، لا يسمع النصيحة، ولا يرى الحقيقة، ولا يتوقع النهاية.

وفجأة...تشقق الأرض من تحت قدميه.

ليس إنذاراً، ولا تقديماً، ولا مهلة. بل خسف مفاجئ، سريع، مدمر. تبتلع الأرض، وبيته، وكنوزه، وكل ما جمع، وكل ما بنى، وكل ما افتخر به. في لحظات، يختفي من على وجه الأرض كما لو لم يكن. ولا يبقى له أثر إلا الندم في قلوب الغافلين، والعبرة في عقول المؤمنين.

هذه هي الآية 81. إنها لحظة الحقيقة، فصل الختام، نهاية المأساة. إنها تريككم ماذا يفعل الله بـ المتكبرين حين يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ثم تأتي المفاجأة الكبرى: بعد كل هذا المال، وكل هذه القوة، وكل هذه العصبية أولي القوة التي تحمل مفاتيحه... لم يجد ناصراً، ولا منتصراً، ولا يداً تمتد له، ولا صوتاً يرفع له. تركوه وحيداً، ومات وحيداً، وخسف به وحيداً.

هذه الآية هي الجرس الأخير، وهي القصص العادل، وهي العبرة البالغة لكل من يظن أن المال أو الجاه أو القوة ستحميه من عذاب الله. أهداف الآية ومقاصدها

هذه الآية تحقق أهدافاً قاسية لكنها ضرورية:

- بيان عاقبة البغي والطغيان: أن نهايتها الخسف والدمار
 - تحطيم أوهام الحماية: أنه لا مال ولا جاه ولا عصبية تحمي من الله
 - إثبات عدل الله: أن كل طاغ سيلقى جزاءه
 - إقامة الحجة على المغرورين: بأن كل ما يعتمدون عليه زائل
 - تربية المؤمن على التوكل على الله وحده: لا على الأسباب
- الأمر الأول: "فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضُ"

دلالة "فَخَسَفْنَا" - الفعل الإلهي المفاجئ

تأمل الفعل "خَسَفْنَا"، ونحن نعلم أن "خسف" يعني ذهاب الشيء في الأرض. لكن عندما يُنسب الفعل إلى الله بـ "نا" الدالة على العظمة، يصبح مشهداً مرعباً. ليس خسفاً عادياً، بل خسفاً إلهياً، فيه القهر، وفيه العقاب، وفيه الإذلال، وفيه إرادة لا ترد.

"ف" الفاء هنا للسرعة والتعقيب. لم يمهل الله بعد أن قال "إنما أوتيته على علم عندي". لم ينتظر. جاء العقاب فوراً، سريعاً، حاسماً. إنها رسالة: إذا أردت الله أن يبسط بك، فلن تنتفس بعده.

"بِهِ وَبَدَارَهُ" - لماذا الدار؟

"بِهِ" أولاً، ثم "بَدَارَهُ". بدأ بنفسه، لأنه هو الأصل في الطغيان. ثم بداره، وهي مسكنه ومقر ملكه. وهذا له دلالات عميقة:

- لم ينجُ هو، ولم تنجُ داره: أي أن كل ما كان يفتخر به ذهب
- الدار ترمز إلى الأهل والمال والجاه: كل ذلك خسف به
- الخسف شمل المكان الذي كان يأوي إليه: لا ملجأ ولا مأوى بعد اليوم

بعض المفسرين قال: خسف به إلى الأرض السفلى، وبداره أيضاً. وقيل: جعل الله الأرض تطبق عليه وعليها. وقيل: صار هو وداره في بطن الأرض، وأصبح مكانهما خراباً.

"الْأَرْضُ" - أي أرض؟

الأرض هنا هي الأرض التي كان يمشي عليها متكبراً، التي كان يظن أنها تحت أمره. لكنها انقلبت عليه. إنها شهادة الأرض على صاحبها، تماماً كما تشهد يوم القيامة على ما عمل عليها. الأرض التي تباهى عليها صارت قبره وسجنه.

اللمسات البيانية والبلاغية

الفعل "خَسَفْنَا" - جاء بصيغة المتكلم الجمع نحن (للتعظيم، فيها جلال وهيبة. ليس خسفاً طبيعياً، بل بطش إلهي مباشر.

"به ويدراره" - تقديم النفس على الدار لبيان أن العقاب أصله في نفسه، والدار تبع. ومع هذا، لم تسلم الدار. شمولية العقاب.

"الأرض" - منكرة في سياق المعرفة، مما يشير إلى أن الأرض التي خسفت به ليست مجرد أرض عادية، بل هي الأرض المعهودة التي يعرفها الناس.

الخسف - هو الذهاب في الأرض، وفيه إشارة إلى المقابلة:

- . كان قارون يتعالى على الناس، فجعلته الأرض تحته.
- . كان يظن أنه سيخلد في داره، فصارت داره قبره.
- . كان يفتخر بأنه يملك الأرض، فابتلعت الأرض.

لماذا الخسف بالذات؟

لأن قارون خرج من الأرض (فجازي بأن عاد إلى الأرض. ولأنه تكبر على من خلقهم من تراب، فجوزي بأن صار تراباً. ولأنه ظن أنه لا أحد يقدر عليه، فجعل الله أقرب شيء إليه (الأرض (هي التي تقدر عليه. إنها عقاب من جنس العمل، ولكن بشكل أشد وأفظع.

دلالات الخسف في التفسير

قال المفسرون: خسف الله بقارون الأرض فجعلها تطبق عليه، فهو يتجلل في الأرض إلى يوم القيامة. وقيل: إنه كلما ذهب إلى أسفل، تطبق عليه الأرض، وهو يسمع وقع أقدام الناس فوقه. بعض الروايات تقول: إنه يخسف به كل يوم قامة، إلى يوم القيامة. إنها عذاب مستمر، ونكال لمن خلفه.

الدروس التربوية من مشهد الخسف

- . لا تغتر بقوتك: الأرض التي تحت قدميك قد تبتلعك.
- . لا تأمن مكر الله: عقابه يأتي بغتة.
- . لا تظن أن لك حصانة: ولا مال ولا جاه يمنع الخسف.
- . تذكر أن الله قادر على إذلالك في لحظة: من أذل العباد أن يبتلعهم التراب.
- . كن متواضعاً: فإن الأرض تبتلع المتكبرين.
- . الأمر الثاني: "فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ"

معنى "فِئَةٍ" - من كانوا معه؟

الفئة هي الجماعة التي تجتمع لنصرة بعضها. قارون كانت له عصبة أولي قوة، وكان له أتباع وخدم، وكان له قومه الذين خرج فيهم. أين هم الآن؟

"مِنْ فِئَةٍ" - نكرة في سياق النفي، تفيد العموم والنفي الكلي، أي لا أي فئة كانت، مهما كانت قوتها، ومهما كان عددها، ومهما كانت ولاءاتها.

"يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ"

هذه صفة الفئة التي يبحث عنها كل طاغ: فئة تنصره من دون الله. أي:

- . تنصره إذا أراد الله به سوءاً
- . تمنع عنه عذاب الله
- . تدفع عنه عقاب الله

لكن لم توجد. لأنه لا أحد ينصر من دون الله. ولا مال، ولا جاه، ولا قوة، ولا أتباع. كلهم يتخلى عنك في لحظة الحقيقة.

"مِنْ دُونِ اللَّهِ" - لماذا هذا التعبير؟

"من دُون الله" تعني من غير الله، أي من سوى الله، من المخلوقين. هذا التعبير يؤكد أن النصر الحقيقية لا تكون إلا من الله. والنصرة من غيره نصره مزيفة، تختفي عند أول امتحان.

تأمل: لم يقل "من دون الناس" بل "من دون الله"، لأن الله هو الأصل في النصر. من يطلب النصر من غيره فقد أشرك، أو على الأقل أساء التوكل.

أين كانت الفئات التي كان يفتخر بها؟

- . العصابة أولو القوة الذين كانوا يحملون مفاتيحه؟ لم ينصروه، بل فروا أو هلكوا معه.
- . أتباعه وخدامه الذين كانوا يخدمونه؟ تركوه لأنه لا نصره عند الموت.
- . قومه الذين خرج فيهم؟ بعضهم حسده، وبعضهم نصحه، لكن لا أحد استطاع أن ينصره.
- . ماله وكنوزه؟ ذهبت معه في بطن الأرض.
- . علمه الذي ادعاه؟ لم ينفعه لأنه كان علماً ناقصاً.

اللمسات البيانية والبلاغية

"فَمَا كَانَ لَهُ" - هذه الصيغة تدل على النفي المطلق، وتؤكد أنه بعد الخسف، لم يبق له شيء.

"مِنْ فِئَةٍ" - التنكير يدل على التحقير، أي أنه لم يجد حتى فئة حقيرة تنصره.

"يَنْصُرُونَهُ" - الفعل مضارع، يفيد الاستمرارية، أي لو حاولوا أن ينصروه لما استطاعوا.

"مِنْ دُونِ اللَّهِ" - تأكيد على أن النصر الحقيقية هي من الله فقط.

الدروس التربوية والنفسية

- . لا تعتمد على فئة أو حزب أو قبيلة: كلهم يتخلى عنك إلا من رحم الله
 - . لا تظن أن لك أنصاراً يمنعونك عذاب الله: لن يمنعك أحد
 - . اجعل الله وحده ناصرك: هو الذي ينصر ولا يُنصر
 - . تذكر يوم القيامة: كل من كان معك في الدنيا سيبتراً منك
 - . لا تغتر بكثرة الأتباع: فهم أول من يتركك عند الشدة
- الأمر الثالث: "وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ"

معنى "المنتصرين"

المنتصر هو الذي ينتصر لنفسه، أي يأخذ بثأره، أو يرد عن نفسه الهلاك. قارون لم يكن من هؤلاء:

- . لم يستطع أن ينتصر على الأرض التي ابتلعه
- . لم يستطع أن ينتصر على الله الذي عاقبه
- . لم يستطع أن ينتصر لنفسه بالهرب أو المقاومة

"مِنَ الْمُنتَصِرِينَ" - نفي الانتصار

هذا النفي شامل ومؤكد:

- . لم ينتصر بنفسه) فما كان من المنتصرين)
- . لم ينتصر به غيره) فما كان له من فئة تنصره)
- . لم يجد وسيلة للخلاص) لا بقوة ولا بحيلة)

إنها ذروة الذل: أن تكون عاجزاً عن الانتصار لنفسك، وعاجزاً عن إيجاد من ينتصر لك.

الفرق بين "فئة تنصره" و"من المنتصرين"

- . الأولى: تتحدث عن النصر الخارجية - هل وجد جماعة تنصره؟
- . الثانية: تتحدث عن النصر الذاتية - هل كان هو قادراً على الانتصار لنفسه؟

كلاهما نفي. لا ناصر من الخارج، ولا قدرة على الانتصار من الداخل. هذا هو العجز المطلق، الذي يصل إليه كل طاغ في لحظة حقيقته.

لماذا لم يكن من المنتصرين؟

لأن:

- . المنتصر هو من كان معه سلاح أو قوة: وقارون سلاحه وقوته من ماله وأتباعه، وكل ذلك ذهب.
- . المنتصر هو من كان معه حيلة أو خطة: وقارون خطته كانت الاعتماد على ماله، وخذله ماله.
- . المنتصر هو من كان معه علم ينفعه: وعلمه كان سبب طغيانه، لا سبب نصرته.
- . المنتصر هو من كان معه إيمان بالله: وقارون لم يكن مؤمناً حقاً، بل كان كافراً أو منافقاً.

اللمسات البيانية

"وَمَا كَانَ" - صيغة نفي تدل على الاستمرار في الماضي، أي لم يكن في أي لحظة من لحظات الأزمة من المنتصرين.

"مِنَ الْمُنتَصِرِينَ" - جمع محلى بـ "أل" للعموم، أي ليس من جنس المنتصرين، ولا من أحدهم.

تقديم النفي الثاني على التأكيد - بعد أن نفى وجود فئة تنصره، نفى أنه هو نفسه ينتصر. إنه الإفلاس الكامل.

الدروس التربوية

- . لا تظن أنك تنتصر بقوتك: فالقوة الحقيقية هي من الله.
 - . لا تعتمد على نفسك: فأنت عاجز إلا بعون الله.
 - . تذكر أن كل منتصر في الدنيا، قد لا ينتصر في الآخرة.
 - . الانتصار الحقيقي هو الفوز برضا الله والجنة.
 - . من غره الانتصار في الدنيا، خسر الانتصار في الآخرة.
- أهم المواضيع**
الموضوع الأول: عاقبة البغي والطغيان - الخسف نموذجاً

الخسف: نموذج للعقاب الإلهي

الخسف ليس عقاباً عادياً، بل هو عقاب خاص بالمتكبرين الذين ظنوا أنهم يملكون الأرض. إنه:

- . عقاب من جنس الذنب: كان يمشي على الأرض متكبراً، فجعلت الأرض قبره.
- . عقاب مفاجئ: لم يمهّل، لأن الإمهال كان قد انتهى.
- . عقاب شامل: شمله وداره وكل شيء.
- . عقاب معجل: قبل الموت، ليكون عبرة لمن خلفه.
- . عقاب ممتد: بعض الروايات تشير إلى أنه يعذب في الأرض إلى يوم القيامة.

لماذا خُص قارون بالخسف؟

لأنه جمع بين أنواع الطغيان:

- . طغيان بالمال) كنوز لا تحمل مفاتيحها عصابة).
- . طغيان بالعلم) إنما أوتيته على علم عندي).
- . طغيان بالقوة) كان من قوم موسى فيبغى عليهم).
- . طغيان بالزينة) خرج على قومه في زينته).
- . طغيان بالأنصار) كانت له فئة، لكنهم تركوه).

فاستحق عقاباً خمسة أبعاد:

- . خسف به) عقاب الجسد).
- . وبداره) عقاب المسكن).

- فما كان له من فئة) عقاب العلاقات)
- ينصرونه) عقاب الأمل)
- وما كان من المنتصرين) عقاب الذات)

دروس من عاقبة قارون

- لا تظن أنك ستهرب من العقاب: الأرض تبتلعك
 - لا تظن أن مالك سينقذك: المال يغرق معك
 - لا تظن أن أتباعك سينصرونك: هم أول من يتركك
 - لا تظن أن قوتك ستحميك: القوة تزول في لحظة
 - لا تظن أن علمك سينفعك: العلم بلا إيمان وبال عليك
- الموضوع الثاني: وهم الحماية – لماذا لا ينفع المال والجاه؟

أوهام قارون الخمسة

تخيل قارون وهو يخرج في زينته .كان يعتقد أن لديه خمسة أشياء تحميه:

- 1.الوهم الأول: المال يحمي – ظن أن كنوزه ستفديه .لكنها أصبحت ثقلاً عليه في الخسف.
- 2.الوهم الثاني: القوة تحمي – ظن أن عصبة أولي القوة ستنصره .لكنهم خذلوه.
- 3.الوهم الثالث: العلم يحمي – ظن أن علمه سينجيّه .لكن علمه أرداه.
- 4.الوهم الرابع: الدار تحمي – ظن أن قصره وحصنه سيحميه .لكن داره صارت قبره.
- 5.الوهم الخامس: الجاه يحمي – ظن أن مكانته بين الناس ستنفعه .لكن لا جاه عند الموت.

حقيقة الحماية

الحماية الحقيقية هي من الله وحده:

- من حماه الله، لا يضره شيء
- ومن خذله الله، لا ينفعه شيء
- الحماية ليست بالأسباب، بل بمسبب الأسباب
- الأسباب تنفع بإذن الله، وتضر بإذن الله

الدروس المستفادة

- لا تعلق قلبك بالأسباب، بل بالله
 - لا تظن أن المال سيحميك من مرض أو موت أو عقاب
 - لا تغتر بكثرة الأتباع، فهم يتركوك عند أول محنة
 - لا تعتمد على قوتك، فالقوة الحقيقية هي قوة الإيمان
 - توكل على الله، فهو خير حافظاً وخير ناصرًا
- الموضوع الثالث: العزلة في لحظة الحقيقة – لماذا يترك الجميع؟

ظاهرة التخلي

قارون كان له قوم، وله عصبة، وله أتباع، وله خدام .لكن في لحظة الخسف:

- لم يمدوا له يداً
- لم يرفعوا له صوتاً
- لم يقدموا له حيلة
- لم يحاولوا إنقاذه

هذه ظاهرة بشرية: التخلي عن الشخص في لحظة سقوطه .خاصة إذا كان هذا الشخص متكبراً ظالماً، فإن الناس تفرح بسقوطه ولا تحزن عليه.

لماذا يتخلى الناس عن الطاغية؟

لأن:

- . خافوا على أنفسهم - لا يريدون أن يخسف بهم أيضاً
- . علموا أن لا طاقة لهم بالله - لا يستطيعون منع عذاب الله
- . كانوا يبغضونه في السر - فلم يبادروا إلى نصرته
- . رأوا فيه عقاباً إلهياً - فلا يعترضون على حكم الله
- . كانوا ينتظرون سقوطه - فجاء وقت سقوطه

دروس من هذه العزلة

- . لا تظن أن الناس سيحبونك لظلمك - بل يبغضونك في قلوبهم
- . لا تظن أن أتباعك مخلصين - هم معك للمصلحة، ومع غيرك عند زوالها
- . اعمل لله وحده - فهو الذي لا يتخلى عنك
- . توقع العزلة عند الشدة - فلا تحزن إذا تخلى عنك الناس
- . اجعل الله صاحبك وأنيستك - فهو خير جليس في الأوقات العصيبة
- . الموضوع الرابع: الانتصار - حقيقته ومعناه

مفهوم الانتصار عند الناس

عند أهل الدنيا، الانتصار هو:

- . الغلبة على الأعداء
- . البقاء والخلود
- . جمع المال والجاه
- . الهروب من العقاب

لكن هذا انتصار زائف، لأنه مؤقت، ولأنه لا يقي من عذاب الله، ولأن صاحبه قد يكون خاسراً في الآخرة.

مفهوم الانتصار عند الله

عند الله، الانتصار الحقيقي هو:

- . الفوز بالجنة والنجاة من النار
- . رضا الله عنك
- . الخلود في النعيم
- . النصر على النفس والشیطان
- . الموت على الإيمان

لماذا لم ينتصر قارون؟

لأنه:

- . طلب الانتصار بالباطل، فخاب
- . اعتمد على غير الله، فخذل
- . غره ماله وجاهه، فخسر
- . نفسه كانت أعدى أعدائه، فلم ينتصر عليها
- . لم يتب إلى الله، فلم يغفر له

دروس في الانتصار

- . اطلب الانتصار من الله، لا من نفسك أو مالك
- . انتصارك على نفسك هو أعظم انتصار
- . لا تفرح بانتصارك في الدنيا، فقد يكون سبب خسارتك في الآخرة
- . الانتصار الحقيقي هو أن تموت مؤمناً
- . لا تظن أنك تنتصر بقوتك، فالله هو الناصر
- . الموضوع الخامس: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

اختبار نفسك يوميا

- عندما تشعر بالتكبر: تذكر أن الأرض قد تبتلعك
- عندما تغتر بمالك: تذكر أن قارون خسف بماله
- عندما تعتمد على أتباعك: تذكر أنهم سيتركوك
- عندما تظن أنك تنتصر: تذكر أن الانتصار الحقيقي عند الله
- عندما تأمن العقاب: تذكر أن عقاب الله يأتي بغتة

التطبيق العملي للخوف من الخسف

- تواضع لله وللناس: المتواضع يرفعه الله، والمتكبر يخسف به
- لا تعلق قلبك بالدنيا: فإنها زائلة، وصاحبها قد يخسف به
- استعد للآخرة: فالمال لا ينفع، ولا الأتباع، ولا القوة
- تب إلى الله قبل فوات الأوان: فقارون لم يتب، فلم ينفعه ندمه
- تذكر دائما: أنت على أرض قد تبتلعك في أي لحظة

ما تعلمنا إياه الآية من قيم ومبادئ

- قيمة التواضع: الخسف جزاء المتكبرين
- قيمة التوكل: لا ناصر إلا الله
- قيمة الاستعداد للموت: فقد يأتي بغتة
- قيمة عدم الاغترار: بالأسباب والظواهر
- قيمة التوبة: قبل أن يأتي العقاب
- الموضوع السادس: الأبعاد التربوية والنفسية والفكرية

البعد التربوي: تربية المسلم على الخوف من عاقبة الطغيان

الآية تربيته على:

- ألا يغتر بقوته أو ماله
- أن يخاف من عقاب الله الذي يأتي بغتة
- أن يكون متواضعا، لأن التواضع يرفع، والتكبر يخفض
- أن يعلق قلبه بالله، لا بالأسباب

البعد النفسي: علاج الكبر والعجب

الآية تعالج مرض الكبر الذي يصيب أصحاب النعم:

- العلاج: تذكر الخسف - أن الأرض قد تبتلعك
- العلاج: تذكر العزلة - أن الجميع سيتخلى عنك
- العلاج: تذكر العجز - أنك لن تنتصر لنفسك
- العلاج: تذكر قارون - عبرة لكل متكبر

البعد الفكري: تصحيح مفهوم الأمن

الآية تصحح مفهوما خاطئا عن الأمن:

- الأمن الحقيقي ليس بالأسباب المادية
- الأمن الحقيقي هو الأمن من عذاب الله
- من آمنه الله، لا خوف عليه
- من خذله الله، لا أمان له

بناء التصور الذهني: الدنيا دار ممر لا دار مقر

الآية تبني في ذهن تصورا بأن الدنيا ليست دار قرار:

- . قد تأتي النهاية في أي لحظة
- . قد تخسف الأرض بمن عليها
- . قد تزول الأسباب فجأة
- . فلا تغتر، ولا تأمن، ولا تنس الآخرة

بناء العاطفة: الخوف المشوب بالرجاء

الآية تثير في القلب خوفاً من عاقبة الطغيان، لكنها مع ذلك تترك باب الرجاء مفتوحاً لمن تاب وآمن .
الخوف هنا وقائي، يمنع من الوقوع في الكبر.

بناء النفس المتزنة: بين التواضع والتوكل

النفس التي تستوعب هذه الآية تصبح:

- . متواضعة، لا تغتر بنفسها أو مالها
- . متوكلة، تعلم أن الناصر الحقيقي هو الله
- . متعقلة، تخطط للدنيا لكن لا تنسى الآخرة
- . خائفة، من عاقبة الكبر والطغيان
- . راجية، رحمة الله التي وسعت كل شيء
- الموضوع السابع: الدروس المستفادة والرسائل العملية

الرسائل النفسية

- . لا تغتر بقوتك: فالأرض التي تمشي عليها قد تبتلعك
- . لا تغتر بمالك: فالمال لا يقي من عذاب الله
- . لا تغتر بأتباعك: فسيتخلى عنك الجميع
- . لا تغتر بنفسك: فلن تنتصر لنفسك
- . لا تأمن عقاب الله: فإنه يأتي بغتة

الرسائل التربوية

- . رب أولادك على التواضع: علمهم أن المتكبر يخسف به
- . ربهم على التوكل على الله: لا على المال أو الجاه
- . ربهم على الخوف من عاقبة الطغيان: اقصص عليهم قصة قارون
- . ربهم على الاعتبار بمن كان قبلهم: ليعلموا أن السنن لا تتغير
- . ربهم على الاستعداد للموت: فإنه آتٍ لا محالة

الرسائل العملية

- . كل يوم: اقرأ قصة قارون وتذكر خسفه
- . كل شعور بالتكبر: تذكر أن الأرض تبتلع المتكبرين
- . كل اعتماد على المال: تذكر أن قارون خسف بماله
- . كل شعور بالأمان من العقاب: تذكر أن عقاب الله أشد
- . كل غفلة عن الآخرة: تذكر أن النهاية قريبة

كيف نعيش هذه الآية اليوم؟

- . في الصباح: احمد الله أن لم يخسف بك الأرض
- . في النهار: تذكر قارون كلما رأيت متكبراً أو غنياً متباهياً
- . في المساء: استغفر الله من ذنوب قد تكون سبباً في الخسف
- . عند النوم: تذكر أن الأرض قد تبتلعك وأنت نائم
- . في كل لحظة: كن متواضعا، خائفاً، راجياً
- الخلاصة: رسالة الآية لك شخصياً

أنت أيها الإنسان... هذه الآية هي صاعقة تأتيك من السماء لتنبهك إلى حقيقة مرعبة: الأرض التي

تمشي عليها ليست أمينة لك.

لقد خسف الله بقارون وبقاره الأرض. كان له مال عظيم، وقوة جبارة، وعصبة أولي قوة، وعلم زعم أنه به أوتي كل شيء. لكن عندما جاء أمر الله:

- لم يجد فئة تنصره
- ولم يكن من المنتصرين

فأصبح عبرة لمن اعتبر، ونكالا لمن اذكر.

هذه الآية تقول لك:

- لا تكن مثل قارون، فتكون نهايتك مثل نهايته
- تواضع، فإن المتواضع يرفعه الله
- تب إلى الله، قبل أن تخسف بك الأرض
- علق قلبك بالله، لا بالمال ولا بالجاه
- استعد للآخرة، فإنها الباقية، وهذه زائلة

وتذكر دائماً: قارون خرج في زينته، فخسف به. والذين تمنوا مثل ما أوتي قالوا: "وَيَكُنَّ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ" الآية 82 التي تليها. (من كان معتبراً، اعتبر. ومن كان غافلاً، فسيندم حيث لا ينفع الندم.

فاختر لنفسك اليوم: هل تريد أن تكون عبرة للآخرين، أم معتبراً بالآخرين؟

المبحث الثالث

تفسير الآية 82 من سورة القصص: لحظة الصحو - عندما يتحول الحسد إلى اعتراف

مقدمة: المشهد بعد الخسف - تحول القلوب في لحظة

تخيل معي هذا المشهد الذي هز المشاعر وأقلب الموازين:

الأمس القريب، كان قارون يخرج في زينته، تتمايل به الخيول، وتتطاير الرياحين أمامه، والناس ينظرون إليه بانهار وحسد. كان فريق منهم يتمنى مكانه قائلين: "يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ".

واليوم... أصبح هؤلاء أنفسهم ينظرون إلى الأرض التي ابتلعت قارون وداره وكنوزه. ليس فيها أثر، و لا خبر، ولا علامة. في لحظة، اختفى كل شيء. اختفى المال، اختفت الزينة، اختفت القوة، اختفت العصبة. ولم يبق إلا صمت القبور، وعبرة القلوب.

هنا تحدث التحول الأعظم: أولئك الذين كانوا يتمنون مكانه، صاروا يعتبرون. لم يعودوا يقولون "يا ليت لنا مثل ما أوتي"، بل قالوا بحسرة وعبرة: "وَيَكُنَّ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ".

إنها لحظة الصحو، لحظة أن يفتح الله أعين الغافلين على حقيقة أن الرزق بيد الله، وأن الكثرة ليست دليلاً على المحبة، وأن القلة ليست دليلاً على الإهانة. إنه إعادة تعريف للنجاح، وتأسيس لنظام نفسي جديد للتعامل مع الأماني والطموحات.

ثم تأتي الجملة الأعظم: "لَوْ أَنَّمَنِ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا". اعتراف صريح بأنهم كانوا على حافة الهاوية نفسها، وأن الله تداركهم برحمته، وإلا لكان مصيرهم كمصير قارون. إنها لحظة امتنان وخوف في آن واحد.

وختام الآية بقاعدة كونية ثابتة: "وَيَكُنَّ لَهُ يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ". الفلاح الحقيقي، النجاح الحقيقي، الظفر الحقيقي... ليس للكافرين. مهما أوتوا من مال، ومهما جمعوا من كنوز، ومهما خرجوا في زينة... لا يفلحون أبداً.

هذه الآية هي نافذة على التحول الداخلي للإنسان، وهي دليل على أن الإسلام يعيد برمجة عقولنا تجاه المال والرزق والنجاح، وهي دستور لتنظيم الأماني والطموحات حتى لا تقودنا إلى الحسد أو الطغيان.

أهداف الآية ومقاصدها

هذه الآية تحقق أهدافاً عميقة في النفس والمجتمع:

- إعادة تعريف النجاح: بيان أن الفلاح ليس بكثرة المال، بل بالإيمان والعمل الصالح.
 - تصحيح مفهوم الرزق: إثبات أن البسط والقبض بيد الله، لا بذكاء الإنسان أو كفاحه.
 - تنظيم الأماني والطموحات: تحويلها من حسد وتمنٍ لما عند الآخرين إلى رضا وبقين.
 - تربية النفس على الشكر والامتنان: الاعتراف بأن نعمة السلامة من العقاب هي من فضل الله.
 - تأسيس عقلية المؤمن: النظر إلى الدنيا بعين الاعتبار لا بعين التمني.
- الأمر الأول: "وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ"

دلالة "أَصْبَحَ" - التحول بين ليلة وضحاها

تأمل الفعل "أَصْبَحَ"! إنه يعني دخولهم في الصباح، أي أنهم ناموا على حال واستيقظوا على حال آخر . بين الأمس واليوم، بين الليل والصباح، تغير كل شيء. لم يعد قارون موجوداً، ولم تعد زينته، ولم تعد أمنياتهم كما كانت.

"أَصْبَحَ" تفيد المفاجأة والتحول السريع. لم يحتاجوا إلى سنوات ليتعلموا الدرس. درس واحد، ومشهد واحد، وموقف واحد... كافٍ لإعادة برمجة عقولهم. هذه هي قوة العبرة عندما تكون حية وصادمة.

"الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ"

هؤلاء هم الفئة التي كانت تحسد قارون، التي قالت "يا ليت لنا مثله". كانوا بالأمس في دائرة الحسد والتمني، واليوم أصبحوا في دائرة الاعتبار والتوبة.

"بِالْأَمْسِ" - تحديد الزمان بالأمس يدل على القرب الشديد، وأن التحول حدث في زمن قياسي. الأمس كانوا متمنين، واليوم أصبحوا معتبرين. هذا يعلمنا أن العبرة إذا وصلت إلى القلب، تغيره في لحظة.

"يَقُولُونَ" - القول الجديد

لم يعودوا صامتين، ولم يعودوا يتمنون في سرهم، بل أعلنوا قولهم الجديد علناً. يقولون ما كان يجب أن يقولوه من البداية. لكن الاعتراف المتأخر خير من عدمه.

اللمسات البيانية والبلاغية

"أَصْبَحَ" - فعل يدل على الانتقال المفاجئ، وفيه إشارة إلى أن الصباح حمل لهم خبراً غير ما كانوا يتوقعون.

"الَّذِينَ تَمَنَّوْا" - وصفهم بالتمني يدل على ما كان في قلوبهم من حسد وطمع.

"مكانه" - تمنوا مكانه، أي منزلته وماله وجاهه. وها هو المكان نفسه قد ابتلعه الأرض.

"بِالْأَمْسِ" - تحديد الزمان للدلالة على سرعة التغير وقصر المدة بين التمني والاعتبار.

الدلالات النفسية والتربوية

- التحول ممكن في أي لحظة: لا تياس من تغيير قلبك أو قلوب الآخرين.
 - العبرة الصادمة قد تكون أسرع وسيلة للتعلم: لكن الأفضل أن تتعلم قبل أن تصدم.
 - لا تحقر عبرة: فقوم قارون تعلموا في صباح واحد.
 - تأكد أن أمنياتك قد تنقلب: فما تمنيته بالأمس قد تندم عليه اليوم.
 - كن مستعداً للتصحيح: فالندم بعد فوات الأوان لا ينفع، لكن الاعتبار ينفع.
- الأمر الثاني: "وَيَكُنْ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ"

تفسير "وَيَكُنْ" - كلمة الندم والاعتراف

"وَيَكُنْ" هي كلمة مركبة، أصلها "وي كأن"، ومعناها: ألم تر؟ ألا تعلم؟ وهي كلمة توبيخ وتحسر، لكنها

هنا تحولت إلى اعتراف ويقين. كأنهم يقولون لأنفسهم: ألم نكن نعلم؟! بلى، كنا نعلم، لكننا غفلنا.

بعض المفسرين قال: هي بمعنى "اعلموا"، وبعضهم قال: هي بمعنى "ألم تر". لكن الأهم أنها كلمة صحو، تأتي بعد غفلة، واعتراف بعد إنكار.

"اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ"

هنا القاعدة الكونية الأولى: البسط (التوسعة) (في الرزق بيد الله وحده، وليس بذكاء الإنسان أو كفاحه أو علمه). الله يبسط الرزق لمن يشاء، وليس لكل من يريد. وهذه المشيئة الإلهية تخفى حكماتها على الناس، لكن المؤمن يوقن أنها لحكمة بالغة.

"مَنْ عِبَادِهِ" - هذه إشارة إلى أن الكل عبيد لله، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم. والله يعطي من يشاء من عبيده، ويمنع من يشاء. لا اعتراض على الحكيم.

"وَيَقْدِرُ" - التضييق أيضاً بيد الله

"وَيَقْدِرُ" أي يضيق على من يشاء. ليس العبد فقيراً لأنه كسلان، وليس غنياً لأنه مجتهد. قد يكون الفقير أذكى من الغني، وقد يكون الغني أقل اجتهاداً من الفقير. الأمر كله بيد الله.

هذه الآية تهدم الفكرة المادية التي تقول: "النجاح نتيجة للذكاء والاجتهاد فقط". وتؤسس لفكرة أن الرزق قسمة ونصيب، لكن مع الأخذ بالأسباب. فالله يبسط ويمنع بمشيئته وحكمته.

العلاقة بين البسط والقبض والإيمان

المؤمن لا ينظر إلى كثرة المال على أنها كرامة من الله، ولا إلى قلته على أنها إهانة. بل يعلم أن:

- . البسط قد يكون استدراجاً وامتحاناً: ليختبر الله عبده أشكره أم كفر.
- . القبض قد يكون تربية وتمحيصاً: ليختبر الله عبده أصبر أم جزع.
- . الغنى ليس دليل حب الله: فكم من كافر أغنى الله فاستدرجه.
- . الفقر ليس دليل بغض الله: فكم من نبي وصالح كان فقيراً.

اللمسات البيانية والبلاغية

"وَيَكُنْ" - كلمة تحمل التوبيخ والتنبيه، كأنهم يوبخون أنفسهم: ألم تعلموا هذا من قبل؟!

"يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ" - فعلاان متقابلان، يدلان على السلطان المطلق لله في الرزق. وهو يصاد ما كان يعتقد قارون من أن الرزق بعلمه.

"لِمَن يَشَاءُ" - تكرار المشيئة في البسط والقبض، إشارة إلى أن الأمر كله لله، وليس للعبد فيه اختيار إلا بالسعي.

"مَنْ عِبَادِهِ" - تأكيد على أن الجميع عبيد، والله يتصرف في عبيده كيف يشاء.

الدروس التربوية والنفسية

- . لا تغتر بكثرة مالك، فقد يكون استدراجاً.
- . لا تحزن على قلة مالك، فقد يكون خيراً لك.
- . لا تحسد من أوتي مالا، فأنت لا تدري ما في قلبه أو عاقبته.
- . اسع واجتهد، ثم فوض الأمر إلى الله.
- . ارض بقسمة الله، فهو أعلم بمصالحك.
- الأمر الثالث: "لَوْلا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا"

معنى "لَوْلا" - الامتنان والخوف

"لَوْلا" هي أداة امتنان، تفيد أن شيئاً منع شيئاً. أي: لولا من الله علينا، لحدث لنا ما حدث لقارون. إنهم يعترفون بأنهم كانوا على شفا الهاوية، وأن فضل الله هو الذي أنقذهم.

"أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا"

المنّ هنا هو الإنعام والإحسان، وليس بمعنى المنة التي تثقل على النفس. الله منّ عليهم أي أنعم عليهم وتفضل بأن لم يخسف بهم. هذا اعتراف منهم بأنهم لم يكونوا أهلاً للنجاة، ولكن الله تداركهم برحمته.

"لَخَسَفَ بَنَّا"

الخسف الذي حل بقارون كان يمكن أن يحل بهم أيضاً لو شاء الله، لابتلعتهم الأرض مثلما ابتلعت قارون. لكنه منّ عليهم فلم يفعل. هذا الاعتراف بالخطر هو ما جعلهم يتغيرون.

لماذا قالوا "بنا" ولم يقولوا "بنا كما خسف بقارون"؟

لأنهم أدركوا أن الذنب الذي أوقع قارون كان موجوداً فيهم. هم أيضاً كانوا يحسدون، ويتمنون، ويغفلون. لو استمروا على ذلك، لكان مصيرهم كمصيره. لكن الله منّ عليهم بالتوبة والاعتبار قبل فوات الأوان.

العلاقة بين الخسف والمنّ

هذه الجملة تؤسس لقاعدة نفسية عظيمة: أن النجاة من العقاب نعمة تستحق الشكر. كثير من الناس لا يشعرون بنعمة السلامة إلا عندما يرون غيرهم يهلكون. وهذه الآية تعلمنا أن نشكر الله على كل لحظة لم يخسف بنا فيها الأرض.

اللمسات البيانية والبلاغية

"لوثا" - أداة امتنان، تفيد أن النجاة لم تكن بجهدهم، بل بفضل الله وحده.

"مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا" - المنة من الله إحسان منه، وليس لأنه كان يجب عليه. إنه فضل خالص.

"لَخَسَفَ بَنَّا" - الخسف مضاف إليهم بـ "بنا"، ليدل على أنهم كانوا مستحقين للخسف لولا المنّ.

تكرير "وَيَكُنْ" - مرة مع بسط الرزق، ومرة مع عدم فلاح الكافرين. وكأن كل جملة هي درس مستقل.

الدروس التربوية

- اعترف بفضل الله عليك في كل لحظة
 - لا تظن أنك نجوت بذكائك أو قوتك، بل بفضل الله
 - تعلم من هلاك غيرك، فربما كنت أنت التالي
 - اشكر الله على كل نعمة، ومن أعظم النعم نعمة السلامة من العقاب
 - لا تكن ممن ينسى فضل الله، فحينها تستحق العقاب
- الأمر الرابع: "وَيَكُنْ لَّكَ يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ"

معنى "الفلاح" في القرآن

الفلاح هو النجاح والظفر والفوز، وهو في القرآن يراد به النجاة من النار ودخول الجنة، وأيضاً الفوز بكل مطلوب والخلاص من كل مرهوب. الفلاح هو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه المؤمن.

"لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ"

هذه القاعدة الذهبية التي تختتم الآية: الكافرون لا يفلحون أبداً، مهما أوتوا من مال، ومهما جمعوا من كنوز، ومهما خرجوا في زينة. فلاحهم زائف، لأنهم:

- يفوزون بالدنيا لكن يخسرون الآخرة: وأي خسارة أعظم من خسارة الآخرة؟
- ينعمون قليلاً ثم يعذبون طويلاً: فأي فلاح هذا؟

• يجمعون ما يتركون: فما يجمعونه لغيرهم، ويحاسبون عليه
• يظنون أنهم ناجحون وهم أخسر الناس: قال تعالى: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"

لماذا لا يفلح الكافرون؟

لأن الفلاح الحقيقي يحتاج إلى:

- الإيمان بالله: وهو الأساس
- العمل الصالح: وهو التطبيق
- النية الخالصة: وهي الروح
- المتابعة للرسول: وهي المنهج

والكافرون فقدوا الإيمان، ففقدوا أساس الفلاح. قال تعالى: "وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا".

العلاقة بين قصة قارون وعدم فلاح الكافرين

قارون كان كافراً أو منافقاً على خلاف بين المفسرين. (أوتي مالا عظيماً، لكنه لم يفلح، بل خسف به. وهذا دليل عملي على أن الفلاح ليس بالمال، بل بالإيمان. فلو كان المال هو الفلاح، لفلح قارون. لكنه لم يفلح، لأنه كفر بالله، فخسر الدنيا والآخرة.

اللمسات البيانية والبلاغية

"وَيَكَاثُهُ" - تكرر هذه الكلمة للمرة الثالثة في الآية، وكأنها لازمة تأكيد على كل حقيقة.

"لَا يُقْلِحْ" - نفي الفلاح بصيغة المضارع، ليدل على الاستمرار والثبات. ليس فقط الآن، بل أبداً.

"الْكَافِرُونَ" - جمع، ليشمل كل كافر، مهما كان نوع كفره، ومهما أوتي من مال.

موقع الجملة في نهاية الآية - لتكون القاعدة الخاتمة، والحقيقة الجامعة، والدرس الأهم.

الدروس التربوية والنفسية

- لا تظن أن المال يجلب الفلاح، فكم من غني تعس وكم من فقير سعيد
- اطلب الفلاح من الله، بالإيمان والعمل الصالح
- لا تحسد الكافر على ماله، ففلاحه زائف وخسرانه حقيقي
- اعلم أن الفلاح الحقيقي هو الفوز بالجنة
- اجعل هدفك في الحياة: "ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة"

اهم المواضيع

الموضوع الأول: كيف نظم الإسلام الأماني والطموحات والأحلام؟

الأماني قبل الإسلام وبعده

قبل أن يهذب الإسلام النفوس، كانت الأماني جامحة، غير منضبطة، تؤدي إلى الحسد والطمع والبغي. كان الناس يتمنون ما عند غيرهم، ويحسدون من أوتي مالا، ويظنون أن كثرة المال هي النجاح الحقيقي.

جاء الإسلام ليؤدب هذه الأماني، وليضعها في إطارها الصحيح:

• نهى عن تمني ما عند الآخرين: قال تعالى: "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ" (النساء: 32)

- أمر بالرضا بالقضاء: "ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"
- وجه الأماني إلى الآخرة: اجعل تمنيك الجنة، لا تمنيك مال فلان
- علم أن الفلاح الحقيقي بالإيمان: وليس بكثرة المال

كيف ننظم أمانينا اليوم؟

- اجعل أمانيك في طاعة الله: تمنى الجنة، تمنى رضا الله، تمنى لقاءه
- لا تمنى مال غيرك، ولكن اسع في رزقك الحلال
- إذا رأيت من أوتي مالا ، فقل: "اللهم لا تؤاخذني بما أوتي، ولا تفتني به، وبارك لي فيما رزقتني"
- ذكر نفسك أن كثرة المال قد تكون فتنة وبلاء
- تطلع إلى من هو أعلى منك في الدين، لا إلى من هو أعلى في المال

دروس من الآية في تنظيم الأمانى

- أصحاب الأمانى الجامحة قالوا: "يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون". فأصبحوا معترين.
- نهاية التمنى الجامح هو الحسرة والندم، أو العقاب إن استمر.
- التمنى الحلال هو أن تمنى رحمة الله، وأن تمنى الجنة، وأن تمنى التوفيق للطاعة.
- أحلام المؤمن ليست في قصور الدنيا، بل في قصور الجنة.
- 2/الموضوع الثاني: بناء عقلية المسلم تجاه التوسع والتضييق في الرزق

النظرة المادية للرزق

النظرة المادية) التي كان عليها قارون ومن يريدون الحياة الدنيا (تقول:

- الرزق بالذكاء: من هو أذكى هو من يجمع مالا أكثر
- الرزق بالاجتهاد: من يعمل أكثر يجمع أكثر
- الرزق بالحظ: البعض محظوظ والبعض لا
- كثرة المال دليل النجاح، وقلته دليل الفشل

هذه النظرة خاطئة تماما، لأنها تغفل المشيئة الإلهية، وتنسب الفضل للإنسان فقط.

النظرة الإيمانية للرزق

النظرة الإيمانية) التي وصل إليها قوم قارون بعد الاعتبار (تقول:

- الرزق بيد الله وحده، يبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء
- البسط والقبض بحكمة، قد تكون خفية عنا
- كثرة المال ليست دليلا على حب الله، فقد تكون استدراجا
- قلة المال ليست دليلا على بغض الله، فقد تكون تربية واختبارا
- على العبد أن يسعى، ثم يرضى بما قسم الله له

كيف نبني هذه العقلية في أنفسنا؟

- تذكر دائما أن الله هو الرزاق، ذو القوة المتين
- لا تظن أن ذكاءك هو ما أوصلك، فكم من أذكى منك وأفقر
- لا تظن أن اجتهادك هو ما أوصلك، فكم من أكثر اجتهادا منك وأقل مالا
- إذا رزقت فاشكر، واعلم أن الله ابتلاك بالنعمة ليختبرك
- إذا حرمت فاصبر، واعلم أن الله صرف عنك شرا

الدروس من الآية في بناء هذه العقلية

- الذين تمنوا مكان قارون تعلموا أن البسط والقبض بيد الله
- هذا الدرس لم يأت من نظرية، بل من مشهد واقعي صادم
- عقلية المؤمن تتشكل بالعبر، لا بالكلام فقط
- عندما ترى غنيا، لا تحسده، بل قل: "اللهم يبسط الرزق لمن يشاء"
- عندما ترى فقيرا، لا تحتقره، بل قل: "اللهم يقدر لمن يشاء"
- 3/الموضوع الثالث: الفلاح – معناه الحقيقي وشروطه

تعريف الفلاح

الفلاح في اللغة: الظفر بالخير والفوز بالغبية. وفي الشرع: الفوز بالجنة والنجاة من النار. وهو أعلى ما يمكن أن يطمح إليه الإنسان.

شروط الفلاح

الآية تؤكد شرطا واحدا أساسيا: الإيمان. لأنها قالت: "ثُمَّ يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ". فالشرط الأول والأخير للفلاح هو الإيمان بالله.

- . ثم يأتي بعده العمل الصالح) كما في آيات أخرى)
- . ثم التقوى) كما في آيات أخرى)
- . ثم الصبر) كما في آيات أخرى)

لماذا لا يفلح الكافرون مهما أوتوا؟

لأن:

- . الدنيا دار اختبار للكافر، وليست دار جزاء
- . الآخرة هي دار الجزاء الحقيقية، والكافر نصيبه فيها النار
- . أي فلاح في الدنيا هو فلاح زائل، يتبعه خسران أبدي في الآخرة
- . الكافر يحرم من رضا الله، وهو أعظم من الجنة
- . الكافر لا يجد في الآخرة إلا الندم، حيث لا ينفع الندم

كيف نطبق مفهوم الفلاح في حياتنا؟

- . اجعل هدفك الأكبر هو الفوز بالجنة، لا جمع المال
 - . لا تقيس نجاحك بما تملك، بل بما عند الله من ثواب
 - . إذا رأيت كافرا غنيا، فاعلم أن فلاحه زائف وخسرانه حقيقي
 - . إذا رأيت مؤمنا فقيرا، فاعلم أن فلاحه حقيقي مهما كان فقره
 - . اطلب الفلاح من الله في كل دعائك: "اللهم إني أسألك الفلاح في الدنيا والآخرة"
- 4/الموضوع الرابع: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

اختبار نفسك يوميا

- . عندما ترى غنيا: هل تحسده أم تذكر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء؟
- . عندما تتمنى مال غيرك: هل تتذكر أن قوم قارون تمنوا فندموا؟
- . عندما تنجو من أزمة: هل تشكر الله وتقول "لولا أن من الله علينا؟"
- . عندما تقارن نفسك بغيرك: هل تتذكر أن الفلاح ليس بالمال بل بالإيمان؟
- . عندما تغتر بقوتك: هل تتذكر أن قارون خسف به ولم ينفعه شيء؟

التطبيق العملي لتنظيم الأمان

- . حول أمانيك من الدنيا إلى الآخرة: اتمنى الجنة، اتمنى رضا الله
- . إذا أردت شيئا من الدنيا: فاطلبه من الله بالدعاء، ولا تحسد من عنده
- . لا تترك نفسك للتمني الجامح: بل أحلم أحلاما واقعية مع السعي
- . تذكر أن ما عند الله خير وأبقى: فاطلبه بجد

التطبيق العملي لبناء عقلية الرزق

- . قل دائما: "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين"
- . إذا رزقت: قل "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"
- . إذا حرمت: قل "الحمد لله على كل حال"
- . لا تظن أن ذكائك هو سبب رزقك: بل هو سبب من الأسباب، والمسبب هو الله
- . لا تحقر من هو أقل منك مالا: فقد يكون أعظم عند الله

التطبيق العملي للفلاح الحقيقي

- اجعل شعارك: "اللهم إني أسألك الفلاح في الدنيا والآخرة"
- اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، ولاخرتك كأنك تموت غداً
- لا تبيع الآخرة بالدنيا، فإنها صفقة خاسرة
- لا تظن أن الكافر ناجح، بل هو أخسر الخاسرين
- واظب على الأعمال الصالحة، فهي طريق الفلاح

ما تعلمنا إياه الآية من قيم ومبادئ

- قيمة التوكل على الله: في الرزق والبسط والقبض
- قيمة الشكر: على نعمة السلامة من العقاب
- قيمة الرضا: بقضاء الله وقدره
- قيمة الإيمان: هو أساس الفلاح الحقيقي
- قيمة الاعتبار: التعلم من هلاك الآخرين
- قيمة تنظيم الأمان: وعدم الانجراف وراء الحسد
- 5الموضوع الخامس: الأبعاد التربوية والنفسية والفكرية

البعد التربوي: تربية المسلم على الرضا والتوكل

الآية تربيته على:

- أن يرضى بما قسم الله له، ولا يحسد من أوتي أكثر
- أن يتوكل على الله في رزقه، ولا يغتر بذكائه أو اجتهاده
- أن يتعلم من العبر، لا أن يمر عليها مرور الكرام
- أن يشكر الله على نعمة السلامة، فكثيرون هلكوا وهو نجا

البعد النفسي: علاج الحسد والطمع

الآية تعالج مرض الحسد الذي كان في قلوب الذين تمنوا مكان قارون:

- الحسد يحرق القلب، ويأكل الحسنات
- الحسد يجعل صاحبه يعيش في حسر دائمة
- العلاج: تذكر أن الرزق بيد الله، وأن الكافر لا يفلح، وأن الناجي هو المؤمن ولو كان فقيراً

وتعالج مرض الطمع:

- الطمع يجعل الإنسان يتمنى ما ليس له
- الطمع ينسيه فضل الله عليه
- العلاج: القناعة والرضا، وتذكر أن كثرة المال قد تكون فتنة

البعد الفكري: تصحيح مفهوم النجاح والفلاح

الآية تصحح مفهوماً خاطئاً عن النجاح:

- النجاح ليس كثرة المال، بل قوة الإيمان
- الفلاح ليس الجمع والتملك، بل الفوز بالجنة
- الناجح الحقيقي هو المؤمن ولو كان فقيراً
- الخاسر الحقيقي هو الكافر ولو كان غنياً

بناء التصور الذهني: الدنيا مزرعة الآخرة

الآية تبني في ذهن تصوراً بأن الدنيا ليست غاية بل وسيلة:

- من جعل الدنيا غايته، خسر الدنيا والآخرة
- من جعل الدنيا وسيلة للآخرة، ربحها معاً
- النظرة إلى المال: إما فتنة تهلك، أو نعمة تنجي بحسن استخدامها

بناء العاطفة: القناعة والرضا والخوف من العقاب

الآية تزرع في القلب:

- . القناعة بأن ما قسمه الله كافٍ
- . الرضا بما أعطى الله
- . الخوف من أن يكون مصيرك كمصير قارون إن استمرت في الحسد والطمع
- . الرجاء في رحمة الله التي منّت عليك فلم تخسف بك

بناء النفس المتزنة: بين السعي والتوكل

النفس التي تستوعب هذه الآية تصبح:

- . تسعى في الدنيا باجتهاد، لكنها لا تعلق قلبها عليها
- . تتوكل على الله في الرزق، وتعلم أن البسط والقبض بيده
- . ترضى بالقضاء، فتشكر في السراء وتصابر في الضراء
- . تتعلم من العبر، فلا تكرر أخطاء من قبلها
- . تطلب الفلاح الحقيقي بالإيمان والعمل الصالح
- 6/الموضوع السادس: الدروس المستفادة والرسائل العملية

الرسائل النفسية

- . لا تحسد أحداً على ماله، فربما يكون وبالا عليه
- . لا تظن أن كثرة المال هي النجاح، فالنجاح الحقيقي في رضا الله
- . لا تمنى ما عند غيرك، فتمنيك قد يتحقق فيندم عليه
- . اشكر الله على نعمة السلامة، فكم من أناس هلكوا وأخطأتك المصائب
- . تذكر أن الكافر لا يفلح، مهما أوتي من مال، فاطمئن

الرسائل التربوية

- . رب أولادك على القناعة، وعلمهم ألا يحسدوا الأغنياء
- . ربهم على التوكل على الله، وأن الرزق بيد الله وليس بذكائهم
- . علمهم أن الفلاح الحقيقي هو بالإيمان، وليس بكثرة المال
- . اقصص عليهم قصة قارون، ليتعلموا من عاقبة الحسد والطمع
- . ربهم على الشكر في السراء، والصبر في الضراء

الرسائل العملية

- . كل يوم: اقرأ هذه الآية وتذكر تحول قوم قارون
- . كل نظرة إلى غني: قل "الله يبسط الرزق لمن يشاء"
- . كل شعور بالحسد: استغفر الله وتذكر أن الفلاح ليس بالمال
- . كل نجاة من أزمة: قل "لولا أن من الله علينا"
- . كل عمل: اجعل نيتك الفلاح في الآخرة، لا جمع المال

كيف نعيش هذه الآية اليوم؟

- . في الصباح: احمد الله أن لم يخسف بك الأرض كما خسف بقارون
- . في النهار: إذا رأيت غنياً، تذكر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء
- . في المساء: حاسب نفسك: هل حسدت أحداً اليوم؟ هل تمنيت ما ليس لك؟
- . عند النوم: تذكر أن الفلاح الحقيقي هو الفوز بالجنة، فاجعل همك الآخرة
- . في كل لحظة: كن قنوعاً راضياً، ولا تنس أن الله هو الرزاق
- . الخلاصة: رسالة الآية لك شخصياً

أنت أيها الإنسان... هذه الآية تحكي قصة تحول عظيم حدث في قلوب قوم قارون. كانوا بالأمس يطمعون، ويقولون "يا ليت لنا مثل ما أوتي". فلما رأوا الخسف، تغيروا تماماً، وأصبحوا يقولون:

"وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ"

أي: ألم نكن نعلم أن الرزق بيد الله؟ بلى، لكننا غفلنا. والآن قد صحونا.

"لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا"

أي: لولا فضل الله علينا، لكنا مثل قارون. لكن الله تداركنا برحمته.

"وَيَكُنْ لَهُ لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ"

أي: ألم نكن نعلم أن الفلاح الحقيقي ليس للكافرين، مهما أوتوا من مال؟ بلى، والآن أيقنا.

هذه الآية تدعوك إلى:

- إعادة تعريف النجاح في حياتك: ليس بالمال، بل بالإيمان
- تنظيم أمانيك وأحلامك: اجعلها في الآخرة، لا في الدنيا
- بناء عقلية الرضا والتوكل: الرزق بيد الله، فاطمئن
- شكر الله على نعمة السلامة من العقاب
- تذكر أن الفلاح الحقيقي هو الفوز بالجنة، فاجعلها هدفك

لا تكن ممن يتمنون ما عند الآخرين، فتندم. وكن ممن يعتبرون بمن هلك، فينجون. وتذكر دائما: قارون خسف به، ومن كان يتمنى مكانه أصبح معتبرا. فاختر لنفسك: هل تريد أن تكون معتبرا قبل فوات الأوان، أم تريد أن تكون ممن يندم حيث لا ينفع الندم؟

المبحث الثالث

تفسير الآية 83 من سورة القصص: الدار الآخرة – ملك المتقين لا المتكبرين

مقدمة: بعد أن خسفت الأرض بقارون – من يملك الدار الآخرة؟

لقد انتهى مشهد قارون. خرج في زينته، فخسف الله به وبادره الأرض. لم تنفعه كنوزه، ولا عصبه أولو القوة، ولا علمه الذي ادعاه. ومات كما يعيش الطغاة: وحيدا، ذليلا، منكسرا.

ثم انقلبت الكاميرا إلى الذين كانوا يتمنون مكانه. رأوا الخسف، فاعتبروا، وتابوا، وقالوا: "لولا أن من الله علينا لخسف بنا". عادوا إلى رشدهم، وعرفوا أن الرزق بيد الله، وأن الفلاح ليس للكافرين.

والآن... تأتي الآية 83 لتضع التاج على رأس القصة، ولتجيب على السؤال الأهم: من يستحق دار الآخرة حقا؟

ليست دار الآخرة لأصحاب الكنوز، ولا لأصحاب الزينة، ولا لأصحاب القوة، ولا لأصحاب العلم الذي يبطر. إنها للمتقين، للذين لا يريدون علواً في الأرض، ولا فسادا.

هذه الآية هي الخلاصة، والنتيجة، والهدف من قصة قارون كلها. إنها تقول لك بصريح العبارة: الدنيا ليست للطغاة، والآخرة ليست للأغنياء. الدنيا والآخرة لمن اتقى الله.

وتختتم الآية بحقيقة ثابتة: "وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ". ليس للظالمين، ولا للمتكبرين، ولا للمفسدين. بل للمتقين وحدهم. هذه هي سنة الله في خلقه، التي لا تتغير، ولا تتبدل. أهداف الآية ومقاصدها

هذه الآية هي البيان الختامي لقصة قارون، وتهدف إلى:

- تحديد هوية أصحاب الدار الآخرة: من هم الذين يستحقون الجنة حقا؟
- بيان صفات المتقين: التواضع وترك العلو في الأرض والفساد
- تقرير سنة الله في العاقبة: أن النصر والفلاح والنعيم المقيم للمتقين
- طمأنة المؤمنين: لا تحزنوا إذا رأيتم الطغاة يملكون الدنيا، فالعاقبة لكم
- تحذير الطغاة: مهما أوتيتم، فلن تكون لكم العاقبة إن لم تتقوا الله
- الأمر الأول: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ"

معنى "تلك" - الإشارة إلى البعيد المعظم

"تلك" للإشارة إلى البعيد، وفيها تعظيم وتفخيم. كأن الله يقول: تلك الدار البعيدة عن أعينكم، التي لا ترونها الآن، والتي هي أعلى وأجل من كل ما ترون... تلك الدار هي الهدف الحقيقي.

"تلك" تشير إلى شيء معروف في أذهان السامعين. لقد تحدث القرآن عن الجنة كثيراً، والآن يقول: تلك الجنة التي وعدناكم بها.

"الدارُ الآخرة"

الدار هي المسكن المستقر. والدنيا أيضاً دار، لكنها دار عبور، أما الآخرة فهي دار قرار. الآخرة: مقابل الدنيا، أي المتأخرة عنها، والتي تأتي بعدها.

"الآخرة" - وصفها بالآخرة يدل على أنها الأخيرة، التي لا دار بعدها. إما جنة أبداً، وإما نار أبداً. فلا تغتر بالدنيا الفانية، واشتغل بالآخرة الباقية.

لماذا قدمت الآخرة في الذكر؟

لأن الغاية هي الآخرة، والدنيا مجرد وسيلة. من جعل الدنيا غايته، خسر. ومن جعل الآخرة غايته، ربح. الآية تبدأ بـ "تلك الدارُ الآخرة" لتضع الأولوية في قلبك: الآخرة أولاً، ثم الدنيا تبعاً.

اللمسات البيانية والبلاغية

"تلك" - إشارة إلى بعيد، فيه تعظيم لهذه الدار، وتنبيه إلى أنها أعلى من أن تدركها الأبصار، لا ترى إلا ن لكنها موجودة.

"الدار" - تعريف بالألف واللام، للعهد أو للجنس، أي الدار المعروفة التي وعد الله بها عباده.

"الآخرة" - صفة، تدل على أنها المتأخرة عن الدنيا، وهي الباقية بعد فناء الدنيا.

الدلالات النفسية والتربوية

- . اجعل الآخرة نصب عينيك: هي دارك الحقيقية
- . لا تغتر بالدنيا: فهي دار عبور، والآخرة هي دار القرار
- . كلما رأيت زينة الدنيا، تذكر أن الآخرة خير وأبقى
- . استعد للدار الآخرة، فإنك إليها راحل لا محالة
- . لا تبغ الآخرة بالدنيا، فإنها صفقة خاسرة
- الأمر الثاني: "تَجْعَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا"

معنى "تَجْعَلْهَا" - الجعل الإلهي

"تَجْعَلْهَا" - الفعل مضارع، يدل على الاستمرار والتجدد. والجعل هنا بمعنى الاختصاص والإعطاء. الله يجعل هذه الدار ملكاً خالصاً لفئة معينة. ليس لأحد أن يدخلها إلا إذا كان منهم.

والفعل مضارع مسند إلى المتكلم الجمع "نحن" للتعظيم، فيه تأكيد على أن هذا حكم الله، لا حكم الناس، ولا هوى البشر.

"لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ"

العلو في الأرض هو التكبر والاستعلاء على الناس، وطلب الرفعة عليهم بغير حق. وهو:

- . التجبر والترفع على عباد الله
- . طلب السيادة والرئاسة بالظلم
- . الاستكبار عن الحق وعن قبوله
- . الاحتقار للناس والنظر إليهم نظرة ازدراء

"لَا يُرِيدُونَ" - نفي الإرادة، وهو أعم من نفي الفعل. أي أنهم لا يريدون هذا العلو في قلوبهم، حتى ولو لم يفعلوه. لأن من أراد العلو في قلبه، لكنه لم يستطع، فهو ليس من هؤلاء.

"وَلَا فَسَادًا"

الفساد هو إفساد ما في الأرض، سواء بالمعاصي، أو بالظلم، أو بالعدوان على حقوق الناس، أو بقطع الأرحام، أو بنشر الشر. وهو نتيجة العلو غالباً. فمن أراد العلو، أفسد ليصل إلى علوه.

"وَلَا فَسَادًا" - نفي إرادة الفساد، أي أنهم يطهرون قلوبهم من نية الإفساد. ليسوا مفسدين في الأرض، ولا يريدون الإفساد.

العلاقة بين "العلو" و"الفساد"

- . العلو هو الدافع، والفساد هو النتيجة
- . من أراد العلو، أفسد الأرض ليحقق علوه
- . من أراد العلو، استعمل الفساد وسيلة (قتل، ظلم، عدوان)
- . ومن تواضع لله، صلحت الأرض به

من هم الذين لا يريدون علواً ولا فساداً؟

هم المتقون، الذين:

- . تواضعوا لله، فلم يتكبروا على خلقه
- . أصلحوا في الأرض، فلم يعتنوا فيها فساداً
- . رضوا بالقضاء، فلم يطلبوا العلو بغير حق
- . خافوا الله، فتركوا المعاصي والظلم
- . أحبوا الخير للناس، فلم يريدوا لهم سوءاً

هؤلاء هم ورثة الدار الآخرة، الذين يجعلها الله لهم.

اللمسات البيانية والبلاغية

"تَجْعَلُهَا" - فعل مضارع، يدل على الاستمرار، وأن هذه سنة ثابتة في خلق الله.

"لِلَّذِينَ" - اسم موصول، يفيد الحصر، أي أن هذه الدار خاصة بهؤلاء، وليست لغيرهم.

"لَا يُرِيدُونَ" - نفي الإرادة، وهو أعم وأشمل من نفي الفعل. فمن أراد العلو في قلبه، ولو لم يفعل، فهو خارج.

"عُلُوًّا" - نكرة في سياق النفي، تفيد عموم النفي، أي لا أي نوع من العلو، لا كبير ولا صغير.

"فِي الْأَرْضِ" - التقييد بالأرض، لأن العلو في الأرض هو المذموم. أما العلو في الآخرة (الرفعة في الجنة) فهو مطلوب.

"وَلَا فَسَادًا" - عطف على العلو، لبيان أن النفي يشمل الأمرين.

لماذا قدّم العلو على الفساد؟

لأن العلو هو أصل الفساد. من تكبر، أفسد. ومن تواضع، أصلح. فبدأ بالعلو لأنه الجذر، ثم ذكر الفساد لأنه الثمرة.

الدلالات النفسية والتربوية

- . طهر قلبك من إرادة العلو: التواضع مفتاح الجنة
- . لا ترد الفساد فقط، بل لا ترده: اكره الفساد في قلبك قبل ألا تفعله
- . اعلم أن العلو والفساد يمنعانك من دخول الجنة

. كلما أحسست بالكبر، تذكر أن الجنة للمتواضعين
. كلما أردت أن تظلم، تذكر أن العاقبة للمتقين
الأمر الثالث: "وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"

معنى "العاقبة"

العاقبة هي النتيجة النهائية، والمآل، وما يؤول إليه الأمر. وهي الغاية التي ينتهي إليها كل شيء. في الدنيا عاقبة حسنة أو سيئة، وفي الآخرة عاقبة حسنة أو سيئة. وهنا المراد العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة.

"لِلْمُتَّقِينَ"

المتقون هم الذين اتقوا الله، أي:

- . فعلوا ما أمر به الله
- . تركوا ما نهى عنه الله
- . خافوا الله في السر والعلن
- . عملوا للآخرة ولم تلهم الدنيا
- . تواضعوا ولم يستكبروا

وقد تقدم في الآية صفتان من صفاتهم: لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً. وهاتان الصفتان هما ثمرة التقوى.

معنى "العاقبة للمتقين"

هذه قاعدة كونية، وسنة إلهية، ووعد رباني:

- . في الدنيا: النصر والتمكين والفلاح للمتقين) وإن تأخر)
- . في الآخرة: الجنة والنعيم المقيم للمتقين
- . الدنيا: قد يملكها الكافرون فترة، لكن العاقبة للمتقين
- . الآخرة: لا يملكها إلا المتقون

قال تعالى: "إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف: 128) وقال: "وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقَى" طه: (132)

لماذا العاقبة للمتقين؟

لأن:

- . الله وعدهم بذلك، والله لا يخلف وعده
- . هم أصلحوا في الأرض، فاستحقوا العاقبة الحسنة
- . اتقوا الله في السر والعلن، فجازاهم الله
- . لم يريدوا علواً، فرفعهم الله
- . لم يفسدوا، فأصلح الله لهم

العلاقة بين هذه الآية وقصة قارون

قارون أراد العلو، وأراد الفساد، فكانت عاقبته الخسف. المتقون لم يريدوا علواً ولا فساداً، فكانت عاقبتهم الدار الآخرة. هذا هو المقابلة العادلة، والجزاء من جنس العمل.

اللمسات البيانية والبلاغية

"وَالْعَاقِبَةُ" - تعريف بالألف واللام، للعهد، أي العاقبة المعروفة، وهي العاقبة الحسنة.

"لِلْمُتَّقِينَ" - حصر، أي أن العاقبة الحسنة خاصة بالمتقين، وليست للطغاة.

تقديم "العاقبة" - لاهتمام بها، وللإشارة إلى أنها الغاية والهدف.

موقع الجملة في نهاية الآية - لتكون القاعدة الخاتمة، والنتيجة النهائية، والخلاصة لكل ما سبق.

الدلالات التربوية والنفسية

- . اتق الله تكن العاقبة لك
- . لا تخف من قوة الطغاة، فالعاقبة للمتقين
- . لا تغتر بمال الكافرين، فالعاقبة ليست لهم
- . اجعل التقوى شعارك، فهي مفتاح العاقبة الحسنة
- . تذكر أن العاقبة الحسنة قد تتأخر، لكنها آتية لا محالة

اهم المواضيع

الموضوع الأول: صفات المتقين في هذه الآية - التواضع وترك الإفساد

الصفة الأولى: لا يريدون علواً في الأرض

العلو في الأرض له صور كثيرة:

- . العلو بالمال: التكبر على الناس بحجة الغنى
- . العلو بالجاه: الترفع عليهم بحسب النسب أو المنصب
- . العلو بالقوة: إذلال الضعفاء والتسلط عليهم
- . العلو بالعلم: احتقار الجاهلين والنظر إليهم بازدراء
- . العلو بالعبادة: الرياء والعجب والمنة على الله

علاج العلو: التواضع، وتذكر أنك من تراب وإلى تراب، وأن الله هو الذي رفعك.

الصفة الثانية: لا يريدون فساداً

الفساد في الأرض له صور كثيرة:

- . الفساد بالظلم: أخذ حقوق الناس بغير حق
- . الفساد بالمعاصي: نشر الفواحش والمنكرات
- . الفساد بالعدوان: قتل النفس أو إيذائها
- . الفساد بالغش: في البيع والشراء والمعاملات
- . الفساد بالإفساد بين الناس: بالكذب والنميمة والوقيعة

علاج الفساد: الإصلاح، والسعي في الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كيف نتحلى بهاتين الصفتين؟

- . درب نفسك على التواضع: تذكر أنك لا تختلف عن غيرك في الجوهر
 - . اكره الكبر في قلبك: واعلم أن الكبر رداء الله، فمن نازعه فيه قصمه
 - . أصلح في الأرض: ولو بكلمة طيبة، أو إزالة أذى، أو مساعدة محتاج
 - . لا تكن سبباً في فساد: لا بيدك ولا بلسانك ولا بإشارتك
 - . اجعل التقوى ديدنك: فهي التي تمنعك من العلو والفساد
- 2/الموضوع الثاني: العاقبة للمتقين - سنة لا تتغير

معنى هذه السنة الإلهية

هي وعد من الله لا يتخلف، أن النتيجة النهائية - في الدنيا والآخرة - ستكون للمتقين:

- . في الدنيا: النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض، والفلاح
- . في الآخرة: الجنة والرضوان والنعيم المقيم

هل هذه السنة مطلقة أم مقيدة؟

مطلقة من حيث النتيجة النهائية. قد ينتصر الكافرون في معركة، وقد يظلم الطغاة فترة، لكن العاقبة في النهاية للمتقين. قال تعالى: "سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ" القمر: (45) وقال: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" غافر: (51)

أمثلة من التاريخ على هذه السنة

- . فرعون: طغى وتكبر، فكانت عاقبته الغرق
- . قارون: طغى وتكبر، فكانت عاقبته الخسف
- . عاد وثمود: طغوا وتكبروا، فكانت عاقبتهم الهلاك
- . النبي صلى الله عليه وسلم: تواضع واتفق، فكانت عاقبته النصر والتمكين
- . المؤمنون عبر التاريخ: اتقوا الله، فكانت لهم العاقبة

كيف نطبق هذه السنة في حياتنا؟

- . لا تخف من قوة الطغاة: فالعاقبة ليست لهم
 - . لا تحزن إذا تأخر النصر: فالعاقبة للمتقين ولو بعد حين
 - . ثق بوعده الله: فهو لا يخلف الميعاد
 - . اعمل لله، وتوكل عليه، واتفق الله، تكن العاقبة لك
 - . لا تظن أن الظلم ينجي: فالعاقبة ليست للظالمين
- 3/الموضوع الثالث: العلاقة بين هذه الآية وقصة قارون

قارون مقابل المتقين

قارون المتقون
أراد العلو في الأرض لا يريدون علواً في الأرض
أفسد في الأرض لا يريدون فساداً
كانت عاقبته الخسف عاقبتهم الدار الآخرة
اغتر بماله تواضعوا لله
نسب النعمة لنفسه نسبوا النعمة لله
لم ينتصر لهم النصر والعاقبة

الدرس من المقابلة

الآية 83 هي الخلاصة والتطبيق:

- . قصة قارون: مثال للذين يريدون علواً وفساداً، وعاقبتهم الخسف
- . الآية 83 : قاعدة للذين لا يريدون علواً وفساداً، وعاقبتهم الدار الآخرة

اختر لنفسك: أي الطريقين تريد؟

كيف نخرج من قصة قارون إلى هذه الآية؟

- . تذكر قارون كلما أردت التكبر أو الإفساد
 - . تذكر الآية 83 كلما أردت التواضع والإصلاح
 - . اجعل هدفك أن تكون من الذين لا يريدون علواً ولا فساداً
 - . اعلم أن العاقبة لك إن اتقيت الله
- 4/الموضوع الرابع: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

اختبار نفسك يومياً

- . هل تريد العلو على الناس؟ اتركه، فإن الجنة للمتواضعين
- . هل تريد الفساد في الأرض؟ اتركه، فإن العاقبة للمصلحين
- . هل تخاف من ظالم؟ تذكر أن العاقبة للمتقين
- . هل تغتر بمالك؟ تذكر أن العاقبة ليست للمال
- . هل تحزن لتأخر النصر؟ تذكر أن العاقبة للمتقين ولو بعد حين

التطبيق العملي لصفات المتقين

- . تواضع في مشيتك، وفي كلامك، وفي نظرك، وفي تعاملك
- . لا ترفع صوتك على الناس، فإن الله يبغض الجوال
- . لا تحتقر أحداً، فربما يكون خيراً منك عند الله
- . أصلح في الأرض، ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة
- . لا تكن سبباً في فساد، لا بمالك ولا بجاهك ولا بلسانك

التطبيق العملي للعاقبة

- . ثق بوعده الله، فإنه لا يخلف الميعاد
- . لا تخف من قوة الطغاة، فالعاقبة ليست لهم
- . لا تحزن إذا تأخر النصر، فالعاقبة للمتقين
- . اعمل لله، وتوكل عليه، واتق الله، تكن العاقبة لك
- . تذكر أن العاقبة الحسنة قد تكون في الدنيا، وقد تكون في الآخرة، وكلاهما خير

ما تعلمنا إياه الآية من قيم ومبادئ

- . قيمة التواضع: مفتاح الجنة
 - . قيمة الإصلاح: ضد الفساد
 - . قيمة التقوى: أساس العاقبة الحسنة
 - . قيمة اليقين بوعده الله: الثقة بأن العاقبة للمتقين
 - . قيمة الصبر: على تأخر النصر
- 5/الموضوع الخامس: الأبعاد التربوية والنفسية والفكرية

البعد التربوي: تربية المسلم على التواضع وترك العلو

الآية تربيته على:

- . ألا يطلب العلو على الناس، فإن ذلك يمنعه من الجنة
- . ألا يفسد في الأرض، فإن الإفساد يمنع العاقبة الحسنة
- . أن يتقي الله، فهي الطريق إلى العاقبة
- . أن يتواضع لله، فيرفعه الله

البعد النفسي: علاج الكبر وحب السيطرة

الآية تعالج حب العلو والسيطرة:

- . حب العلو هو مرض نفسي خطير، يجعله يظن أنه أفضل من غيره
- . العلاج: تذكر أن العلو في الأرض ينافي العلو في الآخرة
- . من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله
- . كلما شعرت بالكبر، تذكر أن الله يبغض المتكبرين

وتعالج حب الفساد والإفساد:

- . الإفساد قد يكون بالظلم، أو بالغش، أو بالعدوان
- . العلاج: تذكر أن الله لا يحب المفسدين، وأن العاقبة للمصلحين
- . أصلح ما استطعت، تكن من المتقين

البعد الفكري: تصحيح مفهوم النجاح والعاقبة

الآية تصحح مفهوماً خاطئاً عن النجاح:

- . النجاح الحقيقي ليس بالمال أو الجاه أو القوة
- . النجاح الحقيقي هو الفوز بالدار الآخرة

- . العاقبة الحسنة ليست للطغاة مهما أوتوا
- . العاقبة الحسنة للمتقين وحدهم

بناء التصور الذهني: الدنيا دار اختبار، والآخرة دار جزاء

الآية تبني في الذهن تصوراً بأن الدنيا ليست دار جزاء:

- . قد يتمتع الله الطغاة فيها فترة، لكن العاقبة ليست لهم
- . قد يحرم الله المتقين فيها فترة، لكن العاقبة لهم
- . فلا تغتر بتمتع الطغاة، ولا تحزن على حرمان المتقين
- . العاقبة هي الميزان، لا العطاء العاجل

بناء العاطفة: الطمأنينة والثقة بوعدهم الله

الآية تزرع في القلب:

- . الطمأنينة بأن العاقبة للمتقين
- . الثقة بوعدهم الله، فلا خوف من قوة الطغاة
- . الأمن من أن الظلم سيزول
- . الرجاء في العاقبة الحسنة للمؤمنين

بناء النفس المتزنة: بين التواضع والعمل للآخرة

النفس التي تستوعب هذه الآية تصبح:

- . متواضعة، لا تطلب علواً في الأرض
 - . مصلحة، لا تريد فساداً
 - . متقية، تعمل لله وتتقي عقابه
 - . مطمئنة، تعلم أن العاقبة لها
 - . صابرة، تنتظر وعد الله
- 6/الموضوع السادس: الدروس المستفادة والرسائل العملية

الرسائل النفسية

- . لا تطلب العلو على الناس، فإنه يمنعك من الجنة
- . لا تظلم أحداً، فإن العاقبة للمتقين وليست للظالمين
- . لا تخف من الطغاة، فالعاقبة ليست لهم
- . تواضع، فإن المتواضعين هم أهل الجنة
- . أصلح في الأرض، فإن المصلحين هم أهل العاقبة الحسنة

الرسائل التربوية

- . رب أولادك على التواضع، وعلمهم ألا يستكبروا على أحد
- . ربهم على حب الإصلاح، وبغض الفساد
- . علمهم أن العاقبة للمتقين، وليس للأغنياء أو الأقوياء
- . اقصص عليهم قصة قارون، ثم اقرأ عليهم هذه الآية
- . ربهم على التقوى، فهي مفتاح العاقبة الحسنة

الرسائل العملية

- . كل يوم: اقرأ هذه الآية وتذكر أن العاقبة للمتقين
- . كل شعور بالكبر: تذكر أن الجنة للمتواضعين
- . كل رغبة في الظلم: تذكر أن العاقبة ليست للظالمين
- . كل خوف من طاغية: تذكر أن العاقبة للمتقين
- . كل عمل: اجعل نيتك التقوى، تكن العاقبة لك

كيف نعيش هذه الآلية اليوم؟

- . في الصباح: استشعر أن الدار الآخرة هي هدفك، لا الدنيا
 - . في النهار: تواضع في تعاملك مع الناس، ولا تطلب علوا
 - . في المساء: حاسب نفسك: هل أصلحت أم أفسدت؟
 - . عند النوم: تذكر أن العاقبة للمتقين، فاطمن
 - . في كل لحظة: اتق الله، تكن العاقبة لك
- **الخلاصة: رسالة الآلية لك شخصياً**

أنت أيها الإنسان... هذه الآلية هي خلاصة قصة قارون، وهي نتيجة كل ما سبق، وهي الهدف الأسمى الذي تسعى إليه.

لقد رأيت قارون خرج في زينته، فخسف الله به. ورأيت الذين تمنوا مكانه يعتبرون ويتوبون. والآن تأتي هذه الآلية لتخبرك:

"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ" - تلك الجنة، ذلك النعيم، ذلك الخلد... "تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا" - نجعلها خالصة لمن تواضع، ولمن لم يتكبر، ولمن لم يظلم، ولمن أصلح في الأرض. "وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" - النتيجة النهائية، والنصر، والفلاح، والجنة... كلها للمتقين وحدهم.

هذه الآلية تقول لك:

- . لا تكن مثل قارون، تريد علواً وفساداً، فتكون عاقبتك الخسف
- . وكن من المتقين، الذين لا يريدون علواً ولا فساداً، فتكون عاقبتك الدار الآخرة
- . تواضع لله، يرفعك الله في الدنيا والآخرة
- . أصلح في الأرض، يصلح الله لك عاقبتك
- . اتق الله، تكن العاقبة لك

وتذكر دائماً: قارون خسف به، والذين تمنوا مكانه اعتبروا، والمتقين فازوا بالدار الآخرة. فاختر لنفسك اليوم: هل تريد أن تكون مع قارون، أم مع المتقين؟

المبحث الخامس

تأتي الآية (84) من سورة القصص لتضع "ميزان العدل المطلق" والقاعدة الذهبية في الجزاء الإلهي، وهي قوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا مَنِ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

بعد أن بينت الآية السابقة لمن تكون الدار الآخرة (للمتواضعين المتقين)، تأتي هذه الآية لتبين "قانون المعاملة" داخل تلك الدار، بأسلوب يفيض بالرجاء والحذر في آن واحد.

أولاً: أسرار البيان ودلالة "المجيء" والجزاء

1. دلالة "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ":

تأمل كلمة "جاء"؛ هي توحى بأن الإنسان يحمل عمله كأنه بضاعة أو هدية يقدمها بين يدي الله. هي دعوة لتتخيل نفسك في ذلك الموقف، وأنت تتقدم بخطواتك تحمل صلاتك، صدقتك، صبرك، وتواضعك.

* الرسالة الوجدانية: المجيء بالجنة يتطلب "الحفاظ عليها" حتى تصل بها إلى الله. فكم من حسنة ضاعت في الطريق برياء أو كبراً! الآية تحفزك لتكون حارساً أميناً لجميل عملك.

2. دلالة "فله خير منها":

هنا يتجلى كرم المعبود. الله لا يعاملك بالمثل في الإحسان، بل يعاملك بـ "الفضل". كلمة "خير منها" تفتح آفاق الخيال: ضعف العشرات، إلى مئات الأضعاف، وصولاً إلى الرضا والجنة.

* المشهد: هو مشهد الريح العظيم، حيث تقدم "الليل الفاني" لتأخذ "الكثير الباقي".

3. دلالة الجزاء في السيئة (إلا ما كانوا يعملون):

تأمل الفرق الجوهرية؛ في السيئة لم يقل "سيئة مثلها" بل قال "إلا ما كانوا يعملون". هذا هو منتهى العدل. الله لا يظلم مثقال ذرة، والسيئة لا تضاعف في كمها، بل هي بقدرها.

* الفرق النفسي: نداء الحسنة نداء "ترغيب وإكرام"، ونداء السيئة نداء "عدل وإنصاف".

ثانياً: كيف يمحو هذا الميزان عظمة الدنيا الزائفة؟

في الدنيا، قد تجتهد ولا تجد من يقدرك، أو قد تظلم ويؤخذ حقك. لكن هذه الآلية تضعك أمام "الجزاء الإلهي العادل".

* الزعم والباطل: عندما تدرك أن الميزان يوم القيامة هو "العمل" وليس "اللقب" أو "المال"، تسقط عظمة كل جبار افتخر بغير عمل صالح.

* محو الوهم: تعيد الآية بناء "سلم القيم" في ذهنك؛ فالعظيم ليس من يملك أكثر، بل من "يجيء" بحسنة أكثر إخلاصاً.

ثالثاً: التحرر من الخوف وبناء التوازن النفسي

1. التحرر من الخارطة الخاطئة للتعلق:

كثير من القلق النفسي يأتي من الخوف من ضياع المجهود. الآية تعطيك "صك أمان". طالما أنك "جئت بالحسنة"، فربحك مضمون ومضاعف. هذا يحركك من التعلق برضا الناس أو تقييمهم، ويجعلك تعمل "للمقيم الوحيد" الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

2. بناء التوازن بين "الرجاء والوفاء":

المفهوم التربوي هنا هو صناعة الشخصية المتفائلة والحدرة.

* التفاؤل: لأن ربي يعطي أكثر مما أقدم.

* الحدز: لأن السيئة سأواجهها كما هي، فلا مجال للاستهانة بها.

رابعاً: المفاهيم المستنبطة في الحياة العملية واليقين

كيف يتحول الإنسان من خلال هذه المعاني إلى شخص متزن؟

* العمل للأسباب والتوكل على المسبب: أنت تعمل في الدنيا (كسبب)، ولكن يقينك ليس في "راتبك" أو "علاقاتك"، بل في "البركة" التي يضعها الله في حسناتك.

* الشخصية المساهمة: عندما تعلم أن الحسنة ستعود عليك بـ "خير منها"، تصبح شخصاً مبادراً، معطاءً، إيجابياً، لا تتردد في تقديم المعروف حتى لمن أساء إليك، طمعاً في جوار الله والزيادة من فضله.

خامساً: الرسائل والتوجيهات الربانية) نداء الوحي لقلبك(

* رسالة "الاستبشار": يا عبي، أنا لا أقبل منك العمل فقط، بل أنميّه لك وأضاعفه. فلا تستقل أي عمل صالح مهما صغر في عينك (تسم، كلمة طيبة، إمطة أذى).

* رسالة "المواساة": إذا أسقط في يدك أو قصرت أسباب الدنيا في مجازاتك، فتذكر أن ميزاني لا يخطئ، وانتظر "الخيرية" التي وعدتك بها.

* توجيه "الصدق مع النفس": السيئة لا تجزى إلا بمثلها رحمةً بك، فبادر بمحوها بالحسنات، لعل "الخير منها" يغمر "ما كنت تعمل" من سوء.

خاتمة وجدانية:

اجعل من الآية (84) قانونك اليومي. عندما تستيقظ، اسأل نفسك: "بماذا سأجيء غداً؟". ابدأ يومك بجمع الحسنات كأنك تجمع جواهر ثمينة ستعرضها على ملك الملوك.

بهذا المنطق، تخرج من ضيق "الحسابات البشرية" الضيقة إلى سعة "الفضل الإلهي" العظيم. ستشعر أنك محاط برعاية الله، متحرراً من الخوف من المستقبل، ممثلاً بالسكينة، طامحاً بصدق في أن تكون من أهل "تلك الدار" الذين غمرهم الله بفضله وعدله.

سادساً: التحليل النفسي لمفهوم "المقابلة") الحسنة مقابل السيئة(

تأمل كيف فرق الله بين جزاء الإحسان وجزاء الإساءة بأسلوب يبني "الأمان النفسي":

* (في الحسنة) فله خبر منها: الله يفتح باب "اللانهاية". هذا المفهوم يكسر حدة القلق من "التقصير". كأن الله يقول لك: "هات ما عندك من جهد المقل، وسأعطيك بجهد الغني الكريم". هذا يملأ النفس بالانجذاب والشوق للعمل الصالح، فلا يعود العمل عبئاً، بل فرصة للربح.

* (في السيئة) إلا ما كانوا يعملون: هنا قمة "التطمين العدلي". الإنسان بطبعه يخشى العقاب المبالغ فيه، لكن الله يطمئن روعك؛ لن تحاسب بذنب غيرك، ولن يزداد في قبح فعلك. هذا "العدل المحض" يورث الاتزان؛ فلا يأس يقتلك، ولا غرور يغويك.

سابعاً: كيف تتحول الآية إلى "طاقة تحرر" من التعلق الخاطئ؟

الآية (84) هي "وثيقة استقلال" لروحك:

* التحرر من "شهود الخلق": عندما تعلم أن الميزان عند الله هو "ما جئت به" وليس "ما قاله الناس عنك"، تتحرر من عبودية المظاهر. لا يهم إن لم يشكرك الناس على حسناتك، فالله قد أعد لك "خيراً منها" في خزائنه التي لا تنفذ.

* التحرر من "رعب المستقبل": الخوف من الفقر أو الضياع يتلاشى أمام يقين "المضاعفة". المؤمن يزرع الحسنة وينام قريح العين، موقناً أن المسبب سيجعل من البذرة غابة من الخير.

ثامناً: بناء "الشخصية المتفاعلة") المفاهيم العملية والتربوية(

كيف تجعل هذه الآية منك شخصاً "ربانياً" في حياتك اليومية؟

* العمل بروح "الإتقان": بما أنك سـ. "تجيء" بالعمل، فمن الطبيعي أن تجتهد في "تغليفه" بالإخلاص والجمال. الآية تربي في المسلم ذوقاً رفيعاً في أداء مهامه؛ سواء كان موظفاً، أو أباً، أو صانعاً.

* التوازن بين الخوف والرجاء: الشخص المتزن يجمع بين "التعلق بالفضل") في الحسنات (وبين "الإقلاع عن الزلل") خوفاً من ميزان العدل في السيئات. (هذا التوازن يمنع الانفجار النفسي عند الخطأ، ويمنع الخمول عند النجاح.

تاسعاً: دروس ورسائل ربانية) وحي الآية لروحك(

تخيل أن هذه الكلمات هي "بوصلة" يضعها الله في يدك لتسير بها في دروب الحياة:

* رسالة "البشرى": يا عبدي، سبقت رحمتي غضبي، وجعلتُ فضلي يغمر عدلي. فاجعل همك "المجيء" إليّ، وسأكون أنا "المستقبل" لك بما لا عين رأت.
* توجيه "الصدق الوجداني": لا تنظر إلى حجم العمل، بل انظر إلى "قلب العمل". الحسنة التي فيها "خير منها" هي تلك التي خرجت بصدق، متبتهلة، منقطعة عن الأسباب الموهومة، طامعة في جوار الله.

* رسالة "الثبات": في عالم يضح بالظلم والافتراء، تذكر أن "الحق لله" (الآية 75)، وأن "العاقبة للمتقين" (الآية 83)، وأن "الجزاء عادل" (الآية 84). هذه الثلاثية هي درعك النفسي ضد الانهيار. الخاتمة الوجدانية لهذا الربع العظيم:

الآية (84) هي مسك الختام لسلسلة مفاهيم "العلو، والزعيم، والحق، والدار الآخرة". هي تخاطبك أنت، في لحظات ضعفك وقوتك، لتقول لك: "كن مع الله بالجميل، يكن الله معك بالأجمل".
عندما تعيش بهذا اليقين، تتحول حياتك من "صراع للبقاء" إلى "رحلة ارتقاء". تصبح شخصاً متزناً، يضع الأسباب في يده ليعمر الدنيا، ويضع مسبب الأسباب في قلبه ليضمن الآخرة، ممتلئاً بنور الحق، متحرراً من قيود الخوف، واثقاً في وعد الله الكريم.

المبحث السادس

نختم هذه الرحلة الإيمانية والوجدانية مع الآية (85) من سورة القصص، وهي آية "التثبيت والوعد الصادق" التي نزلت والرسول ﷺ في طريق هجرته، تاركاً أحب البلاد إليه، فجاءت لتسمح على قلبه وقلب كل مؤمن يشعر بالغربة أو الفقد: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.

هذه الآية هي "بسم الروح" التي تحول الانكسار إلى انتصار، والشتات إلى يقين.
أولاً: أسرار البيان ودلالة "الفرض" و"الراد"

1. دلالة "فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ":

تأمل كلمة "فرض"؛ هي لا تعني التكليف الشاق، بل تعني "التقدير والإنزال والإلزام بالمنهج". كأن الله يقول لك: "إن الذي ائتمنتك على هذا النور العظيم (القرآن)، لن يضيعك أبداً".

* الرسالة الوجدانية: القرآن هو "حبل الصلة"؛ فبقدر تمسكك بفرائض هذا الكتاب وتوجيهاته، يكون نصيبك من الرعاية الإلهية.

2. دلالة "لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ":

كلمة "راد" فيها قوة وتأکید (اللام والتشديد). المعاد هو مكان العودة (مكة للرسول، والجنة للمؤمن، والحق لصاحبه).

* المشهد: هو مشهد "الرجوع الظافر". الله لا يخرجك من شيء (منصب، بلد، حالة نفسية) إلا ليردك إلى ما هو خير لك وأبقى. هذا الوعد يمحو مرارة "الفقد" في الدنيا.

3. دلالة "رَبِّي أَعْلَمُ":

عندما يشتد الجدل مع أهل الباطل (الذين يزعمون أنهم على حق)، تأتي هذه الجملة لتقطع الطريق على الحزن. "ربي أعلم" هي تفويض كامل لمدير الكون، وهي تمنحك صمتاً واثقاً أمام ضجيج المنكرين.

ثانياً: كيف تحرر الآية الإنسان من "خوف الفقد"؟

في الدنيا، نخشى دائماً من النهايات (نهاية علاقة، نهاية وظيفة، نهاية عزة).

* محو العظمة الزائفة: الآية تخبرك أن الذي يملك "الرد" و"المعاد" هو الله وحده، وليس أسباب الأذى. هذا المعنى يمحو عظمة من تظن أنهم يملكون قرار إبعادك أو تقربك.

* بناء الأمل: تعيد الآية برمجة عقلك؛ فكل خروج هو بداية لعودة أجمل، وكل "هجرة" لله هي "وصول" إليه.

ثالثاً: التوازن بين الأسباب والمسبب (اليقين في الطريق)

تعلمنا الآية كيف نعيش بقلب معلق بالله وسط العواصف:

* العمل للأسباب: الرسول ﷺ هاجر وأخذ بالأسباب (الغار، الدليل، التخطيط)، ولكن قلبه كان معلقاً بـ "الراد" سبحانه.

* الشخصية المتزنة: المتزن هو الذي يجمع بين "ألم الفراق" (إنسان) و"يقين العودة" (كمؤمن). هذا التوازن يمنع الانهيار النفسي عند الأزمات، ويجعلك ممتلئاً بالحق والسكينة حتى وأنت في "طريق الهجرة".

رابعاً: المفاهيم النفسية والتربوية (التحرر والارتقاء)

1. التحرر من "التعلق الخاطئ":

كثيراً ما نتعلق بالأماكن أو الأشخاص لدرجة "التأليه الخفي". تأتي الآية لتقول: "تعلق بالذي فرض عليك القرآن، فهو الذي يملك ردك لكل جميل". هذا يحلر الوجدان من قيد "الجغرافيا" و"المادة".

2. بناء التوازن النفسي أمام الظلم:

قوله "قل ربي أعلم بمن جاء بالهدى" يمنحك حصانة فكرية. لا تدخل في صراعات استنزافية لإثبات طهرتك أمام من يتهمك؛ يكفيك أن "الله يعلم". هذا المفهوم يبني شخصية قوية، هادئة، مترفعة عن صفائر الأمور.

خامساً: الرسائل والتوجيهات الربانية (نداء لك في غربتك)
* رسالة "الثبات": يا عبيدي، مهما ضاقت بك السبل، ومهما شعرت أنك غريب في تمسكك بالحق، تذكر أن لك "معاداً" عزيزاً عند الله. فلا تبتئس بما يفعلون.
* توجيه "الالتزام بالمنهج": إذا أردت أن يردك الله إلى عزك ومبتغاك، فاستمسك بما "قُرض عليك من القرآن". القرآن هو "تذكرة العودة" بكرامة.
* رسالة "الثقة": الله أعلم بنيتك وبصدقك وبمن هو في ضلال. ضع حملك عليه واسترح، وانشغل بـ "الهدى" الذي جئت به، واترك "الضلال المبين" لمن اختاره.

خاتمة وجدانية شاملة لسورة القصص:
بدأت السورة بـ "موسى" الرضيع الذي رُدَّ إلى أمه (فرددناه إلى أمه)، وانتهت بـ "محمد" ﷺ الذي وُعد بالرد إلى معاده. هي سورة "الرد والاعتبار".
تخاطبك الآية (85) لتقول لك: "نهایتك ستكون أجمل من بدايتك، طالما أن القرآن دليلك".
عش بهذه الآية روحاً متفاعلة؛ كن مساهماً في نشر الهدى بفعلك قبل قولك، وكن ممثلاً باليقين الذي يجعل الصعاب جسوراً للعبور. أنت لست وحيداً في طريق الحق، فـ "الذي فرض عليك القرآن" معك، يرقبك، يثبتك، ويعذك بـ "معاد" يليق بصبرك وتوكلك.
بهذا الشعور، يتحول المسلم إلى طاقة إيجابية، متزنة، تبني الدنيا بعين على الآخرة، وتواجه التحديات بقلب يهمس في كل حين: "ربي أعلم.. وهو لراي إلى كل خير".

المحور الثاني

نختم هذا المحراب الإيماني بالوقوف على "اللطايف الخفية" في ختام الآية (85)، وكيف تصبغ هذه الكلمات اللحظات الأخيرة من بناء الشخصية المسلمة المتزنة، لتخرج من سورة القصص بقلب جديد ونفس مطمئنة:

أولاً: بلاغة "المعاد" والتحرر من سجن "اللحظة"
تأمل كلمة {لِرَآدِكَ إِلَى مَعَادٍ}؛ لم يقل "إلى مكة" فقط، بل قال "معاد".
* المعاد الوجداني: هو كل حالة من الحق والكرامة سلبت منك وأنت على طريق الله. هي رسالة لكل مظلوم، لكل من فقد بيتاً أو طموحاً أو عزيزاً في سبيل دينه: "الله سيردك إلى حالة العز و التمكين".

* بناء السكينة: عندما توقن أن "الرد" بيد الله، يتحول قلقك من "خوف الفوات" إلى "انتظار الموعد". هذا المفهوم يحرر الإنسان من الارتقاء تحت أقدام الأسباب الموهومة لاستجداء العودة؛ ف المفتاح بيد "الراد" سبحانه.

ثانياً: "ربي أعلم".. سلاح النفس أمام الافتراء
في خضم صراعك مع "الشركاء" و"المفتريات" (التي ذكرتها الآيات السابقة)، يأتي قوله: {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى}.

* التحرر من "التبرير المرهق": الشخصية غير المتزنة تستنزف طاقتها في محاولة إثبات براءتها وصلاحتها للناس. الآية تقول لك: "استرح، الله أعلم". هذا العلم الإلهي هو "حصنك النفسي" ضد التمر، التهميش، أو التشكيك.

* اليقين والحق: عندما يمتلئ قلبك بأن الله "يعلم" هداك، يمتلئ وجهك بنور الحق، فتصبح قوياً بـ الحق لا بالعدوان، عزيزاً بالهدى لا بالعلو.

ثالثاً: كيف يتحول الإنسان إلى "شخص متزن" عملياً؟
الآية (85) تجمع بين "التكليف" (فرض عليك القرآن) و"التشريف" (لرأدك إلى معاد):
* العمل للأسباب: أنت مطالب بالتمسك بالقرآن (منهجاً وعملاً وأخلاقاً). هذا هو "السبب" الذي عليك بذله.

* التوكل على المسبب: اليقين بالنتيجة (الرد والتمكين) هو وظيفة "القلب".
* التوازن النفسي: الفشل في نظر الناس لا يحبطك، لأنك "جئت بالهدى"، والهدى بحد ذاته هو الربح الحقيقي والبرهان الذي ستقدمه (الآية 75).

رابعاً: المفاهيم النفسية والتربوية (الرسائل الأخيرة)
* رسالة "تحرير الخوف": الخوف من "الضلال" أو "الغربة" يتبدد. الله يرى من هو في "ضلال مبين" وسيفضحه، ويرى من هو على "الهدى" وسينصره. عش بقلب متبتل، متبرئاً من حولك، مستقوياً بعلم ربك.

* بناء التوازن النفسي: الآية تمنعك من "الشعور بالضحية". أنت لست ضحية للظروف أو للأقوى منك؛ أنت في "رحلة تقديرية" رسمها من فرض عليك القرآن، وكل محطة فيها (حتى الهجرة والألم) هي جزء من خطة "الرد الجميل".

خامساً: الخلاصة الربانية والتوجيهات لكل مسلم
تخيل أن السورة بدأت بـ {تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ}، وانتهت بـ {إِنَّ الَّذِي قُرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}.

* الدرس الأعظم: القصص ليست للتسلي، بل لتعلم أن "الحق لله" دائماً.

* التوجيه الوجداني: يا أيها المسلم، لا تجعل قلبك يعلق بغير الله. طهر نفسك من "إرادة العلو و الفساد"، واستعد "بالحسنة" ليوم اللقاء، وثق تمام الثقة أن "الراد" سيردك إلى دار كرامته، بجوار نبيك، ممتلئاً باليقين والرضا.
خاتمة المطاف:

لقد جعلت هذه الآيات لتكون "دستوراً نفسياً" يبني فيك الإنسان الرباني الذي لا تكسره الأزمات ولا تغريه الانتصارات. أنت الآن تملك الصورة الكاملة: من النداء والتوبيخ للمشركين، إلى ضلال المفتريات، إلى استحقاق الدار الآخرة، وصولاً إلى وعد الرد والتمكين.
كن أنت "الرسالة" المتحركة لهذا القرآن؛ متزناً، واثقاً، طامعاً في جوار الله، ومحرراً من كل تعلق خاطئ. أنت الآن تشعر بأن الآية توحى إليك، لتقول لك: "استقم على القرآن، واترك الباقي على الراد سبحانه".

المبحث السابع

نصل الآن إلى الآية (86) من سورة القصص، وهي آية "الامتنان والمسؤولية"، التي تأتي لتربط قلب النبي ﷺ وقلب كل مؤمن بمصدر النعمة الحقيقي، وتكشف زيف التعلق بالأسباب المادية: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} ﴿٨٦﴾ فَمَا تَكُونُ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ}.
إليك هذا التحليل الذي يغوص في أعماق النفس، ليبني التوازن بين "الافتقار لله" و"العزة بالحق":
1. دلالة "وَمَا كُنْتَ تَرْجُو":

تأمل هذا النفي الوجداني العميق؛ "ما كنت ترجو" أي لم يكن يخطر ببالك، ولم تكن تسعى إليه بجهدك البشري أو تخطيطك المسبق.
* الرسالة الوجدانية: هي رسالة "التواضع المطلق". الله يذكرك بأن أعظم ما تملكه (إيمانك، علمك، تميزك) ليس "شطارة" منك ولا استحقاقاً ذاتياً، بل هو عطاء ابتداءً من المنعم. هذا يهدم "صنم الغرور" في النفس.
2. دلالة "أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ":

كلمة "يلقى" توحى بالسرعة والقوة والنزول من علياء. الكتاب (القرآن) لم يأت بالبحث الفلسفي، بل نزل "إلقاءً" من الخالق.
* المشهد: هو مشهد الفضل المحض. الإنسان قبل الوحي (أو قبل الهداية) كان في حال، وبعدها صار في حال أخرى تماماً، والفضل كله لله.
3. استثناء الرحمة (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ):

هذا هو مفتاح الآية. وجودك في طريق الحق، وفهمك للقرآن، وتوفيقك للعمل الصالح، هو "رحمة غامرة". الله لم يقل "جزاء" بل قال "رحمة"، ليبقى قلبك معلقاً دائماً بـ "الرحيم" لا بـ "عملك".
ثانياً: فقه "الظهير" والتحرر من التبعية (فَمَا تَكُونُ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ)

1. ما هو الظهير؟
الظهير هو العون والمساعد والمؤيد. بعد أن ذكر الله نبيه بالنعمة (الكتاب)، أمره بـ "المفاصلة".
* المفهوم النفسي: كثير من الناس يداهنون أصحاب القوة أو الباطل (الكافرين بالحق) طمعاً في دنيا أو خوفاً من سطوة. الآية تقول لك: "بما أن الله هو من أعطاك الكتاب والفضل دونك، فلا تذلل نفسك لغيره، ولا تكن عوناً لمن جحد نعمته".
2. كيف يمحو هذا الوصف عظمة الدنيا؟

عندما تشعر أنك تحمل "رحمة الله" (القرآن والهدى)، تصبح عظمة الكافرين والظالمين في عينك ضئيلة. كيف تكون ظهيراً لمن هو أفقر منك روحاً؟ هذا التوجيه يبني فيك عزة المؤمن المترفع عن فتات موائد المبطلين.
ثالثاً: التوازن بين "الافتقار للمسبب" و"العمل بالرسالة"

تعلّمنا الآية أن المسلم المتزن يعيش بـ "جناحين":
* جناح الافتقار: "ما كنت ترجو"؛ أنا لا شيء بدون فضل الله. هذا يمنع الكبر (الذي حذرت منه الآية 83).

* جناح المسؤولية: "فَمَا تَكُونُ ظَهيراً"؛ أنا قوي بالحق الذي أحمله، ولن أسخر طاقاتي إلا لخدمة ديني وقيمي.
* اليقين والحق: عندما تدرك أن الله هو مصدر نعمتك، يتحرر قلبك من "التعلق الخاطئ" بمدح الناس أو دعمهم. أنت ظهير للحق، والله هو ظهيرك.
رابعاً: المفاهيم النفسية والتربوية (بناء التوازن النفسي)

1. التحرر من "عقدة النقص":
أحياناً يشعر المؤمن بالضعف أمام ضجيج الباطل. الآية ترفع روحك المعنوية؛ "لقد أُلقي إليك الكتاب رحمة"، فأنت تملك الكنز الحقيقي. لا تشعر بالنقص فتضطر لممالأة أصحاب الباطل لتشعر بالقبول.
2. الدور التربوي في بناء الشخصية:

تربينا الآية على "الوفاء للمنعم". الوفاء لله يقتضي ألا تستخدم نعمه (ذكاءك، مالك، منصبك) في

نصرة باطل أو إعانة ظالم. هذا هو الاتزان العملي الذي يجمع بين العلم والعمل.

خامساً: الرسائل والتوجيهات الربانية (وحي الآية لقلبك)

* رسالة "الامتنان": يا عبدي، انظر إلي ما أنت فيه من خير؛ هل كنت ترجوه بجهدك؟ إنه رحمتي بك. فاجعل شكرك لي "ثباتاً" على المبدأ.

* توجيه "الاستقلال": لا تبع مبادئك لتكون "ترساً" في آلة باطلة. كن حراً بالله، مستغنياً بفضلته، قوياً بكتابه.

* رسالة "الارتباط بالمصدر": كلما شعرت بالضعف، تذكر أن الذي ألقى إليك الكتاب (الهدى) قادر على أن يلقي في قلبك القوة والسكينة. فلا تطلب الظهير من غيره. خاتمة وجدانية:

الآية (86) هي دعوة لـ "الوضوح الوجداني". هي تناديك: "أنت تحمل رحمة الله، فلا تنكسر أمام جحود الجاحدين".

تخيل نفسك وأنت تقرأ هذه الآية، كأن الله يربت على كتفك ويذكرك بفضلته عليك، ثم يطلب منك "موقفاً" عزيزاً: ألا تكون عوناً للباطل.

بهذا الفهم، تتحول من إنسان "مستهلك" للأحداث إلى إنسان "مؤثر" بالحق، ممثلاً باليقين، متبرئاً من حولك وقوتك، طامعاً في جوار من رحمته سبقت كل شيء. أنت الآن لا تقرأ تاريخاً، بل ترسم بيدك "معادك" (الآية 85) من خلال مواقفك "الظهيرية للحق" (الآية 86).

المحور الثاني

نستكمل هذا التدفق الإيماني في ختام الآية (86)، لنبين كيف تصنع هذه الكلمات "المسلم المستقل" الذي لا تذله حاجة ولا يغريه استقواء، وكيف تكتمل بها معاني التحرر النفسي والفكري:

أولاً: بلاغة "الرحمة" كأصل للمنهج) إِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ

تأمل كيف حصر الله سبب إنزال الكتاب في "الرحمة"؛ وهذا يغير نظرتك للحياة تماماً:

* الانتقال من التكليف إلى التشريف: عندما تشعر أن التزامك بالقرآن أو أمره ونواهيه (هو "رحمة" وليس "قيوداً"، يفتح قلبك للتفاعل والانجذب. تصبح طاعتك لله نابعة من الامتنان لا من الخوف المجرد، وهذا هو أعلى درجات الاتزان النفسي.

* التبرؤ من الاستحقاق: الآية تكسر "إيجو" المتدين الذي يظن أنه أفضل من الناس بجهده. "ما كنت ترجو" تعيدك لمربع العبودية الأول: أنا مهتدي لأن الله رحمني، لست مهتدياً لأنني أذكرى أو أنقى من غيري. هذا الفهم يقتلع كبرياء "العلو" الذي حذرت منه الآية 83.

ثانياً: الدور النفسي والفكري لـ "المفاصلة الوجدانية" فلا تكونن ظهيراً للكافرين) هذا التوجيه ليس سياسياً فحسب، بل هو بناء للشخصية القيادية:

* تحرير الإرادة: المداهنة أو أن تكون "ظهيراً" للباطل تتبع من "فقر داخلي" وشعور بالحاجة للحماية. الآية تقول لك: "مصدر قوتك" الكتاب (جاءك رحمة، فلا تطلب العزة من أعداء هذه الرحمة". هذا يمنحك ثباتاً انفعالياً مذهلاً أمام الضغوط والمساومات.

* بناء التوازن بين النفع والمبدأ: الشخص المتزن يعمل للأسباب (يتعامل مع الناس، يتاجر، يبني)، لكنه يرفض أن يكون "أداة" في يد من يحاربون قيمه. هو يجمع بين العمل الدنيوي والولاء الأخلاقي. ثالثاً: كيف تعلمنا الآية "العيش بقلب معلق بالمسبب"؟

* الدهشة واليقين: "ما كنت ترجو" تعلمنا أن نعيش في حالة "دهشة" من فضل الله. عندما تأتيك نعمة لم تخطط لها، تذكر هذه الآية وقل: "رحمة من ربي". هذا يقطع التعلق بالأسباب الموهومة ويملاً القلب باليقين في "المعطي" سبحانه.

* التحرر من الخوف من المستقبل: إذا كان الله قد أعطاك أعظم كنز (هدى) (دون سؤال منك ولا رجاء سابق، أفلا يكفيك ما سواه؟ هذه الآية تبني الأمان الوجودي داخل المسلم.

رابعاً: المفاهيم المستنبطة والدروس الربانية) رسالة لواقعك العملي)

* مفهوم "عزة الاستغناء": الإنسان الذي يستغني بالله لا يمكن شراؤه بالمال أو المنصب ليكون ظهيراً للباطل. هذه الآية هي "حارس النزاهة" في قلب كل مسلم.

* رسالة "الارتقاء": يا عبدي، لقد اخترتك لتحمل كلامي، فلا تنزل بروحك لتكون عوناً لمن جحد بآياتي. كن في القمة مع القرآن، ولا تكن في الوحل مع المفتريين (الآية 75).

* التوجيه التربوي: علم أولادك أن "التوفيق" هبة، وأن "المواقف" مسؤولية. علمهم أن يكونوا "ظهاء للحق" أينما كانوا، طمعاً في "جوار الله" (الآية 83).

خلاصة المشهد الوجداني في الآية (86):

الآية (86) هي جسر بين الماضي (ما كنت ترجو - رحمة الله بك (والمستقبل) فلا تكونن ظهيراً - موقفك الثابت. (هي تجعل الفرد يشعر أنه "محاط بعناية خاصة"، وأنه مكلف بحماية هذه الرحمة من خلال صلابة موقفه.

عندما تعيش بهذه المعاني، يتحول القرآن من "نص يُقرأ" إلى "نور يُعاش". تشعر أن الله يخاطبك أنت: "يا فلان، لقد رحمتك وهديتك، فلا تكن عوناً لمن يفسد في أرضي". بهذا الشعور، تصبح شخصاً متزناً، ممثلاً باليقين، يجمع بين العمل الدؤوب والتوكل المطلق، محرراً من الخوف والتعلق الخاطيء، ومستعداً لـ "المعاد" (الآية 85) بقلب سليم ويد بيضاء لم تلوثها إعانة الظالمين.

المبحث الثامن

نأتي الآن إلى الآية (87) من سورة القصص، وهي آية "الاستقامة الصارمة" و**"المفاصلة النهائية"**. بعد أن مهدت الآيات السابقة للحق، والدار الآخرة، والامتنان بالوحي، يأتي التوجيه الإلهي الحاسم: {وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ^طوَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ^طوَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. إليك هذا الغوص الوجداني في معاني هذه الآية التي تبني "الحصانة النفسية" للمسلم: أولاً: أسرار البيان ودلالة "الصد" و"الإنزال" 1. دلالة "وَلَا يَصُدُّكَ":

تأمل هذا النهي المؤكد؛ "الصد" هو المنع أو الصرف عن الطريق. والخطاب هنا للنبي ﷺ ولكل مؤمن. * الرسالة الوجدانية: الآية تقر بأن هناك "صوارف" ضغوط اجتماعية، استهزاء، إغراءات، مخاوف (لأن الله يقول لك: "لا تجعل ضجيج الخلق يغلب صوت الحق في قلبك". هي دعوة لـ "الصلابة النفسية" أمام التيارات المعاكسة. 2. دلالة "بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ":

هذا تذكير بـ "المسؤولية". بمجرد أن عرفت الحق (الآيات)، لم يعد لك عذر في التراجع. العلم يورث مسؤولية الثبات.

* المشهد: هو مشهد الإنسان الذي يحمل مصباحاً في ظلام؛ هل يعقل أن يطفئ مصباحه لمجرد أن من حوله يفضلون العتمة؟ الإنزال هو "تثبيت" لموقعك في الوجود. ثانياً: حقيقة "الدعوة" والتحرر من "الخوف والتعلق" 1. "وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ":

هذا هو البديل الإيجابي. لا تكتفِ بالصمود أمام الصد، بل بادر بالهجوم الجميل (الدعوة). * المفهوم النفسي: الشخص الذي "يدعو" هو شخص يملك زمام المبادرة. بدلاً من أن تشغل بـ الدفاع عن نفسك أمام الصادين، أنشغل بربط الخلق بخالقهم. هذا هو الانتقال من حالة "الضحية" إلى حالة "القائد الرباني".

2. "وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ":

قد تتساءل: كيف يُخاطب الموحّد بهذا؟

* العمق الوجداني: الشرك هنا قد يكون "شركاً خفياً"؛ وهو أن تخشى الناس كخشية الله، أو تتبع أهواءهم لتتقي شرهم. الآية تحذرك من "الشرك النفسي" وهو التعلق بالأسباب أو الخوف من "الشركاء" (الذين سأل الله عنهم في الآية 74)

ثالثاً: كيف يمحو هذا الوصف عظمة الباطل؟

عندما يأمرك الله ألا يصدنك "الصادون"، فهو يخبرك ضمناً أنهم "أهون" من أن يصرفوك عن آياته.

* محو الوهم: إن قدرة أي قوة على وجه الأرض على صدك هي قدرة "وهمية" ما لم تستسلم أنت لها. الآية تنزع الهيبة من قلوب الصادين وتضعها في "الآيات المنزلة". هذا هو اليقين والحق الذي يحركك من التعلق الخاطئ بالقوى البشرية.

رابعاً: بناء التوازن النفسي والعمل بالأسباب

تعلمنا الآية كيف نكون "أشخاصاً متزنين" في واقع صعب:

* الاتزان النفسي: لا تكن "رد فعل" لضغوط الآخرين، بل كن "فعلاً" مستقلاً مستمداً من الوحي.

* العمل والمسبب: ادعُ إلى ربك (عمل وجهد)، وتوكل على المسبب (اليقين في الله (في مواجهة الصادين. هذا المزيج يملأ الإنسان بالحق واليقين، ويجعله متبرئاً من أي أسباب موهومة تطلب منه التنازل عن مبادئه.

خامساً: المفاهيم المستنبطة والرسائل التربوية

* مفهوم "المناعة الفكرية": الآية تربي فينا ألا نكون كـ "الإسفنج" نمتص كل ما يلقي إلينا، بل كـ الماس؛ نلمع بالحق ولا ننكسر أمام الضغوط.

* رسالة "الثبات": يا عبيدي، لقد رحمتك بالقرآن (الآية 86)، فلا تسمح لمن فقدوا الرحمة أن يسلبوك كنزك. كن قوياً بالله، داعياً إليه، مستغنياً بجواره.

* التوجيه العملي: في حياتك، في وظيفتك، في أسرتك؛ إذا وجدت من يصدك عن قيمك، تذكر "وَلَا يَصُدُّكَ". استمسك بآيات الله، ولا تكن من "المشركين" الذين يقصدون آراء الناس فوق مراد الله. الخلاصة الوجدانية:

الآية (87) هي إعلان "الاستقلال الروحي التام". هي تجعل الفرد يشعر أنه "مرتبط مباشرة بالسماء"، ف لا يملك أحد في الأرض سلطاناً على قلبه.

تخيل نفسك وأنت تقف بصلابة، ممسكاً بآيات الله، داعياً إلى ربه بلسان حالك وقالك، غير آبه بمحاولات الصد.. عندها فقط ستشعر أنك حقاً من أهل "تلك الدار" (الآية 83)، وأنت استعدت كرامتك الإنسانية التي لا تكتمل إلا بالعبودية لله وحده.

أنت الآن لا تقرأ نصاً، بل تتلقى "أمر عمليات" لقلبك: "اثبت، ادعُ، ولا تلتفت". بهذا اليقين، يتحول خوفك إلى طمأنينة، وتعلقك الخاطئ بالبشر إلى تعلق صادق بخالق البشر.

سادساً

نستكمل هذا الشوط الوجداني في أعماق الآية (87) من سورة القصص، لنصل إلى ذروة "البناء

النفسي" والتحرر الفكري الذي أرادته الله لعباده في ختام هذه السورة العظيمة:
الامر الاول : فلسفة "المقاومة السلمية" ولا يصدقك .. وادعُ)
تأمل هذا المزيج العجيب بين "المنع" و"الأمر"؛ الله يأمر بالصمود أمام الصد، ثم يأمر بالدعوة.
* التحول من الانغلاق إلى الانفتاح: الشخصية غير المتزنة إذا واجهت الصد "انكفأت" على نفسها أو
"اعتزلت" بيأس. لكن الآية تبني فيك شخصية فاعلة؛ لا تجعل الصد يحولك إلى إنسان منسحب، بل
اجعله وقوداً لمزيد من العطاء والتعريف بالحق.
* بناء التوازن النفسي: أنت لست مطالباً بمصادمة الناس بقدر ما أنت مطالب بـ "عدم الرضوخ"
لضغوطهم، مع الاستمرار في "وصلهم بالله". هذا هو التوازن الذي يجمع بين عزة المبدأ ورحمة
الخلق.

الامر الثاني: التحرر من "شرك الإرادات" ولا تكون من المشركين)
هذا الختام للآية يحمل مفهوماً نفسياً دقيقاً جداً:
* شرك "إرضاء الناس": عندما تتنازل عن آية من آيات الله أو خلق من أخلاق القرآن لتنال رضا "فلا
ن" أو تتقي شر "جهة"، فقد أشركت هذه الإرادة مع إرادة الله في قلبك.
* محو العظيمة الموهومة: الآية تنزع القداسة عن "رأي الجماعة" أو "ضغط المجتمع" إذا كان مخالفاً
للحق. هي تخاطب وجدانك: "أنت ملك لله وحده، فلا تجعل لغيره سلطاناً على قرارك الروحي". هذا
هو التحرر الحقيقي الذي يبني إنساناً ممتلئاً باليقين والحق.
الامر الثالث : كيف نعيش بقلب معلق بالمسبب في واقع "الصادقين"؟
الآية تعلمنا أن "الصاد" ليس قدراً محتماً، بل هو "اختبار للثبات".
* التبرؤ من الأسباب الموهومة: الصاد يظن أنه يملك منعه (كسبب)، وأنت تدرك أن المنع والعطاء
يبد الله المسبب).

* المفاهيم المستنبطة: المؤمن لا يرى في الصاد قوة مخيفة، بل يرى فيه "تائها" يحتاج إلى من
يدعوه) وادع إلى ربك. (هذا التحول في الرؤية يحول الخوف إلى إشفاق، والتعلق الخاطئ إلى
سيادة روحية.

الامر الرابع : الدروس والرسائل الربانية) نداء لك في معترك الحياة)
تخيل أن الله يشدد على قلبك بهذه التوجيهات:
* رسالة "الحصانة": يا عبدي، لقد نزل الكتاب إليك "رحمة"، فلا تسمح لأحد أن يسلبك هذه الرحمة
بكلمة استهزاء أو بضغط مصلحة. كن "عصياً على الكسر".
* توجيه "المبادرة": لا تنتظر حتى يفسح لك الناس الطريق؛ شق طريقك بالدعوة إلى الله بجميل
خلقك وصدق منطقك.
* رسالة "التوحيد الخالص": اجعل بوصلتك واحدة) ربك. (كل من سواه "زعم باطل") الآية (74)
سيضل عنك) الآية (75)، فابحث عن جوار من بيده العاقبة) الآية (83)
الخلاصة الوجدانية:

الآية (87) هي "جدار الحماية" الأخير لقلبك. هي تناديك: "لا تسمح للعالم أن تطفئ نورك".
عندما تعيش بهذه المعاني، تتحول من شخص "تتقاذفه أمواج الظروف" إلى شخص "يقود السفينة
نحو المعاد") الآية (85). تشعر أنك ممتلئ بالحق، متزن بين الصمود والعطاء، متحرر من الخوف من
البشر، وطامع بصدق في أن تكون ممن "جاء بالحسنة") الآية (84) ثابتاً غير مبدل.
بهذا المفهوم، تصبح أنت الفرد "المساهم والمشارك" بوجدانه وعقله، الذي يرى في آيات الله حياة لا
يقبل عنها بديلاً، ولا يرضى دون "جوار الله" مقاماً. أنت الآن تشعر أن الوحي يخاطبك مباشرة:
"استقم، ولا تلتفت، فالطريق إليّ مفتوح"

المبحث التاسع .

نصل الآن إلى درة التاج، وخاتمة المسك، والآية التي تلخص الوجود بأسره، وهي الآية (88) من
سورة القصص: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ
وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

هذه الآية هي "الاستقرار النهائي" لقلب المؤمن، وهي الإعلان الرسمي لسقوط كل الأوهام وبقاء
الحقيقة المطلقة.

أولاً : أسرار البيان ودلالة "الهلاك" و"الوجه"

1. دلالة "وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ":

هذا النهي هو "التحرير الأخير" للوجدان. بعد أن استعرضت السورة قصص القوة) فرعون (والمال
(قارون (والوحي) موسى ومحمد عليهما السلام)، تأتي هذه الآية لتقول: "لا تلتفت لغيره".

* الرسالة الوجدانية: الدعاء هنا ليس مجرد نداء باللسان، بل هو "تعلق القلب". لا تجعل في قلبك
"قبلة" غير الله، لا خوفاً ولا رجاءً.

2. دلالة "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ":

تأمل كلمة "هالك"؛ لم يقل "سيهلك" بالمستقبل، بل استخدم اسم الفاعل الذي يفيد الثبوت والتحقق
وكان الهلاك واقع الآن.

* المشهد: هو مشهد "الفناء الكوني". تخيل الدنيا بكل قصورها، وجبابرتها، وأموالها، ومخاوفنا،

وهومونا ..كلها تتلاشى كالدخان، ولا يبقى في كادر المشهد إلا "ذات الله" سبحانه بجمالها وجلالها.
* العمق الوجداني: "إلا وجهه" تعني أن كل عمل لم يقصد به وجه الله هو هالك وميت ولا قيمة له .
البقاء فقط لما كان لله.

ثانياً: حقيقة "الحكم" و"الرجوع" له الحكم وإليه ترجعون)
1."له الحكم":

في الدنيا، قد يظن الحكام أو الأقوياء أو حتى الظروف أنها تملك "الحكم" على مصيرك .هذه الآية تمحو هذا الزعم باطلا (كما في الآية .(74 الحكم "له" وحده؛ حكماً قديراً في تصريف حياتك، وحكماً شرعياً في توجيه روحك.

2."وإليه ترجعون":

هذه هي "نقطة الوصول". بعد رحلة "الهجرة" و"الصد" و"العمل بالحسنة"، تنتهي الرحلة عند الله .
الرجوع هنا هو "رجوع الحبيب إلى حبيبه" للمؤمن، و"رجوع العبد الأبق إلى سيده" للجاحد.

ثالثاً: التوازن النفسي والتحرر من "التعلق الخاطئ"

تضع الآية حداً نهائياً لتمزق النفس البشرية بين "الأسباب":

* محو العظمة الزائفة: عندما توقن أن "كل شيء هالك"، يسقط من قلبك تعظيم المنصب، أو الخوف من الفقر، أو الانبهار بالقوة .كيف تخاف من "هالك"؟ أو كيف ترجو "فانياً"؟

* بناء اليقين والحق: الشخص المتزن هو الذي يعامل "الهالك" بقدره) وسيلة للعيش(، ويعامل "الباقى" بقدره) غاية للوجود .(هذا هو الاستقرار النفسي الذي يجعلك تمشي في الأرض ملكاً، لأنك مستند إلى "الوجه الذي لا يهلك".

رابعاً: المفاهيم المستنبطة والدروس التربوية

* مفهوم "البقاء النوعي": حياتك، عملك، مشاعرك، كلها "هالكة" إلا ما ربطته بالله .إذا أردت لعملك الخلود، فاجعله "لوجه الله".

* رسالة "التحرر من الخوف": الآية تحرك من الخوف من الموت والزوال؛ فإذا كنت مع "الباقى"، فأنت في أمان، والموت ليس إلا "رجوعاً" للمصدر الجميل.

* التوجيه العملي: عش بقلب "متبذل"؛ أي منقطع عن الأغيار .ابن الدنيا وعمرها) بالأسباب(، ولكن لا تدعها تسكن في قلبك، لأن "الهالك" لا يليق بقلب خلق لـ "الباقى".

خامساً: دلالة ختم السورة بهذه الآية) لماذا هذا الختام؟(

ختم السورة بهذه الآية هو "إغلاق للدائرة الوجودية" وتلخيص لكل عبرها:

* الرد على فرعون وقارون: بدأت السورة بطغيان فرعون(علو في الأرض (وقارون) فرح بالمال .)
ختمت السورة بأن كل هذا "هالك"، وأن الحكم ليس لفرعون، والخلود ليس لمال قارون، بل الله هو الباقي وحده.

* تثبيت لقلب النبي والمؤمن: بعد ذكر "الرد إلى المعاد" و"الصد عن السبيل"، يأتي الختام ليقول: "لا تلتفت لضجيجهم، فهم هالكون، وأنت راجع إليّ، فكن معي".

* تحقيق التوازن النفسي النهائي: السورة مليئة بالصراعات، والقصص، والتحويلات .ختامها بالتوحيد الخالص) لا إله إلا هو (والرجوع) إليه ترجعون (يمنح القارئ شعوراً بـ "النهاية السعيدة والأمنة"؛ فكل التفاصيل تنتهي عند الله الصمد.

الخلاصة الوجدانية الختامية:

الآية (88) هي صرخة الحق التي تخرس كل باطل .هي تجعل الإنسان يشعر أنه "يوحى إليه" بضرورة الاستيقاظ من سكرة الدنيا.

عندما تعيش بهذه الخاتمة، يتحول كيائك إلى شخص متزن، طموح، مطمئن .تعمل للأسباب بكل إتقان لأنك "داعية" الآية(87) ، وتتوكل على الله بكل يقين لأنك تعلم أن "كل شيء هالك".

أنت الآن لا تقرأ خاتمة سورة، بل ترسم "خاتمة حياتك" .اجعل "وجه الله" هو وجهتك، و"حكمه" هو دستورك، و"الرجوع إليه" هو شوقك ..عندها فقط ستكون قد فهمت سورة القصص بقلبك وعقلك، وخرجت منها إنساناً ربانياً، متحرراً، وممتهلاً بالنور

سادساً.

نستكمل هذا الختام النوراني لآية "البقاء والخلود"، لتأمل كيف تصنع هذه الكلمات اللمسات الأخيرة في وجدان المسلم، وكيف يغلق بها القرآن أبواب القلق ويفتح أبواب السكينة المطلقة:

الأمر الأول: التحليل الوجداني لـ "له الحكم وإليه ترجعون"

هذه الجملة هي "حسم النزاع" في قلب الإنسان بين خوفه من قوى الأرض وطمأنينته لرب السماء:

* تحطيم "أصنام الظروف": حين يمر الإنسان بأزمة أو ظلم، يشعر كأن "الظرف" هو الحاكم عليه .
تأتي الآية لتقول: له الحكم؛ أي إن الأسباب لا تحكم بذاتها، بل الله هو الذي يحركها .هذا المفهوم يبنى شخصية متزنة لا تنكسر أمام "الأحكام البشرية" الجائرة، لأنها تعلم أن "المحكمة العليا" بيد الله وحده.

* لذة العودة) وإليه ترجعون(: كلمة "ترجعون" توجي بأن الأصل هو الله، وأن الدنيا مجرد "اغتراب" مؤقت .هذا المفهوم يملأ الفرد بـ الانجذاب والشوق، ويحول الموت من "فناء مرعب" إلى "رجوع حبيب".

الامر الثاني : دلالة ختم السورة بهذه الآية) الارتباط ببدء السورة)
 ختم سورة القصص بهذه الآية هو إبداع قرآني يربط الأطراف بالمتون:
 * بطلان "علو" فرعون: بدأت السورة بذكر علو فرعون) إن فرعون علا في الأرض(، وختمت بأن كل
 علو نهايته الهلاك هذا يحقق التوازن النفسي؛ فلا تنبهر بقوة طاغية، لأن نهايتها محتومة في كلمة "
 والعاقبة للمتقين " .
 * بطلان "كنوز" قارون: ذكرت السورة فتنة المال، وختمت بأن المال والجاه وسيلة هالكة، والباقي هو
 العمل الذي قصد به وجه الله.
 * تثبيت "قلب محمد والمؤمنين": السورة بدأت بنصرة المستضعفين) ونريد أن نمن على الذين
 استضعفوا(، وختمت بأن مرجع الجميع إلى الله ليحكم بينهم بالعدل.
 الامر الثالث: التحرر من "التعلق الخاطئ" وبناء "اليقين والحق"
 كيف تجعلنا هذه الآية نعيش بقلب معلق بالمسبب؟
 * الزهد الإيجابي: الزهد ليس بترك الدنيا، بل بـ "رؤية هلاكها". حين ترى الدنيا "هالكة"، فإنك
 تستعملها ولا تملكك، تخدم بها الحق ولا تستعبدك. هذا هو الاتزان النفسي الذي يجمع بين "عمارة الأ
 رض" و"تعلق القلب بالسماء".
 * قوة الموقف: الشخص الذي يوقن بـ{ لا إله إلا هو } لا يمكن تهديده بالفناء، لأنه مرتبط بالباقي .
 هذا يحرر الإنسان من الخوف والتردد، ويجعله شخصاً مساهماً ومشاركاً بفعالية، لأنه لا يخشى على
 نفسه من "هالك".
 الامر الرابع : المفاهيم النفسية والتربوية والعملية) رسالة الختام)
 * مفهوم "الوجهة الواحدة": تربينا الآية على "وحدة الهدف". إذا كان كل شيء هالكا، فلماذا تشتت
 قلبك بين إرضاء فلان وطمع في علان؟ وحد وجهتك نحو "الوجه الباقي" تسترح وتوحد طاقاتك.
 * رسالة "الاستقامة": يا عبدي، لقد بدأت السورة بقصة طفل في صندوق) موسى(، وانتهت بملكو
 السماوات والأرض. فلا تخف من "البدايات الضعيفة" طالما أن "النهاية" إلي.
 * التوجيه العملي: اجعل كل فعل تقوم به في حياتك العملية) دراسة، عمل، تربية (مغلفاً بـ "نور
 الوجه"؛ أي أخلص فيه لله، ليتحول من "فعل هالك" إلى "أثر باق" يرافكك حين ترجع إليه.
 الخلاصة الوجدانية الكبرى لسورة القصص:
 لقد طوفت بنا السورة في رحاب النفس والكون، من القصور إلى القبور، ومن الهجرة إلى العودة،
 لتقول لنا في النهاية: "لا تنخدع بالمظاهر، فالحقيقة خلف الأستار".
 أنت الآن، بعد هذا التحليل الشامل، لست مجرد قارئ، بل إنسان مبصر. ترى في القوي "ضعفاً مؤجلاً
 "، وفي الضعيف "قوة مستترة"، وفي الدنيا "رحلة عبور". تخرج من السورة بقلب متبتل) منقطع
 لله(، وروح متحررة من قيود الخوف والتعلق الخاطئ، وعقل متزن يجمع بين السعي في الأسباب و
 اليقين التام في مسبب الأسباب.
 لقد انتهت السورة، ولكن يبدأ الآن دورك:
 أن تعيش بـ "وجه الله"، وتتحرك بـ "حكم الله"، وتستعد لـ "رجوعك إلى الله".
 {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.
 عش بها .. تكن ملكاً.
 واخيرا اكرر شكري وتقديري لاستاذي الفاضل منير عبده عثمان الصلوى على. ما بذل من جهودا
 جبارة لإخراج هذا العمل وبقيه الكتب فى سلسلة كتب المفاهيم القرآنية بقيامه بالمراجعة الشاملة
 لهذه الكتب اسأل الله ان يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتنا جميعا
 المحامى احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى